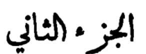
The Dreanched Book



الجزء الثاني

من

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي عفي عنه

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٢ هجرية و ١٩٢٤ ميلادية

طبع في المطبعة العلمية في مدينة حلب على نفقة مؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ٥٤١

ذكر ولاية نور الدين محمود الشهيد بن زنكى على حلب

قال في الروضتين قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر لما راهق نور الدين لزم خدمة والده الى ان انتهت مدته على قلعة جعبر وسيره فى صبيحة الأحد الملك الب ارسلان ابن السلطان مسعود الى الموصل مع جماعة من اكابر دولة ابيه فقال لهم ان وصل اخي سيف الدين غازى الى الموصل فهى له وانتم فى خدمته وان تأخر فأنا اقرر امور الشام وانوجه اليكم ثم قصد حلب ودخل قلعتها سابع ربيع الآخر ورتب النواب فى القلعة والمدينة قال ابن ابى طي الحلبي لما اتصل قتل اتابك بأسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد خيمة نور الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد اخذ عسكر الموصل وعول على تقديم اخيك سيف الدين وقصده الى الموصل وقد انضوى اليه جلّ العسكر وقد انفذ الي جمال الدين واراد فى على اللحاق به فلم اعرج عليه وقد رأيت ان اصيرك الى حلب وتجعلها كرسى ملكك ونجتمع فى خدمتك عساكر الشام وانا اعلم ان الأمر يصير جميعه اليك لأن ملك الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق فركب وامر ان ينادى فى الليل فى عساكر الشام بالأجتماع فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين الى حلب ودخلوها سابع ربيع الأول [تقدم آنفا سابع ربيع

الاخر ولما دخلوا الى حلب جاء اسد الدين الى تحت القلعة ونادى واليها واصعد نور الدين اليها وقرر امره ومشى احواله فكان نور الدين يرى له ذلك واسد الدين يمن بأنه كان السبب في توليته ثم ساق في الروضتين ما قام به الوزير جمال الدين من التدابير في تقرير سيف الدين غازى اخى نور الدين في الملك لبلاد الموصل الى ان قال ولما استقر سيف الدين فى الملك اطاعه جميع البلاد ماعدا ما كان بدياربكر كالمعدن وحيزان واسعرد وغير ذلك فأن المجاورين لها تغلبوا عليها قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح امر السلطنة وتحليفه وتقرير امر البلاد عبر الى الشام لينظر في تلك النواحى ويقرر القاعدة بينه وبين اخيه نور الدين وهو بحلب وقد تأخر عن الحضور عند اخيه نورالدين وخافه فلم يزل يراسله ويستميله فكلما طلب شيئاً اجابه اليه استمالة لقلبه واستقرت الحال بينهما على ان يجتمعا خارج العسكر السيفى ومع كل واحد خمسمائة فارس فلما كان يوم الميعاد بينهما سار نور الدين من حلب في خمسمائة فارس وسار سيف الدين من معسكره فى خمسة فوارس فلم يعرف نورالدين اخاه سيف الدين حتى قرب منه فحين رآه عرفه فترجل له وقبل الأرض بين يديه وامر اصحابه بالعود عنه فعادوا وقعد سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا وبكيا فقال له سيف الدين لم امتنعت من المجئ الي أكنت تخافني على نفسك والله ما خطر ببالى ما تكره فلمن اريد البلاد ومع من اعيش وبمن اعتضد اذا فعلت السوء مع اخى واحب الناس الي فاطمأن نور الدين وسكن روعه وعاد الى حلب فتجهز وعاد بعسكره الى خدمة اخيه سيف الدين فأمره سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال لاغرض لى فى مقامك عندي وانما غرضي ان يعلم الملوك والفرنج اتفاقنا فمن يريد السوء يكفه عنه فلم يرجع نور الدين ولزم الى ان قضيا ما كانا عليه وعاد

كل واحد منهما الى بلده قلت ومن قصيدة لابن منير في نور الدين

ايا خير الملوك ابا وجداً * وانعمهم حيا لغليل صاد

علوا وغلوا وقال الناس فيهم * شوارد من ثناء او احاد

وما اقتسموا ولا عمدوا بنام * بمنصبك القسيمى العمادى

وهل حلب سوى نفس شعاع * تقسمها التمادى والتعادى

نفى ابن عماد الدين عنها الا * شكاة فاصبحت ذات العماد

تبختر في كسا عدل وبذل * مدبجة التهائم والنجاد

وفي محرابها داود منه * يهذب حكمة آيات صاد

تجاوزت النجوم فاين تبقى * ترق فلاخاوت من ازدياد

قال فى الروضتين قال ابن ابى طى في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب اتصل خبر مقتل اتابك بصاحب انطاكية البيمند فخرج في يومه بعساكر انطاكية وقسم عسكره قسمين انفده الى جهة حماه وقسما اغاربه على جهة حلب وعاث في بلادها وكان الناس آمنين فقتل وسبى عالماً عظيما وتمادى حتى وصل الى صلدى ونهبها ووصل الخبر الى حلب فخرج اسد الدين شيركوه فيمن كان بحلب من العسكر وجد فى السير ففاته الفرنج وادرك جماعة من الرجالة يسوقون الأسرى فقتلهم واستنقذ كثيرا مما كانت الفرنج اخذته وسار مجنبا عن طريق الفرنج الى ان شن الغارة على بلد ارتاح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد الى حلب مظفرا .

وقال فيها ايضا وردت الاخبار فى ايام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن جوسلين جمع الأفرنج من ناحيته وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقه من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض نور الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف اليه من التركمان وغيرهم زهاء

عشرة الآف فارس ووقفت الدواب فى الطرقات من شدة السير ووافوا البلد
وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل
من ارمن الرها والنصارى من قتل وانهزم الى برج يقال له برج الماء فحصل فيه
ابن جوسلين في تقدير عشرين فارساً من وجوه اصحابه واحدق بهم المسلمون
وشرعوا في النقب عليهم حتى تعرقب البرج فانهزم ابن جوسلين فى الخفية من
من اصحابه واخذ الباقون ومحق بالسيف كل من ظفر به من نصارى الرها
واستخلص من كان فيه اسيرا من المسلمين ونهب منها شيء كثير من المال والأثاث
والسبي وانكفأ المسلمون بالغنائم الى حلب وسائر الأطراف وقال ابن الأثير لما
قتل زنكى كان جوسلين الفرنجي الذى كان صاحب الرها في ولايته غرب الفرات
في تل باشر وما جاورها فراسل اهل الرها وكان عامتهم من الأرمن وواعدهم
يوما يصل اليهم فيه فأجابوه الى ذلك فسار في عسكره اليها وملكها وامتنعت
عليه القلعة بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وجد فى قتالهم فبلغ الخبر نور الدين وهو
بحلب فسار اليهم بعسكره فهرب جوسلين ودخل نور الدين مدينة الرها وسبي
اهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخربت وخلت من اهليها ولم يبق منهم بها الا القليل
ووصل خبر الفرنج الى سيف الدين غازي بالموصل فجهز العساكر الى الرها
فوصل العسكر وقد ملكها نور الدين فبقيت في يده ولم يعارضه فيها اخوه
سيف الدين

سنة ٥٤٢

ذكر ملك نور الدين محمود مدينة ارتاح وغيرها

قال ابن الأثير فى هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلد

الفرنج ففتح منه مدينة ارتاح بالسيف ونهبها وحصن مابولة وبسرفوث وكفرلاثا وكان الفرنج بعدقتل زنكى قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما رأوا من نور الدين هذا الجد في اول امره علموا ان ماأملوه بعيد وخاب ظنهم واملهم

سنة ٥٤٣

انهزام نور الدين في وقعة بينه وبين صاحب انطاكية

قال في الروضتين فى حوادث هذه السنة . وردت الاخبار في رجب من ناحية حلب بأن نور الدين صاحبها كان قد توجه فى عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية وقصد افامية وظفر بعدة من الحصون والمعاقل الافرنجية وبعدة وافرة من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه فنال من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبته الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره وعاد الى حلب سالماً فى عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة وافرة من الافرنج واقام بحلب اياماً بحيث جدد ماذهب له من اليزك وما يحتاج اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد .

﴿ ذكر وقعة يغرى وانهزام الفرج فيها ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكى الفرنج بمكان اسمه يغرى (هو ارض في العمق) وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم في عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالاً شديداً اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم واسر جماعة من مقدميهم ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم .

قال في الروضتين وفي هذه الوقعة يقول القيسراني من قصيدة اولها

يا ليت ان الصدود مصدود * او لا فليت النوم مردود
الى متى تعرض عن مغرم * في خده للدمع اخدود
قالوا عيون البيض بيض الظبى * قلت ولكن هذه سود
تخاف منها وهي في جفنها * والسيف يخشى وهو مغمود

رج الى المدح فقال

وكيف لا نثني على عيشنا ال * محمود والسلطان محمود
فليشكر الناس ظلال المنى * ان رواق العدل ممدود
ونيرات الملك وهاجة * وطالع الدولة مسعود
وصارم الاسلام لاينثني * الا وشلو الكفر مقدود
مناقب لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود
مظفر في درعه ضيغم * عليه تاج الملك معقود
نال المعالي مالكاً حاكماً * فهو سليمان وداود
ترتشف الافواه اسيافه * ان وصاب العز مورود
وكم له من وقعة يومها * عند ملوك الشرك مشهود
والقوم اما مرهق صرعة * او موثق بالقد مشدود
حتى اذا عادوا الى مثلها * قالت لهم هيبة عودوا
طالب بثار ضمنته الظبى * فكل ما يضمن مردود
والكر والفر سجال الوغى * فطارد طوراً ومطرود
وانما الافرنج من بغيها * عادوا وقد عاد لها هود
قد حصحص الحق فما جاهد * في قلبه بأسك مجحود

فكل مصر بك مستفتح ٭ وكل ثغر يك مسدود

وقال ايضاً قصيدة في نور الدين وانشده اياها بظاهر حلب وقد كسر الفرنج على يغرا وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الفرنج هزمت المسلمين اولاً بهذا الموضع اولها

تفي بضمانها البيض الحداد ٭ وتقضي دينها السمر الصعاد
وتدرك ثارها من كل باغ ٭ فوارس من عزائمها الجلاد
ويغشى حومة الهيجا همام ٭ يشذ بضبعه السبع الشداد
اظن ان نار الحرب تخبو ٭ ونور الدين في يده الزناد
وجند كالصقور على صقور ٭ اذا قضوا على الابطال صادوا
اذا اخفوا مكيدتهم اخافوا ٭ وان ابدوا عداوتهم ابادوا
ونصرة دولة حاميت عنها ٭ وهل يخشى وانت لها عماد
وانت تنل القوافي ما تلته ٭ بأنب مايؤنبها سناد
جرت بالنصر اقلام العوالي ٭ وليس سوى النجيع لها مداد
وطالت ارؤس الاعلاج خصباً ٭ فنادي السيف قد وقع الحصاد
احطت بهم فكان القتل صبراً ٭ ولا طعن هناك ولا طراد
وللابرنس فوق الرمح رأس ٭ توسد والسنان له وساد
رجل للسلام فغرسوه ٭ وليس سوى القناة له جواد
غضيض المقلتين ولا نعاس ٭ وعايرها وليس به سهاد
فسر واستوعب الدنيا فتوحا ٭ فلا هضب هناك ولا وهاد
وزر بين الوغى مثوى حبيب ٭ فمن عن باب مسلمة زياد
ولا في باب فارس غير ثكلى ٭ بفارسها يضيء بها الحداد

لأنطاكية يحمى ذراها ... وقد دانت لسطوتك البلاد
واذعنت الممالك واستجابت ... ملبية لدعوتك العباد

ووقعة انب هذه كانت عظيمة وقد اكثر ذلك الشعراء لها وسيأتي ذكرها قريبا ان شاء الله تعالى • قال في الروضتين قال ابو يعلي التميمي وفي رجب من هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بأن صاحبها نور الدين بن اتابك امر بأبطال خير العمل في اواخر تأذين الغداة والظاهر بسب الصحابة وانكر ذلك انكاراً شديداً وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الأمر على الأسماعيلية واهل التشيع وضاقت له صدورهم وهاجوا وماجوا ثم سكنوا واحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة اه اقول قد تقدم في ترجمة سيف الدولة بن حمدان ان اول التأذين بحي على خير العمل كان في ايامه في سنة ٣٤٧ وذكرنا ثمة ابطال نور الدين لذلك وامره بالأقتصار على الأذان المشروع وان ذلك كان لما فتح نور الدين المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية .

سنة ٥٤٤

قال ابن الأثير في هذه السنة توفي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل وخلف ولداً ذكرا فرباه عمه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوجة ابنة اخيه قطب الدين مودود فلم تطل ايامه وتوفي في عنفوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين

(ذكر وقعة انب وقتل البرنس صاحب انطاكية وهزيمة الفرنج)

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة فيها انفذ نور الدين محمود الى معين الدين (صاحب دمشق) يعلمه ان صاحب انطاكية قد جمع افرنج بلاده وظهر

يطلب بهم الأفساد في الأعمال الحلبية وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب
للقائه والحاجة ماسة الى معاضدته فندب معين الدين مجاهد الدين نزان بن مامين
في فريق وافر من العسكر الدمشقي للمصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته
ومناصحته وبقي معين الدين في العسكر بناحية حوران قال وفي صفر من السنة
وردت البشائر من جهة نور الدين بما اولاه الله تعالى وله الحمد على حشد الفرنج
المخذول ولم يفلت منهم الا من اخبر ببوارهم وتعجيل دمارهم وذلك ان نور الدين
اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارس مقاتلة سوى الاتباع والسواد فنهض
بهم الى الفرنج في الموضع المعروف بأنب وهم في نحو اربعمائة فارس والف راجل
فقتلوهم وغنموهم ووجد البرنس مقدمهم صريعا بين جماعته وابطاله فعرف وقطع
رأسه وحمل الى نور الدين وكان هذا من ابطال الفرنج المشهورين بالفروسية
وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلقه مع اشتهار الهيبة وكثرة السطوة والتناهي
في الشر وذلك يوم الاربعا الحادي والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين في
العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حماتها والذابين عنها ولم يبق فيها غير
اهلها مع كثرة عددهم وحصانة بلدهم وترددت المراسلات بينه وبينهم في طلب
التسليم اليه وايمانهم وصيانة اموالهم فوقع الأجتماع منهم بان هذا الأمر لايمكنهم
الدخول فيه الا بعد انقطاع آمالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم
وحملوا ما امكنهم من التحف والمال ثم استمهلوا فأمهلوا ثم رتب نور الدين
بعض العساكر للأقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض في بقية العساكر
لمنازلتها ومضايقتها فالتمسوا الأمان فأومنوا على انفسهم وسلموا البلد في ثامن
عشر ربيع الأول وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية انطاكية وقد انتهى
الخبر بنهوض الفرنج من السواحل الى صوب انطاكية لأنجاد من بها فاقتضت

الحال مهادنة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرب من الاعمال الحلبية له وماقرب من انطاكية لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم بحيث كان قد ملك في هذه النوبة مما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغيرها المغانم الجمة وفصل عنه الأمير مجاهد الدين بزان في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الوقعة ولمن في جملته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشهامة والبسالة واصابة الرأي والمعرفة بمواقف الحروب . وقال ابن ابي طي حمل اسد الدين على حامل صليب الفرنج وقتله وقتل البرنس صاحب انطاكية وجماعة من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يقوم به وعاد المسلمون بالغنائم والأسرى وكان لأسد الدين في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحه بها بعض الشعراء الحلبيين بقصيدة يقول فيها

ان كان آل فرنج ادركوا فلجا ✫ في يوم يغرا ونالوا منية الظفر
ففي الخطيم خطمت الكفر منصلتا ✫ ابا المظفر بالصمصامة الذكر
نالوا بيغرا نهابا وانتهبت لنا ✫ على الخطيم نفوس المعشر البتر
واستقودوا الخيل عريا واستقدت لنا ✫ قوامص الكفر في ذل وفي صغر

وقال ابن الأثير سار نور الدين الى حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب ربضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن انب فحصره فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكية وساروا اليه ليرحلوه عن انب فلم يرحل بل لقيهم وتصاف الفريقان واقتتلوا وصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه ماتعجب منه الناس . وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج وقتل البرنس وجماعة كثيرة من ذوي التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس خلف ابنا صغيرا وهو بيمند فبقي مع امه بانطاكية فتزوجت امه بفرنسي آخر واقام معها بانطاكية يدبر الجيش ويقودهم

ويقاتل بهم الى ان يكبر بيمند ثم ان نور الدين غزا بلد الفرنج غزوة اخرى وهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فى الأسرى البرنس الثاني زوج ام بيمند فلما اسره تملك بيمند انطاكية بلد ابيه وتمكن منه وبقى بها الى ان اسره نور الدين بحارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة على مانذكره ان شاء الله تعالى واكثر الشعراء مدح نور الدين وتهنئته بهذا الفتح وقتل البرنس فمن قال فيه القيسراني الشاعر من قصيدة انشده اياها بجسر الحديد الفاصل بين عمل حلب وعمل انطاكية اولها

هذي العزائم لا ما تدعى القضب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتى متى خطبت * تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صافحت يابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعى دونها تعب
مازال جدك يبنى كل شاهقة * حتى ابتنى قبة اوتادها الشهب
لله عزمك ما امضى وهمك ما * اقضى اتساعا بما ضاقت به الحقب
ياساهد الطرف والأجفان هاجعة * وثابت القلب والأحشاء تضطرب
اغرت سيوفك بالأفرنج راجفة * فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة * اودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
قل للطغاة وان صمت مسامعها * قولا لصم القنا في ذكره ارب
ما يوم أنب والأيام دائلة * من يوم يغرا بعيد لا ولا كثب
اغركم خدعة الآمال ظنكم * كم اسلم الجهل ظنا غره الكذب
غضبت للدين حتى لم يفتك رضى * وكان دين الهدى مرضاته الغضب
طهرت ارض الأعادى من دمائهم * طهارة كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرار الزند قادحه * فالحرب تضرم والآجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تقرلها * قوائم خانهن الركض والخبب

والنقع فوق صقال البيض منعقد * كما استقل دخان تحته لهب
والسيف هام على هام بمعركة * لا البيض ذوذمة منها ولا اليلب
والنبل كالوبل هطال وليس له * سوى القسي وايد فوقها سحب
وللظبي ظفو حلو مذاقته * كأنما الضرب فيما بينهم ضرب
وللأسنة عما في صدورهم * مصادر أقلوب تلك ام قلب
خانوا الخانت رماح الطعن ايديهم * فاستسلموا وهي لانبع ولا غرب
كذاك من لم يوق الله مهجته * لاقى العدى والقنا في كفه قصب
كانت سيوفهم اوحى حتوفهم * يارب خائنة منجاتها العطب
حتى الطوارق كانت من طوارقهم * ثارت عليهم بها من تحتها النوب
اجسادهم في ثياب من دمائهم * مسلوبة وكان القوم ما سلبوا
انباء ملحمة لوانها ذكرت * فيما مضى نسيت ايامها العرب
من كان يغزو بلاد الشرك مكتسبا * من الملوك فنور الدين محتسب
ذوغرة ما سمت والليل معتكر * الا تمزق عن شمس الضحى الحجب
افعاله كاسمه في كل حادثة * ووجهه نائب عن وصفه اللقب
في كل يوم لفكرى من وقائعه * شغل فكل مديحي فيه مقتضب
من بات تالأسد اسرى فى سلاسله * هل يأسر الغلب الا من له الغلب
فلكوا سلب الأبرنس قاتله * وهل له غير انطاكية سلب
من للشقي بما لاقت فوارسه * وان يساورها من تحته قتب
عجبت للصعدة السمراء مثمرة * برأسه ان اثمار القنا عجب
سما عليها سمو الماء ارهقه * انبوبة فى صعود اصلها صبب
ما فارقت عذبات التاج مفرقه * الاوهى منه لاتاج ولا عذب

اذا القناة ابتنت في رأسه نفقا * بدا لثعلبها من نحره سرب
كنا نعد حمى اطرافنا ظفرا * فلكنك الظبي ما ليس نحتسب
عمت فتوحك بالعدوى معاقلها * كان تسليم هذا عند ذا جرب
لم يبق منهم سوى بيض بلا رمق * كما التوى بعد رأس الحية الذنب
فانهض الى المسجد الاقصى بذى لجب * يوليك اقصى المنى فالقدس مرتقب
وائذن لموجك في تطهير ساحله * فانما انت بحر لجه لجب
يامن اعاد ثغور الشام ضاحكة * من الظبي عن ثغور زانها الشنب
ما زلت تلحق عاصيها بطائعها * حتى اقمت وانطاكية حلب
حلت من عقاها ايدى معاقلها * فاستعجلت والى ميثاقك الهرب
وايقنت انها تتاو مراكزها * وكيف يثبت لاجوق ولا طنب
اجريت من ثغر الاعناق انفسها * جرى الجفون امتراها بارح حصب
وما ركزت القنا الا ومنك على * جسر الحديد هزبر غيله اشب
فاسعد بما نلته من كل صالحة * يأوى الى جنة المأوى لها حسب
ان لا تكن احد الابدال فى فلك التـ * ـقوى فلا تمارى انك القطب
فلو تناسب افلاك السماء بها * لكان بينكما من عفة نسب
هذا وهل كان فى الاسلام مكرمة * الا شهدت وعباد الهدى غيب

وله فيه من قصيدة اخرى

الا لله درك اي در * صريح جاء بالكرم الصريح
وعسكرك الذى استولى مسيحا * على ما بين فامية وسيح
ووقعتك التى بنت العوالي * صوادر عن قتيل اوجريح
بانب يوم ابرزت المذاكي * من النقع الغزالة فى مسوح

غداة كأنما العاصى احمرارا * من الدم عبرة الجفن القريح
وقد وافاك بالابرنس حتف * اتيح له من القدر المتيح
قتلت اشحهم بالنفس اذ لا * يجود بنفسه غير الشحيح
ملأت بهم ضرائحهم فأمسوا * وليس سوى القشاعم من ضريح
وعدت الى ذرا حلب حميداً * سمو البدر من بعد الجنوح
فأن جليت بغرتك الليالي * فكم لسناك من زمن مليح
رويدك تسكن الهيجا فواقا * بحيث تريح من تعب المريح
فانت وان ارحت الخيل وقتا * فهمك غير هم المستريح

وقال احمد بن منير يمدحه ويذكر ظفره بالبرنس واصحابه وحمل رأسه الى حلب وانشده اياها ايضاً بجسر الحديد .

اقوى الضلال واقفرت عرصاته * وعلا الهدى وتبلجت قسماته
وانتاش دين محمد محموده * من بعد ما غلبت دما عبراته
ردّت على الاسلام عصر شبابه * وثباته من دونه وثباته
ارسى قواعده ومن عماده * صعدا وشيد سوره سوراته
واعاد وجه الحق ابيض ناصعا * اصلاته وصلاته وصلاته
لما تواكل حزبه وتخاذلت * انصاره وتقاصرت خطواته
رفعت لنور الدين نار عزيمة * رجعت لها عن طبعها ظلماته
ملك مجالس لهوه شداته * ومشوقه بين الصفوف شذاته
تغرى بجحثة البراع بنانه * ان لذ حثحثة الكؤس لداته
ويروقه ثغر العدى قانٍ دما * لا الثغر يعبق فى لماه لثاته
فصبوحه خمر الطلى وغبوقه * نطف النفوس تديرها نشواته

فتح تعممت السماء بفخره * وهفت على اغصانها عذباته
سبغت على الأسلام بيض حجوله * واختال فى اوضاحها جبهاته
وانهل فوق الابطحين غمامه * ومرت الى سكينها نفحاته
لله بلجة ليلة عمت به * واليوم ذبح وشيه ساعاته
حط القوامص فيه بعد قماصها * ضرب يصلصل فى الطلى صعقاته
نبذوا السلاح لضيغم عاداته * فرس الفوارس والقنا غاياته
لمجرب عمرية غضباته * لله معتصمية غزواته
تحيا لضيق صفاده اسراؤه * وتفيض ماء شؤونها نعماته
بين الجبال خواضعا اعناقها * كالزود نابت عن براه حداته
نشرت على حلب عقود بنودهم * حال الربيع تناسقت زهراته
روض جناه لها مكر جياده * واستوأرت حالة حملاته
متساندين على الرحال كما انتشى * شرب امالت هامه قهواته
لم تثبت الآجام قبل رماحه * شجراً فروع اصوله ثمراته
فليحمد الاسلام ما جدحت له * شربات غرس هذه مخباته
وسقى صدا ذاك الحيا صوب الحيا * خير الثرى ماكنت انت نباته
نصب السرير ومال عنه ومهدت * لمقر منصبك السرى سراته
ماضر هذا البدر وهو محاق * ان الكواكب فى الذرى ضراته
فى كل يوم تستطيل قناته * فوق السماء وتعتلي درجاته
وترى كشمس فى الضحى آثاره * مجداً وألسنة الزمان رواته
اين الألى ملئوا الطروس زخارفا * عن نزف بحر هذه قطراته
غدقوا باعناق العواطل ماله * من جوهر فأنتهم فذاته

لو فصلوا سمطا ببعض فتوحه * سخرت بما افتعلوا لهم فعلاته
تمسي قنانيه بنات قيونه * فوق القوانس والقنا قيناته
صلتان من دون الملوك تقرها * حركاته وتنيمها يقظاته
قعدت بهم عن خطوه هماتهم * وسمت به عن خطوهم هماته
سكنوا مسجفة الحجال واسكنت * زحل الرحال مع السها عزماته
لو لاح للطائي غرة فتحه * بآءت بحمل تأوه بآآته
او هب للطبري طيب نسيمه * لاحتش من تاريخه حشواته
صدم الصليب على صلابة عوده * فتفرقت ايدي سبا خشباته
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة * بالروح مما قد جنت غدراته
فانقاد في خطم المنية انفه * يوم الخطيم واقصرت نزواته
ومضى يؤنب تحت انب همة * امست زوافر غيها زفراته
اسد تبوأ كالفرنف نجاته * فتبوأت طرف السنان شواته
دون النجوم مغمضا ولطالما * اغضت وقد كرت لها لحظاته
بجلوته تبكي الاصادق تحته * بدم اذا ضحكت له شماته
تمشي القناة برأسه وهو الذي * نظمت مدار النيرين قناته
لو عانق العيوق يوم رفعته * لأراك شاهد خفضه اخباته
ما انقاد قبلك انفه بجرامه * كلا ولا همت لها هدراته
طيان خلف السرح طال زئيره * نطقت سطاك له فطال صماته
لما بدا مسود رأيك فوقه * مبيض نصرك نكست راياته
ورأى سيوفك كالصوالج طاوحت * مثل الكرين تقلصت كثراته
ولى وقد شربت ظباك كماته * تحت العجاج واسلمته حماته

ترك الكنائس والكناس لناهب * بالبيض نهب ما حواه عفانه
غلاب اروع لايميت عداته * داء المطال ولا تعيش عداته
والآن ملقى بالعرا يقتاته * ما كان قبل يصيده يقتاته
اليوم ملكك القراع قلاعه * متسنما ما استشرفت شرفاته
وغدا تحل لك الحلائل اسهم * متوزعات بينهن نباته
اوطأت اطراف السنابك هامه * فتقاذفت بعنيفها قذفاته
لازال هذا الملك يشمخ شأنه * ابدا ويلفت في الحضيض وشاته
ما اخطئتك يد الزمان فدونه * من شاء فلتسرع اليه هناته
انت الذي تحلى الحياة حياته * وتهب ارواح القصيد هباته

سنة ٥٤٥

قال فى الروضتين قال ابن الأثير فيها سار نورالدين الى حصن افامية وهو للفرنج ايضاً وبينه وبين حماة مرحلة. وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احصن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فأهل تلك الاعمال معهم تحت الذل والصغار فسار نورالدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من به القرار ليلا ونهارا وتابع عليهم القتال ومنعهم الأستراحة فاجتمعت الافرنج من سائر بلادهم وساروا نحوه ليزحزحوه عنها فلم يصلوا اليه الا وقد ملك الحصن وملأه ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب الفرنج سار نحوهم فحين رأوا جده فى لقائهم رجعوا واجتمعوا ببلادهم وكان قصاراهم ان صالحوه على ما اخذ ومدحه الشعراء واكثروا منهم ابو الحسين احمد بن منير حيث قال في مطلع قصيدة

اسنى الممالك ما اطلت منارها * وجعلت مرهفة الشفار دثارها

ومنها

في كل يوم من فتوحك سورة * للدين يحمل سفره اسفارها
ومطيلة قصر المنابر ان غدا الـ * ـخطباء تنثر فوقها تقصارها
همم تحجلت الملوك وراءها * بدم العثار وما اقتفت آثارها
وعزائم تستوزر الآساد عن * نهش الفرائس ان احس اوارها
ابدا تقصر طول مشرفة الذرى * بالمشرفية اوتطيل قصارها
فغزت افامية فما فهمته * كوبار اجناها الأران بوارها

ومنها

ماض اذا قرع الركاب لبلدة * القت له قبل القراع ازارها
واذا مجانقه ركعن لصعبة الـ * ـملقاة اسجد كالجدير جدارها
ملأ البلاد مواهبا ومهابة * حتى استرقت آيه احرارها
يذكى العيون اذا اقام لعينها * ابداً ويفضى بالظبى ابكارها
اوما الى رمم الندى فاعاشها * وهما لسابقة المنى فأزارها
نبويّ تشبيه الفتوح كأنما * انصاره رجعت له انصارها
احيا لصرح سلامها سلمانها * وامات تحت عمارها عمارها
ان سار سار وقد تقدم جيشه * رجف يقصع فى اللهى دعارها
اوحل حل حبا القروم بهيبة * سلب البدور بدارها ابدارها
واذا الملوك تنافسوا درج العلى * اربى بنفس افرعته خيارها
ونهى اذا هيضت تدل لجبرها * وسطى تذل اذا عنت جبارها
تهدى لمحمود السجايا كاسمه * لو لذ فاعلة بها لأبارها
الفاعل الفعلات ينظم في الدجى * بين النجوم حسودها اسمارها

ساع سما والسابقات وراءه * عنقا فعصفر متهاه عثارها

ومنها وهي آخرها

لله وجهك والوجوه كأنما * حطت بها اوقار هبت وقارها

والبيض تخنس في الصدور صدورها * هبرا وتكتحل الشفور شفارها

والخيل تدلج تحت ارشية القنا * جذب المواتح غاورت آبارها

فبقيت تستجلي الفتوح عرائسا * متمليا صدر العلى وصدارها

في دولة للنصر فوق لوائها * زبر تنمق في الطلى اسطارها

فالدين موماة رفعت بها الصوى * وحديقة ضمنت يداك ابارها

سنة ٥٤٦

قال في الروضتين ما ملخصه فى سنة ٥٤٥ توجه نور الدين الى دمشق وبعد اخذ ورد بينه وبين صاحبها تقرر في محرم سنة ٥٤٦ الصلح بين نور الدين واهل دمشق وبذلوا له الطاعة واقامة الخطبة على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان وكذا السكة ووقعت الأيمان على ذلك ورحل عن مخيمه عائداً الى حلب

ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين

بعد ذلك وفتح عين تاب وعزاز ودلوك ومرعش وغير ذلك

قال في الروضتين قال ابن الأثير سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمالى حلب منها تل باشر وعين تاب وعزاز وغيرها من الحصون فجمع جوسلين الفرنج فارسهم وراجلهم ولقوا نور الدين وكان بينهم حرب شديدة انجلت عن انهزام المسلمين وظفر الفرنج واخذ جوسلين سلاح دار كان لنور الدين اسيرا واخذ ما معه من السلاح فانفذه الى السلطان مسعود بن قليج

ارسلان السلجوقي صاحب قونيه واقصرا وغيرهما من تلك الاعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك بسلاح صهرك وسيأتيك بعد هذا غيره فعظمت الحادثة على نور الدين واعمل الحيلة على جوسلين وعلم ان هو جمع العساكر الأسلامية لقصده جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع فأحضر نور الدين جماعة من التركمان وبذل لهم الرغائب من الأقطاع والأموال ان هم ظفروا بجوسلين اما قتلا واما اسراً فاتفق ان جوسلين خرج في عسكره واغار على طائفة من التركمان وسبى ونهب فاستحسن من السبي امرأة منهم خلا معها تحت شجرة فعاجله التركمان فركب فرسه ليقاتلهم فأخذوه اسيرا فصانعهم على مال بذله لهم فرغبوا فيه واجابوه الى ذلك واخفوا امره عن نور الدين فأرسل جوسلين في احضار المال فأتى بعض التركمان الى نائب نور الدين بحلب (هو ابو بكر بن الداية كما في الكامل) فاعلمه الحال فسير معه عسكرا اخذوا جوسلين من التركمان قهرا وكان نور الدين حينئذ بحمص وكان اسره من اعظم الفتوح على المسلمين فأنه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج شديد العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأية وشدة عداوته للملة الأسلامية وقسوة قلبه على اهلها واصيبت النصرانية كافة بأسره وعظمت المصيبة عليهم بفقده وخلت بلادهم من حاميها وثغورهم من حافظها وسهل امرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر والمكر لايقف على يمين ولايفي بعهد طالما صالحه نور الدين وهادنه فاذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر فلقيه غدره وحاق به مكره (ولا يحيق المكر السيء الابأهله) فلما اسر تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فنها عين تاب وعزاز وقورس والراوندان وحصن البارة

وتل خالد وكفرلاثا وكفرسوب وحصن بسرفوث بجبل بني عليم ودلوك ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص قال وكان نور الدين رحمه الله اذا فتح حصنا لايرحل عنه حتى يملأه رجالاً وذخائر تكفيه عشر سنين خوفا من نصرة تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة الى شيء وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا منهم القيسراني قال يمدح نور الدين بعد صدوره عن دمشق واستقرار امرها ويذكر قتل البرنس واسر جوسلين واخذ بلاده

دعا ما ادعى من غيره النهي والأمر * فما الملك الا ما حباك به الأمر
ومن ثنت الدنيا اليه عنانها * تصرف فيها شاء عن اذنه الدهر
ومن راهن الأقدار في صهوة العلى * فان تدرك الشعرى مداه ولا الشعر
اذا الجد اسمى دون غايته المنى * فما ذا عسى ان يبلغ النظم والنثر
ولم لايلي اسنى الممالك مالك * زعيم بجيش من طلائعه النصر
ليهن دمشقا ان كرسي ملكها * حبي منك صدراً ضاق عن همه الصدر

الى ان قال

وامست عزاز كأسمها بك عزة * تشق على النسرين لوانها الوكر
فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجي الى ذا السنا فقر
كاني بهذا العزم لافل حده * واقصاه بالأقصى وقدقضى الأمر
وقد اصبح البيت المقدس طاهرا * وليس سوى جارى الدماء له طهر
وقدادت البيض الحداد فروضها * فلا عهدة في عنق سيف ولانذر
وصلت بمعراج النبي صوارم * مساجدها شفع وساجدها وتر
وان يتيمم ساحل البحر مالكا * فلا عجب ان يملك الساحل البحر

وهي طويله جداً اكتفينا منها بهذا المقدار . وفي هذه السنة فارق صلاح الدين

والده وصار الى خدمة عمه اسد الدين بحلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله واقطعه اقطاعاً حسنا وفى جمادى الأولى كتب احمد بن منير من حماة الى نور الدين قصيدة اولها

لعلائك التأييد والتأميل ✫ وللملك التأبيد والتكميل

يهنئه بوصول الخلع اليه من بغداد من عند الخليفة على يد الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون ويصف الفرس الأصفر الأسود القوائم والمعارف والسيف العربي وساق في الروضتين القصيدة بتمامها

سنة ٥٤٧

(ذكر الحرب بين نور الدين وبين الفرنج بدلوك)

قال ابن الأثير في هذه السنة تجمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلما قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصاف بينهم عند دلوك واقتتلوا اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم واسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فلكها واستولى عليها ومما قال في ذلك احمد بن منير الطرابلسي

اعدت بعصرك هذا الأنيـ * ق فتوح النبي واعصارها
فواطأت ياحبذا احد بها * واسررت من بدر ابدارها
وكان مهاجرها تابعيـ * ـك وانصار رأيك انصارها
فجددت اسلام سلمانها * وعمر جدك عمارها
وما يوم انب الا كذا * ك بل طال بالبوع اشبارها
صدمت عزيمتها صدمة * اذابت مع الماء احجارها
وفي تل باشر باشرتهم * بزحف تسور اسوارها

وان دالكتهم دلوك فقد * شددت فصدقت اخبارها

سنة ٥٤٩

(استيلاء نور الدين على دمشق وتل باشر)

قال ابن الأثير فى هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكى مدينة دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين انز بن محمد بن بورى بن طغتكين اتابك ثم ساق السبب الذى دعاه الى ذلك . وفى هذه السنة او التى بعدها ملك نور الدين محمود قلعة تل باشر وهي شمالى حلب من امنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انه يقوى عليهم ولايقدرون على الأنتصاف منه لماكانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسيراليهم الأمير حسان المنبجى وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت منبج وهى تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فساراليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر مايكفيها سنين كثيرة

(سنة ٥٥٠)

قال في الروضتين فى هذه السنة ولي نور الدين صلاح الدين الشحنكية والديوان بدمشق فاقام فيه اياماً ثم تركه وصار الى حلب لأجل واقعة صارت بينه وبين صاحب الديون ابى سالم همام ثم قال نقلا عن ابن ابى طي يحي بن حميدة الحلبي واستخص نور الدين صلاح الدين والحقه بخواصه فكان لايفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكرة وكان نور الدين يحب لعب الكرة قال في المختار من الكواكب المضية (كان) بالجزيرة رجل من اهل الدين والصلاح

والخير وكان نور الدين يراسله ويرجع الى قوله فبلغه عن نور الدين انه يكثر اللعب بالكرة فكتب اليه يقول ماكنت اظن انك تلهو وتلعب وتعذب الخيل بغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله مايحملني على اللعب بالكرة اللهو واللعب انما نحن في ثغر العدو ونخشى ان يقع صوت فنركب في الطلب ولا يمكننا ملازمة الجهاد ومتى تركنا الخيل صارت لاقدرة لها على ادمان السفر في الطلب ولا معرفة لها بسرعة الانعطاف في المعركة فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب اه

سنة ٥٥١ ذكر حصر حارم

قال في الروضتين فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية وضيق على اهلها وهي من امنع الحصون واحصنها في نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوه لمنعه وكان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يرجعون الى رأيه فأرسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاولة وترك اللقاء وقال لهم ان لقيتموه هزمكم واخذ حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منه اطقنا الامتناع عليه ففعلوا ما اشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح على ان يعطوه حصته من حارم فأبى ان يجيبهم الا على مناصفة الولاية فأجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد وانشده ابن منير قصيدة طويلة يهنئه بالعود من غزاة حارم مطلعها

مافوق شأوك في العلا مزداد * فعلام يقلق عزمك الأجهاد
همم ضربن على السماء سرادقا * فالشهب اطناب لها وعماد
انت الذي خطبت له حساده * والفضل ما اعترفت به الحساد

ومنها

البست دين محمد يانوره * عزا له فوق السهاإ ساد
ما زلت تسمكه بمياد القنا * حتى تثقف عوده الميـاد
لم يبق مذ ارهفت عزمك دونه * عدد يراع بـه ولا استعداد
ان المنابر لو تطيق تكلما * حمدتك عن خطبائها الأعواد

ومنها

ورجا البرنس وقد تبرنس ذلة * حرم بحـارم والمصاد مصـاد
ضجت ثعاليه فأخرس جرسها * بيض تناسب فى الحديد حداد
وسواعد ضربت بهن وبالقنا * من دون ملة احمد الأسداد
يركزن في حلب ومن افنانها * تجنى فواكه امنهـا بغداد

وختمها بقوله

لاينفع الآباء ما سمكوامن الـ * ماسـاء حتى ترفع الأولاد
ملك يقيد خوفه ورجـاءه * ولقلما تتظـافر الأضـداد

وقال يهنئه بالنصر يوم حارم ايضاً قصيدة اولها (للملك ماتشاء من الدوام) يقول فيها

حظيت من المعالي بالمعانى * ولاذ الناس بعدك بالأسامي
عزيز المنتمى عـالي المراقى * بعيد المرتمى غـالي المسـامى

وهي طويلة ايضا قال فى الروضتين قال الرئيس ابو يعلي توجه نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في رابع والعشرين من صفرعند انتهاءخبر الفرنج اليه بعيثهم فى اعمال حلب وافسادهم وصادفه في طريقه المبشر بظفر عسكره الحلبي بالأفرنج المفسدين على حارم وقتل جماعة منهم واسرهم ووصل مع المبشر عدة وافرة من رؤس الفرنج المذكورين وطيف بها في دمشق قال وعاد نورالدين

الى دمشق في بعض ايام رمضان بعدتهذيب حلب واعمالها وتفقد احوالها .
قال في الروضتين في هذه السنة والتي بعدها كثرت الزلازل بالشام[اي بجميع بلاد الشام] وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج افامية واما شيزر فأن الكثير من مساكنها انهدم على سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثير واما كفرطاب فهرب اهلها خوفاً على ارواحهم

(سنة ٥٥٢)

الزلازل العظمى

قال في الروضتين فيها ايضا كثرت الزلازل بالشام فى صفر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة وترادفت الأخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل اثرت في حلب تأثيراً ازعج اهلها واقلقهم وكذا في حمص وهدمت مواضع فيها وفي حماة وكفرطاب وافامية وهدمت ماكان بنى من مهدوم الزلازل . وتتابعت الزلازل في كثير من البلاد بما يطول به الشرح ووردت الأخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجم الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير واما شيزر (١) فأن ربضها سلم الا ماكان خرب اولاً واما حصنها المشهور فأنه انهدم على واليها تاج الدولة ابي العساكر بن منقذ ومن تبعه الا اليسير ممن كان خارجا واما حلب فهدمت بعض دورها وخرج منها اهلهـا الى ظاهر البلد وكفرطاب

[١] قال الجلال السيوطي فى كتاب الصلصلة في الزلزلة . اما شيزر فلم يسلم منها احد الا امرأة وخادم لها وهلك الباقون واما كفرطاب فلم يسلم منها احد وساخت قلعتها وتل حرب انقسم نصفين فأبدى نواويس وبيوتاً كثيرة فى وسطه اه .

وافامية وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعاقل . ثم حصلت بحلب ايضا لجاءتها زلزلة هائلة قلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير الى ان قال قال ابن الأثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة اخربت البلاد واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر فأنهما خربا بالمرة وكذا ما جاورهما كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا وهلك تحت الهدم من الخلق مالا يحصيه الا الله تعالى وتهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا ان الله تعالى منّ على المسلمين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والا كان دخلها الفرنج بغير حصار ولا قتال . قال ولقد بلغنى من كثرة الهلكى ان بعض المعلمين بحماة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فأخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له في المكتب .

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر بعد خرابها)

قال ابو الفداء ان صاحب شيزر كان قد ختن ولده وعمل دعوة للناس واحضر جميع بني منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر بن منقذ المذكور حصان يحبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله .فلما خربت القلعة فى هذه السنة بالزلزلة تسلم نور الدين القلعة والمدينة وكان ملكه لها ثالث جمادى الأولى من سنة ثلاثٍ وخمسين وخمسمائة واستولى على كل من فيها لبنى منقذ وسلمها الى مجد الدين ابى بكر بن الداية

قال في الروضتين قرأت في ديوان الأمير الفاضل مؤيد الدولة اسامة بن مرشد ابن منقذ قصيدة يرثى اهله الذين هلكوا بالزلازل بحصن شيزر منها

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم * ولا تخرمهم مثنى ووحدانا
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب * واحمد الخطب فيهم عز او هانا
واقتدى بالورى قبلى فكم فقدوا * اخا وكم فارقوا اهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم * رغا فخروا على الاذقان اذعانا
وفاجأتهم من الايام قارعة * سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
ماتوا جميعاً كرجع الطرف وانقرضوا * هل ما ترى تارك للحي انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا * على الحفيظة ان ذولوثة لانا
لم يترك الدهر لى من بعد فقدهم * قلباً اجشمه صبراً وسلوانا
فلو رأونى لقالوا مات اسعدنا * وعاش للهم والاحزان اشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرنى * عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا
بادوا جميعا وما شادوا فواعجبا * للخطب اهلك عماراً وعمرانا
هذي قصورهم امست قبورهم * كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشرى فاذا * ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا
لا التقى الدهر من بعد الزلازل ما * حيت الا كسير القلب حيرانا
اخنت على معشرى الادنين فاصطلمت * منهم كهولا وشبانا وولدانا
لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت * بأساً تبادره الاقران ازمانا
ان اقفرت شيزر منهم فهم جعلوا * منيع اسوارها بيضاً وخرصانا
هم حموها فلو شاهدتهم وهم * بها لشاهدت اسادا وخفانا
تراهم في الوغى اسداً ويوم ندى * غيثاً مغيثا وفي الظلماء رهبانا

بنو ابي وبنو عمى دمى دمهم * وان ارونى مناواة وشنآنا
يطيب النفس عنهم انهم رحلوا * وخلفونى على الآثار عجلانا

قال ابن الوردى في تاريخه فى الكلام على حوادث هذه السنة

اذا ما قضى الله امراً فمن * يرد القضاء الذى ينقذ
عجبت لشيزر اذ زلزلت * فما لبني منقذ منقذ

﴿ اخبار بني منقذ اصحاب شيزر ﴾

قال ابو الفدا قال مؤيد الدولة اسامة بن مرشد فى تاريخه وكان المذكور افضل بنى منقذ في سنة ثمان وستين واربعمائة بدأ جدى سديد الملك ابو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى بعمارة حصن الجسر وحصر به حصن شيزر اقول[القائل ابو الفدا]ويعرف الجسر المذكور فى زماننا بجسر ابن منقذ وموضع الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها قال ابن الاثير وحصن شيزر قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عال منيع لايسلك اليه الا من طريق واحدة .

قال ابو الفداء رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان فى شيزر وال للروم اسمه دمترى فلما طالت المضايقة لدمترى المذكور راسل جدى هو ومن عنده من الروم فى تسليم حصن شيزر اليه باقتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى دمترى المذكور ومنها ابقاء املاك الاسقف الذى بها عليه فأنه استمر مقيما تحت يد جدي حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجالة الروم يسلفهم ديوانهم لثلاث سنين فسلم اليهم جدي ما التمسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد فى رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة واستمر سديد الملك علي بن منقذ المذكور مالكها الى ان

توفي فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين واربعمائة وتولى بعده ولده ابو المرهف نصر بن علي الى ان توفي سنة احدى وتسعين واربعمائة وتولى بعده اخوه ابو العساكر سلطان بن علي الى ان توفي فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى ان مات تحت الردم هو وثلاثة اولاده بالزلزلة في هذه السنة المذكورة اعنى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في يوم الاثنين ثالث رجب اه

قال في الروضتين ان الأمير ابا المرهف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ بن نصر ابن هشام لما حضره الموت استخلف اخاه الأمير ابا سلامة مرشد بن علي وهو والد اسامة فقال والله لاوليتها ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقرآن والأدب كثير الصلاح فولاها اخاه ابا العساكر سلطان بن علي وكان اصغر منه فاصطحبا اجمل صحبة مدة من الزمان فولد ابو سلامة مرشد عدة اولاد ذكور فكبروا وسادوا منهم عز الدولة ابو الحسن علي ومؤيد الدولة اسامة بن مرشد وغيرهما ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاءه اولاد فحسد اخاه على ذلك فكان كلما رأى صغر اولاده وكبر اولاد اخيه وسيادتهم ساءه ذلك وخافهم على اولاده وسعى المفسدون بينهما فغيروا كلاً منهما على اخيه فكتب الأمير سلطان الى اخيه شعراً يعاتبه على اشياء بلغته عنه فأجابه بأبيات جيدة في معناها وكلهم كان اديبا شاعرا فمنها

ظلوم ابت في الظلم الا تماديا * وفي الصد والهجران الا تناهيا
شكت هجرنا في ذاك والذنب ذنبها * فيا عجباً من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين في وطالما * عصيت عذولاً في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلا * وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما اودعت من عهودها * وان هي ابدت جفوة وتناسيا

ولما اتاني من قريضك جوهر * جمعت المعالى فيه لى والمدانيا
وكنت هجرت الشعر حيناً لأنه * تولى برغمى حين ولى شبابيا
واين من الستين لفظ مفوق * اذا رمت ادنى القول منه عصاديا
وقلت اخى يرعى بني واسرتى * ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
ويجزيهم مالم اكلفه فعله * لنفسى فقد اعددته من تراثيا
فمالك لما ان حنى الدهر صعدتى * وثلم مني صارما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك منى جفوة وتنائيا
فاصبحت صفر الكف مما رجوته * كذا اليأس قد عفى سبيل رجائيا
على انني ماحلت عما عهدته * ولا غيرت هذى السنون وداديا
فلا غرو عند الحادثات فأنني * اراك يميني والأنام شماليا
تهن بها عذراء لوقرنت بها * نجوم سماء لم تعد دراريا
تحلت بدر من صفاتك زانها * كما زان منظوم اللآلى الغوانيا
وعش باقيا للجود ما كان واهنا * مشيدا من الأحسان ماكان واهيا

قال وكان الأمر فيه في حياة الأمير بعض الستر فلما مات سنة احدى وثلاثين وخمسمائة قلب اخوه لأولاده ظهر المجن وباداهم بما يسوءهم وتمادت الأيام بينهم الى ان قوى عليهم فاخرجهم من شيزر وكان اعظم الأسباب في اخراجهم ماحدثت به عن مؤيد الدولة اسامة بن مرشد قال كنت من الشجاعة والأقدام على ما علمه الناس فبينا انا بشيزر واذ قد اتاني انسان اخبرني ان بدجلة بغاربها اسداً ضاريا فركبت فرسى واخذت سيفى وسرت اليه لأقتله ولم اعلم احدا من الناس لئلا امنع من ذلك فلما قربت من الأسد نزلت عن فرسى وربطته ومشيت نحوه فلما رآنى قصدني ووثب فضربت بالسيف على رأسه فانفلق ثم اجهزت عليه

واخذت رأسه في مخلاة فرسي وعدت الى شيزر ودخلت على والدتي والقيت الرأس بين يديها وحدثتها الحال فقالت يابنى تجهز للخروج من شيزر فوالله لايمكنك عمك من المقام ولا احداً من اخوتك وانتم على هذه الحال من الأقدام والجرأة فلما كان الغد امر عمى بأخراجنا من عنده والزمنا به الزاما لامهلة فيه فتفرقنا في البلاد فقصدوا الملك العادل نور الدين وشكوا اليه مالقوا من عمهم فلم يمكنه قصده ولا الأخذ بثارهم واعادتهم الى اوطانهم لأشتغاله بجهاد الفرنج ولخوفه من ان تسلم شيزر الى الفرنج وبقي فى نفسه وتوفي الأمير سلطان وولى بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فأشتد مافي نفسه وهو ينتظر الفرصة فلما خربت القلعة بالزلزلة ولم يسلم منها احد كان بالحصن فبادر اليها وملكها واضافها الى بلاده وعمرها واسوارها واعادها كأن لم تخرب وكذلك فعل بمدينة حماة وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كأحسن ما كانت

ذكر وصول ولد السلطان مسعود للنزول على انطاكية

﴿ ومجيء العادل نور الدين الى حلب ومرضه وما جرى بسبب ذلك ﴾

قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلى وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة تواصلت الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود فى خلق كثير للنزول على انطاكية واوجبت الصورة تقرير المهادنة بين نور الدين وملك الفرنج وتكررت المراسلات بينهما والأقتراحات والمشاجرات بحيث فسد الأمر ولم يستقر على مصلحة ووصل نور الدين الى مقر عزه في بعض عسكره واقر بباقيه ومقدميه مع العرب بأزاء اعمال المشركين قال وفي ثالث رجب توجه نور الدين الى ناحية حلب واعمالها

لتجديد مشاهدتها وامعان النظر في حمايتها عند ماعاث المشركون فيها وقربت عساكر ابن مسعود منها قال بعد ذلك وقد تقدم من ذكر نور الدين ونهوضه فى عساكره من دمشق الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليه بتجمع احزاب الفرنج وقصدهم لها وطمعهم بحكم ماحدث من الزلازل والرجفات المتتابعة لها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل فى اعمالها وثغورها لحمايتها والذب عنها وايناس من سلم من اهل حمص وشيزر وكفرطاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع اليهم العدد الكثير والجم الغفير من رجال المعاقل والأعمال والتركمان وخيم بهم بازاء جمع الفرنج بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الأقدام على الفساد فلما مضت ايام من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتداء مرض حاد فلما اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى اخاه نصرة الدين امير اميران محمد واسد الدين شيركوه واعيان الأمراء والمقدمين واوحى اليهم بما اقتضاه رأيه واستصوبه وقرر معهم كون اخيه نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والساد لثلمة فقده لأشتهاره بالشهامة وشدة البأس يكون مقيما بحلب ويكون اسد الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الفرنج وتواصلت الأراجيف بنور الدين فقلقت النفوس وانزعجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الأعمال وطمع الافرنج فقصدوا مدينة شيزر وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا واسروا ونهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الأسماعيلية وغيرهم وظهروا عليهم فقتلوا منهم واخرجوهم من شيزر واتفق وصول نصرة الدين الى حلب فاغلق والى القلعة مجد الدين في وجهه الأبواب وعصى عليه فثارت احداث حلب وقالوا هذا صاحبنا وملكنا بعد اخيه فزحفوا في السلاح الى باب البلد وكسروا اغلاقه ودخل نصرة الدين فى اصحابه وحصل في البلد وقامت الأحداث على

على والى القلعة باللوم والأنكار والوعيد واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جملتها اعــادة رسمهم في التأذين بحي على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر فأجابهم الى ما رغبوا فيه واحسن القول لهم والوعد ونزل فى داره وانفذ والى القلعة اليه والى الحاجبين يقول مولانا نور الدين حي في نفسه وما كان الى مافعل حاجة فقيل الذنب في ذالك للوالى وصعد الى القلعة من شاهد نور الدين حيا يفهم مايقول وما يقال له فانكر ماجرى وقــال انا اصفح للأحداث عن هذا الخطل ولا اؤآخذهم بالزلل وما طلبوا الاصلاح حال اخى وولي عهدى من بعدى وشاعت الأخبــار وانتشرت البشائر فى الأقطار بعافيته فأنست القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والانزعاج وتزايدت العافية وصرفت الهمم الى مكاتبات المقدمين بالعود الى جهات الاعداء وكان نصرة الدين قدولى مدينة حران وماأضيف اليها وتوجه نحوها ولما تناصرت الأخبار بالبشائر الى اسد الدين بدمشق بعافية نور الدين واعتزامه على استدعاء العساكر الأسلامية للجهاد سارع بالنهوض من دمشق الى حلب ووصل اليها في خيله فاجتمع بنور الدين فاكرم اقياه وشكر مسعاه وشرعوا في حماية الأعمال من شر من جاورهم من الأعداء اه

قال في الزبد والضرب لما اذن نصرة الدين محمد بن زنكى للشيعة ان يزيدوا في في الأذان حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر على عادتهم من قبل مالوا اليه لذلك وثارت فتنة بين السنة والشيعة ونهبت الشيعة مدرسة ابن ابى عصرون وغيرها من آدر اهل السنة ثم ترجح نور الدين الى الصلاح فذهب امير اميران محمد بن زنكى الى حران فلكها . قال الصاحب كمال الدين وسير نور الدين الى قاضي حلب جدى ابي الفضل هبة الله ابن ابي جرادة وكان يلي بهــا القضــاء

والخطابة والأمامة وقال له تمضى الى الجـامع وتصلى بالناس ويعاد الأذان على ماكان عليه فنزل جدى وجلس شمالية الجامع تحت المنارة واستدعى المؤذنين وامرهم بالأذان المشروع على رأي ابى حنيفة فخافوا فقال لهم هاأنا اسفل منكم ولى اسوة بكم فصعد المؤذنون وشرعوا فى الأذان فأجتمع تحت المنارة من عوام الشيعة خلق كثير فقام القاضى اليهم وقال يا اصحابنا وفقكم الله تعالى من كان على طهارة فليدخل وليصلى ومن كان محدثا فليجدد وضوءه ويصلى فأن المولى نور الدين بحمد الله تعالى في عافية وقد تقدم بمايفعل فانصرفوا راشدين فانصرفوا وقالوا ايش نقول لقاضينا ونزل المؤذنون وصلى بالناس وسكنت الفتنة اه

اقول ذكر ابن الأثير خبر مرض العادل نور الدين فى حلب ومجيء اسد الدين شيركوه اليه من دمشق في حوادث سنة ٥٥٤ والأصح ان ذلك كان في سنة ٥٥٢ كما قدمناه نقلا عن الروضتين وقد مرض العادل نور الدين في سنة ٥٥٤ ايضاً كما سيأتى فأشتبه على ابن الأثير هذه بتلك ونحن نذكر ايضا عبارة ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٤ لأن فيها زيادة فوائد على ماتقدم

قال في هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب مرضاشديداً ارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الأصغر اميران (محمد) فجمع الناس وحصر القلعة وشيركوه وهو اكبر امراء بحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فأن كان نور الدين حيا خدمته فى هذا الوقت وان كان قد مات فأنا في دمشق نفعل ما نريد من ملكها فعاد الى حلب مجدا وصعد القلعة واجلس نور الدين فى شباك يراه الناس وكلمهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها فلما عوفي نور الدين قصد حران

ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحران فى القلعة فلكها نور الدين وسلمها الى زين الدين علي نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار نور الدين بعد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد اميرك الجاندار وهومن اعيان الأمراء وقد توفي وبقي اولاده فنازلها فشفع جماعة من الأمراء فيهم فغضب من ذلك وقال هلا شفعتم فى اولاد اخى لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة فيهم من احب الأشياء الي فلم يشفعهم واخذها منهم اه

سنة ٥٥٣

ذكر استيلاء الفرنج على حارم

قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلى في اوائل المحرم تناصرت الأخبار من ناحية الفرنج المقيمين بالشام بمضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميه بحجارة المجانيق الى ان ضعف وملك بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات فى الأعمال الشامية واطلاق الأيدي فى العيث والفساد في معاقلها وضياعها بحكم تفرق العساكر الاسلامية والخلف الواقع بينهم باشتغال نور الدين بعقابيل المرض العارض له ولله المشيئة التى لاتدفع والأقضية التى لاتمانع

وقال وفي صفر ورد الخبر المبشر بنزول نور الدين من حلب للتوجه الى دمشق ووصل اليها وحصل في قلعته سادس ربيع الأول سالما فى نفسه وحملته ولقي بأحسن زى وترتيب وتجمل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والدعاء له بدوام ايامه وشرع فى تدبير امر الأجناد والتأهب للجهاد .

ذكر مرض العادل نور الدين وما جرى بسبب ذلك

قال في الروضتين في هذه السنة عرض لنور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الأرجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت الرعايا واعيان الأجناد وضاقت صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سوء يصل اليه لاسيما اخبار الروم والفرنج ولما احس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص اصحابه وقال لهم انى قد عزمت على وصية اليكم بما وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطها عاملين انى مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدى من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان اخي نصرة الدين اعرف من اخلاقه وسوء افعاله مالا ارتضى معه بتولية امر من امور المسلمين وقد وقع اختيارى على اخي قطب الدين مودود متولى الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وصحة اعتقاد فحلفوا له وانفذ رسله الى اخيه بأعلامه صورة الحال ليكون لها مستعدا ثم تفضل الله تعالى بأبلاله من المرض وتزايد القوة في النفس والحس وجلس للدخول اليه والسلام عليه وكان الأمير مجد الدين النائب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر المقيم فى منبج برجل حمال من اهل دمشق ومعه كتب فأنفذ بها الى مجد الدين متولى حلب فلما وقف عليها امر بصلب متحملها وانفذها فى الحال الى نور الدين فوجدها من امين الدين زين الحاج ابى القاسم متولى ديوانه ومن عز الدين والى القلعة مملوكه ومن محمد جفرى احد اصحابه الى اخيه نصرة الدين امير اميران صاحب حران بأعلامه بوقوع اليأس من اخيه ويحضونه علي المبادرة والأسراع الى دمشق

لتسلم اليه فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعترفوا بهـا فأمر باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف فهرب قبل ذلك بيومين ووردفي الحال كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصرة الدين الفرات مجداً الى دمشق فأنهض اسد الدين في العسكر المنصور لرده ومنعه من الوصول فأتصل به خبر عوده الى مقره عند معرفته بعافية اخيه فعاد اسد الدين الى دمشق ووصلت رسل الملك العادل من نـاحية الموصل بجواب ماتحمله الى اخيه قطب الدين وفارقوه وقد برز فى عسكره متوجها الى ناحية دمشق فلمـا فصل عن الموصل اتصل بهخبر عافيته فاقام بحيثهو وانفذ وزيره جمال الدين اباجعفر محمد بن على لكشف الحال فوصل الى دمشق ثامن صفر فى احسن زي وابهى تجمل وخرج الى لقائه الخلق كثير قال وهذا الوزير قد الهمه الله تعالى من جميل الأفعال وحميد الخلال وكرم النفس وانفـاق امواله فى ابواب البر والصدقات والصلات ومستحسن الآثار فى مدينة الرسول عليه السلام ومكة ذات الحرم والبيت المعظم شرفه الله تعالى ماقد شاع ذكره وتضاعف عليه حمده وشكره(١) واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من المفـاوضـات والتقريرات ما انتهى الى عوده الى جهته بعد الأكرام له وتوفيته حقهمن الأحترام واصحبه برسم قطب الدين اخيه وخواصه من الملاطفة ما اقتضتة الحال الحاضرة وتوجه معه الأمير اسد الدين وقال ابن ابى طى لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب نور الدين وفيه وجوه الدولة وكبراء المدينة وانزل في دار ابن الصوفى واكرم غاية الأكرام واعيد الى صاحبه شاكرا عن نور الدين وسير معه الأمير اسدالدين بشيركوه رسولاً الى قطب الدين بالشكر له والثنـاء وانفذت معه هدايا سنية

---

[١] انظر ترجمته في ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٩ وفى ابن خلكان وفي الروضتين

فسار وعاد الى حلب مكرماً فوجد نور الدين عازما على الخروج الى دمشق لما بلغه من افسادالفرنج ثم انهض اسد الدين فى قطعة من العسكر للاغارة على صيدا فسار ومعه اخوه نجم الدين ايوب واولاده ولم يشعر الفرنج الا وهو قد عاث فى بلد صيدا وقتل واسر عالما عظيما وغنم غنيمة جليلة وعاد فاجتمع بنور الدين على جسر الخشب قلت وهذا هوما تقدم ذكره بعد المرضة الأولى وكأن ابن ابى طي جعل المرضتين واحدة بحلب وابو يعلى ذكران الأولى بحلب والثانية بدمشق وهو اصح اه

سنة ٥٥٥

قال فى تحف الأنباء في سنة خمس وخمسين وخمسمائة تاسع ذى القعدة سار ربنلد ملك انطاكية الى البلاد التي اخذها نور الدين من جوسلين ونهب البلاد التى كانت بها الأرمن والسريان فقط فلما رجع الى انطاكية قبل وصوله اليها خرج اليه مجد الدين نائب حلب وصحبته العساكر وحاربه واخذه اسيرا ووضع في رجليه قيدا واحضره الى حلب اه

سنة ٥٥٧

ذكر حصر نور الدين حارم

قال ابن الأثير في هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكى العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهي للفرنج غربى حلب (قدمنا اخذهم لها سنة ٥٥٣)فحصرها وجد في قتالها فامتنعت عليه بحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعانهم فلما علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه

اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه لايمكنه اخذ الحصن ولايجيبونه الى المصاف عاد الى بلاده وممن كان معه في هذه الغزوة مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكنانى وكان من الشجاعة فى الغاية فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سائرا الى الحج فلما دخله الآن كتب على حائطه

لك الحمد يامولاى كم لك منة * علي وفضل لايحيط به شكرى
نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفور النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس فى عامي الذى * مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضي واسقطت ثقل ما * تحملت من وزر الشبيبة عن ظهرى

سنة ٥٥٨

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

قال ابن الأثير فى هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكى من الفرنج تحت حصن الأكراد [بلدة صغيرة قريبة من طرابلس فوق جبل عال يراها المتوجه من حمص الى طرابلس من بعيد]

وهى الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد محاصراً لها وعازما على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يوماً في خيامهم وسط النهار لم يرعهم الاظهور الفرنج من وراء الجبل الذى عليه حصن الأكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على كبسة المسلمين نهارا فأنهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا حتى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فأرسلوا الى نور الدين يعرفونه الحال

فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج في ظهورهم فوصلوا معا الى العسكر النوري فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والأسر وكان اشدهم على المسلمين الدوقس الرومي فأنه كان قد خرج من بلاده الى الساحل في جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين في زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة في رجله فنزل انسان كردي قطعها فنجا نور الدين وقتل الكردي فأحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربع فراسخ وتلاحق به من العسكر وقال له بعضهم ليس من الرأى ان تقيم ههنا فأن الفرنج ربما حملهم الطمع على المجئ الينا فتؤخذ ونحن على هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتى آخذ بثاري وثار الأسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فأعطى الناس عوض ما اخذ جميعه بقولهم فعاد العسكر كأن لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطي اقطاعه لأولاده واما الفرنج فأنهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لأنها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده قوة يمنعنا بها ولما راى اصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم ان لك في البلاد ادرارت وصدقات كثيرة على الفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت بها في هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجو النصر الا باولئك فانما تنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عني وانا نائم على فراشي بسهام لا تخطئ واصرفها الى من لا يقاتل عني الا اذا رآني

بسهام قد تصيب وقد تخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحل لى ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الأكراد من يحميه وعادوا الى بلادهم اه
اقول دعانى الى ذكر هذه الوقعة بالأصالة وان كان مكانها خارجا عن ولاية الشهباء لأنها كانت السبب للوقعة التي بعدها على حصن حارم فذكرناها تمهيدا لتلك

(سنة ٥٥٩)

ذكر فتح حارم

قال فى الروضتين قال العماد الكاتب في سنة تسع وخمسين اغتنم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه الله تعالى الانتقام منهم فأسرهم وقتلهم ووقع فى الأسار ابرنس انطاكية وقومص طرابلس وابن الجوسلين ودوك الروم وذلك فى رمضان وقال في الخريدة كانت نوبة البقيعة نوبة عظيمة على المسلمين وافلت نور الدين في اقل من عشرة من عسكره ثم كسر الفرنج بعد ثلاثةاشهر على حارم وقتل فىمعركة واحدة منهم عشرين الفاً واسر من نجا واخذ القومص والابرنس والدوقس وجميع ملوكهم وكان منحاً عظيما وفتحاً مبينا قال ابن الأثير والسبب فى هذا الفتح ان نور الدين لما عاد منهزماً على ماسبق من غزوة ناحية حصن الاكراد اقبل على الجد والاجتهاد والاستعداد للجهات والاخذ بثاره وغزو العدو فى عقر داره وليرتق ذلك الفتق ويمحو سمة الوهن و يعيد رونق الملك فراسل اخاه قطب الدين بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين البى بماردين وغيرهم من

اصحاب الاطراف اما قطب الدين انابك فانه جمع عساكره وسار مجداً وعلى مقدمة عسكره زين الدين نائبه واما فخر الدين قرا ارسلان فأنه بلغني عنه انه قال له خواصه على اي شيء عزمت فقال على القعود فأن نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقي نفسه والناس معه في المهالك وكلهم وافقه على ذلك فلما كان الغد امر بالنداء في العسكر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ماعدا مما بدا فارقناك بالامس على حال ونرى الآن ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقاً ان لم انجده خرج اهل بلادى عن طاعتى واخرجوا البلاد عن يدي فأنه كاتب زهادها وعبادها المنقطعون عن الدنيا يذكرهم مالقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اتباعه واصحابه وهم يقرؤن كتب نور الدين ويبكون ويلعنونني ويدعون علي فلابد من اجابة دعوته ثم تجهز ايضاً وسار الى نور الدين بنفسه . واما نجم الدين البي فأنه سير عسكراً فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فنزل عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقى من الفرنج بالساحل انه لم يسر الى مصر فحشدوا وجاؤا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس واعمالها وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج وابطالها والدوك وهو رئيس الروم ومقدمها وجمعوا معهم من الراجل مالا يقع عليه الاحصاء قد ملأوا الارض وحجبوا بقسطلهم السماء فحرض نور الدين اصحابه وفرق نفائس الاموال على شجعان الرجال فلما قاربه الفرنج رحل عن حارم الى ارتاح وهو الى لقائهم مرتاح وانما رحل طمعاً ان يتبعوه ويتمكن منهم اذا لقوه فساروا حتى نزلوا على عم وهو على الحقيقة تصحيف ما لقوه من النم ثم تيقنوا انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله

فعادوا الى حارم وقد حرمتهم كل خير وتبعهم نور الدين فلما تقاربوا اصطفوا
للقتال و بدأت الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وبها عسكر حلب وصاحب
الحصن فخر الدين فبددوا نظامهم وزلزلوا أقدامهم وولوا الأدبار وتبعهم الفرنج
وكانت تلك الغرة من الميمنة عن اتفاق ورأى دبروه ومكر بالعدو مكروه وهو
ان يبعدوا عن راجلهم فيحيل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف
ويرغموا منهم الانوف فاذا عاد فرسانهم من اثر المنهزمين لم يلقوا راجلا يلجؤن
اليه ويعود المنهزمون في آثارهم وتأخذهم سيوف الله من بين ايديهم ومن خلفهم
فكان الأمر على مادبروا فأن الفرنج لما تبعوا المنهزمين عطف زين الدين في
عسكر الموصل على راجلهم وأفناهم قتلا واسرا وعادت خيالتهم ولم يمنعوا في الطلب
خوفاً على راجلهم من الطلب فصادفوا راجلهم على الصعيد معفرين وبدمائهم
مضرجين فسقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا وخضعت رقابهم وذلوا فلما
رجعوا عطف المنهزمون اعنتهم وعادوا فبقي العدو في الوسط وقد احدق بهم
المسلمون من كل جانب فحينئذ حمي الوطيس وحاربوا حرب من ايس من الحياة
وانقضت العساكر الأسلامية عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا
وجعلوهم قددا فالقى الفرنج بأيديهم الى الأسار وعجزوا من الهزيمة والفرار واكثر
المسلمون فيهم القتل وزادت عدة القتلى على عشرة آلاف واما الاسرى فلم
يحصوا كثرة ويكفيك دليلا على كثرتهم ان ملوكهم اسروا وهم الذين ذكروا
من قبل وسار نور الدين بعد الكسرة الى حارم فملكها في الحادى والعشرين من
رمضان واشار اصحابه عليه بالسير الى انطاكية ليملكها لخلوها ممن يحميها ويدفع
عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فأمرها سهل واما القلعة التى لها فهي
منيعة لا تؤخذ الا بعد طول حصار واذا ضيقنا عليهم ارسلوا الى

صاحب القسطنطينية وسلموها اليه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة ملك الروم وبث سراياه في تلك الأعمال والولايات فنهبوا وسلبوا واوغلوا في البلاد حتى بلغوا اللاذقية والسويدا وغير ذلك وعادوا سالمين ثم ان نور الدين اطلق بيمند صاحب انطاكية بمال جزيل اخذه منه واسرى كثيرة من المسلمين اطلقهم وقال الحافظ ابو القاسم كسر نور الدين الروم والأرمن والفرنج على حارم وكان عدتهم ثلاثين الفا قال ووقع بيمند في اسره في نوبة حارم وباعه نفسه بمال عظيم انفقه في الجهاد قلت وبلغني ان نور الدين رحمه الله لما التقى الجمعان او قبيله انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال يارب هؤلاء عبيدك وهم اولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم اعداؤك فأنصر اوليائك على اعدائك ايش فضول محمود في الوسط يشير الى انك يارب ان نصرت المسلمين فدينك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر وبلغني انه قال اللهم انصر دينك ولا تنصر محمود من هو محمود الكلب حتى ينصر وجرى بسبب ذلك منام حسن نذكره في اخبار سنة خمس وستين عند رحيل الفرنج عن دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عزيز انعم الله به على نور الدين والمسلمين مع ان جيشه عامئذ كان منه طائفة كبيرة بمصر مع شيركوه اه وقال في حوادث سنة خمس وستين بلغني ان اماما لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرنج عن دمياط في منامه النبي صلى الله وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرنج قد رحلوا عن دمياط في هذه الليلة فقال يارسول الله ربما لايصدقني فاذكر لي علامة يعرفها فقال قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت يارب انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر قال فانتبهت ونزلت الى المسجد وكان من عادة نور الدين انه كان ينزل اليه بغلس ولا يزال يركع فيه حتى يصلي

الصبح قال فتعرضت له فسألني عن امري فأخبرته بالمنام وذكرت له العلامة الا انني لم اذكرلفظة الكلب فقال نور الدين اذكر العلامة كلها والح علي في ذلك فقلتها فبكى رحمه الله وصدق الرؤيا فأرخت تلك الليلة فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليلة اه

سنة ٥٦٢

عصيان غازى ابن حسان صاحب منبج على نور الدين

قال ابن الأثير في هذه السنة عصى غازي ابن حسان المنبجى على نور الدين محمود بن زنكى وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فأمتنع عليه فيها فسير عسكراً فحصروه واخذوها منه فاقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن بن حسان وكان عادلاً خيرا محسناً الى الرعية جميل السيرة فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة اه

قال فى الروضتين في حوادث سنة ٥٦٣ كان ابن حسان صاحب منبج قد ساءت افعاله فبعث اليه نور الدين من حاصره وانتزعها منه ثم توجه نور الدين اليها لتهذيب احوالها ومدحه العماد الكاتب بقصيدة منها يقول

بشرى الممالك فتح قلعة منبج * فليهن هذا النصر كل متوج
اعطيت هذا الفتح مفتاحا به * فى الملك يفتح كل بـاب مرتج
وافى يبشر بـالفتوح وراءه * فانهض اليهـا بالجيوش وعرج
ابشر فبيت القدس يتلو منبجا * ولمنبج لسواه كالانموذج
ما اعجزتك الشهب في ابراجها * طلبا فكيف خوارج فى ابرج
ولقدر من يعصيك احقر ان يرى * اثر العبوس بوجهك المتبلج

لكن تهذب من عصاك سياسة * في ضمنها تقويم كل معوج
فانهض الى بيت المقدس غازياً * وعلى طرابلس ونابلس عج
قد سرت في الاسلام احسن سيرة * مأثورة وسلكت اوضح منهج
وجميع ما استقريت من سنن الهدى * جددت منه كل رسم مبهج

قال العماد وسار نور الدين من منبج الى قلعة النجم وعبر الفرات الى الرها وكان بها ينال صاحب منبج وهو سديد الرأى رشيد المنهج فنقله اليها مقطعا وواليا واقام نور الدين بقلعة الرها مدة

سنة ٥٦٣

قال فى الروضتين فى حوادث هذه السنة ذكر العماد ان نور الدين رحل الى حمص ثم مضى الى حماة ثم شتى في قلعة حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد بمدرسة ابن العجمي وكتب الى صلاح الدين يوسف ابن ايوب وقد عثر فرسه في الميدان وهو يلعب بالكرة رحمه الله تعالى

لا تنكرن لسابح عثرت به * قدم وقد حمل الخضم الزاخرا
القى على السلطان طرفك طرفه * فهو هنالك للسلام مبادرا
سبق الرياح بجريه وكففته * عنها فليس على خلافك قادرا
ضعفت قواه اذا تذكر انه * فى السرج منك يقل ليثا قادرا
ومتى تطيق الريح طوداً شامخاً * او يستطيع البرق جوناً ماطراً
فاعذر سقوط البرق عند مسيره * فالبرق يسقط حين يخطف سائرا
واقل جوادك عثرة ندرت له * ان الجواد لمن يقيل العاثرا
وتوق من عين الحسود وشرها * لاكان ناظره بسوء ناظرا
واسلم لنور الدين سلطان الورى * فى الحادثات معاضداً ومؤازرا

فأذا صلاح الدين دام لاهله * لم يحذروا للدهر صرفاً ضائرا

اقول قدمنا في حوادث السنة الماضيه خبر عصيان غازى بن حسان صاحب منبج وان نور الدين توجه سنة ٥٦٣ واخذها منه واقطعها اخاه ينال ابن حسان وتوجه منها الى الرها واقام بها مدة قال في الروضتين وقد مدحه العماد الكاتب وهو مقيم على الرها فى هذه السنة بقصيدة وتحجب له صلاح الدين في عرضها وهى

ادركت من امر الزمان المشتهى * وبلغت من نيل الأمانى المنتهى

وبقيت فى كنف السلامة آمنا * منكرما بالطبع لا متكرها

لا زلت نور الدين في فلك الهدى * ذاعزة للعالمين بها البها

يامحي العدل الذى في ظلمه * من عدله رعت الأسود مع المها

محمودٌ المحمود من ايامه * لبهائها ضحك الزمان وقهقها

مولى الورى مولى الندى مملى الهدى * مردى العدى مسدى الجدى معطى اللها

آراؤه بصوابها مقرونة * وبمقتضاها دائر فلك النها

متلبس بحصافة وحصانة * متقدس عن شوب مكر او دها

يامن اطاع الله في خلواته * متأوبا من خوفه متأوها

ابدا تقدم في المعاش لوجهه * عملاً يبيض في المعاد الأوجها

كل الأمور وهى وامرك مبرم * مستحكم لانقص فيه ولاوها

ما صين عنك الصين لوحاولتها * والمشرقان فكيف منبج والرها

ماللملوك لدى ظهورك رونق * واذابدت شمس الضحى خفي السها

ان الملوك لهوا وانك من غدا * وبماله والملك منه مالها

شرهت نفوسهم الى دنياهم * وابى لنفسك زهدها ان تشرها

مانمت عن خير ولم يك نائما * من لايزال على الجميل منبها

اخملت ذكر الجاهلين ولم تزل * ملكا بذكر العالمين منوّهـا
ورأيت إرعـاء الرعايا واجبا * تغنى فقيرا او تجير مدلهـا
لرضـاهم متحفظـا ولما لهم * منفقدا ولدينهم متفقهـا
وبمـا به امر الآله امرتهم * من طـاعة ونهيتهم عمـا نهى
عن رحمة لصغيرهم لم تشتغل * عن رأفة لكبيرهم لن تشدها
باليأس عندك آمل لم يمتحن * بالرد دونك سائل لن يجبهـا
اتعبت نفسك كي تنـال رفاهة * من ليس يتعب لا يعيش مرفها
فقت الملوك سمـاحة وحماسة * حتى عدمنا فيهم لك مشبهـا
ولك الفخار على الجميع فدونهم * اصبحت عن كل العيوب منزهـا
واراك تحلم حين تصبح ساخطا * ويكاد غيرك سـاخطا ان يسفها

قال صاحب الروضتين رحم الله العماد فقد نظم اوصـاف نور الدين الجليلة بأحسن لفظ وارقه (١) وهذا البيت الأخير مؤكد لما نقلناه في اول الكتاب من قول الحافظ ابي القاسم بن عساكر في وصف نور الدين انه لم يستمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصـاف الفاضلة والنعوت الكاملة قال العماد ثم عاد نور الدين الى حلب في شهر رجب وضربت خيمته في رأس الميدان الأخضر قال وكان مولعـا بضرب الكرة وربما دخل الظلام فلعب بها بالشموع في الليلة المسفرة ويركب صلاح الدين مبكرا كل بكرة وهو عارف بآدابها في الخدمة وشروطها المعتبرة قال واقطعه في تلك السنة ضيعتين احدهما من ضياع حلب والأخرى من ضياع كفرطاب

(١) اقول العماد الكاتب ليس من الشعراء المجيدين ونثره خير من نظمه

سنة ٥٦٤

ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر

قال في الروضتين في اول هذه السنة ملك نور الدين رحمه الله قلعة جعبر واخذها من صاحبها شهاب الدين بلك ابن علي بن بلك العقيلي من آل عقيل من بني المسيب وكانت بيده ويد آبائه من قبله من ايام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع الحصون واحسنها مطلة على الفرات لا يطمع فيها بحصار وقد اعجز جماعة من الملوك اخذها منه وقتل عليها عماد الدين زنكى والد نورالدين ثم اتفق ان خرج صاحبها منها يوماً يتصيد فصاده بنو كلب فأخذوه اسيرا واوثقوه وحملوه الى نور الدين فتقربوا به اليه ورغب في الأقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشدة والعنف وتهدده فلم يفعل ايضا فسير اليها عسكرا مقدمه الأمير فخر الدين مسعود بن ابى على الزعفرانى لحصرها مدة فلم يظفر منها بشيئ فأمدهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الأمير مجد الدين ابا بكر المعروف بأبن الداية وهو اكبر امراء نور الدين ورضيعه ووالى معاقله فاقام عليها وطاف حواليها فلم يرله في فتحها مجالا ورأى اخذها بالحصر متعذرا محالا فسلك مع صاحبها طريق اللين واشار عليه بأخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه حتى اذعن على ان يعطى سروج واعمالها والملاحة التى في عمل حلب والباب وبزاعة وعشرين الف دينار معجلة فأخذ جميع ماشرطه محكرها فى صورة مختار قال ابن الأثير وهذا اقطاع عظيم جداً لكنه لاحظ فيه وتسلم مجدالدين قلعة جعبر وصعد اليها منتصف المحرم ووصل كتابه الى نور الدين بحلب فسار اليها وصعد القلعة في العشرين من المحرم ثم

سلمها نور الدين الى مجد الدين ابن الداية فولاها اخاه شمس الدين علي وكان هذا آخر امر بني بلك ولكل امر حد ولكل ولاية نهاية يؤتي الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء قال ابن الأثير بلغني انه قيل لشهاب الدين ايما احب اليك واحسن مقاما سروج والشام ام القلعة فقال هذا أكثر مالا والعز بالقلعة فارقناه اه

وفيها في سابع صفر من هذه السنة توفي بهاء الدين عمر اخو مجد الدين ابن الداية وفيه وفي اخويه يقول العماد الكاتب من قصيدة

انتم لمحمود كآل محمد * متصادقي الأفعال والاسماء
يتلوا ابا بكر على حسنانه * عمر الممدح في سنا وسناء
ويليه عثمان المرجى للعلا * وعليّ المأمول في اللأواء
وتقبل الحسن المجد مجدهم * فهم ذوو الأحسان والنعماء
فرعت لمجد الدين اخوته الذرى * دون الورى في المجد والعلياء
من سابق كرما وشمس ساده * شرفا وبدر دجنة وبهاء
سرج الهدى سحب الندى شهب النهى * اسد الحروب ضراغم الهيجاء

يريد سابق الدين عثمان وشمس الدين علي وبدر الدين حسن وبهاء الدين عمر ومجد الدين هو الأكبر فهم خمسة رحمهم الله تعالى

وفي هذه السنة فتحت الديار المصرية سار اليها اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين مرة ثالثة فهزم العدو وقتل شاورا (وزير مصر) وولي الوزارة مكانه ثم مات فوليها صلاح الدين وساق في الروضتين تفاصيل ذلك

قال ابن خلكان توفي اسد الدين شيركوه بالقاهره ودفن بها ثم نقل الى مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه رحمه الله وقال ابن شداد

في سيرة صلاح الدين ان اسد الدين كان كثير الأكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شديدة عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله في التاريخ المذكور (ثم قال) وشيركوه لفظ اعجمي تفسيره بالعربي اسد الجبل فشير اسد وكوه جبل. ومن آثاره بحلب (المدرسة الأسدية) قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة هي الآن متلاشية كغيرها وهي بالقرب من الشعيبية اه

ومن آثاره جامع بالحاضر السليماني ذكره ابن شداد في الأعلاق الخطيرة قال ووسع بناءه الأمير سيف الدين علي ابن علم الدين سليمان بن جندر وبنى الى جانبه مدرسة وتربة ودفن بها تقام به الخطبة وهذا الجامع خراب وسد بابه

قال في الروضتين وفي هذه السنة احترق جامع حلب واسواق البز واخذ نور الدين في عمارته آخر السنة اه

سنة ٥٦٥

ذكر الزلازل بالبلاد الشامية وغيرها

قال ابن الأثير في هذه السنة ايضا ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها وعمت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخربت كثيراً من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعتها فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوها من اهلها فجعل ببعلبك من يعمرها ويحفظها وسار الى

حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ماليس بغيرها من البلاد فأنها كانت قد انت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرون يأوون مساكنهم خوفا من الزلزلة فأقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فأن الزلازل ايضا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل واحد منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر اه

قال في الروضتين قال العماد في هذه السنة عند وصولنا الى حلب في الخدمة النورية كنت مقرظا للفضائل الشهرزورية وكان الحاكم بها القاضي محي الدين ابا حامد محمد بن قاضي قضاة الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزوري وكان كمال الدين قد علق به تنفيذ الأحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكانة والأمكان في بسط العدل والأحسان ومحي الدين ولده ينوب عنه في القضاء بحلب وبلدانها و بنظر ايضا في امور ديوانها وبحماة وحمص من بني الشهرزوري قاضيان وهما حاكمان متحكمان وكان هذا محي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتي به في ايام التفقه ببغداد في المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلاثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد ابن الرزاز وكان مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه بعلمه معلما مذهب الطراز وكانت الزلزلة بحلب قد خربت دار محي الدين وسلبت قراره وغلبت اصطباره وحلبت افكاره فكتب اليه قصيدة مطلعها

لو كان من شكوى الصبابة مشكيا * لعدا على عدوى الصبابة معديا
مات الرجاء فأن اردت حياته * ونشوره فارج الأمام المحييا

اقضى القضـاة محمد بن محمد * من لست منه للفضائل محصيا
قاض به قضت المظالم نحبهـا * وغدا على آثـارهن معفيـا
ياكاشفا للحق فى ايـامه * غررا يدوم لها الزمان مغطيا
لم تنعش الشهباء عند عثارها * لو لم تجدك لطود حلمك مرسيا
رجفت لسطوتك التى ارسلتها * نحو الطغاة لحد عزمك ممهيا
وتظلمت من شرهم فتملمات * محجل اجازتها عليهـا مبقيـا
انفت من الثقلاء فيها اذ رمت * اثقالها ورأتك منهـا ملجيـا
حلب لها حلب المدامع مسبل * ان لافت الخطب الفظيع المبكيا
وبعدل نور الدين عاود افقها * من بعد غيم الغم جوا مصحيا
اضحى لبهجتها معيدا بعد ما * ذهبت وللمعروف فيها مبديا
لأمورها متدبرا لشتاتهـا * متأنفا لصلاحها متوليـا
فالشرع عاد بعدله مستظهرا * والحق عاد بظله مستذريـا
والدهر لاذ بعفوه مستغفرا * مما جناه مطرقا مستحييـا

قال ابن الأثير في هذه السنة في ذى الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكى اخو نور الدين محمود صاحب الموصل بالموصل ولما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لأبنه الأكبر عماد الدين زنكى وعدل عن ابنه الآخر سيف الدين غازى وساق ابن الأثير سبب عدوله

سنة ٥٦٦

ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين

قال فى الرضتين قال ابن الأثير لما بلغ نور الدين وفاة اخيه قطب الدين وملك

ولده سيف الدين بعده واستيلاء فخر الدين عبد المسيح واستبداده بالأمور وحكمه
على سيف الدين انف من ذلك وكبر لديه وشق عليه وكان يبغض عبد المسيح
لما يبلغه من خشونته على الرعيه والمبالغة في اقامة السياسة وكان نور الدين رحمه
الله لينا رفيقا عادلاً فقال انا اولى بتدبير بني اخي وملكهم ثم سار من وقته فعبر
الفرات عند قلعة جعبر اول المحرم وقصد الرقة فامتنع النائب بها شيئاً من
الأمتناع ثم سلمها على شيء اقترحه فاستولى نور الدين عليها وقرر امورها
وسار الى الخابور فملكه جميعه ثم ملك نصيبين واقام بها يجمع العساكر فأنه كان
قد سار جريدة فأتاه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وديار
بكر واجتمعت عليه العساكر وترك اكثر عسكره بالشام لحفظ ثغوره واطرافه
من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها واقام عليها
ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل فكاتبه عامة الأمراء الذين
بالموصل يحثونه على السرعة اليهم ليسلموا البلد اليه واشاروا بترك سنجار فلم
يقبل منهم وقام حتى ملك سنجار وسلمها الى ابن اخيه الأكبر عماد الدين زنكي
ثم سار الى الموصل فأتى مدينة بلد وعبر دجلة في مخاضة عندها الى الجانب الشرقي
وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل الى ان قال
وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من
جندي وعامي معه لحسن سيرته وعدله وكاتبه الأمراء يعلمونه على الوثوب على
عبد المسيح وتسليم البلد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه
وتقريره على سيف الدين ويطلب الأمان واقطاعاً يكون له فأجابه الى ذلك
وقال لا سبيل الى ابقائه بالموصل بل يكون عندي بالشام فأني لم آت لآخذ
البلاد من اولادي وانما جئت لأخلص الناس منك واتولى انا تربية اولادي

فاستقرت القاعدة على ذلك وسلمت الموصل اليه فدخلها ثالث عشر جمادى الاولى وسكن القلعة واقر سيف الدين غازى على الموصل وولى بقلعتها خادما يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله دزداراً فيها وقسم جميع ماخلفه اخوه قطب الدين بين اولاده بمقتضى الفريضة ولما كان يحاصر الموصل جاءته خلعة من الخليفة فلبسها فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين واطلق المكوس جميعها من الموصل وسائر ما فتحه من البلاد وامر ببناء الجامع النوري بالموصل بني واقيمت الصلاة فيه سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة واقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام فقيل له انك تحب الموصل والمقام بها ونراك اسرعت العود فقال قد تغير قلبي فيها فأن لم افارقها ظلمت ويمنعني ايضا انني هاهنا اكون مرابطا للعدو وملازما للجهاد ثم اقطع نصيبين والخابور العساكر واقطع جزيرة ابن عمر سيف الدين غازى ابن اخيه مع الموصل وعاد الى الشام ومعه عبد المسيح فغير اسمه وسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كثيراً ثم ساق فى الروضتين ماذكره العماد الكاتب فى ملك نور الدين الموصل الى ان قال لما دخل الموصل جدد مناشير اهل المناصب وتوقيعات ذوى المراتب من القضاء والنقابة وغيرهما وامر بأسقاط جميع المكوس والضرائب وانشأ بذلك منشورا يقرأ على الناس فيه (قد قنعنا من كنز الأموال باليسير من الحلال فسحقا للسحت ومحقا للحرام الحقيق بالمقت وبعدا لما يبعد من رضى الرب ويقصى من محل القرب وقد استخرنا الله وتقربنا اليه وتوكلنا في فى جميع الاحوال عليه وتقدمنا بأسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية لنا بعيدة او قريبة وازالة كل جهة مشتبهة مشوبة ومحو كل سنة سيئة شنيعة ونفي كل مظلمة مظلمة فظيعة واحياء كل سنة حسنة وانتهاز كل فرصة في الخير ممكنة واطلاق كل ما جرت العادة بأخذه من الأموال المحظورة خوفا من عواقبها

الرديئة المحذورة فلايبقى في جميع ولايتنا جور جائر جاريا ولا عمل لا يكون به الله راضيا ايثار للثواب الآجل على الحطام العاجل وهذا حق لله قضيناه وواجب علينا اديناه بل هي سنة حسنة سنناها ومحجة واضحة بيناها وقاعدة محكمة مهدناها وفائدة مغتنمة افدناها اه

ثم قال وعاد نور الدين الى سنجار فأعاد عمارة اسوارها ثم اتى حران وقد اقتطعها عن صاحب الموصل هي ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب في خامس رجب وقال ابن شداد دخل حلب في شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته قال في الروضتين وصل الخبر بموت الأمام المستنجد بالله ابى المظفر يوسف ابن المقتفى بالله ونور الدين مخيم بشرقى الموصل بتل توبة وكانت وفاته فى ربيع الآخر وبويع ابنه المستضيء بالله وكانت خلافة المستنجد احدى عشر سنة وهو الثانى والثلاثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء وفيه يقول بعض الأدباء

اصبحت لب بنى العباس كلهم * ان عددت بحساب الجمل الخلفا

وكان من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية وكان عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق من المكوس كثيراً ولم يترك بالعراق مكسا وكان شديداً على اهل العيث والفساد والسعاية بالناس

سنة ٥٦٧

ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العبيدية

قال فى الروضتين استفتح صلاح الدين ايوب هذه السنة بأقام الخطبة فى الجمعة الأولى منها بمصر لبنى العباس وفي الجمعة الثانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر

خلفاء مصر وتوفي العاضد (آخر الخلفاء العبيديين) بالقصر يوم عاشوراء وانقضت تلك الدولة بانتهاء ما دام لها من العصر وكان ذلك بأمر من الملك العادل نور الدين محمود وبسط في الروضتين الأخبار فى ذلك

ذكر اتخاذ نور الدين الحمام الهوادى

قال في الروضتين في هذه السنة امر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادى وهى المناسيب التى تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها فاتخذت في سائر بلاده وكان سبب ذلك انه اتسعت بلاده وطالت مملكته فكانت من حد النوبة الى باب همذان لايتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج ربما نازلوا بعض الثغور فالى ان يصله الخبر ويسير اليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ امر بذلك وكتب به الى سائر بلاده واجرى الجرايات لها ولمربيها فوجدبها راحة كبيرة كانت الأخبار تأتيه لوقتها لأنه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا اوسمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التى هو منها في ساعة فتنقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التى فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الأخبار اليه فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا ثغرا له فاتاه الخبر ليومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالأجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعد نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين ورضي الله عنه فما كان احسن نظره للرعايا وللبلاد .

قال الجلال السيوطي في اواخر تاريخه حسن المحاضرة في فصل (ذكر الحمام الرسائل) وفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء

زائداً حتى صار يكتب بانساب الطير المحاضر انه من ولد الطير الفلاني وقيل انه بيع طير بألف دينار وقد الف القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في امورهذه الحمام كتاباً سماه تمائم الحمائم وذكر فيه فصلا فيما ينبغي ان يفعله المتعاق وماجرت العادة به في ذلك (الى ان قال) والذى استقرت قواعد الملك عليه ان طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا يغفل ولا يمهل لحظة واحدة فيفوت مهمات لاتستدرك اما من واصل واما من هارب واما من متجدد في الثغور ولا يقلع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة احد فأن كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ وان كان نائما لا يمهل حتى يستيقظ بل ينبه . ثم ذكر ماقيل فيها من الشعر وما انشأه القاضي الفاضل وغيره فيها من الرسائل وذكر في الروضتين رسالة العماد الكاتب فيها ثم قال وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بألطف من هذه الأوصاف واخصر فقال (الطيور ملائكة الملوك) يشير الى ان نزولها على الملوك من جو الهواء نزول الملائكة على الأنبياء عليهم السلام من السماء مع فرط مافيها من الأمانة لا يتوهم من جهتها خيانة

وقال فى الزبد والضرب اتخذ نور الدين الحمام الهوادى في سنة سبع وستين وخمسمائة وكتب بذلك الى جميع البلاد فاتخذت في الأبراج وكتب منشوراً لأربابها وانذار اصحابها بالتهديد لمن اصطاد شيئا .

سنة ٥٦٨

ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم

قال ابن الأثير في هذه السنة فى جمادى الأولى هزم مليح بن ليون الأرمني صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك

ان نور الدين كان قد استخدم مليحا المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهداً لحروبه مع الفرنج ومباشراً لها وكان هذا من جيد الرأي وصائبه فان نور الدين لما قيل له في معنى استخدامه واعطائه الأقطاع فى بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملته واريح طائفة من عسكرى تكون بازائه لتمنعه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الأرمن والروم وكانت مدينة آذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فأخذها مليح منهم لأنها تجاور بلاده فسير اليه ملك الروم جيشاً كثيفاً وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من أقاربه فلقيهم مليح ومعه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدقهم القتال وصابرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين من غنائمهم ومن الأسرى ثلاثين رجلاً من مشهوريهم واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضيء بأمر الله وكتب يعتد بهذا الفتح لأن بعض جنده فعلوه .

﴿ ذكر ارسال نور الدين للخليفة يطلب منه تقليدا ﴾

قال ابن الأثير فى هذه السنة ارسل نور الدين محمود بن زنكى رسولاً الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضى بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليدا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما فى طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وأن يعطى من الأقطاع بسواد العراق ما كان لأبيه زنكى وهو

صريفين ودرب هارون والتمس ارضاً على شاطئ دجلة يبنيها مدرسة للشافعية ويوقف عليها صريفين ودرب هارون فاكرم كمال الدين اكراماً لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمس فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله.

قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان واستيلائه على مرعش

قال فى الروضتين قال ابن الأثير وفي سنة ثمان وستين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية الملك عز الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان السلجوقى وهي ملطية وسيواس وقونية واقصرا عازما على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذالنون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من تلك البلاد قصد قلج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريداً فريداً فسار الى نورالدين مستجيرا وملتجئاً الى ظله فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له مايليق ان يحمل للملوك ووعده النصر والسعي فى رد ملكه اليه وكانت عادة نورالدين انه لا يقصد ولاية احد من المسلمين الا ضرورة اما ليستعين بها على قتال الفرنج او للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما فلما قصده ذوالنون راسل قلج ارسلان وشفع اليه في اعادة ماغلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين نحوه فابتدأ بكيسون وبهسنى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها من الحصون وسير طائفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قلج ارسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده قد سار من اطرافها التى تلى الشام الى وسطها خوفا وفرقا وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح والصفح عنه فتوقف نورالدين عن قصده رجاء ان ينصلح الأمر بغير حرب فأتاه من الفرنج ما ازعجه فأجابه الى الصلح وكان في جملة رسالة نور الدين اليه (انى اريد منك اموراً وقواعد

ومهما تركت منها فلا اترك ثلاثة اشياء احدها ان تجدد اسلامك على يد رسولي حتى يحل لى اقرارك على بلاد الأسلام فأنى لا اعتقدك مؤمنا وكان قلج ارسلان يتهم باعتقاد الفلاسفة والثاني اذا طلبت عسكرك للغزاة تسيره فأنك قد ملكت طرفا كبيرا من بلاد الأسلام وتركت الروم وجهادهم وهادنتهم فأما ان تكون تنجدنى بعسكرك لأقاتل بهم الفرنج واماان تجاهد من يجاورك من الروم وتبذل الوسع والجهد في جهادهم

والثالث ان تزوج ابنتك لسيف الدين غازي ولد اخى وذكر امورا غيرها فلما سمع قلج ارسلان الرسالة قال ما قصد نورالدين الا الشناعة علي بالزندقة وقد اجبته الى ما طلب انااجدداسلامى على يدرسوله واستقر الصلح وعاد نورالدين وترك عسكره فى سيواس مع فخر الدين عبد المسيح فى خدمة ذي النون فبقى العسكر بها الى ان مات نور الدين فرحل العسكر عنها وعاد قلج ارسلان ملكهااه وقال في الروضتين قبل ذلك وكتب العماد وهو بمرعش مع نورالدين الى صديق له بدمشق وكان سافر عنها مع نور الدين في اطيب فصولها وهو زمن المشمش

كتابي فديتك من مرعش * وخوف نوائبها مرعشى
وماسر في طرقها مبصر * صحيح النواظر الا غشى
وما حل في ارضها آمن * من الضيم والضر الاخشى
ترنحنى نشوات الغرا * م كأني من كأسه منتشى
اسر واعلن برح الجوى * فقلبي يسر ودمعى يشى
بذلت لكم مهجتي رشوة * فحاكم حبكم مرتشى
وكيف يلذ الكرى مغرم * بنار الغرام حشاه حشى
بمرعش ابغى وبلوطها * مضاهاة جلق والمشمش

قال العماد في الخريدة فسارت هذه القطعة ونمى حديثها الى نور الدين فاستنشدنيها فأنشدته اياها ونحن سائرون فى واد كبير مع بيتين بدهت بهما في الحال وهما

وبالملك العادل استأنست * نجاحا منى كل مستوحش
وما في الأنام كريم سوا * ه فأن كنت تنكر ذا فتش

سنة ٥٦٩

وفاة الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكى

قال ابن الأثير فى هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعا حادي عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التى انشأها بدمشق عند سوق الخواصين ومن عجيب الأتفاق انه ركب ثاني شوال والى جانبه بعض الأمراء [هو كما في الروضتين همام الدين مودود والى حلب في اول دولة نور الدين] فقال له الأمير سبحان من يعلم هل نجتمع هنا فى العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقل هكذا بل سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فات نور الدين بعد احد عشر يوماً ومات الأمير قبل الحول فأخذ كل منهما بما قاله.

ثم قال وكان اسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة مليح العينين وكان قد انسع ملكه جداً وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما دخلها شمس الدولة بن ايوب وملكها. وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله.

وقال ابن كثير فى وفيات سنة خمسمائة وتسعة وستين ان نور الدين ولد وقت طلوع الشمس يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة بحلب ونشأ فى كفالة والده صاحب حلب والموصل. وهذا سهو فأن والده

زنكى ملك حلب في سنة اثنتين وعشرين كما تقدم ولم نقف على ما يفيد انه اتى حلب في سنة احدى عشر وخمسمائة .

قال فى المختار من الكواكب المضية واختلف في تسميته بالشهيد قال بعضهم احب مملوكا وعف فأكمده الحب فقتله وقال بعضهم انه مرض وكان مرضه علة الخوانيق فأشار عليه بعض الأطباء بالفصد فامتنع وكان مهيباً فما روجع ومات من هذه العلة بقلعة دمشق فأن كان مقصده فى ترك الفصد عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون الحديث فقد تصدق عليه هذه التسمية وما اظنها الا غلبت عليه كقول الناس في سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفاؤلا في حقهم . فأن قلت كيف بقي عليه هذا ولم يبق على غيره قلت لأنه ليس لغيره من الفتوحات كفتوحاته وغزواته وورعه واوقافه وزهده وجميل اوصافه المحمودة وطالما القى نفسه على العدو وجاهد في الله حق جهاده طالبا للشهادة اه

[اقول] السبب الأول يستبعده العقل جداً عن امثال نور الدين فأن التفكر في الجهاد وتجهيز الجيوش وعمارة الأسوار والقلاع وغير ذلك لم يدع فى فوآده مكاناً خاليا ليسلك اليه الحب ويتمكن منه تمكنا يقضي به على حياته والذى يترجح عندي فى سبب تسميته بالشهيد ان والده زنكى كان يدعى الشهيد لأنه قتل على قلعة جعبر كما تقدم فصار يقال لولده محمود نور الدين ابن الشهيد ثم لكثرة الأستعمال حذفت كلمة ابن اختصارا

قال ابن الأثير وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحريا منه للعدل وقد اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر ههنا نبذة لعل يقف

عليها من له حكم فيقتدي به فن ذلك زهده وعبادته وعلمه فأنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا فى الذى يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة من الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فأعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين دينارا فلما استقلتها قال ليس لى الا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لأجلك وكان يصلى كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب ابي حنيفه ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث وسمعه طالبا للأجر واما عدله فأنه لم يترك في بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل. وفي الروضتين وغيره قال له وزيره موفق الدين خالد بن القيسرانى الحلبي اني رأيت انى اغسل ثيابك فافكر ساعة ثم امره باسقاط المكوس وقال له هذا تفسير منامك وكتب الى البلاد بذلك وامر الخطباء ان يسألوا الناس ان يحاللوه في المدة الماضية وقال لهم ما اخرجناه الا فى جهاد اعداء الأسلام يعتذر اليهم بذلك

قال في المختار من الكواكب المضية وفي بعض التواريخ ذكر المكوس التى ازالها وقدرت فأفردت من ذلك حلب ومعاملها [٩٦] الف دينار ونيف وفي الروضتين [٥٠] الف دينار سرمين [١٣٦٠] دينارا كفرطاب [٢٠٠٠] دينار عزاز [٦٥٠٠] دينار تل باشر [٢١٠٠٠] دينار عينتاب [٩٠٨٠] دينارا الباب وبزاعة [٣٠٠٠] قلعة النجم [٣٠٠٠] دينار قلعة جعبر [٧٦٠٠] دينار الرها [٨٥٠٠] دينار قال فى اوائل الروضتين ناقلاً من خط الصاحب كمال الدين ابى القاسم

عمر ابن احمد بن العديم وسامعا له من لفظه قال قال لي والدي دخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف بها ولداً صغيرا ومالا كثيرا فكتب بعض من بحلب الى نور الدين يذكر له انه قد مات هاهنا رجل موسر وخلف عشرين الف دينار او فوقها وله ولد عمره عشر سنين وحسن له ان يرفع المال الى الخزانة الى ان يكبر الصغير يرضي منه ويمسك الباقي للخزانة فكتب على رقعته اما الميت فرحمه الله واما الولد فانشأه الله واما المال فثمره الله واما الساعي فلعنه الله قال وبلغتني هذه الحكاية عن غير نور الدين ايضا

ثم قال ناقلاً عنه ايضا وسمعت صقر بن يحي بن صقر المعدل يقول سمعت مقلدا يعني الدولعي يقول لما مات الحافظ المرادي وكنا جماعة الفقهاء قسمين العرب والأكراد فمنا من مال الى المذهب واردنا ان نستدعي الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون وكان بالموصل ومنا من مال الى علم النظر والخلاف واراد ان يستدعي القطب النيسابوري وكان قد جاء وزار البيت المقدس ثم عاد الى بلاد العجم فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووقعت فتنة بين الفقهاء فسمع نور الدين بذلك فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة بحلب وخرج اليهم مجد الدين ابن الداية عن لسانه وقال لهم نحن ما اردنا ببناء المدارس الا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة واظهار الدين وهذا الذي جرى بينكم لايحسن ولا يليق وقد قال المولى نور الدين نحن نرضي الطائفتين ونستدعي شرف الدين ابن ابي عصرون وقطب الدين النيسابوري فاستدعاهما جميعا وولى مدرسة ابن ابي عصرون لشرف الدين ومدرسة النفري لقطب الدين

ثم قال ناقلا عنه ايضا اخبرنا افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي قال كان عند القاضي تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكردري قاضي حلب غلام قد جعله

لمجلس الحكم يدعي سويدا يحضر الخصوم الى مجلس الحكم لحضر بعض التجار وادعى انه له على نور الدين دعوى فقال الكردري لسويد المذكور امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في الميدان لجاء سويد الى باب الميدان لخرج اسماعيل الخزندار فوجد سويدا قادما اليه قال سيرنى تاج الدين يعني القاضي وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له دعوى على المولى نور الدين وقد انفذني تاج الدين وقال لى كذا وكذا فضحك اسماعيل الخزندار ودخل على نور الدين ضاحكا وقال له مستهزئا يقوم المولى فقال الى اين فقال حضر سويد غلام تاج الدين الكردري وقال ان تاج الدين ارسله يطلب المولى الى مجلس الحكم فانكر نور الدين على اسماعيل استهزائه وقال تستهزئ بطلبي الى مجلس الحكم وقال نور الدين يحضر فرسى حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل انني جئت الى هاهنا امتثالا لأمر الشرع واحتاج فى الحضور الى مجلسه الى سلوك هذه الأزقة وفيها الأطيان وهذا وكيلي يسمع الدعوى وان توجهت علي يمين احضر ان شاء الله تعالى قال لحضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجهت اليمين فقال الكردرى قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم انه لامندوحة عن حضور مجلسه لليمين استدعى ذلك التاجر واصلح الأمر فيما بينه وبينه وارضاه اه

وقال في المختار من الكواكب المضية حكي ان نور الدين كان قاعداً بدمشق على طيارة مشرفة على نهر بردا فوصل اليه كتاب من بلد المعرة يذكر ان جماعة من

اهل المعرة تغلبوا على كروم وزيتون واملاك ذكر انها ليست لهم واستأذن في قبضها فمن احضر بينة او حجة سلم اليه ماكان بيده وان لم يحضر بقي في ديوان بيت المال فأمر بكتب مرسوم بذلك فشرع الكاتب يكتب فسمع منشداً يقول

اعدلوا ما دام امركم * نافذا في النفع والضرر
احفظوا ايام دولتكم * انكم منها على خطر
انما يبقى لكم ابدا * طيب ما يبقى من الخبر

فقال السلطان نور الدين (فمن جاءه موعظة من ربه) الآية ثم امر بأبطال ذلك الكتاب وجعل يبكى اه

وقال في الزبد والضرب عمر بلد حلب في زمان نور الدين لعدله وحسن سيرته حتى ارتفعت الأسعار مع كثرة المغلات لكثرة العالم

وقال ابن خلكان في تاريخه في ترجمته كان ملكا عادلاً زاهداً عابدا ورعا مستمسكا بالشريعة مائلا الى اهل الخير مجاهدا فى سبيل الله كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ورتب له مايكفيه وبحماة الجامع الذى على نهر العاصى وجامع الرها وجامع منبج وبيمارستان دمشق ودار الحديث بها ايضا وله من المناقب والمآثر والمفاخر مايستغرق الوصف . وقال ابن الأثير واما مافعله من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها [ثم قال] وبنى الخانات فى الطرق وبنى الخانكاهات في جميع البلاد ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعت ان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده

وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب اه

اقول ومن اراد الوقوف على تفاصيل اخباره ومحمود آثاره فعليه بكتاب الروضتين فى اخبار الدولتين (النورية والصلاحية فأنه جمع واوعى)

﴿ آثاره الجليلة في حلب ﴾

المدرسة الحلوية

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة [المدرسة الحلوية كانت كنيسة من بناء هيلانة ام قسطنطين وجعلها القاضي ابو الحسن بن الخشاب مسجدا بسبب ما اعتمده الفرنج من بعثرة قبور المسلمين واحراقهم حين حصارهم حلب فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكانت تعرف بمسجد السراجين فلما ملك نور الدين جعلها مدرسة وجدد بها مساكن يأوى اليها الفقهاء وكان مبدأ عمارتهـا فى سنة اربع واربعين [صوابه ثلاث واربعين كما هو مكتوب على جدار بابها] وهي من اعظم المدارس صيتا واكثرها طلبة واغزرها جامكية قال ومن شرط الواقف ان يحمل في كل شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدارس يضع بهـا طعاما للفقهاء وفى ليلة النصف من شعبان فى كل سنة حلوى معلومة وفى الشتاء ثمن لباس لكل فقيه شيء معلوم وفي ايـام شرب الدواء من فصلي الربيع والخريف ثمن ما يحتاج اليه من دواء وفاكهة وفى المواليد ايضا الحلوى وفى الأعياد مايرتفقون به فيها دراهم معلومة وفى ايام الفاكهة مايشترون به من انواعها بطيخا ومشمشا وتوتا .

وقال قبل ذلك فى باب ذكر المزارات . وشوهد بالمدرسة الحلاوية الحنفية

بحلب مذبح من الرخام الملكى الشفاف الذى يقرب النصارى عليه القربان وهو من احسن الرخام صورة اذا وضع تحته ضوء يرى من وجهه فسئل عن ذلك فقيل ان نور الدين محمود بن زنكى احضره من افامية سنة اربع واربعين ووضعه في هذه المدرسة وعليه كتابة باليونانية فعربت فكانت (انه عمل هذا الملك فلطيانس والنسر الطائر في اربعة عشر درجة من برج العقرب) قال فيكون مقدار ذلك ثلاثة آلاف سنة الى ايام نور الدين الشهيد المذكور

وقيل ان نور الدين المذكور كان يحشو القطايف للفقهاء ويملأ هذا الجرن ويجتمعون عليه ويأكلونها (١) وهذا الجرن هو الآن بالمدرسة الحلاوية (قلت) وقد شاهدت هذه الرخامة لكنها ليست بجرن فأن الجرن الحجر المنقور المتخذ للوضوء والوضع فيه وهذه الرخامة بسيطة طويلة عريضة مربعة الى الطول اقرب الا ان لها حافات عالية عنها مقداراً يسيراً نحو اصبعين اوثلاثة (حاشية بين سطور الدر المنتخب) وقال كاتب هذه الأحرف ابو اليمن البترونى وقع على هذا الجرن احد جدران المدرسة فانكسر وصار قطعاً واسف الناس عليه لأنه كان غاية في الحسن اه

﴿ مدرسو المدرسة من حين بنائها الى سنة ٦٥٠ تقريبا ﴾

قال ابن شداد ولما فرغ نور الدين من بنائها استدعى لها من دمشق الفقيه

اقول ولهذا سميت المدرسة الحلوية وقال في الزبد والضرب ان الظاهر في تسميتها بالحلاوية لم تكن لما كان يصنعه من الحلوى ويضعه فى الجرن المذكور وانما كان لحلاويين كانوا بجوارها اهاقول انها قبل ان تتخذ مدرسة كانت مسجداً يعرف بمسجد السراجين والظاهر انه سمي بذلك لسراجين كانوا بجانبه ولا يعرف ذلك السوق بسوق الحلاويين وقتئذ فيغلب على الظن في تسميتها بالمدرسة الحلوية ما هو مشهور بين الناس وهو هذه الحلوى التي كانت تصنع للفقهاء وتوضع في هذا الجرن

الأمام برهان الدين احمد بن علي الأصولي السافي ليجعله نائبا عن برهان الدين البلخي فامتنع من القدوم فسير اليه ثانيا فأجابه ولم يزل نائبا الى ان مات ولما مات شمت الناس بعلي لموت احمد وتولي تدريسها الأمام الفاضل رضي الدين محمد بن محمد ابو عبد الله السرخسي صاحب المحيط كان قدم حلب فولاه محمود ابن زنكى التدريس وكان في لسانه لكنة فتعصب عليه جماعة من الفقهاء الحنفية فصغروا امره عند نور الدين فمات يوم الجمعة آخر جمعة من رجب سنة احدى وسبعين وخمسمائة فولي مكانه اسماعيل الغزنوي البلخي وكان بالموصل ثم ولي صاحب التصانيف البديعة في احكام الشريعة علاء الدين (١) ثم ولي الأمام افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمي صاحب الرواية العالية الفاخرة والدراية الزاهية الزاهرة شرح الجامع الكبير شرحا لطيفا مستوفيا وقام بما شرط ثم تولي العلامة تاج الدين ابو المعالى واستمر مدرساً الى ان مات ثم ولي تدريسها الأمام العلامة جامع اشتات الفضائل المبرز في معلوماته على الأواخر والأوائل المضيف الى عالي الرواية عظيم الدراية الوافر الحظ من حسن الخط كمال الدين ابو القاسم احمد بن عمر بن ابي جرادة المعروف بأبن العديم ولم يزل مدرساً حتى كتب عليه الجلاء مع من كتب من اهل حلب اه

قال ابن الشحنة في الدر المنتخب ولم يزل المدرسون يتنقلون بها الى ان اتصلت الى سيدى الوالد رحمه الله تعالى ثم الي خاصة بتوقيع شريف فى سنة اربع وعشرين وثمانمائة.

اقول وفي خلال التراجم تجد اسماء من تولى التدريس في هذه المدرسة والذى يظهر ان امرها كان جارياً على السداد الى اوائل القرن الماضي حينما تولاها احفاد محمد افندى الطرابلسى مفتي حلب فأهمل امر التدريس فيها لأنهم لم يكونوا

[١] هو صاحب بدائع الصنائع فى الفقه الحنفي وستأتيك ترجمته

من اهل العلم وتداعت ابنيتها الى الخراب وقد ادركناها والأتربة مالئة وسطها وفي اواخر القرن الماضي كان المتولي عليها الأخوين السيد محمداً اباالفتح والسيد محموداً ابني السيد عبد الوهاب ابن الشيخ مصطفى الطرابلسى ففرغا التولية سنة ١٢٩٤ الى الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد طلس ولما استلم المدرسة منهما كانت خرابا يبابا وليس فيها من القديم سوى مكان الصلاة والمحراب البديع الذي فى ايوانها . ولم يبق لها من العقارات سوى دارين داخل المدرسة واربع دكاكين اثنتان عن يمين الداخل الى المدرسة واثنتان عن الشمال .

وللمدرسة اراض محكرة لجماعة معلومين في المحلة المعروفة الآن بالتلل كانت تعرف بمناشر الزبل يؤخذ منها بدل زهيد جداً هو عبارة عن عشرة ارطال زيتاً ولما تولى المدرسة الشيخ مصطفى المذكور وجد ان ذلك اجحاف في حقوق المدرسة فرفع الامر الى والي الولاية وقتئذ جميل باشا فمد له الوالي يد العناية الى ان تمكن من استرداد تلك الاراضى بعد محاكمات دامت سنين ولما تم له ذلك باشر بتحكيرها بأجر مثلها في ذلك الوقت ومن هذه الواردات صار يعمر المدرسة ويشتري لها بفاضل الغلة عقارات ولما توفي سنة ١٣١٥ جرى ولده الشيخ محمد الذي صار متولياً عليها على تلك الطريقة وبقى الى ان توفي سنة ١٣٣٣ وآلت التولية الى ولده محمد الذي هو فى قيد الحياة الآن ولصغر سنه قام بأمر التولية عنه عمه الشيخ عبد الوهاب افندى فجرى على تلك الطريقة الى ان عمرت المدرسة جميعها وفرشت بالرخام في اماكنها كافة واصبح فيها من الحجر اثنا عشرة حجرة للطلاب وعين في هذه السنة وهي سنة ١٣٤٢ لكل طالب مائتى قرش رائجة . وصار للمدرسة من العقارات اثنان وستون عقاراً وقداطلعنى المومى اليه على دفترين احدهما محرر سنة ١٠٧٩ وفيه ذكر العقارات الموقوفة

على المدرسة والاحكار التى كانت تأخذها من كثير من الدور والحوانيت والبساتين والاراضى وعلى هذا الدفتر امضاء وختم القاضي نقيب زاده السيد محمد سعيد الحجازي المولى بالمحكمة الشافعية

ودفتر آخر محرر سنة ١٢١٩ وفيه ايضاً ذكر ذلك ومعظم هذه الاماكن لا تتناول المدرسة اليوم منها شيئاً وقد تغلبت الايدي منذ سنين طويلة عليها ولو كانت باقية على حالها لكان للمدرسة من الربع مبالغ طائلة ولله فى خلقه شؤون

﴿ المدرسة العصرونية ﴾

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة ان هذه المدرسة كانت داراً لأبي الحسن علي بن ابى الثريا وزير بني دمرداش فصيرها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بعد انتقالها اليه بالوجه الشرعي مدرسة وجعل فيها مساكن للمرتبين بها من الفقهاء وذلك في سنة خمسين وخمسمائة واستدعى لها من جبل بناحية سنجار الشيخ الأمام شرف الدين ابا سعد عبد الله بن ابى السرى محمد ابن هبة الله بن المطهر بن علي بن ابى عصرون بن ابى السرى التميمي الحديثي ثم الموصلي الشافعي وكان من اعيان فقهاء عصره ولما وصل الى حلب ولي تدريسها والنظر فيها وهو اول من درس بها فعرفت به وصنف كتبا كثيرة فى المذهب والخلاف والفرائض مشهورة في ايدي الناس اه

اقول اذا كانت المدرسة بنيت سنة ٥٥٠ كما ذكره هنا فيكون قد استدعى من الشام لامن سنجار لأنه كما في ترجمته في ابن خلكان قدم الى حلب سنة ٥٤٥ وتوجه منها الى الشام فى اوائل سنة ٥٤٩ ثم عاد الى حلب وبقي في هذه البلاد الى سنة ٥٧٠ فتوجه فيها الى الشام وتوفي فيها سنة ٥٨٥

واذا كان بناؤها سنة ٥٤٥ فيكون قد استدعى من سنجار لأنه في هذه السنة

قدم الى حلب كما نقلناه عن ابن خلكان . ويظهر ان الأصح ان بناءها سنة ٥٤٥ لأن ابن ابي عصرون والقطب النيسابوري استدعيا في آن واحد كما قدمناه في ترجمة نور الدين

المدرسة النفرية وهي المدرسة النورية

قال فى الدر المنتخب المدرسة النفرية لا ادري من المنسوب اليه هذه المدرسة ثم قال المدرسة النورية انشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى سنة اربع واربعين وخمسمائة

وقال في الخمار من الكواكب المضية ومن جملة اوقافه بحلب المدرسة النورية المعروفة بالنفرية .

وقال في الزبد والضرب لما بنى نور الدين المدرسة النفرية ولاها القطب اليسابوري واسمه كما فى ابن خلكان مسعود بن مسعود النيسابورى الطرثيثى الفيقه الشافعى الملقب قطب الدين . وتولي كما في ابن خلكان تدريس المدرسة التي بناها اسد الدين شيركوه وكانت وفاته في دمشق سنة ٥٧٨

المدرسة الشعيبية

قال في الدر المنتخب كانت هذه مسجدا اول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب ويعرف بالغضايري كما تقدم فلما ملك نور الدين حلب وانشأ المدارس بها وصل الشيخ شعيب بن ابي الحسن بن الحسين بن احمد الفقيه الأندلسى فصيرت له مدرسة فعرفت به ولم يزل مدرساً بها الى ان توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة فى طريق مكة قلت وهي يومئذ جامع يقام فيه الخطبة اه

اقول هي في محلة باب انطاكية قبالة الباب المذكور يكتنفهامن طرف اليمين سوق الصباغين ومن طرف الشمال الزقاق الذي في آخره حمام بزدار وهي الآن

مسجد تقام فيه الصلاة

خانقــاه القصر

قال في الدر المنتخب قال ابن شداد خانقاه القصر وهي تحت القلعة انشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وسميت بهذا الأسم لأنه كان مكانها قصر من بناء شجاع الدين فانك وكان مبدأ عمارتها في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

خانقــاه القديم

قال فى الدر المنتخب انشأها نور الدين ايضا وتولى النظر على عمارتها شمس ابو القاسم الطرسوسى

البيمارستان

قال في الدر المنتخب البيمارستان النورى بناه الملك العادل نور الدين محمود داخل باب انطاكية بالقرب من سوق الهواء [في محلة الجلوم الكبرى في الزقـاق المعروف الآن بزقاق البهرمية] يقال ان الملك العادل نور الدين تقدم الى الاطباء ان يختاروا من حلب اصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها فذبحوا خروفاً وقطعوه اربعة ارباع وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً فلما اصبحوا وجدوا احسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القطر فبنو البيمارستان فيه ووقف عليه قرية معرالا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان وخمس افدنة من مزرعة كفرنايا وثلث مزرعة الخالدى وطاحونها من المطخ وثمن طاحون اعريبة ظاهر بـاب الجنان وثمانية افدنة من مزرعة ابو مدايا من عزاز وخمسة افدنة بمزرعة الحميره من المطخ واثنى عشر فداناً من مزرعة الفرزل من المعرة وثلث قرية بيت راعل من الغربيات وعشرة دكاكين بسوق الهواء هو الآن معروف بسوق الكمرك منها ثلاثة تمام والباقى شركة الجامع الكبير واحكار ظاهر باب انطاكية وباب

الفرج وباب الجنان اه

اقول هو الآن خراب لم يبق منه سوى بابه وجدران اطرافه يأوي اليه الفقراء من الغرباء ومن الغريب ان معتمد ايطاليا آدولف صولا عمر فوق باب البيمارستان المذكور قنطرة جعل طرفها تحت اطراف قصر داره التي هي تجاه البيمارستان المذكور حفظاً للقصر وذلك منذ خمس عشرة سنة وكان ذلك في ليلة واحدة ولم ينتطح لذلك عنزان غايته ان المتولي على البيمارستان رفع الأمر الى الحكومة والى المجلس البلدي فلم يلتفت اليه وكأن الحادثة لم تكن فلله الامر . الا انه بعد ذلك ابتلي بالأمراض والاسقام ولم يطب عيشه الى ان مات

﴿ ومن آثاره تجديد بناء الجامع الاعظم والتوسيع فيه ﴾

يجدر بنا قبل الكلام على ذلك ان نذكر تأسيس بناء هذا الجامع وما حصل فيه الى ان نصل الى هذا التاريخ .

قال في كراسة عندي (يظهر انها من كنوز الذهب لأبي ذر) ما ملخصه ان اباعبيدة لما فتح حلب صالح اهلها على موضع المسجد الجامع فاختطه الصحابة رضي الله عنهم وكان بستاناً للكنيسة التي هي الحلاوية والجب الذي فيه كان دولاباً للبستان ثم جدده سليمان بن عبد الملك ولم يذكر ابن العديم في ترجمة سليمان ان سليمان بناه وقال في مكان آخر وبلغني ان سليمان هو الذي بناه كما رأيته بخط ابن عشاير وقد كان هذا الجامع يضاهي جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء وباهى سليمان في بناءه ما عمل اخوه الوليد في جامع دمشق وقيل انما بناه الوليد وانه نقل اليه آلة كنيسة قورص وكانت هذه الكنيسة من عجائب الدنيا يقال ان ملك الروم بذل في ثلاثة اعمدة كانت فيها سبعين الف دينار فلم يسمح الوليد بذلك ويقال ان بني العباس نقضوا ماكان فيه من الرخام

والآلات الى جامع الأنبار لما نقضوا آثار بنى امية من بلاد الشام وعلى باب الحجازية حجر من الرخام الأبيض يقال ان عمر بن عبد العزيز جلس عليه ولا يجلس هناك مهموم في الغالب الا انفرج همه ببركته

وهذه الحجر يبلغ طولها نصف ذراع وعرضها اقل من ذلك اقول ولما وسع باب الحجازية وجدد الدرج الذى امامه وذلك سنة ١٣٢٦ وقلعت الاحجار التي كانت امام الباب تفتتت هذه فوضعت في كيس من الكتان ومعها زجاجة في داخلها ورقة كتب فيها قصتها وقد وضع ذلك الكيس في البنيان وراء الحجر المنقوش فوق باب الحجازية .

قال فى الدر المنتخب ولما دخل نقفور حلب في سنة احدى وخمسين وثلثمائة احرق الجامع والبلد ورحل من حلب وعاد سيف الدولة اليها من قنسرين ورم بعض المسجد ولما مات سيف الدولة وتولى ولده ابو المعالى سعد الدولة شريف بنى فيه قرعويه غلام ابيه قبة الفوارة التي في وسط الجامع وفي هذه القبة جرن رخام ابيض فى غاية الكبر والحسن وفي دور حافة الجرن مكتوب [هذا ما امر بعمله قرعويه غلام سيف الدولة فى سنة اربع وخمسين وثلثمائة]

اقول الكتابة كانت قدر نصف ذراع وقد كان اثر النقش باقياً وقد محي هذا الأثر سنة ١٣٠٢ حينما رمم الحوض وذلك في زمن والى الولاية وقتئذ جميل باشا ويا ليتهم ابقوا هذا الأثر وان كان قليلاً

قال فى الكراسة . والماء ينصب من هذا الجرن الى بركة مقطعة من الرخام الأصفر ثم يسيل الى بركة من رخام اصفر قطعة واحدة وهي من عجائب الدنيا والعمود الذى فى وسط الجامع رؤى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى عنده وفي اعلاه صحن من الحديد كان يوضع فيه البخور قديما ويوضع فيه تارة زيت وحب قطن ليضيء على الجامع

واما الشرقية فبناها بنو عماد الدين وكانوا اصحاب طرابلس قديما وكان فيها آبار لخزن الغلات المتحصلة من ريع كنيسة هيلانة وهي الحلاوية وشاهدت جباً في الحجازية الى جانب البركة وانما سميت حجازية لانها منزل اهل الحجاز (ثم قال) وعلم ان الدخول الى هذا الجامع والصلاة فيه تزيل الكرب وتفرج المهموم وهذا مشاهد مرئى كيف لا وقد بنى في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم وخطب فيه الصالحون والاخيار كعمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك واخيراً خطب فيه الخطيب ابو يحي عبد الرحيم الفارقي ابن نباتة صاحب الخطب المشهورة التى وقع الأجماع انه ما عمل مثلها وقصة رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم وتفله فى فيه مشهورة واقام ثمانية عشر يوماً لا يطعم ولا يشرب لبركتها

ولأبي بكر الصنوبري الشاعر المشهور شاعر المتنبي قصيدة طويلة يمدح فيها حلب ذكرها ياقوت في معجمه ومما قاله فيها فى مدح هذا الجامع

حلب بدر دجي * انجمها الزهر قراها

حبذا جامعها الـ * ـجامع للنفس تقاها

موطن يرسى ذوو * البر لمرساه جباها

سهوات الطرف فيه * فوق ما كان اشتهاها

قبلة كرمها الله * م بنور وحباها

ورآها ذهباً فى * لازورد من رآها

ومراقى منبر اعظم * شيء مرتقاها

وذرى مئذنة طالت * ذرى النجم ذراها

ولفوراته مالا * تراه بسواها

قصمة ماعدت الكعب ولا الكعب عداها
ابداً يستقبل السحب بسحب من حشاها
فهي تسقى الغيث ان لم يسقها اوان سقاها
كنفتها قبة يضحك عنها كنفاها
قبة ابدع بانيها بناء اذ بناها
ضاهت الوشي نقوشاً فحكته وحكاها
لو رآها مبتني قبة كسرى ما ابتناها
فندا الجامع سرو يتناهى من تناها
حييا السارية الخضراء منه حيياها
قبلة المستشرق الأعلى اذا قابلتماها
حيث يأتي حلقة الآداب منا من اتاها
من رجالات حباً لم يحلل الجهل حباها
من رآها من سفيه باع بالعلم السفاها

وهي السارية الخضراء كان يجتمع فيها المشتغلون بالأدب يقرؤون عندها وذهبت في الحريق وما زالت حلقة الأدب لقراءة النحو واللغة معقودة بجامع حلب ليلاً ونهاراً وكذلك لقراءة القرآن العزيز وما فتئ على هذه الحالة وكان مشرق العابد يقرأ فيه الفقه على مذهب الأمام ابي حنيفة وذلك قبل ان تبنى المدارس بحلب

واعلم ان هذا الجامع كان قديماً يدرس فيه على المذاهب الأربعة ولكل مذهب مكان مخصوص وبه المحدثون وارباب الفتاوى ولهم معاليم على ذلك وامره منتظم الى محنة تيمور والآن قد زالت المسميات وبقيت الأسماء كما قال الأول

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومهبط وحي مقفر العرصات

قال ابن شداد زاويتان بالجامع المذكور وقفهما العادل نور الدين لتدريس مذهب مالك واحمد وزاوية بالجامع لتدريس الحديث وقفها العادل نور الدين وانما اغفل المذهبين لأنهما كان يدرس فيهما قبل نور الدين وقرأت بخط الصاحب مالفظه ابراهيم بن عيسى الفقيه المالكى المغربى يلقب بالحجة فقيه حسن فاضل عارف بالأصول ومذهب مالك قدم علينا حلب قبل الستمائة وولي التدريس بزاوية المالكية بالمسجد الجامع ودام يدرس بها مذهب مالك الى ان توفي بعد الأربعين والستمائة بحلب .

﴿ آثار نور الدين فيه ﴾

قال في الدر المنتخب في الكلام على المسجد الجامع . لما كانت ليلة الأربعا السابع والعشرين من شوال سنة اربع وستين وخمسمائة في ايام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى احرقته الأسماعيلية واحترقت الأسواق التى حوله فاجتهد نور الدين في عمارته وقطع الأعمدة الصفر من بعادين ونقل اليه عمد مسجد قنسرين لأن العمد الرخام التى كانت فيه كانت قد تفطرت وتنخرت من حريق النار وسقطت وكانت قواعد العمد فى صحن الجامع مع شيء من الرؤس وهى فى ارضه فجمعت وبنى بعضها فوق بعض في الغربية التى فيه وكان النصف القبلى من الشرقية التى فى قبلى الجامع الآن الملاصقة لسوق البز عن يمين الداخل من الباب القبلى سوقا موقوفا على الجامع ولم يكن المسجد على التربيع فأحب نور الدين محمود ان يضيف ذلك الى الجامع فاستفتى في ذلك الفقيه علاء الدين ابا الفتح عبد الرحمن بن محمود الغزنوى فأفتاه بجوازه فنقض السوق واضافه الى الجامع فاتسع به وحسن فى مرأى العين ووقف عليه نور الدين اوقافا كثيرة

﴿ نواب نور الدين بحلب وآثارهم ﴾

قدمنا ان نور الدين محمود ملك دمشق سنة ٥٤٩ ويظهر من خلال الحوادث انه

فى سنة ٥٥٣ او ٥٥٤ اتخذهـا دار ملكه ومقره وكان يتردد الى الشهباء والى هذه البلاد للغزو والنظرفى شؤونها الى حين وفاته وكان ينوب عنه فىالشهباء كما تراه فى خلال الحوادث الأمير مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيعه واكبر امرائه وهذا قد توفي في سنة خمس وستين وخمسمائة وبعد وفاته قـام بأمر النيابة بعده اخوه الأمير علي الملقب شمس الدين ولمـا توفي الملك العادل نور الدين كان هو القابض على زمام الأمور بالشهباء وكان والى القلعة جمال الدين شاذبخت الخادم الهندى عتيق نور الدين

﴿ المدرسة المجدية الجوانية ﴾

قال فى الدر المنتخب هذه المدرسة منسوبة الى مجد الدين بن الداية وهى بالقرب من ضريح النبي بلوقيا بمحلة بزى وقد خربت ولم يبق منها عين ولا اثر فى سنة ست وثلاثين وتسعمائة

﴿ المدرسة المجدية البرانية ﴾

قال فيه المدرسة المجدية البرانية منسوبة اليه ايضا لكن دثرت بالكلية بحيث لم يبق لها عين ولا اثر ولكن البقعة التى كانت بها تعرف الآن بالمجدية

(دار الحديث)

وقال فيه ومن دور الحديث دار انشأها مجد الدين بن الداية

خانقاه

وقال فيه خانقاه بمرصة الفراتي انشأها مجد الدين ابو بكر محمد بن الداية بن محمد بن نوشتكين وكانت وفاته سنة خمس وستين وخمسمائة

﴿ خانقـاه ايضا ﴾

وقال فيه خانقاه انشأها الأمير مجد الدين بن الداية بمقـام ابراهيم عليه السلام

المدرسة الشاذبختية

قال فى الدر المنتخب هذه المدرسة انشأها الامير جمال الدين شاذبخت الخادم الهندى الاتابكى كان نائباً عن نور الدين محمود بحلب واول من درس بها موفق الدين ابو الثناء محمود بن النحاس ثم عمر بن العديم قال ابن الشحنة ولم يزل المدرسون يتنقلون بها الى ان اتصلت الى سيدى الوالد ومن بعده اليَّ بورود توقيع شريف بأسمي بعرض الامير سيف الدين قصروه نائب حلب ولم تزل بيدي حتى نزلت عنها لولديّ ابى اليمن محمد وابي محمد عبدالبر مع ما نزلت لهما عنه من الوظائف بحلب عند استقرائى فى قضاء الديار المصرية اه

اقول موقع هذه المدرسة فى وسط السوق المعروف بسوق الزرب [محرف عن الضرب] وهو يبتدئ من آخر سوق العبي ويخرج منه الى تجاه القلعة ومكتوب على بابها

١ بسم الله الرحمن الرحيم وقف هذه المدرسة على اصحاب الامام

٢ الاعظم سراج الامة ابي حنيفة رضى الله عنه في ايام

٣ الملك الظاهر غازي بن يوسف عز نصره العبد الفقير الى رحمة

٤ ربه شاذبخت عتيق الملك العادل محمود بن زنكى فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة

وفي شمالى المدرسة حجرة كبيرة فى وسطها ضريح يقول الناس انه قبر رجل اسمه الشيخ معروف وقد اشتهرت هذه المدرسة الآن باسمه وهو عندنا غير معروف ولهذه الحجرة نافذة كبيرة مطلة على السوق كتب في اعلاها ما كتب على الباب ولها من الأوقاف خمس حوانيت في نفس السوق ونصف دار في محلة ساحتبزه وقد اخرج المتولي على المدرسة محمد رضا الخواجكى حانوتين من المدرسة من ايوانها واخبرنى ان مجموع ريع هذه الحوانيت مع نصف الدار اربعين ليرة عثمانية ذهبا

وهو يعمر الآن حجرتين صغيرتين عن يسار القبلية وحجرة كبيرة عن يمينها .
ومحراب القبلية بديع جداً وفيه عامودان من الرخام الابيض وهو يقارب في هندسته المحراب الذى في مدرسة الفردوس والمحراب الذي فى جامع البهرمية وقدكتب على اعلا المحراب (عمل ابى الرجا وعبد الله ابنى يحي رحمه الله)
وقال في الدر المنتخب (في صحيفة ١٢١) عود الى ما ذكره ابن شداد من المدارس الحنفية التي بظاهر حلب (المدرسة الشاذبختية) تقدم لنا اسم بانيها واول من درس بها موفق الدين ابوالثنا محمود بن النحاس باعتبار شرط الواقف ان من درس فى الجوانية (التي قدمنا ذكرها)كان اليه التدريس فى البرانية الا ان يرى الواقف ان يفرق بينهما ثم انتقل تدريسها الى كل مدرسي الجوانية المقدم ذكرهم قلت قد دثرت هذه المدرسة ولم يبق لها عين ولا اثر وباع من كان ناظراً عليها من بنى العديم حجارتها لعلم الدين بن الجابى الوزير اه

﴿ ذكر ولاية الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين ﴾

قال في الروضتين قال ابن الاثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح اسماعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشر سنة وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس في سائر بلادالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة بأسمه فيها وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمدبن المقدم اه
قال فى الزبد والضرب لما توفي نور الدين كان والى قلعة حلب جمال الدين شاذبخت الخادم الهندى عتيق نور الدين وهو الذي بنى المدرسة لأصحاب ابى حنيفة بحلب فوصله كتاب الطير بوفاة نورالدين فامر في الحال بضرب الدبابات والكوسات والبوقات واحضر المقدمين والاعيان والفقهاء والامراء وقال قد

وصل كتاب الطائر يخبر ان مولانا الملك العادل قد ختن ولده وولاه العهد بعده ومشى بين يديه فاظهروا السرور بذلك وحمدوا الله تعالى فقال تحلفون لولده الملك الصالح كما امر الملك العادل بأن حلب له وان طاعتكم له وخدمتكم كما كانت لأبيه فحلف الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم فى ذلك اليوم ولم يترك احداً منهم يزول من مكانه ثم قام الى مجلس آخر ولبس ثياب الحداد وخرج اليهم وقال يحسن الله عزاكم في الملك العادل فأن الله تعالى قد نقله الى جنات النعيم فاظهروا الحزن والكآبة والأسف والبكاء واستقر الملك الصالح وتوجه المؤيد بن العميد وعثمان بن زردك وهمام الدين الى حلب في الرابع والعشرين من شوال لأثبات مافي خزائن حلب وختمها بختم الملك الصالح

ذكر ملك سيف الدين صاحب الموصل البلاد الجزرية

قال ابن الاثير كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقية وديار الجزيرة وغيرها يستدعى العساكر لحجة الغزاة والمراد غيرها فسار سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل في عساكره وعلى مقدمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذى كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان في المقدمة فهرب جريدة واما سيف الدين فأخذ كل ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فملكها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران فحصرها عدة ايام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرانى فامتنع بها واطاع بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حران منه وسار الى الرها فحصرها وملكها

وكان بها خادم خصي اسود لنور الدين فسلمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من اعمال جزيرة ابن عمر فأعطيها ثم اخذت منه ثم صار الى ان يستعطى ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين الى الرقة فلكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى رأس عين فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض اليها وكان شمس الدين على بن الداية وهو اكبر الامراء النورية بحلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور الى سيف الدين ليمنعه من اخذ البلاد لفالج كان به فأرسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه خوفاً من ان يغلب على الامراء كما سيأتي ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذى اقر له الملك بعد ابيه فظن ان سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامراء قال له الرأي ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له اكبر امرائه وهو امير يقال له عز الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكت اكثر ما كان لأبيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضي الله امراً كان مفعولا اه

ذكر ما كان من الامور بين صلاح الدين وبين امراء

دمشق بعد وفاة الملك العادل نور الدين

قال في الروضتين قال ابن الاثير لما توفي نور الدين قال الامرآء منهم شمس الدين ابن المقدم وحسام الدين الحسينى بن عيسى الجراحى وغيرهما من اكابر الامراء قد علمتم ان صلاح الدين من مماليك نور الدين ونوابه والمصلحة ان

نشاوره فيما نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى منا لأن له مثل مصر وربما اخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فلم يوافق اغراضهم هذا القول وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجوا قال فلم يمض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يهنئه بالملك ويعزيه بأبيه وارسل دنانير مصرية وعليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لوالده فلما سار سيف الدين غازي بن عمه قطب الدين وملك الديار الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامراء الى صلاح الدين ولا اعلموه الحال كتب الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر فى خدمته ويمنعه وكتب الى الامراء يقول ان الملك العادل لو علم ان فيكم من يقوم مقامي لو يثق اليه مثلى ثقته بي ليسلم اليه مصر التي هي اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمة مولاي وابن مولاى دوني فسوف اصل الى خدمته واجازي انعام والده بخدمة يظهر اثرها واقابل كلا منكم على سوء صنيعه واهمال امر الملك الصالح ومصالحه حتى اخذ بلاده فاقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامراء لم يمكنوه من المسير الى حلب لئلا يغلبهم عليه شمس الدين علي بن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية وانما تأخر عن خدمة الملك الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها اليهم وعسكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمنع البلاد من سيف الدين ابن عمه وارسل الى الامراء يقول لهم ان سيف الدين قد ملك الى الفرات ولئن لم ترسلوا الملك الصالح الى حلب حتى يجمع العساكر ويسترد ما اخذ منه والا عبر سيف الدين الفرات الى حلب

ولا تقوى على منعه فلم يرسلوه ولا بمكنوه من قصد حلب

سنة ٥٧٠

ذكر مجيء الملك الصالح الى حلب وما جرى من الأمور

قدمنا ان سيف الدين غازى لما اتى الى البلاد الجزرية كان معه من الأمراء سعد الدين كمشتكين وان هذا لما بلغه وفاة نور الدين هرب جريدة

قال في الروضتين لما هرب سعد الدين سار الى حلب وتمسك بخدمة شمس الدين بن الداية واخوته واستقر بينهم وبينه ان يسير الى دمشق ويحضر الملك الصالح فسار الى دمشق فاخرج ابن المقدم عسكرا لينهبه فعاد منهزما الى حلب فأخلف عليه شمس الدين ابن الداية ما اخذ منه وجهزه وسيره الى دمشق وعلى نفسها تجني براقش فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع بالملك الصالح والأمراء واعلمهم ما فى قصد الملك الصالح الى حلب من المصلحة فاجابوا الى تسييره فسار اليها وكان مسيره في الثالث والعشرين من ذى الحجة ودخل حلب يوم الجمعة ثانى محرم سنة سبعين وخمسمائة ولما وصلها وصعد الى قلعتها قبض الخادم سعد الدين على شمس الدين ابن الدايه واخوته وعلى ابن الخشاب رئيس حلب قال ابن الاثير ولولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه ولا جرى من ذلك الخلف والوهن شيء وكان امر الله قدرا مقدورا فاستبد سعد الدين بتدبير امر الملك الصالح اسماعيل فخافه ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق وكاتبوا سيف الدين ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه من وراء ظهره فلا يمكنه الثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على اقرار ما اخذه بيده وبقي الملك الصالح

بحاب وسعد الدين بين يديه يدبر امره وتمكن منه تمكناً عظيما يقارب الحجر عليه

[ذكر سبب قبض الخادم سعد الدين على ابناء الداية]

والفتنة بين اهل السنة والشيعة

قال في الروضتين وفي السيرة الصلاحية وفي المختار من الكواكب المضيه لما مات نور الدين كان متولى قلعة حلب شاذ بخت الخادم النورى وكان شمس الدين علي اخو مجد الدين بن الداية اليه امور الجيش والديوان والى اخيه بدرالدين حسن الشحنكية وكان بيده ويد اخوته جميع المعاقل التى حول حلب فلما بلغ عليا موت نورالدين حدثته نفسه بأمور وصعد الى القلعة وكان مقعداواضطرب البلد وتحزب النـاس بحلب اهـل السنة مع بنى الداية والشيعة مع ابن الخشاب ونهبت الشيعة دار قطب الدين بن العجمى ودار بهاء الدين ابن امين الملك فانزل الأمير علي بن محمد بن الداية والى القلعة جماعة من القلعيين وامر اهل السنة ان يرجعوا الى دار ابي الفضل ابن الخشاب رئيس الشيعة فرجعوا اليها ونهبوهـا واختفى ابن الخشاب واتصلت هذه الأخبار بمن في دمشق من الأمراء فنظروا في المصلحة فعلموا ان مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسـال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح لجهزه وسيره وعلى نفسها تجني براقش وسـاروا الى حلب في الثالث والعشرين من ذى الحجة وسار معه مع الملك الصالح سعد الدين كمشتكين وجرديك واسماعيل الخـازن وسابق الدين عثمان بن الداية وقد وكلت الجماعة به وهو لا يعلم وساروا الى حلب وخرج الناس الى لقائهم وكان حسن بن الداية قد رتب في تلك الليلة جماعة من الحلبيين ليصبح ويصلبهم فلما خرج الى لقاء الملك الصالح ووقعت عينه

عليه ترجل ليخدم هو وجماعة من اصحابه فتقدم جرديك واخذ بيده وشتمه وجذبه فاركبه خلفه رديفا وقبض سابق الدين اخوه في الحال وتخطفت اصحابهم جميعهم واحتيط عليهم .وساروا مجدين حتى سبقوا الخبر الى القلعة وصعدوا عليها وقبضوا على شمس الدين على ابن الداية من فراشه وحمل الى بين يدى الملك الصالح فاستقبله احد مماليك نور الدين المعروف بالجفنية فركله برجله ركلة دحاه بها على وجهه فانشقت جبهته ثم صفدوا جميعا في جب القلعة وقبضوا على جميع الأجناد الذين حلفوا لأولاد الداية واخرجوا جميعا من القلعة

ذكر قتل ابى الفضل ابن الخشاب

قال فى الروضتين في حوادث سنة ٥٧٠ قال ابن ابى طى ففي اولها ضمن القطب العجمي ابو صالح وابن امين الدولة لجرديك ان قتل ابن الخشاب ردوا عليه جميع ما نهب له في دار ابن امين الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه واخذ خاتمه اماناً لأبن الخشاب ونودى عليه فحضر وركب الى القلعة في جمع عظيم فصعد اليها والشيعة تحت القلعة وقوف فقتل وعلق رأسه على احد ابراج القلعة ثم رمى برأسه الى البلد وسكنت الفتنة وبقي الملك الصالح اسماعيل فى القلعة

(ذكر مجئ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب)

من مصر الى الشام وحمص وحماة وملكه لهذه البلاد ثم مجيئه الى حلب وحصره لها وعوده عنها

قال فى الروضتين قال ابن الأثير لما خاف من بدمشق من الأمراء ان يقصدهم كمشتكين والملك الصالح من حلب فيعاملهم بما عامل به بنى الداية راسلوا سيف الدين غازى ليسلموها اليه فلم يجبهم لخامرهم الخوف على ان راسلوا صلاح الدين

يوسف بن ايوب بمصر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين ابن المقدم ومن اشبه اباه فما ظلم فلما اتته الرسل لم يتوقف وسار الى الشام فلما وصل دمشق سلمها اليه من بها من الأمراء ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وانما اظهر اني انما جئت لأخدمه واسترد له بلاده التي اخذها ابن عمه وقال القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية لما تحقق السلطان صلاح الدين وفاة نور الدين وكان ولده طفلا لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد تجهز للخروج الى الشام اذ هو اصل بلاد الاسلام فتجهز بجمع كثير من العساكر وخلف في الديار المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظم امورها وسياستها وخرج هو سائراً مع جمع من اهله واقاربه وهو يكاتب اهل البلاد وامراءها واختلف كلمة اصحاب الملك الصالح واختلف تدابيرهم وخاف بعضهم من بعض وقبض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف الباقين من فعل ذلك وسببا لتغير قلوب الناس عن الصبي فافتقر الحال ان كاتب شمس الدين بن المقدم السلطان ووصل مطالبا بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى امره وتربية حاله فيقوم له ما اعوج من امره فوصل دمشق ولم يشق عليه عصا ودخلها بالتسليم يوم الثلاثا سلخ ربيع الآخر سنة سبعين وتسلم قلعتها وكان اول دخوله الى دار ابيه واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم في الناس مالاً طائلاً واظهر الفرح والسرور بالدمشقيين واظهروا الفرح به وصعد القلعة واستقر قدمه في ملكها اه

قال فى الروضتين قال ابن ابى طي لما اتصل بمن في حلب حصول دمشق للملك الناصر وميل الناس اليه وانعكافهم عليه خافوا واشفقوا واجمعوا على مراسلته فحملوا قطب الدين ينال بن حسان رسالة ارعدوا فيها وابرقوا وقالوا له هذه

السيوف التى ملكنك مصر بأيدينا والرماح التى حويت بها قصور المصريين على اكتافنا والرجال التى ردت عنك تلك العساكر هى تردك وعما تصديت له تصدك وانت فقد تعديت طورك وتجاوزت حدك وانت احد غلمان نور الدين وممن يجب عليه حفظه فى ولده

قال ولما بلغ السلطان ورود ابن حسان عليه رسولاً تلقاه بموكبه وبنفسه وبالغ في اكرامه والأحسان اليه ثم احضره بعد ثالثة لسماع الرسالة منه فلما فاه ابن حسان بتلك الشقاشق الباطلة والتمويهات العاطلة لم يعره السلطان رحمه الله طرفا ولا سمعاً ولا رد عليه خفضاً ولا رفعا بل ضرب عنه صفحا وتغاضيا وترك جوابه احساناً وتجافيا وجرى في ميدان اريحيته واستن فى سنن مروته وخاطبه بكلام لطيف رقيق وقال له يا هذا اعلم انني وصلت الى الشام لجمع كلمة الأسلام وتهذيب الأمور وحياطة الجمهور وسد الثغور وتربية ولد نور الدين وكف عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لأخذ الملك لنفسك ونحن لا نطاوعك على ذلك ودون ما ترومه خرط القتاد وفت الأكباد وايتام الأولاد فلم يلتفت السلطان لمقاله وتزايد في احتماله واومأ الى رجاله باقامته من بين يديه بعد ان كاد يسطو عليه ونادى في عساكره بالأستعداد لقصد الشام الأدنى [بلاد حلب] ورحل متوجها الى حمص فتسلم البلد وقاتل القلعة ولم ير تضييع الزمان عليها فوكل بها من يحصرها ورحل الى جهة حماة فلما وصل الى الرستن خرج صاحبها عز الدين جرديك وامر من فيها من العسكر بطاعة اخيه شمس الدين على واتباع امره وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالرستن واقام عنده يوما وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه حماة وسأله ان يكون السفير بينه وبين من بحلب فأجابه السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقي

اخو جرديك بقلعة حماة قال وسار جرديك الى حلب وهو ظان انه قد فعل شيئاً وحصل عند من بحلب يدا فاجتمع بالأمراء والملك الصالح واشارعليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه الأمراء بالمخامرة وردوا مشورته واشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعدالدين كمشتكين فى القبض عليه فقبض وثقل بالحديد واخذ بالعذاب الشديد وحمل الى الجب الذي فيه اولاد الداية قال ولما قدم جرديك وشد في وسطه الحبل ودلي الى الجب واحس به اولاد الداية قام اليه منهم حسن وشتمه اقبح شتم وسبه ألأم سب وحلف بالله ان انزل اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم سعد الدين كمشتكين فحضر الى الجب وصاح على حسن وشتمه وتوعده فسكن حسن وامسك وانزل جرديك الجب فكان عند اولاد الداية واسمه حسن كل مكروه قال وكتب ابى [هو ابو طي وكان من كبار الشيعة] الى حلب حين اتصل به قبض اولاد الداية وجرديك وكانوا تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب قصيدة منها

بنو فلانة اعوان الضلالة قد * قضي بذلهم الأفلاك والقدر
واصبحوا بعد عز الملك فى صفد * وقعر مظلمة يغشى لها البصر
وجرد الدهر في جرديك عزمته * والدهر لا ملجأ منه ولا وزر

قال ولم يزل السلطان مقيما على الرستن ثم طال عليه الأمر فسار الى جباب التركمان فلقيه احد غلمان جرديك واخبره بما جرى على جرديك من الأعتقال والقهر فرحل السلطان من ساعته عائدا الى حماة وطلب من اخى جرديك تسليم حماة اليه واخبره بما جرى على اخيه ففعل وصعد السلطان الى قلعة حماة واعتبر احوالها وولاها مبارز الدين على ابن ابي الفوارس وذلك مستهل جمادى الآخرة وسار السلطان الى حلب ونزل على انف جبل جوشن فوق مشهد الدكة ثالث الشهر

وامتدت عساكره الى الخناقية والى السعدى وكان من بحلب يظنون ان السلطان لا يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد نازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوشن واعلامه قد نشرت فخافوا من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق فارادوا تطييب قلوب العامة فاشير على ابن نور الدين ان يجمعهم في الميدان ويقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم بنفسه انهم الوزر والملجأ فأمر ان ينادى بأجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فنزل الصالح من باب الدرجة وصعد الخندق ووقف في رأس الميدان من الشمال وقال لهم يا اهل حلب انا ربيبكم ونزيلكم واللاجئ اليكم كبيركم عندى بمنزلة الأب وشابكم عندى بمنزلة الأخ وصغيركم عندي بحل محل الولد وخنقته العبرة وسبقته الدمعة وعلا نحيبه ففتن الناس وصاحوا صيحةً واحدةً ورموا بعمائمهم وضجوا بالبكاء والعويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد ابيك تقاتل بين يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك واقبلوا على الدعاء والترحم على ابيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح انه يعيد اليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وان يجهر بحي على خير العمل والأذان والتذكير في الأسواق وقدام الجنائز باسماء الأئمة الاثنى عشر وان يصلوا على امواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الأنكحة الى الشريف الطاهر ابى المكارم حمزة ابن زهرة الحسيني [١] وان تكون العصبية مرتفعة والناموس وازع لمن اراد الفتنة واشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد ابطله نور الدين رحمه الله فاجيبوا الى ذلك قال ابن طي فأذن المؤذنون فى منارة الجامع وغيره بحي على خير العمل وصلى ابي في الشرقية مسبلا وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا في الاسواق وقدام الجنائز اسماء الأئمة وصلوا على

[١] هو المدفون بجانب المشهد وقبره ظاهر ثمة

الأموات خمس تكبيرات واذن للشريف في ان يكون عقود الحلبيين من الامامية اليه وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه اهـ

وقال في الروضتين قال ابن ابي طي وكانت هذه السنة شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الامطار هائجة الأهوية وكان السلطان قد جعل اولاد الداية علالة له وسبباً يقطع به السنة من ينكر عليه الخروج الى الشام وقصد الملك الصالح فامتنع كمشتكين فاشتد حينئذ السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعة عند الملك الصالح لا تنقضي الا بنصب الحبائل للسلطان والفكرة في مخاتلته وارسال المكروه اليه فاجمعوا آراءهم على مراسلة سنان صاحب الحشيشية في ارصاد المتالف للسلطان وارسال من يفتك به وضمنوا له على ذلك اموالا جمة وعدة من القرى فأرسل سنان جماعة من فتاك اصحابه لاغتيال السلطان فجاؤا الى جبل جوشن واختلطوا بالعسكر فعرفهم صاحب بوقبيس لأنه كان متاغراً لهم فقال لهم ياويلكم كيف تجاسرتم على الوصول الى هذا العسكر ومثلي فيه فخافوا غائلته فوثبوا عليه فقتلوه في موضعه وجاء قوم للدفع عنه فجرحوا بعضهم وقتلوا البعض وبدر من الحشيشية احدهم وبيده سكينة مشهورة ليقصد السلطان ويهجم عليه فلما صار الى باب الخيمة اعترضه طغريل امير جاندار فقتله وطلب الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة قال ولما فات من حلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشية كاتبوا قمص طرابلس وضمنوا له اشياء كثيرة متى رحل السلطان عن حلب وكان في اسر نور الدين منذ كسرة حارم وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمة فلم يقبلها نور الدين فلما كان قبل موت نور الدين سعى له فخر الدين مسعود بن الزعفراني حتى باعه نور الدين بمبلغ مائة وخمسين الف دينار وفكاك الف اسير واتفق في اول هذه السنة موت ملك الفرنج صاحب القدس وطبرية

وغيرهما فتكفل هذاالقمص بأمر ولده المخدوم فعظم شأنه وزاد خطره فأرسل الى السلطان في امر الحلبيين واخبره الرسول ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يداً واحدة فقال لست ممن يرهب بتألب الفرنج وها انا سائر اليهم ثم انهض قطعة من جيشه وامرهم بقصد انطاكية فغنموا غنيمة حسنة وعادوا فقصد القمص فنكص راجعاً الى بلاده وحصل الغرض من رحيل السلطان عن حلب ووصل الى حمص فتسلم القلعة ورتب فيها والياً من قبله [ثم قال] ثم ارسل السلطان الخطيب شمس بن الوزير ابي المضاء الى الديوان العزيز [في بغداد] برسالة ضمنها القاضي الفاضل كتاباً طويلاً رائقاً فائقاً يشتمل على تعداد ما للسلطان من الايادي في جهاد الأفرنج في حياة نور الدين ثم فتح مصر واليمن وبلاداً جمة من اطراف المغرب واقامة الخطبة العباسية بها [ثم ساق الكتاب] ثم قال قال العماد الكاتب ولما فرغ السلطان من حمص وحصنها سار الى بعلبك فتسلمها في رابع شهر رمضان قال ابن ابي طي وكان بها خادم يقال له يمن فلما شاهد كثرة عساكر السلطان اضطرب في امره وراسل من بحلب على جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الأمان وسلم بعلبك الى السلطان

ذكر الحرب بين سيف الدين غازى صاحب الموصل

وبين صلاح الدين وانهزام سيف الدين ومحاصرة صلاح الدين حلب والاتفاق عليها بينه وبين الملك الصالح اسماعيل نور الدين

قال في الروضتين قال ابن ابي طي لما تسلم السلطان بعلبك وازاح عللها عاد الى حمص ونزل بهــا فاتصل به ورود عز الدين مسعود اخي سيف الدين صاحب الموصل نجدة للملك الصالح وكان سبب وروده ان جماعة من امراء حلب لما كان

السلطان نازلاً على حلب اجمعوا آرائهم وكاتبوا سيف الدين والزموه نجدة ابن عمه واخبروه ان السلطان متى ملك حلب لم يكن له قصد الا الموصل وارسلوا بذلك امين الدين هاشماً خطيب حلب وقطب الدين ينال بن حسان وغرس الدين قليج وكان سيف الدين منازلا بسنجار وفيها اخوه عماد الدين قد اظهر الانتماء الى السلطان فانجده السلطان بقطعة من جيشه فكسرهم ونهبهم عماد الدين بهم وبعسكره فلما وصلت رسالة الحلبيين الى سيف الدين صالح اخاه عماد الدين وحشد عسكره وانفذ يجيبهم مع اخيه عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فاغتنم الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا وخرجوا جميعاً حتى خيموا على حماة واخذوا في حصارها واتصل بالسلطان ذلك فرحل من بعلبك الى حمص وبلغ عز الدين فعاد عن حماة ونزل قريباً من جباب التركمان الى جهة العاصى الى قريب من شيزر وارسل النائب بحماة علي بن ابى الفوارس يقول له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع اوزار القتال وسأله مكاتبة السلطان فيما يجمع الكلمة ويلم شعث الفرقة فكتب ابن ابي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم ابو صالح ابن العجمى وسعد الدين كمشتكين لطلب الصلح فاجابهما السلطان الى الى ما ارادا وتقرر على انه يرد اليهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون نائباً للملك الصالح فلما عاين سعد الدين اجابة السلطان الى الصلح والنزول عن جميع الحصون التى اخذها حمص وحماة وبعلبك طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الأقتراح وطلب الرحبة واعمالها فقال هي لابن عمي ولا سبيل الى اخذها فقام سعد الدين من بين يديه نافرا وكان ذلك برأى ابي صالح ابن العجمي لأنه كان معه فاجتهد السلطان به ان يرجع فلم يفعل وخرج

الى عز الدين مسعود وكان بعد نازلا على حماة وحدثه مادار بينه وبين السلطان وهون عليه ابو صالح امر السلطان واخبره بقلة من معه وكان السلطان لما كوتب في امر الصلح سار فى خف من اصحابه فلما علموا بذلك طمعوا فى جانبه وعولوا على لقائه وانتهاز الفرصة فى امره فكاتب باقى اصحابه واستعد لحربهم وسار الى ان نزل على قرون حماة واخذ في مدافعة الايام حتى يقدم عليه باقي عسكره وراسلهم فى التلطف للأحوال فلم ينجع فيهم حال وكانوا فى كل يوم يعزمون على لقائه وقتاله فيبطل عزيمتهم بمراسلة يفتعلها تسويفاً للاوقات وتقطيعاً للزمان حتى يقدم عليه عسكره وكانت هيبته قد ملأت صدور القوم ولولا ذلك لكانوا قد ناهزوا الفرصة ونالوا منه الغرض قال وفي يوم الاحد تاسع عشر رمضان التقوا ولم يكن بعد قد وصل للسلطان من عسكره احد فتجمع اصحاب السلطان كردوساً واحداً واخذوا يجولون يمنة ويسرة ويدافعون الاوقات رجاءان يتصل بهم بعض العسكر وضرى عسكر حلب والعسكر الموصلي على اصحاب السلطان حين شاهدوا قلتهم واجتماعهم وكاد اصحاب السلطان يولون الادبار فوصل تقي الدين عمر عند الحاجة اليه لتمام السعادة للسلطان فانه لو تأخر ساعة لانكسر عسكره فوصل تقي الدين في عسكر مصر وجماعة من الامراء وهم غير عالمين بالحرب وقيامها فلما رأوا الناس فى الكر والضرب والهبر حملوا جميعا بعد ان افترقوا فى الميمنة والميسرة فصدموا عسكر الموصل صدمة ضعضعتهم وكان السلطان في هذه المدة قد كاتب جماعة من عسكرهم واستفسدهم اليه وحمل اليهم الأموال وهذا هو الذى ابطأ بهم الى ان وصلت عساكره والا فلو كان عسكر حلب نصح لم يقدر السلطان على الثبوت ساعة فلما اشتد القتال لم ينصح الجماعة التي كاتبها السلطان بل كانوا مثبطين مخوفين لمن قرب منهم ثم

انهم بعد ذلك انهزموا وتبعهم عسكر السلطان واستباحوا اموالهم وخيامهم وامر السلطان اصحابه ان لا يوغلوا فى طلبهم ولا يقتلوا من رأوه منهزما ولا يدففوا على جريح ورحل حتى نزل فى منزلتهم ثم سار من وقته مجدا حتى نزل بمرج قراحصار ولم يزل هناك حتى عيد عيد الفطر فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وان يقر الملك الصالح على مافى يده وما هو جار تحت حكمه من الشام الأسفل الى بلد حماة فلم يرض بذلك فجعلوا له مع حماة المعرة وكفرطاب فرضي بذلك وحلف على نسخة رأيتها وعليها خطه قال وكان فى جملة اليمين انه متى قصد الملك الصالح عدو حضر بنفسه وجيوشه ودافع عنه وان لا يغير الدعاء له من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولايته وولاية اصحابه وان تكون السكة بأسمه ولما حلف السلطان والملك الصالح وامراؤه عاد السلطان قاصداً دمشق فلما وصل الى حماة وصلت اليه رسل الخليفة المستضيء ومعهم التشريفات الجليلة والأعلام السود وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام وفى هذه الخلع يقول ابن سعدان الحلبي

يا ايها الملك الغزير فضله * لقد غدوت بالعلى مليا
كفى امير المؤمنين شرفا * انك اصبحت له وليا
طارحك الود على شحط النوى * فكنت ذاك الصادق الوفيا
اولاك من لباسه زخرفة * لم يولها قبلك آدميا
ناسبت الروض سنا وبهجة * حتى حكته رونقا وريا

(سنة ٥٧١)

الحرب بين السلطان صلاح الدين و بين سيف الدين غازي

صاحب الموصل وانهزام هذا منه واستيلاء الصلاح على منبج

ثم اعزاز ثم محاصرته لحلب والصلح بينه وبين الملك الصالح
اسماعيل بن نور الدين واهداءه اعزاز الى ابنة نور الدين

قال فى الروضتين في حوادث هذه السنة قد سبق ذكر الصلح الذى جرى بين السلطان والحلبيين فلما سمع المواصلة عتبوا عليهم ووبخوهم ونسبوهم الى العجلة في ذلك وسلوك غير طريق الحزم فحملوهم على النقض والنكث وانفذوا من اخذ عليهم المواثيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ للمواصلة من السلطان عهده ويكشف ايضاً ماعنده فلما خلا به طالبه السلطان بنسخة الرأي فغلط واخرج من كمه نسخة يمين الحلبيين لهم وناولها اياه فتأملها واخفى سره وما ابداه واطلع على ما اتفقوا عليه وردها اليه وقال لعلها قد تبدلت فعرف الرسول انه قد غلط ولم يمكنه تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلف الحلبيون للمواصلة ومن شرط ايمانهم انهم لايعتمدون امراً الا بمراجعتهم لنا واستئذانهم وعرف من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفاء مرفوض وشاع الخبر عن المواصلة بالخروج في الربيع فكتب السلطان الى اخيه العادل وهو نائبه بمصر يعلمه بذلك ويأمره ان يأمر العساكر بالاستعداد للخروج في شعبان قلت وفي كتاب فاضلي جايل الى بغداد عن السلطان [يطالع بان الحلبيين والموصليين لما وضعوا السلاح وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد ان كانت البلاد في ايدينا على استخدام عسكر الحلبيين في البيكارات الى الكفر وعرضنا عليهم الامانة فحملوها والايمان فبذلوها وسار رسولنا وحلف صاحب الموصل بمحضر من فقهاء بلده وامراء مشهده يمينا جعل الله فيها حكما وضيق في نكثها المجال على من كان حنيفاً مسلما وعاد رسوله ليسمع منا اليمين فلما حضر واحضر نسختها اومأ بيده ليخرجها فاخرج نسخة يمين كانت بين الموصليين والحلبيين مضمونها الاتفاق على حزبنا

والتداعي الى حربنا والتساعد على ازالة خطبنا والاستنفار لمن هو على بعدنا وقربنا وقد حلف بها كمشتكين الخادم بحلب وجماعة معه يميناً نقضت الأولى فرددنا اليمين الى يمين الرسول وقلنا هذه يمين عن الايمان خارجه واردت عمراً واراد الله خارجه وانصرف الرسول عن بابنا وقد نزهنا الله ان يكون اسمه معرضا للحنث العظيم والنكث الذميم وعلمنا ان الناقد بصير والآخذ قدير والمواقف الشريفة النبوية اعلاها الله مستخرجة الاوامر الى الموصلى اما بكتاب مؤكد بان لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه واما ان تكون الفسحة واقعة لنا فى تضييق خناقه] اه ثم قال ابن شداد [فى السيرة الصلاحية] لما وقعت الوقعة الأولى مع الحلبيين والمواصلة كان سيف الدين صاحب الموصل على سنجار يحاصر اخاه عماد الدين يقصد اخذها منه ودخوله فى طاعته وكان اخوه قد اظهر الانتماء الى السلطان صلاح الدين واعتصم بذلك واشتد سيف الدين في حصار المكان وضربه بالمنجنيق حتى انهدم من سوره ثلم كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه وقوع هذه الوقعة فخاف ان يبلغ ذلك اخاه فيشد امره ويقوى جأشه فراسله في الصلح فصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار حتى اتى الفرات وعبر بالبيرة وخيم على جانب الفرات الشامي وارسل كمشتكين اليه وجرت مراجعات كثيرة عزم فيها على العود مراراً حتى استقر اجتماعه بالملك الصالح وسمحوا به وسار ووصل حلب وخرج الصالح الى لقائه بنفسه فالتقاه قريب القلعة واعتنقه وضمه اليه وبكى ثم امره بالعود الى القلعة فعاد اليها وسار هو حتى نزل بعين المباركة واقام بها مدة وعسكر حلب يخرج الى خدمته فى كل يوم وصعد جريدة واكل فيها خبزاً ونزل وسار راحلا الي تل السلطان ومعه جمع كبير واهل ديار بكر والسلطان رحمه الله قد انفذ في

طالب العساكر من مصر وهو يرقب وصولها وهؤلاء يتأخرون في امورهم وتدابيرهم وهم لايشعرون ان في التأخير تدميرا حتى وصل عسكر مصر فسار رحمه الله حتى اتى قرون حماة فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اليزك ووجهوا من كشف الاخبار فوجدوه قد وصل جريدة الى جباب التركمان وتفرق عسكره يسقى فلو اراد الله نصرتهم لقصدوه في تلك الساعة لكن صبروا عليه حتى سقى خياله هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعبية القتال واصبح القوم على مصاف وذلك بكرة الخميس العاشر من شوال فالتقى العسكران وتصادما وجرى قتال عظيم وانكسرت ميمنة السلطان بأبن زين الدين بن مظفر الدين فانه كان في ميمنة سيف الدين وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعاً عظيما من كبار الامراء منهم الأمير فخر الدين عبد المسيح فمن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فاخذ منها خزانته وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده وامسك هو رحمه الله عن تتبع العسكر ونزل فى بقية ذلك اليوم في خيم القوم فأنهم كانوا قدابقوا الثقل على ماكان عليه والمطابخ قد عملت ففرق الاصطبلات ووهب الخزائن واعطى خيمة سيف الدين لعز الدين فرخشاه اه

ثم نقل في الروضتين ما ذكره العماد الكاتب فى كتاب البرق الشامى في تاريخ الدولة الصلاحية فى هذه الوقعة فقال

قال العماد رحلنا في شهر رمضان من دمشق مستأنفين فعبرنا العاصى لله طائعين والى المسار مسارعين فما عرجنا على البلد ولا انتظرنا ماوراءنا من مدد ونزلنا الغسلة وجزنا حماة وخيمنا في مرج بوقبيس وجاء الخبر انهم في عشرين الف فارس سوى سوادهم وما وراءهم من امدادهم [سيأتيك مافيه نقلا عن ابن الأثير] وانهم موعودون من الفرنج بالنجدة وانهم يزيدون في كل يوم قوة

وشدة وما كان اجتمع من عسكرنا سوى الف فارس فرتب السلطان عسكره
وقوى بقوة قلبه قلبه وامد الله بجزب ملائكته حزبه ولما وصل المواصلة الى
حلب اطلقوا من كان في الأسرى من ملوك الفرنج منهم ارناط ابرنس الكرك
وجوسلين خال الملك وقرروا معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما
عيدنا وصل الى السلطان الخبر بوصولهم الى تل السلطان فعبرنا العاصي عندشيزر
ورتبنا العسكر واعدنا الأثقال الى حماة ثم وصف الوقعة الى ان قال وركب
السلطان اكتافهم فشل مثيهم وآلافهم حتى اخرجهم من خيامهم واشرقهم بمائهم
ووكل بسرداق سيف الدين غازى ومضاربه ابن اخيه فرخشاه وركض وراءه
حتى علم انه تعداه ووقع في الأسر جماعة من الأمراء المقدمين ثم من عليهم
بالخلع بعد ان تقاهم الى حماة واطاقهم ثم نزل في السرادق السيفى فتسلمه بخزائنه
ومحاسنه واصطبلاته ومطابخه وروادي عزه ورواسخه فبسط في جميع ذلك ايدي
الجود وفرقها على الحضور والشهود وابقى منها نصيبا للرسل والوفود ورأى
في بيت الشراب في السرادق الخاص طيورا من القماري والبلابل والهزاروالبيغا
في الأقفاص فاستدعى احد الندماء مظفر الأقرع فآنسه وقال خذ هذه الأقفاص
واطلب بها الخلاص واذهب بها الى سيف الدين فأوصلها اليه وسلم منا عليه
وقل له عد الى اللعب بهذه الطيور فهى سليمة لا توقعك في مثل هذا المحذور وقال
ولما كسر القوم ولوا مدبرين الى حلب فلم يقف بعضهم الى بعض وظنوا ان
العساكر وراءهم ركضا وراء ركض فتبعجت خيولهم وتموجت سيولهم وما صدقوا
كيف يصلون الى حلب ويغلقون ابوابها ويسكنون اضطرابها واما سيف الدين
فأنه ركض في يومه من تل السلطان الى بزاعة وجاوز فى سوقه الأستطاعة وفرق
وفارق الجماعه اهـ

وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة في اثناء الكلام علي هذه الوقعة . سار صلاح الدين من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فألقوا نفوسهم الى الأرض ليس فيهم حركة فأشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجي فى هذه الساعة غدا بكرة نأخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبر للعسكر السيفي اعلامهم في وهدة من الأرض لايراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا لم يلو اخ على اخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب فنزل وترك بها اخاه عز الدين مسعودا فى جمع من العسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لايصدق انه ينجو (ثم قال) وقد ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامى في تاريخ الدولة الصلاحية ان سيف الدين كان عسكره في هذه الوقعة عشرين الف فارس ولم يكن كذلك انما كان على التحقيق يزيدون على ستة الآف فارس اقل من خمسمائة فأننى وقفت على جريدة العرض وترتيب العساكر المصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولي لذلك والكاتب له اخى مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله وانما قصد العماد ان يعظم امر صاحبه بأنه هزم بستة آلاف عشرين الفا والحق احق ان يتبع ثم ياليت شعري كم هي الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون ألف فارس اه

اقول وفي قوله انه لم يقتل سوى رجل واحد نظر لما سيأتيك عن ابن ابى طي

وقال فى الروضتين قال ابن ابى طي فى وصف هذه الوقعة ان ميسرة سيف الدين انكسرت فتحرك الى جانبها ليكون رداً لها ومددا فظن باقي العسكر انه قد انهزم فانهزموا لحقق ما كان وهما فسار على وجهه لايلوى على شيء وتبعهم السلطان فهلك منهم جماعة قتلا وغرقا واسر جماعة كثيرة من وجوههم وامرائهم ثم رجع وامر اصحابه برفع السيف على الناس وترك التعرض لمن وجد منهم بقتل او نهب وفرق ما وجد في خزائن سيف الدين وسير جواريه وحظاياه الى حلب وارسل اليه بالأقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها الذ من مقاساة الحرب ووجد السلطان عسكر الموصل كالحانة من كثرة الخمور والبرابط والعيدان والجنوك والمغنين والمغنيات قال واشتهر انه كان مع سيف الدين اكثر من مائة مغنية وان السلطان ارى ذلك لعساكره واستعاذ من هذه البلية وكان انفذ الأمراء الذين اسرهم الى حماة ثم ردهم وخلع عليهم وارسلهم الى حلب

ثم قال قال ابن ابي طي واما سيف الدين فأنه امتدت به الهزيمة الى بزاعة فأقام بها حتى تلاحق به من سلم من اصحابه ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار الى الموصل وصار باقى عسكر حلب الى حلب في سابع شوال (تقدم عن ابن شداد ان الوقعة كانت فى عاشر شوال فلعله كانت في ثالثه ووصول المنهزمين الى حلب فى سابعه وما في ابن شداد سهو من النساخ) في اقبح حال واسوءه عراة حفاة فقراء يتلاومون على نقض الأيمان والعهود وخاف اهل حلب من قصد السلطان لهم فأخذوا في الأستعداد للحصار وجاء السلطان وخيم عليها اياما ثم قال الرأي ان نقصد ماحولها من الحصون والمعاقل والقلاع فنفتحهافأنا اذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهان امرها فصوبوا رأيه فنزلوا على بزاعة

فتسلمها بالأمان وولاها عز الدين خشترين الكردي وكان ذلك في الثانى والعشرين من شوال ثم فتح منبج في التاسع والعشرين منه وكان فيها الأمير قطب الدين ينال بن حسان والسلطان لا ينال به احسان بل كان في جر عسكر الموصل اليه اقوى سبب ولا يحاذقه ولا يحفظ معه شرط ادب ويواجهه بما يكره فسلم القلعة بما فيها وقوم ما كان سلمه بثلثمائة الف دينار منها عين ونقود ومصوغ ومطبوع ومصنوع ومنسوج وغلات. وسامه على ان يخدم فأبى وانف وكبرت نفسه فتمب سره وذهب ما جمعه ومضى الى صاحب الموصل فأقطعه الرقة فبقي فيها الى ان اخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين .

ثم قال قال ابن ابي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم الحصن صعد اليه وجلس يستعرض اموال ابن حسان وذخائره فكان في جملة امواله ثلثمائة الف دينار ومن الفضة والآنية الذهبية والأسلحة والذخائر ما يناهز الفي الف دينار لخان من السلطان التفاتة فرأى على الاكياس والآنية مكتوبا يوسف فسأل عن هذا الأسم فقيل له ولد يحبه ويؤثره اسمه يوسف كان يدخر هذه الأموال له فقال السلطان انا يوسف وقد اخذت ماخبئ لي فتعجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منبج نزل على اعزاز ونصب عليها عدة مجانيق وجد في القتال وبذل الأموال قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز وهو حصن منيع رفيع فحاصره ثمانية وثلاثين يوما وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرنج فأن الغيظ حملهم على مهادنة الفرنج واطلاق ملوكهم الذين تعب نور الدين رحمه الله في اسرهم فرأى السلطان ان يحتاط على المعاقل ويصونها صون العقائل فتسلمها حادي عشر ذى الحجة بعد مدة حصارها المذكور قال واغار عسكر حلب على عسكرنا

فى مدة مقامنا على عزاز فأخذوا على غرة وغفلة ماتعجلوه وعادوا فركب اصحابنا في طلبهم فما ادركوا الا فارسا واحدا فأمر السلطان بقطع يده بحكم جرده فقلت للمأمور وذلك بمسمع من السلطان تمهل ساعة لعله يقبل مني شفاعة ثم قلت هذا لايحل وقدرك بل دينك عن هذا يجل وما زلت اكرر عليه الحديث حتى تبسم وعادت عاطفته ورحم وامر بحسبه وسرنى سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن اسد الدين وقال ما هذا الفشل والونا وان سكتم انتم فما اسكت انا ودمدم وزمجر وغضب وزأر وقال لم لايقتل هذا الرجل ولما ذا اعتقل فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غضبه وتعطفه وتلا عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى واطلق سراحه وتم في نجانه نجاحه اه

(ذكر وثوب الحشيشية على السلطان صلاح الدين)

مرة ثانية قصد اغتياله

قال فى الروضتين كانت الوثبة الأولى عليه وهو على حلب وقد تقدم وهذه كانت حادى عشر ذى القعدة وهو على اعزاز يحاربها وكان للأمير جاولى الأسدى خيمة قريبة من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الآلات وترتيب المهمات وحض الرجال والحث على القتال ثم قال قال ابن ابي طي لما فتح السلطان حصن بزاعة ومنبج ايقن من بحلب بخروج مافي ايديهم من المعاقل والقلاع فعادوا الى عادتهم فى نصب الحبائل للسلطان فكاتبوا سنانا صاحب الحشيشية [هو من الاسماعيلية وكان مقامه فى مصيات بلدة صغيرة بالقرب من حماة وهي الآن من اعمالها ولازال سكانها من الاسماعيلية] مرة ثانية ورغبوه بالأموال والمواعيد وحملوه على انفاذ من يفتك بالسلطان فارسل لعنه الله من

اصحابه فجاؤا بزي الأجناد ودخلوا بين المقاتلة وباشروا الحرب وابلوا فيها احسن البلاء وامتزجوا باصحاب السلطان لعلهم يجدون فرصة ينتهزونها فبينما السلطان يوماً جالسا في خيمة جاولى [وقد قدمنا اسباب جلوسه فيها] والحرب قائمة والسلطان مشغول بالنظر الى القتال اذوثب عليه احد الحشيشية وضربه بسكين على رأسه وكان رحمه الله محترزا خائفا من الحشيشية لاينزع الزردية عن بدنه ولاصفائح الحديد عن رأسه فلم تصنع حربة الحشيشي شيئاً لمكان صفائح الحديد واحس الحشيشي بصفائح الحديد على رأس السلطان فمد يده بالسكينة الى خد السلطان فجرحه وجرى الدم على وجهه فتتعتع السلطان لذلك ولما رأى الحشيشي ذلك هجم على السلطان وضرب رأسه ووضعه على الأرض وركبه ليجره وكان من حول السلطـان قد ادركهم دهشة اخذت بعقولهم وحضر في ذلك الوقت سيف الدين با زكوج وقيل انه كان حـاضرا فاخترط سيفه وضرب الحشيشي فقتله وجاء آخر من الحشيشية ايضا يقصد السلطان فاعترضه الأمير منكلان الكردي وضربه بالسيف وسبق الحشيشي الى منكلان فجرحه في جبهته وقتله منكلان ومات منكلان من ضربة الحشيشي بعد ايام وجاء آخرمن الباطنية فحصل في سهم الأمير علي بن ابي الفوارس فهجم على الباطني ودخل الباطني فيه ليضربه فاخذه علي تحت ابطه وبقيت يد الباطني من ورائه لايتمكن من ضربه فصاح علي اقتلوه معي واقتلوني معه فجاء نـاصر الدين محمد بن شيركوه فطعن بطن الباطني بسيفه ومازال يخضخضه فيه حتى سقط ميتاً ونجا ابن ابي الفوارس وخرج آخر من الحشيشية منهزماً فلقيه الأمير شهاب الدين محمود خال السلطان فنكب الباطني عن طريق شهاب الدين فقصده اصحابه وقطعوه بالسيف واما السلطان فانه ركب من وقته الى سرادقه ودمه سائل على خده واخذ من ذلك الوقت

فى الاحتراس والاحتراز وضرب حول سرادقه برجاً من الخشب كان يجلس فيه وينام ولا يدخل عليه الا من يعرفه وبطلت الحرب في ذلك اليوم وخاف الناس على السلطان واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فألجأت الحال الى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر وعاد الى خيمته واخذ فى قتال عزاز فقاتلها مدة ثمانية وثلاثين يوما حتى عجز من كان فيها وسألوا الأمان فتسلمهاحادى عشر ذى الحجة وصعداليها واصلح ماتهدم منها ثم اقطعها لأبن اخيه تقى الدين عمر وكانت عزاز اولاً للجفنية غلام نور الدين فلما ملك السلطان منبج اخذها منه الملك الصالح وقواها لعله يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك ولما فرغ السلطان من امر عزاز حقد على من بحلب لما فعلوه من امر الحشيشية فسار حتى نزل على حلب خامس عشر ذي الحجة وضربت خيمته على رأس الياروقية فوق جبل جوشن (هى قرية الانصاري) وجبى اموالها واقطع ضياعها وضيق على اهلها ولم يفسح لعسكره في مقاتلتها بل كان يمنع ان يدخل اليها شيء او يخرج منها احد وكان سعدالدين كمشتكين فى حارم وكانت اقطاعه فى يد نوابه وكان انتزعها من يد اولاد الداية بعد ان عصى نائبها وكان سبب خروجه اليها ان السلطان لما نزل على اعزاز خاف كمشتكين ان ينتقل منها الى حارم لخروج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم كمشتكين على كونه خارجاً في حارم وخاف ان يجري بين السلطان وبين الأمراء الحلبيين صلح فلا يكون فيه ذكر ولا اسم فراسل السلطان يتلطف معه الحال ويقول لو فسح لى في الدخول الى حلب لسارعت في الخدمة واصلحت الأمر على ما يرومه السلطان وراسل ايضا الملك الصالح والأمراء بحلب يقول لهم قد حصلت خارجا وقد بلغنى امور ولابد من طلبي من الملك

الناصر ليأذن لى فى الصيرورة اليكم فأن الذى قد حصل عندى لايمكننى الكلام فيه فراسل الملك الصالح في الأذن له فى الدخول الى حلب فأذنوا له وطلبوا الرهائن منه فأنفذ السلطان اليهم رهينة شمس الدين ابن ابى المضا الخطيب والعماد كاتب الأنشاء وانفذوا من حلب الى السلطان رهينة بنصرة الدين بن زنكى و العماد الكاتب قال لما حصلنا داخل حلب اخذنا برأي العدل ابن العجمى وجعلنا في بيت ومنع مناغلماننا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبتنا فى انكد عيش وفى تلك الليلة دخل كمشتكين الى حلب فلما اصبحوا احضرت انا وابن ابى المضا الى مجلس الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عزالدين مسعود بن مودود وجماعة من ارباب الدولة وكان صاحب الكلام العدل ابن العجمى فأخذ يتحدث بلثغته ويترجم بلكنته ويضرب صفحا عنى ويوهم الجماعة انى وانى

وما درى الغمر بأنى امرؤ * اميز التبر من الترب

قد عارك الأهوال حتى غدا * بين الورى كالصارم العضب

قد راضه الدهر فلو امه * بخطبه ساريع للخطب

قال وعرضت نسخة اليمين علينا وصرفنا ولم يلتفت الينا فلما صار الى السلطان واخبره بما جرى في حقهما من الهوان علم ان ذلك كان حيلة عليه حتى دخل كمشتكين الى حلب فاطلق نصرة الدين وقاتل اهل حلب ولم يزل منازلا لحلب الى انسلاخ سنة احدى وسبعين .

سنة ٥٧٢

﴿ ابقاء حلب واعمالها للملك الصالح ﴾

قال في الروضتين دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة والسلطان مقيم بظاهر

حلب تعرف اهلها ان العقوبة اليمة والعاقبة وخيمة فد خلوا من باب التذلل ولاذوا بالتوسل وخاطبوا في التفضل وطلبوا الصلح فاجابهم وعفا وعف وكفي وكف وابقى للملك الصالح حلب واستقرى كل عثرة لهم واقالها واراد له الاعزاز فرد له عزاز وقال ابن شداد اخرجوا اليه ابنة لنور الدين صغيرة سألت منه عزاز فوهبها اياها قال ابن ابى طي لما تم الصلح وانعقدت الأيمان عول الملك الصالح على مراسلة السلطان وطلب عزاز منه فاشار الأمراء عليه بانفاذ اخته وكانت صغيرة فاخرجت اليه فاكرمها السلطان اكراما عظيما وقدم لها اشياء كثيرة واطلق لها قلعة عزاز وجميع ما فيها من مال وسلاح وميرة وغير ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح اخته الخاتون بنت نور الدين الى صلاح الدين في الليل فدخلت عليه فقام قائما وقبل الأرض وبكى على نور الدين فسألت ان يرد عليهم عزاز فقال سمعا وطاعه فأعطاها اياها وقدم لها من الجواهر والتحف والمال شيئاً كثيرا وانفق مع الملك الصالح ان له من حماة وما فتحه الى مصر وان يطلق الملك الصالح اولاد الداية (وقد تقدم ذكر حبسهم في جب القلعة (قال العماد وحلفوا له على كل ما شرطه واعتذروا عما اسخطه وكان الصلح عاماً لهم ولله واصلة واهل ديار بكر وكتب فى نسخة اليمين انه اذا غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف كان الباقون عليه يداً واحدة وعزيمة متعاقدة حتى يفيْ الى الوفاء والوفاق ويرجع الى مرافقة الرفاق اه ثم توجه السلطان صلاح الدين من حلب الى حصن مصياث وبعد ان اخذ ثاره من سنان الأسماعيلي توجه الى دمشق ثم الى مصر وبسط فى الروضتين الكلام في ذلك

☆☆☆

سنة ٥٧٣

ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم

قال ابن الأثير في هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولى لأمر دولته الحاكم فيها وسبب قبضه انه كان بحلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح بن العجمى وكان مقدما عند نور الدين فلما مات نور الدين تقدم ايضا فى دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة اتباعه بحلب وصار كل من كان يحسد كمشتكين انضم الى ابى صالح وقووا جنانه وكثروا سواده وكان عنده اقدام وجرأة فصار واحد الدولة بحلب ومن يصدر الجماعة عن رأيه وامره فبينما هو فى بعض الأيام فى الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بعده سعد الدين وقوى حاله فلما قتل احال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجز وانه ليس له حكم وان سعد الدين قد تحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه وكانت حارم لسعد الدين قد اقطعه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه وتحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الأستظهار ليأمر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فأمرهم بذلك فامتنعوا فعذب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب واصر اصحابه على الأمتناع والعصيان فلما رأى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة فى جمادى الأولى على ما نذكره ظنا منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبى قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مدة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم

فلم يزالوا كذلك الى بذل لهم الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما يسلم القلعة من بها اليه فأجابوه حينئذ الى الرحيل عنها فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشاً لحصروها وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصاروا كانهم طلائع وكان قد قتل من اهلها وجرح كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكا كان لأبيه اسمه سرخك اه

سنة ٥٧٥

ذكر محاصرة قليج ارسلان لرعبان ثم انهزامه من تقى الدين عمر

قال فى الروضتين قال ابن ابى طي اتصل بالسلطان صلاح الدين ان قليج ارسلان قد طمع في اخذ رعبان وكيسون فلما دخل دمشق وصله رسوله يطلبهما منه ويدعى ان نور الدين بن زنكى اغتصبهما منه وان الملك الصالح قد انعم عليه فاغتاظ السلطان وزجر الرسول وتوعد صاحبه فعاد الرسول واخبر قليج ارسلان فغضب وسير عسكرا الى رعبان لحاصرها وسمع السلطان فندب تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس فسار فلما قارب رعبان اخذ معه جماعة من اصحابه مقدار مائتى فارس وتقدم عسكره وسار حتى اشرف على عسكر قليج ارسلان ليلا فرآهم وقد سدوا الفضاء وهم قارون آمنون وادعون فقال تقى الدين لأصحابه هؤلاء على ما ترون من الطمأنينة والأمن والغفلة وقد رأيت ان نحمل الساعة فيهم بعد ان نتفرق في جوانب عسكرهم ونصيح فيهم فانهم لايثبتون لنا فأجابوه الى ذلك فانفذ واحدا من اصحابه الى باقى عسكره وامرهم ان يتفرقوا اطلابا وان يجعل في كل طلب قطعة من الكوسات والبوقات فاذا سمعوا الضجة ضربوا

بكوساتهم وبوقاتهم وجدوا في السير حتى يلحقوا به ففعلوا ما امرهم ثم انه حمل
في عسكر قليج ارسلان وخرج اصحابه في جوانبه وكان عدة عسكر قليج ارسلان
ثلاثة الآف فارس فلما سمعوا الضجة وحس الكوسات والبوقات وشدة وقع
حوافر الخيل وجلبة الرجال واصطكاك اجرام الحديد هالهم ذلك وظنوا ان
قد فوجئوا بعالم عظيم فلم يكن لهم الاان جالوا في كواثب خيولهم عريا وطلبوا
النجاة واخذتهم السيوف فتركوا خيامهم واثقالهم بحالها واكثر تقي الدين فيهم
القتل والاسر وحصل على جميع ماتركوه فلما اصبح جمع المأسورين ومن عليهم
بأموالهم وكراعهم وسرحهم الى بلادهم اه

وقال في الروضتين قال ابن ابي طي وفيها احرق الأسماعيلية اسواق حلب وافتقر
اهلها بذلك وكانت احدى الجوائح التي اصابت حلب واهلها اه

سنة ٥٧٦

﴿ ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمني ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمني بعد
فراغه من امر قليج ارسلان وسبب ذلك ان ابن ليون الأرمني كان قد استمال
قوما من التركمان وبذل لهم الأموال فأمرهم ان يرعوا مواشيهم في بلاده وهي
بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها صعب لأنها مضايق وجبال
وعرة ثم غدر بهم وسبى حريمهم واخذ اموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم
من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الأسود وبث الغارات على بلاده
فخاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخربه واحرقه فسمع
صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر

واقوات ففتحها وانتفع المسلمون بما غنموه فأرسل ابن لميون يبذل اطلاق من عنده من الأسرى والسبي واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فأجابه صلاح الدين الى ذلك واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الآخرة اهـ

سنة ٥٧٧

(ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين)

قال في الروضتين قال ابن شداد كان مرضه بالقولنج وكان اول مرضه في تاسع رجب وفي الثالث والعشرين منه اغلق باب قلعة حلب لشدة مرضه واستدعى الأمراء واحداً واحداً واستحلفوا لعز الدين صاحب الموصل وفي الخامس والعشرين منه توفي رحمه الله وكان لموته وقع عظيم فى قلوب الناس. وقال ابن ابي طي كان سبب موته ان علم الدين سليمان بن جندر سقاه سما فى عنقود عنب وهو في الصيد وقيل الذى سقاه ياقوت الاسدى فى شراب وقيل انه اطعمه خشكنا نكة وهو فى الصيد قال ودفن بالمقام الكبير الذى فى القلعة وحزن الناس له حزنا عظيما وكان من احسن الناس صورة واليقهم اعطافا قلت وبلغنى انه كان يقال ان موت الملك الصالح صغيرا كان من كرامات نور الدين رحمه الله فانه سأل الله تعالى ان لايعذب شيئاً من اجزائه بالنار وولده جزؤه فمات قبل ان يطول عمره على احسن سيرة وحالة رحمهما الله. قال ابن الأثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء خمرا تداويا بها فقال لاافعل حتى استفتى الفقهاء وكان عنده علاء الدين الكاساني [صاحب كتاب بدائع الصنائع] الفقيه الحنفي بمنزلة كبيرة يعتقد فيه اعتقادا حسنا ويكرمه فاستفتاه فافتاه بجواز شربها فقال

له ياعلاء الدين ان الله سبحانه وتعالى قد قرب اجلي ايؤخره شرب الخمر قال لا والله قال والله لالقيت الله تعالى وقد استعملت ماحرمه علي قلت (القائل صاحب الروضتين) يحتمل انه ذكر له ان من العلماء من ذهب الى جواز ذلك لانه كان يري ذلك فأن مذهبه بخلافه والله اعلم

ثم قال ابن الأثير فلما ايس من نفسه احضر الأمراء كلهم وسائر الأجناد واستحلفهم لأبن عمه اتابك عز الدين وامرهم بتسليم مملكته جميعها اليه فقال له بعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرها من البلاد من همدان الى الفرات فلو اوصيت بحلب للمولى عماد الدين ابن عمك لكان احسن ثم هو تربية والدك وزوج اختك وهو ايضا عديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف الأعراق وطهارة الأخلاق والخلال التي تفرد بها فقال إن هذا لم يغب عني ولكن قد علمتم تغلب صلاح الدين على عامة بلاد الشام سوى مابيدى ومعي فأن سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها من صلاح الدين فأن ملكها صلاح الدين فلا يبقى لأهلنا معه مقام واذا سلمتها الى عز الدين امكنه ان يحفظها لكثرة عساكره وبلاده وامواله فاستحسن الحاضرون قوله وعلموا صحته وعجبوا من جودة رأيه مع شدة مرضه ومن اشبه اباه فما ظلم . وفي مختصر تاريخ الذهبي كان تدبير امر حلب الى والدة الملك الصالح والى شاذبخت وخالد بن القيسراني ثم ان الصالح مرض بالقولنج جمعتين ومات في رجب وتأسفوا عليه واقاموا عليه المآتم وبالغوا في النوح وكان امراً منكراً . وكان دينا عفيفا عادلا متحببا الى العامة متبعا للسنة ولم يبلغ عشرين سنة ذكر العفيف بن سكرة اليهودي وكان يطبه قال قلت له يامولانا والله شفاؤك في قدح خمر وانا احمله اليك سرا فلا نعلم والدتك ولا اللالا ولا احد فقال كنت اظنك عاقلا . نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم يقول ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها وتقول لا انت . هذا وما يؤمنني ان اشربه واموت وهو في جوفي اهـ

زاد في الزبد والضرب بعد العبارة المتقدمة والله لو قال ملك من الملائكة ان شفاءك في الخمر لما استعملته

قال ابن العديم في ترجمته كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس وكان رحمه الله قد ربي احسن تربية وكان دينا عفيفا ورعا كريما محبوبا الى قلوب الرعية لعدله وحسن طريقته ولين جانبه لهم قال لي والدي رحمه الله ان اليوم الذي مات فيه انقلبت المدينة بالبكاء والضجيج ولم ير الا باك عليه مصاب به قال لي ودفن بقلعة حلب ولم يزل قبره بها الى ان ملك الملك الناصر حلب وتسلم قلعتها فحول قبره الى الخانقاه التي انشأتها والدته تحت القلعة قال ولما حول ظهر من الناس من البكاء والتأسف كيوم مات قال ووجد من قبره عند نبشه شبيه برائحة المسك رحمه الله وحكى لي ذلك ايضا غير والدي وكان رحمه الله على صغر سنه كثير الاتباع للسنة والنظر في العواقب توفي وله من العمر ثمان عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة

قال في الزبد والضرب نقلاً عن ابن شداد انها انشأت الخانقاه المذكورة في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وانها بنت الى جانبها تربة دفنت فيها ولدها الملك الصالح

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة بعد ان ذكر نظير ما تقدم وجعلت ام الملك الصالح بها قراء عميانا ووقفت عليها البستان المعروف بالبقعة غربي حلب

ولاية عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر

من شعبان الى شوال من سنة ٥٧٧ ثم ولاية عماد الدين

زنكي بن مودود بن زنكي في المحرم من سنة ٥٧٨

قال في الروضتين لما توفي الملك الصالح ارسل دزدار حلب وهو شاذبخت وسائر

الأمراء الى اتابك عز الدين يدعونه الى حلب ليسلموها اليه فورد الخبر ومجاهد الدين قايماز قد سار الى ماردين لمهم فلقي القاصدين عندها فأخبروه الخبر فسار الاتابك مجدا فلما وصل الى المنزلة التي بها مجاهد الدين اقام معه وارسل الى حلب يستحضر الأمراء فحضروا كلهم عنده وجددوا اليمين له فسار حينئذ الى حلب ودخلها وكان يوما مشهودا ولما عبر الفرات كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربا الى مدينة حماة ونادوا بشعار اتابك وكان صلاح الدين بمصر فأشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفي غيرها من البلاد الشامية واعلموه محبة اهلها للبيت الاتابكي فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار منها الى الرقة فأقام بها وجاءه رسول اخيه عماد الدين يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ منه عوضها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين وقال ان سلمتم الي حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ الجماعة بتسليمها اليه وكان اكبرهم في ذلك مجاهد الدين قايماز فانه لج في تسليمها الى عماد الدين ولم يمكن اتابك عز الدين مخالفته لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره وبلاده فوافقه وهو كاره فسلم حلب الى اخيه وتسلم سنجار وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر وقد ايس من العود الى الشام فلما بلغه ذلك برز من القاهرة الى الشام فلما سمع اتابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسار عن الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الأمراء الأكابر مال الى صلاح الدين وعبر الفرات اليه فلما رأى اتابك ذلك لم يثق بعده الى احد من امرائه اذ كان ذلك الأمير اوثقهم في نفسه فعاد الى الموصل قال ابن شداد لما توفي الملك الصالح سارعوا الى اعلام عز الدين مسعود بن

قطب الدين بذلك وبما جرى له من الوصية اليه وتحليف الناس له فسارع سائرا الى حلب مبادرا خوفا من السلطان فكان اول قادم من امرائه الى حلب مظفر الدين بن زين الدين وصاحب سروج ووصل معهما من حلف الأمراء له وكان وصولهم في ثالث شعبان وفى العشرين منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها وذخائرها وتزوج ام الملك الصالح فى خامس شوال وعلم انه لايمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لأجل السلطان والح عليه الأمراء فى طلب الزيادات ورأوا انفسهم انهم قد اختاروه وضاق عطنه وكان صاحب امره مجاهد الدين قايماز وكان ضيق العطن لم يعتد مقاساة امر الشام فرحل من حلب طالب الرقة وخلفه ولده ومظفر الدين ابن زين الدين بها فاتى الرقة ولقيه اخوه عماد الدين عن قرار بينهما واستقر مقايضة حلب بسنجار وحلف عز الدين لأخيه عماد الدين على ذلك فى حادى عشرى شوال وسار من جانب عماد الدين من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين صعد عماد الدين الى قلعة حلب اه. قال في الروضتين قال العماد كان قصد السلطان صلاح الدين اصلاح حال الملك الصالح وانه القائم مقام ابيه فصده عنه مماليكه فأخذت بلاده بلجاجهم ومرضت دولته لسوء علاجهم فاقتنع بحلب الى ان توفي ووصل ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل الى حلب فجمع ظاهره وباطنه واخذ خزائنه ودفائنه واخلى كنائنه ثم عرف انه لايستقر بها امر فرغب اخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فى تعويضها له بحلب فمال الي بذله ورغب

ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومسير صاحبها مع صلاح الدين

قال ابن الأثير كانت قلعة البيرة وهي مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الأرتقى وهو ابن عم قطب الدين ايلغازى بن البي بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده وصار في طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب ماردين الى عز الدين يطلب منه ان يأذن له في حصر البيرة واخذها فأذن له فى ذلك فسار عسكره الى قلعة سميساط وهي له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطائل الا انهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحل العسكر المازدانى عنه ويكون هو فى خدمته كما كان ابوه فى خدمة نور الدين فأجابه الى ذلك وارسل رسولا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من امر الفرنج فلما رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضا امرهم بالرحيل عنها وعادوا الى ماردين فسار صاحبها (ابن شهاب الدين الأرتقى) الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاءالله تعالى

﴿ سنة ٥٧٨ ﴾

ذكر خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية

ومجيئه الى الديار الحلبية واستيلائه على البلاد الجزرية

قال في الروضتين لما سمع السلطان في مصر بمرض الملك الصالح اسماعيل بن نور

الدين كتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر وهو يتولى له المعرة وحماة وامره بالتأهب للنهوض وكتب الى ابن اخيه عز الدين فرخشاه وهو نائبه بدمشق يأمره بتنفيذ عسكر الى جهة اخيه تقي الدين على اظهار قاعدة النظر في القضية الحادثة بين ديار بكر وابن قرا ارسلان والتوجه لفصلها قال [فيكون ظاهر حركة العسكر لهذا السبب المتقدم وباطنها لهذا السبب المتأخر وقد كوتب الولد تقي الدين ان يتوجه الى منبج على الظاهر والباطن المذكورين وان يحفظ المغازي ويرابط الفرات ويمنع المعابر ولنا بالس وقلعة جعبر ومنبج وتل باشر وهي جمهور الطرق بل كلها وقد اوعزنا الى تقي الدين بأن يكون حمام حماة في حلب وحمام دمشق فى حماة والى الأجل ناصر الدين بأن يكون حمام دمشق في حمص وحمام حمص في حلب وولدنا عز الدين يؤمر بان يكون حمام بصري في دمشق وقد بعثنا نجابين يكونون منيخين ببصري فأن تحققت الوفاة فنحن اسبق من الجواب قولاً وفعلا ووعدا ونجحا فالعلة مزاحة والعسكر مستريحة والظهر قد استمد والمصلحة فى الحركة ظاهرة وحجج انتقاد المنتقدين فى هذه القضية ساقطة

ثم قال ولما سمع بوفاته تحرك عزمه وندم على النزوح من الشام مع قرب هذا المرام فكتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر وكذلك شحذ عزائم نوابه بالشام بتجديد المكاتبات لهم وبعثهم على الأستمداد وحثهم . وكان الفرنج بانطاكية قد اغاروا على حارم واتوا من السبي والنهب بالعظائم واغار عسكر حلب على الراوندان وهي في عمل صلاح الدين ورسولهم عند الفرنج يستنجدهم ويغريهم به وراسلوا الحشيشية (الباطنية) فكتب السلطان صلاح الدين كتابا الى الخليفة فى بغداد يشرح الحال باللفظ المبادى وكان فى جملة الكتاب ما معناه ان حلب

من جملة البلاد التي اشتمل عليها تقليد امير المؤمنين المستضيء بأمر الله له وانما تركها في يد ابن نور الدين لأجل ابيه والآن فليرجع كل الى حقه وليقنع برفه ثم كتب اليه في كتاب آخر عند دخول صاحب الموصل حلب واستيلائه عليها (كما تقدم) فقال (دخل حلب مستوليا وحصل بها متعديا وعقود الخلفاء لاتحل والسيوف في اوجه اوليائهم لا تسل وانه ان فتح باب المنازعة ادنى من ندامه وابعد من سلامه وخرق ما يعي على الراقع وجذب الرداء فلم تغن فيه الا حيلة الخالع وليس الأستيلاء بحجة في الولايات لطالبها ولا الدخول في الدار بموجب ملك غاصبها الا ان تكون البلاد كالديار المصرية حين فتحها الخادم واهله حيث الجمعة مستريبة والخلافة في غير اهلها غريبة والعقائد لنير الحق مستجيبة فتلك الولاية اولى من منحها من فتحها وكان سلطانها من ادخل في كان شيطانها واما حلب فأن الكلمة فيها عالية والمنابر فيها بالأسم الشريف حاليه فانما تكون لمن قلدها لا لمن توردها ولمن بالحق تسلمها لا لمن بالباطل تسنمها ولو كانت حلب كما كانت مصر لدخلها الخادم ولم يشاور ولولجها ولم يناظر ولكنه اتى البيوت من ابوابها واستمطر القطار من سحابها (ثم ذكر ان المواصلة راسلوا الملاحدة الحشيشية واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين وواسطة بينهم وبين الفرنج ووعدهم بقلاع من يد الأسلام تقلع وضياع من فيء المسلمين توضع وبدار دعوة حلب ينصب فيها علم الضلالة فيرفع ويا للعجب من الخصم يهدم دولة حق وهي تبنيه ومن العبد يبني ملكها بنفسه وماله وذويه وهي تراقب اعلاه فيه ودعواه في رسائلهم وغوائلهم ليست بدعوى لا يقوم شاهدها ولا هي بشناعة لا يهتدى قائدها بل هذا رسولهم عند سنان صاحب الملاحدة ورسولهم عند القمص ملك الفرنج وهذه الكتب الواصلة بذلك قد سيرت .

ولأستيجاب الولاية طرق اما السبق الى التقليد فللخادم السبق واما العدالة والعدل فلو وقع الفرق لوقع الحق واما بالاثار بالطاعة فله فيها ما لولا معونة الخالق فيه لقصرت عنه ايدي الخلق ومتى استمرت المشاركة في الشام افضت الى ضعف التوحيد وقوة الأشتراك وترامت الى اخطار يعجز عنهما بخواطر الأستدراك واحوجت قابض الأعنة الى ان يعايها الجدد ويرسلها العراك وبطريق الصلاح والمصالحات الأيمان والمشار اليهم (يعنى اصحاب الموصل) لا يلتزمون ربقتها ولا يوجبون صفقتها وكفي بالتجريب ناهيا عن الغرة ولا يلدغ المؤمن الامرة واذا اجتمعت في الشام ايد ثلاث يدعارية ويد ملحدة ويد كافرة نهض الكفر بتثليثه وقصرت عن الأسلام يد مغيثه ولم ينفع الخادم حينئذ تصحيح حسابه وتصديق حديثه وما يريد الخادم الا من تكون عليه يد الله وهي الجماعة ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعة ولا يتوخى الا ما يقوم به الحجة اليوم ويوم تقوم الساعة) ومن كتاب آخر (قد احاط للعلم بما طالع به اولاً عند وفاة نور الدين رحمه الله ان التقليد الشريف المستضيئي لما وصله بالبلاد وكان قد فتح اكثرها قلاعا وامصارا وحصونا وديارا ولم يبق الا قصبة حلب وهو على اخذها عدل ولد نور الدين عن القتال الى النوال وعن النزال الى الاستنزال وقصد القصد الذي ما اوجبت المحافظة ان يتلقى بالرد فاقره على الولاية فرعا لا اصلا ونائبا لا مستقلا وسلم اليه البلاد ويده الغالبة لا المغلوبة وسيوفه السالبة لا المسلوبة ومشى الامر معه مستقيما ومائلا وجائرا وعادلاً الى ان قضى نحبه ولقي ربه فبدأ من المواصلة نقض الأيمان والابتداء بالعدوان والتعرض للبلاد والتصرف فيها بغير حجة يكون عليها الأعتماد فطالع الديوان بالقضية واستشهد بدلالات قوانينه الجليلة في هذا التقليد الذي تهادته المحاضر واشاعته المنابر وسيرت الى

الشرق والغرب نسخه وغات الأيدى التى تحدث انفسها انها نسخه اه
قال فى الروضتين بعد عود السلطان صلاح الدين من الأسكندرية الى مصر وذلك في ذي القعدة من سنة ٥٧٧ شرع في الاستعداد لسفر الشام لجمع العساكر والسلاح واستصحب نصف العسكر وابقى النصف الآخر يحفظ ثغور مصر ولعز قراقوش باتمام الاسوار الدائرة على مصر والقاهرة قال وكان السلطان عشية توديعه لاهل مصر جالساً فى سرادقه ينشده بيناً فى الوداع وأخرج احد مؤدبي اولاده رأسه وانشد مظهراً له فضله ورافعا به محله

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فلما سمعه خمد نشاطه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض ولا يقضي العجب من مؤدب ترك الادب فكانه نطق بما هو كائن فى الغيب فأنه ما عاد بعدها الى الديار المصرية حتى لقى بنجح المني والمنية قال ابن الأثير وكان مسيره من مصر الى الشام في خامس المحرم وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير فلما سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاثقال مع اخيه تاج الملوك بوري الى دمشق وبقى هو في العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات باطراف بلادهم وا كثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا اقدم على الدنو منه ثم سار فأتى دمشق فوصلها حادي عشر صفر من السنة واقام بها اياما يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى طبرية وحارب من تجمع فيها من الافرنج فكسرهم وعاد الى دمشق ثم سار عنها الى بيروت وكان قد واعد اسطول مصر أن يتجهز الى بلاد الساحل فبلغه الخبر انه وصل الى بيروت فبادره السلطان

بعسكره جريدة قبل ان يفوت فلما وصل رأى ان امر بيروت يطول وكان قد سبي الأسطول منها وسلب وظفر من غنيمتها بما طلب فاغار السلطان على تلك البلاد ورجع واعاد فرخشاه الى دمشق ورحل الى بعلبك ومنها الى حمص (١)

قال في الروضتين ثم رحل السلطان الى حماة واستصحب معه ابن اخيه تقي الدين فلما قرب من حلب اقبل مظفر الدين كوكوبري بن كوجك صاحب حران حينئذ فاجتمع بالسلطان وسار في خدمته من جملة الأعوان واشار عليه ان يعبر الفرات ويجوز ما وراءها ويترك حلب الى ما بعد ذلك لئلا تشغله عن غيرها فاستصوب السلطان رأيه وعبر الفرات .

وقال ابن ابي طي في اول السنة اراد مظفر الدين بن زين الدين وكان اليه شحنكية حلب الأستيلاء على قلعة حلب بأن يهجمها فلم يتمكن وظهر امره وبعد هذه الوقعة اجتمع الأخوان عز الدين وعماد الدين على الرقة وتحالفا على بساط واحد وسلم عماد الدين ماكان بيده من سنجار وغيرها الى عز الدين وسلم عز الدين اليه حلب فسار اليها ودخلها فخرج مظفر الدين عنها وصار الى الفرات فلما اتصل به قصد السلطان حلب سار الى خدمته واجتمع به على جباب التركمان واشار على السلطان بعبور الفرات والأستيلاء على بلاد الشرق وتأخير امر حلب ففعل ورحل عن حلب بعد ان اقام عليها ستة ايام واقام على تل خالد ثلاثة ايام ثم رحل الى البيرة وفيها شهاب الدين محمد بن اليـاس الأرتقي فنزل اليه وقبل الأرض بين يديه وسأله الصعود الى قلعة البيرة فأجابه وقدم له مفاتيح القلعة فردها اليه ووعده باستخلاص ماكان صاحب ماردين رده عليه ورحل السلطان الى سروج فنزل اليه صاحبها ابن مالك مستأمنا فأعاده

١ [السطور الأخيرة من الروضتين]

الى بلده وارسل صاحب ماردين في رد ما كان تغلب عليه من اعمال البيرة ففعل ثم اخذ الرها ثم الرقة ثم سلم الرها الى ابن زين الدين والرقة الى صاحب الرها لأنه سأل ان يكون في خدمة السلطان وقال القاضي بن شداد في السيرة الصلاحية نزل السلطان على حلب في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين فاقام ثلاثة ايام ورحل في الحادى والعشرين منه يطلب الفرات واستقر الحال بينه وبين مظفر الدين ابن زين الدين وكان صاحب حران وكان قد استوحش من من جانب الموصل وخاف من مجاهد الدين فالتجأ الى السلطان وعبر اليه قاطع الفرات وقوى عزمه على البلاد وسهل امرها عنده نعبر الفرات واخذ الرها ونصيبين وسروج ثم شحن على الخابور واقطعه اهـ

قال ابن الأثير لما عبر صلاح الدين الفرات كاتب الملوك اصحاب الأطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فأجابه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ماطلب منه لقاعدة استقرت بينهما لما كان نور الدين عنده بالشام فأنه استقر الحال ان صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرها فحصرها في جمادى الأولى وقاتلها اشد قتال فحدثني بعض من كان من الجند عد في غلاف رمح اربعة عشر خرقا وقد خرقته السهام ووالى الزحف عليها وكان بها حينئذ مقطع وهو الأمير فخر الدين مسعود الزعفراني فحيث رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطلب الأمان وسلم البلد وصار في خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزدار الذى بها على مال اخذه فلما ملكها سلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على حران الى الرقة فلما وصل اليها كان بها مقطعا قطب الدين ينال ابن حسان المنبجي فسار عنها الى عز الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور

قرقيسيا وماكسين وعرابان فملك جميع ذلك فلما استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فملكها ايضا واقام بها ليصلح بشأنها ثم اقطعها اميرا كان معه يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن واتاه الخبر ان الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريا وارادوا تخريب جامعها فأرسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان خربتم الجامع جددنا عمارته واخربنا كل بيعة لكم في بلادنا ولا نمكن احدا من عمارتها فتركوه ولما وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك اشار عليه من يتعصب لعز الدين بالعود فقال يخربون قرى ونملك عوضها بلاداً ونعود نعمرها ونقوي على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال اه ثم حصر صلاح الدين الموصل ثم سار منها الى سنجار فملكها ثم ملك آمد وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان على ما استقرت القاعدة بينهما وبسط ابن الأثير القول في ذلك وكان ملكه لآمد فى العشر الأولى من المحرم سنة ٥٧٨ قال فى الروضتين وفي فتح آمد يقول سعيد بن محمد الحريرى الحلبي من قصيدة في السلطان

رمى آمدا بالصافنات فاذعنت * له طاعة آكامها ووعورها

فما عز ناديها ولا اعتاص ثغرها * ولا جاش طاميها ولا رد سورها

وانزلت بالكره ابن نيسان مخرجا * كما انزل الزباء كرها قصيرها

نهضت لها حتى اذا انقاد صعبها * تقضى على طول الشماس نفورها

سمحت بها جوداً لمن ظل برهة * يغاورها طورا وطورا يغيرها

وملكت ما ملكت منها تحولا * وكان قليلا في نداك كثيرها

وان بلاداً انجدتك ملوكها * لأجدر ان يرجو نداك فقيرها

وقال ابن سعدان الحلبي يذكر فتح آمد

فيا ساكني الرعناء من سفح آمد * ارى عارضاً ينهل بالموت هاطله
لئن غضبت يوماً عليكم عروشها * فهذا ابن ايوب وهذى معاقله
ولو رامها يوماً سواه لقطعت * اباهره من دونها واباجله

وابن تيسان كان مدبر آمد ورئيسها والقائم بأمرها . (وقول بن سعيد وملكت ماملكت) يشير به الى ما وهبه صلاح الدين من الخزائن والذخائر التي وجدت بها وكانت شيئاً كثيراً لايدخل تحت الحصر، الى نورالدين محمد بن قرا ارسلان الذي سلمه آمد كما تقدم .

(سنة ٥٧٩)

ذكر استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعينتاب وحلب

قال فى الروضتين ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفرات لقصد حلب وولايتها فتسلم في طريقه تل خالد بالرعب ولم تكن منهم بالقرب فاقر اهلها فيها ثم نزل على عينتاب فبادر صاحبها ناصح الدين محمد بن خمارتكين الى خدمة السلطان فاعاده الى مكانه بالأحسان وقال ابن ابى طي تسلم السلطان تل خالد فى اربع عشر المحرم وسلمها الى بدر الدين دلدرم ثم سار الى حلب فنزل عليها في سادس عشر المحرم وكان اول نزوله في الميدان الأخضر وسير المقاتلة يقاتلون ويباسطون عسكر حلب ببانقوسا وباب الجنان غدوة وعشية وفي يوم نزوله جرح اخوه تاج الملوك وكان عماد الدين زنكى قبل ذلك قد خرج وخرب قلعة اعزاز في تاسع جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخرب حصن كفرلاثا واخذها من بكمش فأنه كان قد صار مع السلطان وقاتل وباشرفلم يقدر عليها وجرت غارات من الفرنج في البلاد بحكم اختلاف العساكر . قال ولما نزل السلطان على حلب

استدعى العساكر من الجوانب فاجتمع خلق كثير وقاتلها قتالا شديدا وتحقق عماد الدين زنكى انه ليس له به قبل وكان قد ضرس من اقتراح الأمراء عليه وجبهم اياه فاشار الى حسام الدين طمان ان يسفر له مع السلطان في اعادة بلاده وتسليم حلب اليه واستقرت القاعدة ولم يشعر احد من الرعية ولا من العسكر حتى تم الامر ثم اعلمهم واذن لهم فى تدبير انفسهم فانفذوا عنه عز الدين جرديك وزين الدين بلك فبقوا عنده الى الليل واستخلفوه على العسكر وعلى اهل البلد وذلك في سابع عشر صفر وخرجت العساكر الى خدمته الى الميدان الأخضر ومقدموا حلب وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقام عماد الدين بالقلعة يقضى اشغاله وينقل اقمشته وخزائنه الى يوم الخميس ثالث عشر صفر . وفيه توفي تاج الملوك اخو السلطان من الجرح الذى كان اصابه وشق عليه امر موته وجلس للعزاء قلت وكان اصغر اولاد ايوب ذكر ابن القادسى ان مولده سنة ست وخمسين في ذي الحجه فيكون عمره اثنتين وعشرين سنة وشيئا وانشد له شعرا وقال العماد الكاتب في كتاب الخريدة انه لم يبلغ العشرين سنة وله نظم لطيف وفهم شريف ثم قال القاضى ابو المحاسن [هو ابن شداد]

وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزاه وسار معه بالميدان الأخضر وتقررت بينهما قواعد وانزله عنده بالخيمة وقدم له تقدمة سنية وخيلا جميلة وخلع على جماعة من اصحابه وسار عماد الدين من يومه الى قرا حصار سائرا الى سنجار واقام السلطان بالمخيم بعد مسير عماد الدين غير مكترث بأمر حلب ولا مستعظم لشأنها الى يوم الأثنين سابع عشري صفر ثم صعد فى ذلك اليوم قلعة حلب مسرورا منصورا وعمل له حسام الدين طمان دعوة سنية وكان قد تخلف لأخذ ما تخلف لعماد الدين من قماش وغيره وقال العماد وصل السلطان الى حلب وفيها عماد الدين

زنكى بن مودود الذى كان صاحب سنجار وقد تحصن بكثرة الأجناد والعدد واراد مقابلة السلطان ومقاتلته واراد السلطان ان يظفر بها دون ذلك من القتال وعداوة الرجال لكن الشباب وجهال الأصحاب راموا القتال واحبوا النزال وتقدموا واقدموا والسلطان ينهاهم فلا ينتهون وكان فيهم تاج الملوك بورى اخوا السلطان فطعن في فخذه ثم مات بعد ذلك بأيام بعد فتح البلد وكان السلطان قد صنع ذلك اليوم وليمة لعماد الدين زنكى وكان السلطان اول ما نزل على حلب نزل في صدر الميدان الأخضر وذلك فى زمن الربيع الأنضر ثم رحل ونزل على جبل جوشن ونهى عن القتال وقال نحن هاهنا نستغل البلاد وما علينا من الحصن الذى بلغ منه هذا العناد وانفذ رسل الترهيب اليهم ففكر عماد الدين زنكى فى امره ورأى ان الصواب مصالحة السلطان فانفذ سراً اليه حسام الدين طمان وصالحه وحلفه على ان يسلم اليه حلب ويرد عليه بلده سنجار ففعل وزاده الخابور ونصيبين والرقة وسروج واشترط عليه ارسال العسكر في الخدمة للغزاة وقال ابن الأثير نزل صلاح الدين فى الميدان الأخضر واقام به عدة ايام ثم انتقل الى جبل جوشن فنزل بأعلاه واظهر انه يريد ان يبني مساكن له ولأصحابه وعساكره واقام عليها اياما والقتال بين العسكرين كل يوم وكان عماد الدين زنكى ومعه العسكر النورى وهم مجدون فى القتال فلما رأى كثرة الخرج كأنه شح بالمال لحضر يوما عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيئا فاعتذر بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الأموال ولو باع حلي نسائه فمال حينئذ الى تسليم حلب واخذ العوض منها وارسل مع الأمير طمان اليازوقى وكان يميل الى صلاح الدين انه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها بأوكس الأثمان اعطى

حصنا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فنزل عنها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما اتى به حتى ان بعض عامة حلب احضر اجانة وماءً وناداه انت لايصلح لك الملك وانما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعوه المكروه (هو قولهم ياحمار بعت حلب بسنجار) واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان متزلزلا فثبت قدمه بتسليمها وكان على شفا جرف واذا اراد الله امراً فلا مرد له اه

قال في الروضتين وفي آخر يوم السبت ثامن عشر صفر نشر سنجق السلطان الاصفر على سور قلعة حلب وضربت له البشائر وفي ذلك الوقت تخفى عماد الدين وخرج من القلعة ليلاً الى المخيم واخذ في اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح واثاث وكان استناب الأمير حسام الدين طمان في القلعة حتى توافى رسله بتسليم سنجار ونصيبين والخابور الى نوابه واعطى السلطان طمان الرقة لوساطته في امر عماد الدين وكان السلطان شرط انه ما يريد من حلب الا الحجر فقط واذن لعماد الدين في اخذ جميع ما في القلعة وما يمكنه حمله فلم يترك عماد الدين فيها شيئاً وباع في السوق كل مالم يتمكن من حمله واطلق له السلطان بغالا وجمالاً وخيلا برسم حمل ما يحتاج الى حمله وعمل له يوم الأحد تاسع عشر صفر دعوة عظيمة في الميدان الأخضر واحضرها جميع الأمراء ومقدمي حلب قال وبينما السلطان على لذته بالدعوة والأخذ والعطاء والأنعام والحباء حضر اليه من عرفه وفاة اخيه تاج الملوك بسبب الضربة التي اصابته على حلب فلم يتغير لذلك ولا اضطرب ولا انقطع عما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الأحسان وامر بستر ذلك وتوعد عليه ان ظهر وكظم حزنه واخفى رزيته وصبر على مصيبته ولم يزل على طلاقته وبشاشته الى وقت العصر وفي ذلك الوقت انقضت الدعوة

وتفرق الناس فحينئذ قام رحمه الله واسترجع وبكى على اخيه ثم امر به فغسل وكفن وصلى عليه وامر به فدفن بمقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم بظاهر حلب ثم حمله بعد ذلك الى دمشق ودفنه بها. قال وكان تاج الملوك شابا حسن الشباب مليح الأعطاف عذب العبارة حلو الفكاهة مليح الرمى بالقوس والطعن بالرمح وكان شجاعا باسلا مقداما على الأهوال وكان قد جمع الى ذلك الكرم واليقين في الأدب وله ديوان شعر حسن متوسط فنه

ياهذه واماني النفس قربكم * ياليتها بلغت منكم امانيها
ان كانت العين مذفارقتكم نظرت * الى سواكم فخانتها اماقيها

قال في المختار من الكواكب المضية نقلا على الصاحب قال بعض من كان في صحبته دخلت اليه في صبيحة اليوم الذى جرح فيه فوجدته متكئا على جنبيه وبين يديه دواة وقد وضع ورقة بيضاء على الأرض وهو يكتب فيها قال فجلست قليلاً فرمى بالورقة الي فاذا فيها

اسكان مصر لعل الزمان * علي بقربكم عائد
اما تذكرون فتى شوقه * الى قربكم ابداً زائد
جريحا طريحا يمل الطبيب * ويسأم من سقمه العائد
محبا لكم كان يرجوكم * بآمد لا سقيت آمد
فلما نهيا لقطع الفرات * وعاوده عقله الشارد
واصبح في حلب راجيا * زمانكم ليته عائد
رماه الزمان بأحداثه * كأن الزمان له حاسد

قال فقرأتها الى ان وصلت الى قوله رماه الزمان بأحداثه آلمني قلبي لقوله بأحداثه فقلت يامولانا اعوذ بالله من احداث الزمان ولقد اشتهي المملوك ان يغير هذه

اللفظة فمد القلم وكتب . رمـاه الزمان بريب المنون فتطيرت بها وانصرفت ثم قال. كان صلاح الدين يقول ما اخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك بورى وبوري اسم تركى معناه بـالعربية ذئب وهو اصغر اولاد ايوب وله ديوان شعر ومن نظمه في مملوك له وقد اقبل من جهة المغرب على فرس اشهب

اقبل من اعشقه راكباً * من جانب الغرب على اشهب

فقلت سبحـانك يـاذا العلى * اشرقت الشمس من المغرب

وله يـا حيـاتي حين يرضى * ومـماتى حين يسخط

آه من ورد على * خديك بـالمسك منقط

بين اجفـانك سلطـان * على ضعفي مسلط

قد تصبرت وان برح * بي الشوق وافرط

فلعل الدهر يومـا * بتلاق منك يغلط

وله

اياحـامل الرمح الشبيه بقده * وياشاهراً من لحظه مرهفا عضبا

ضع الرمح واغمد ماسللت فربما * قتلت وما حاولت طعنا ولاضربا

قال في الروضتين ولما انقضت تعزية السلطان بأخيه خلع على النـاس في اليوم الرابع وفرق في وجوه الحلبيين الأموال وفى سادس عشري صفر ورد اصحاب عماد الدين واحضروا العلائم بتسليم سنجار ونصيبين والخـابور ففي ذلك اليوم تسلم قلعة حلب وانزل منها الأمير طمان واصحابه ولما سلمها الى نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه اصحابه وامرائه وخرج الى خدمة السلطان ظاهراً وركب السلطان الى لقائه فاجتمعا عند مشهد الدعاء الذى بظاهر حلب من جهة الشمال فتسالما ولم يترجل احد منهما اصاحبه ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب

الدين فترجل للسلطان وترجل السلطان له. واعتنقه وعادا فركبا وسار هو وابوه فى خدمة السلطان الى المخيم بالميدان الأخضر فأجلس السلطان عماد الدين معه على الطراحة وقدم له تقدمة عشرين بقجة صفر فيها مائة ثوب من العتابي والأطلس والمعتق والمعرس وغير ذلك وعشرة جلود قندس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قباء ومائة كمه وحجرتين عربيتين باداتها وبغلتين مسروجتين وعشرة اكاديش وخمس قطر بغال وثلاث قطر جمال عربيات وقطار بخت. ولما فرغ السلطان من عرض الهدية قدم الطعام فلما اصاب منه عمادالدين نهض للركوب وخرج السلطان معه وركب لوداعه وسار معه الى قريب من بابلي ووودعه وعاد وسار عماد الدين الى بلاده. قال فى الروضتين ولأبي الحسن ابن الساعاتى فى مدح السلطان عند ارادة فتح حلب قصيدة منها

ما بعد لقياك للعافين من امل * ملك الملوك وهذى دولة الدول
فانهض الى حلب فى كل سابقة * سروجها قلل تغني عن القلل
ما فتحها غير اقليد الممالك و ا * لداعى اليه جميع الخلق والملل
وما عصت منعة لكنه غضب * علام اهملتها اهمال مبتذل
غارت وحقك من جاراتها فشكت * ما باله فيصاصى غير محتفل

وللقاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة

بدولة الترك عزت دولة العرب * وبأبن ايوب ذلت بيعة الصلب
ان العواصم كانت اي عاصمة * لنفسها بتعاليها عن الرتب
جليسة النجم فى اعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهى لم تغب
ومانعته كمعشوق تمنعه * احلى من الشهد او اشهي من الضرب
فر عنها بلا غيظ ولا حنق * وسار عنها بلا حقد ولا غضب

تطوي البلاد واهليهــا كتائبه * طيا كما طوت الكتاب للكتب
ارض الجزيرة لم تظفر بمالكها * بمــالك فطن او ســائس درب
ممــالك لم يدبرهــا مدبرهــا * الا برأى خصي او بعقل صبي
حتى اتاها صلاح الدين فانصلحت * من الفساد كما صحت من الوصب
وقد حواها واعطى بعضها هبة * فهب الذي يهب الدنيا ولم يهب
ومذ رأت صده عن ربعها حلب * ووصاله لبلاد الغير بــالحلب
غارت عليه ومدت كف مفتقر * منها اليه وابدت وجه مكتئب
واستعطفته فوافتهــا عواطفه * واكثب الصلح اذ نادته عن كثب
وحل منها بأفق غير منخفض * للصــاعدين وبرج غير منقلب
فتح الفتوح بلامين وصاحبه * ملك الملوك ومولاها بلا كذب

وقال ابن ابي طي وكان كثيراً من الشعراء يحرضون السلطــان على فتح حلب منهم ابو الفضل بن حميد الحلبي له من قصيدة

يابن ايوب لا برحت مدى الدهر * رفيع المكان والسلطان
حلب الشام محو مرآك ولهي * وله الصب ريع بالهجران

وقال ابن سعدان الحلبي من قصيدة

دونك والحسنــاء ام القرى * ونارها الاشهب والطود الاشم
واركب الى العلياء كل صعبة * ابيت لعنــا وخلاك كل ذم
وارم فكل الصيد في جوف الفرا * لاصارم السهم ولا نابي الحكم
مد الى اخت السها زورة * لا فرق يعقبهــا ولا ندم
فيــالهــا شماء مشمخرة * تطارح البرق وساحات الديم
ايه صلاح الدين شدَّ ازرهــا * واعزم عليها فالزمان قد عزم

ودونك المنعة من قبابها * وبابها المغلق فى وجه الأمم

قال فى الروضتين وفى يوم الاثنين سابع عشر صفر ركب السلطان وصعد قلعة حلب وكان صعوده اليها من باب الجبيل وسمع وهو صاعد الى قلعة حلب يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) الآية وقال والله ما سررت بفتح مدينة كسرورى بفتح هذه المدينة والآن قد تبينت اننى املك البلاد وعلمت ان ملكى قد استقر وثبت. وقال صعدت يوما مع نور الدين رحمه الله تعالى الى هذه القلعة فسمعته يقرأ (قل اللهم مالك الملك) الآية قال ولما بلغ السلطان الى باب عماد الدين قرأ (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها) ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم سجد فأطال السجود ثم خرج ودار في جميع القلعة ثم عاد الى المخيم واطلق المكوس والضرائب وسامح باموال عظيمة وجلس للهناء بفتح حلب وانشده جماعة من الشعراء منهم يوسف البراعى له من قصيدة

شرفت بسامي مجدك الشهباء * وتجللتها بهجة وضياء
القت اليك قيادها وبها على * كل الملوك ترفع واباء

ومنهم سعيد بن محمد الحريرى له من قصيدة وتقدم بعضها

وصبحت شهباء العواصم مصلتا * قواضب عزم لا يفل شهيرها
فأعطيت منها غاربا فيك راغبا * وعاد يسيرا فى يديك عسيرها
واوطأت منها اخمصيك تنوفة * يعز على الشعرى العبور عبورها
ورد اليها روح عدلك روحها * وكان رميما لا يرجى نشورها

قال وقال والدى ابو طي النجار من قصيدة

حلب شامة الشام وقد زيد * ت جلالا بيوسف وجمالا
هى اس الفخار من قال أعلا * ها تعالى فخامة وتغالا

وعل العلاء من حل فيها * تاه كبرا وعزة وجلالا
من حواها ممكالملك الأر * ض اقتسارا سهولة وجبالا
فافترعها مهنأ بمحل * سمك الأنجم الوضاء وطالا

قال وحدثني من الحلبيين منهم الركن بن جهبل العدل قال كان الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي الحلبي قد وقع اليه تفسير القرآن لابي الحكم المغربي فوجد فيه عند قوله تعالى (الم غلبت الروم) الآية ان ابا الحكم قال ان الروم يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ويفتح البيت المقدس ويصير داراً للاسلام الى آخر الأبد واستدل على ذلك باشياء ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان حلب كتب اليه المجد بن جهبل ورقة يبشره بفتح البيت المقدس على يديه ويعين فيه الزمان الذي يفتحه فيه واعطى الورقة للفقيه عيسى فلما وقف الفقيه عيسى عليها لم يتجاسر على عرضها على السلطان وحدث بما في الورقة لمحي الدين ابن الزكي القاضي الدمشقي وكان ابن زكي الدين واثقا بعقل ابن جهبل وانه لا يقدم على هذا القول حتى يحققه ويثق به فعمل قصيدة مدح السلطان بها حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح بيت المقدس خرج اليه المجد بن جهبل مهنأ له ففتحه وحدثه حديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبق الى ذلك محي الدين بن زكي الدين غير اني اجعل لك حظاً لا يزاحمك فيه احد ثم جمع له من في العسكر من الفقهاء واهل الدين ثم ادخله الى القدس بعد ما خرج الفرنج منه وامره ان يذكر درساً من الفقه على الصخرة فدخل وذكر درساً هناك وحظي بما لم يحظ به غيره ..

قال ابن خلكان في ترجمة محمد بن ابى الحسن على الملقب محي الدين المعروف بابن زكي الدين لما فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله مدينة حلب انشده القاضي محي الدين المذكور قصيدة بائية اجاد فيها كل الاجادة وكان من جملتها بيت وهو متداول بين الناس وهو

وفتحك القلعة الشهباء في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال فأن القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وقيل لمحي الدين من اين لك هذا فقال اخذته من تفسير ابن برجان[١].
ولما وقفت انا على هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل اتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة لكن كان هذا الفصل مكتوبا في الحاشية بخط غير الأصل ولا ادرى هل كان من اصل الكتاب ام هو ملحق به وذكر له حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك حتى قرره من قوله بضع سنين اه
وقال في الروضتين وقد رأيت انا ذلك في كتابه ذكر في تفسير اول سورة الروم ان البيت المقدس استولت عليه الروم عام سبع وثمانين واربعمائة واشار انه يبقى بايديهم الى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة قال ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة وهذا الذي ذكره ابو الحكم الاندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الأمة المرحومة ثم ذكر ما تكلم عليه شيخه ابو الحسن على بن محمد في تفسيره

(١) تقدم ان الذى وقف على ذلك في تفسير ابن برجان هو الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعى الحلبي وكتب بذلك ورقة الى عيسى الفقيه هذا ولم يوصلها الى صلاح الدين وحدث بما فيها لمحي الدين ابن الزكي في قوله تعالى (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)



ذكر فتح صلاح الدين لحارم

قال ابن الأثير لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلعة حارم بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح فى التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردت ووعده الاحسان فاشتط فى الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمي بهم فسمع من معه من الأجناد انه يراسل الفرنج لخافوا ان يسلمها فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان والانعام فاجابهم الى ماطلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزداراً بعض خواصه ،

قال في الروضتين قال ابن طي كاتب الوالى بحارم الفرنج واستدعاهم اليه مطمعا لهم فى الأستيلاء على حارم بشرط ان يعصموه من الملك الناصر وعلم الاجناد بقلعة حارم بما عزم عليه فتآمروا بينهم في القبض عليه وكان هذا الوالى ينزل من القلعة ويصعد اليها في اموره ولذاته فاتفق انه نزل منها لبعض شأنه فوثب اهل القلعة لما خرج واغلقوا بابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان والى حارم وبذل له في تسليم حارم اليه فى اشياء كثيرة منها ولاية بصري وضيعة يملكه اياها ودار العفيفى التي كان نجم الدين ايوب والد السلطان يسكنها وحمام العفيفى بدمشق وثلاثون الف دينار عينا ولأخيه عشرة آلاف دينار فاشتط في السوم وتغالى في العوض فانفذ اليه السلطان وتوعده وتهدده فكاتب الفرنج يطلب نجدتهم وقيل ان نقيب القلعة اراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويتحصل منه شيئاً فكاتب السلطان بالعمل على الوالى فكتب اليه السلطان بتتميم ذلك ووعده بأشياء سكن اليها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب فى وجه الوالى

وقيل ان النقيب واهل القلعة لما اغلقوا الباب في وجهه شنعوا عليه بمكاتبة الفرنج ولم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وقذفوه بالحجارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الأحوال انفذ تقي الدين الى حارم ليتسلمها فامتنع النقيب واهل القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريدة فلما اشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلعيين وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضروا عند السلطان حدثوه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضراً فقال للسلطان يا مولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالي وكذبوا عليه حتى فوتوه ما كان السلطان وعده به وما قلت هذا الا عن تجربة فأنني لما كنت متوليا لهذه القلعة جرى من كذبهم فى حقي وتخرصهم عليّ امور كدت بها اهلك مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وانا ارى ان السلطان يقرهم فى القلعة على هذه التجربة فضحك السلطان وامر لهم بما كان وعدهم به وافضل عليهم وولى فى القلعة ابراهيم بن شروه وقال لابن الداية ان بين ايدينا امكنة نريد اخذها ومتى لم نف ونجزل العطا لم يثق بنا احد وبات السلطان بقلعة حارم ليلتين وعاد الى حلب في ثالث ربيع الأول ثم اعطى العسا كر دستوراً فسار كل منهم الى بلده واقام يقرر قواعد حلب ويدبر امورها ورجفت انطاكية بعد ذلك رعبا وأرسل صاحبها جماعة من اسارى المسلمين وانقاد وسارع الى امان السلطان

تقرير الملك صلاح الدين لقواعد حلب وترتيب امورها
وتوليته عليها ولده الملك الظاهر غازى

قال في الروضتين لما عاد صلاح الدين من حارم الى حلب في ثالث ربيع الاول رتبها وقرر ولده الظاهر غازى سلطانا بها وقرر له فى كل شهر اربعة آلاف

درهم وعشرين كمة وقباء وما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين ازكش الأسدي وولى حسام الدين بيرك الخليفتي شحنة حلب وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العميد الدمشقي ودار الضرب فضرب الدرهم الناصري الذي سكنه خاتم سليمان ونقل الخطابة من بنى العديم الى ابي البركات ابن الخطيب هاشم بسفارة القاضى الفاضل وولى القضاء لمحى الدين ابن زكى الدين الدمشقى فاستناب فيه ابن عمته ابا البيان بناء البانياسى وولى الجامع والوقوف لأبي على بن العجمى وولى قلعتها سيف الدين يازكوج واقرعين تاب على صاحبها واعطى تل خالد وتل باشر بدر الدين دلدرم بن بهاء الدولة بن ياروق واعطي قلعة عزاز علم الدين سليمان بن جندر وكشف السلطان عن حلب المظالم وازال المكوس.

وفى توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام القاضى الفاضل عن السلطان (وانتهى الينا ان بمدينة حلب رسوماً استمرت الأيدي على تناولها والألسنة على تداولها وفيها بالرعاة ارفاق وبالرعايا اضرار ولها مقدار الا عند من كل شيء عنده بمقدار منها ما هو في المعايش المطلوبة وقد رأينا بنعمة الله ان نبطلها ونضعها ونعطلها وندعها ونضرب عليها بأقلامنا ونسلك ما هو اهدى سبيلا ونقول ماهو اقوم قيلا ونكره ما كره الله ونحظر ما حظر الله ونأجره سبحانه فأنه من ترك شيئاً لله عوضه الله امثاله واربح متجرة فى الرعية اليوم بما يوضع عنهم من اصرها ولنا غدا بمشيئة الله ما يرفع من اجرها فعلى كافة اوليائنا والمتصرفين من قبلنا ان لايهووا اليها يداً ولا يردوا ولو بلغ الظمأ منهم مورداً ولا يثقلوا بها ميزان المال فتخف ميزان الأعمال ولا يرغبوا في كثير الحرام فأن الله يغنى عنه بقليل الحلال وليعلم ان ذلك من الأمر المحكم والقضاء المبرم والعزم المتمم .

وفي منشور اهل الرقة بمثل ذلك . ان اشقي الأمراء من سمن كيسه واهزل

الخلق. وابعدهم من الحق من اخذ الباطل من الناس وسماه الحق . ومن ترك لله شيئا عوضه ومن اقرض الله قرضا حسنة وفاه ما اقرضه . ولما انتهى امرنا الى فتح الرقة اشرفنا منها على سحت يؤكل وظلم مما امر الله به ان يقطع وامر الظالمون ان يوصل فأوجبنا على انفسنا وعلى كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم بأسرها . ويلقوا الرعايا من بشائر ايام ملكنا بأسرها. ونعتق بلد الرقة من رقها. ونثبت احكام المعدلة فيها بمحو هذه الرسوم ومحقها. وقد امرنا بأن تسد هذه الأبواب وتعطل. وتنسخ هذه الأسباب وتبطل وستمطر سحائب الخصب بالعدل وتستنزل ويعفي خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسامح بها جميعها جميع الأغنياء والمساكين مسامحةً ماضية الأحكام مستمرة الأيام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ بالغة التمام موصولة على الاحقاب مسنونة في الاعقاب ملعونا من يطمح اليها ناظره وتتناولها يده ويمسك عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه غده.

﴿ الكتب التي ارسلها السلطان صلاح الدين الى الجهات ﴾

يعلم بها استيلائه على حلب

قال في الروضتين ومن كتب فاضلية [اي من انشاء القاضي الفاضل عن لسان السلطان] تسلمنا مدينة حلب وقلعتها بسلم وضعت بها الحرب اوزارها وبانت بها الهمم اوطارها وعوض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لأنه مشترط عليه به الخدمة بنفسه وعسكره ومخلط بالجملة فهو احد الأولياء فى مغيبه ومحضره وعوض عماد الدين عنها من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فهو صرف بالحقيقة اخذنا فيه الدينار واعطينا الدراهم ونزلنا عن

المنيحات واحرزنا العواصم وسرنا انها انجلت والكافر المحارب والمسلم هو المسالم واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور فى مواقف الغزو والمصابرة فانتظم الشمل الذى كان نثيرا واصبح المؤمن بأخيه كثيرا وزال الشغب واخمد اللهب واتصل السبب واخذت للنزاة الأهب ووصلت الى غاية همة الطلب والألفة واقعة والمصلحة جامعة وأشعة انوار الاتفاق شائعة

كتاب آخر

فتحنا مدينة حلب بسلم ما كشفت بحرمتها قناعا وتسلمنا قلعتها التى ضمنت ان تسلم بعدها بمشيئة الله قلاعا وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة ما اشترط عليه به الخدمة في الجهاد بالعدة الموفورة فهى بيدنا بالحقيقة لأن مرادنا من البلاد رجالها لا اموالها وشوكتها لازهرتها ومناظرتها للعدو لانصرتها وان يعظم في العدو الكافر نكايتها لا ان تمذق بالولي المسلم ولايتها والأوامر بحلب نافذة والرايات بأطراف قلعتها آخذة وجاء اهل المدينة يستبشرون وقد بلغوا ما كانوا يؤملون وامنوا ما كانوا يحذرون وعوض صاحبها ببلاد من الجزيرة على ان تكون العساكر مجتمعة على الاعداء مرصدة للاستدعاء فالبلاد بأيدينا لنامغنمها ولنيرنا مغرمها وفي خدمتنا ما لا نسمح به وهو عسكرنا وفي يده مالانضن به وهو درهمنا شرطنا على عماد الدين النجدة فى اوقاتها والمظاهرة على العداة عند ملاقاتها فلم يخرج منا بلد الاعاد الينا عسكره وانما استنبنا فيه من يحمل عنا مؤنته ويدبره وتكون عساكره الى عساكرنا مضافة ونتمثل قوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)

كتاب اخر

نشعر الامير بما من به من فتح مدينة حلب التى هي مفتاح البلاد وتسلم قلعتها

التي هي احد مارست به الأرض من الأوتاد فلله الحمد واين يقع الحمد من هذه المنة ونسأل الله الغاية المطلوبة بعد هذه الغاية وهي الجنة وصدرت هذه البشرى والموارد قد امضت مصادرها والأحكام في مدينة حلب نافذة في باديها وحاضرها وقلعتها قد اناف لواؤنا على انفها وقبضت على عقبه بكفها واعتذرت من لقائه امس برشقها ورأينا ان نتشاغل بما بورك لنا فيه من الجهاد وان نوسع المجال فيما نضيق به تقلب الذين كفروا في البلاد .

كتاب اخر حين فتح تل خالد

نزلنا تل خالد يوم الثلاثا ثاني عشر المحرم وكان قد تقدمنا الأجل تاج الملوك اليها واناخ عليها وقابلها وقاتلها وعالجها ولو شاء لعاجلها ولما اطلت عليها راياتنا القى من فيها بيده وانجز النصر صادق وعده وارسلتها حلب مقدمة لفتحها وقد انعم الله علينا بنعم لانحصيها تعداداً ولا نستقصيها اعتدادا ولا نستوعبها ولو كان النهار طرساً والبحر مدادا . ورايتنا المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها بطبعها وسيوفنا قد صارت مفاتح الأمصار تفتحها بنصر الله لايجدها ولا يقطعها

من كتاب آخر الى الخليفة في بغداد

قال في الروضتين قال العماد ورد على السلطان وهو نازل على حلب بشارتان احدهما ان الأسطول المصري غزا في خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة ايام وقد ظفر ببطشة مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون علجا من خيالة وتجار . والثانية ان فرنج الداروم نهضوا فنذر بهم والى الشرقية فخرج اليهم فالتقوا على ماء يعرف بالعسيلة فاستولى عليهم المسلمون بعد ان كادوا يهلكون عطشا لأن الفرنج كانوا قد ملكوا الماء فأرواهم الله بماء السماء قلت وكتب الفاضل عن السلطان الى بغداد بهاتين البشارتين وبفتح حلب وحارم كتابا شافيا اوله . ادام

الله ايام الديوان العزيز ولا زالت منازل مملكته منازل التقديس والتطهير والوقوف بأقصى المطارح من ابوابه موجبا للتقديم والتصدير والأمة مجموعة الشمل بأمامته جمع السلامة لاجمع التكسير. الخادم ينهى ان الذي يفتتحه من البلاد ويتسلمه اما بسكون التغمد اوبحركة مافى الأغماد انما يعده طريقا الى الأستنفار الى بلاد الكفار ويحسبه جناحا يمكنه به المطار الى مايلابسه الكفار من الاقطار [وبعد ان ذكر البشارتين] ذكر تسلمه حلب وانه لا يؤثر الا ان تكون كلمة الله هي العليا لاغير وثغور المسلمين لها الرعاية ولا ضير ولا نختار الا ان تغدو جيوش المسلمين متحاشدة على عدوها لامتحاسدة بعتوها ولو ان امور الحرب تصاحها الشركة لما عز عليه ان يكون كثير المشاركين ولا اساءه ان تكون الدنيا كثيرة المالكين وانما امور الحروب لا تحتمل فى التدبير الا الوحدة فاذا صح التدبير لم يحتمل في اللقاء الا العدة فعوض عماد الدين من بلاد الجزيرة سنجار وخابورها ونصيبين والرقة وسروج على ان المظالم تموت فلا ينشر مقبورها والعساكر تنشر راية غزوها فلا يطوى منشورها واجاب الخادم عماد الدين الى ماسأل فيه من ان يصالح المواصلة مهما استقاموا لعماد الدين لأنه لم يثق بهم وان كان لهم اخا ولم يطمئن الى مجاورتهم الى ان يضرب بينه وبينهم من عنايته برزخا فليلح الآن عذر الأجنبي اذا لم يثق ولتكن هذه نصيحة من عوتب في شكره بحسن الظن فلم ينفق ومن شرطه على المواصلة المؤنة بعسكرهم في غزواته والخروج من المظالم فازاد على ان قال سالموا مسلما وحاربوا كافرا واسكنوا لتكون الرعية ساكنة وأظهروا ليكون حزب الله ظاهرا وهذه المقاصد الثلاثة (١) الجهاد في سبيل الله (٢) والكف عن مظالم عباد الله (٣) والطاعة لخليفة الله هي مراد الخادم من البلاد اذا فتحها ومغنمه من الدنيا اذا منحها والله العالم

انه لايقاتل لعيش الين من عيش ولا لغضب يملأ العيان من نزق ولا طيش ولا
يريد الاهذه الأمور التي قد توسم انها تلزم ولا ينوى الاهذه النية التى هي خير
ما يسطر فى الصحيفة ويرقم

وكتب الخادم هذه الخدمة بعد ان بات بحلب ليلة وخرج منها الى حارم وكانت
استحفظت مملوكا لايملكه دين ولا عقل غرّ ما هذبته نفس ولا اهل فاعتقد ان
يسلمها الى صاحب انطاكية يسر الله فتحها اعتمادا صرح بفعله وشهره بكتبه
ورسله وواطأ على ذلك نفرا من رجال يعرفون بالسيمة ولا يعرفون خالقا الا
من عرفوه رازقا ولا يسجدون الا لمن يرونه فى نهر النهار سابحا وفي بحر الظلام
غارقاً فشمر به من فيها من الأجناد المسلمين فشردوه ومن تابعه على فعله وظفر
به المملوك عمر ابن اخيه فى ضواحى البلد فأخذه وارسله الى قلعة حلب وسار
الخادم اليهافتسلمهاورتب بها حامية ورابطة ولم يعمل على انها للعمل طرف بل انها
للعقد واسطة والخادم كما طالع بماضيه الذى حازه الامس المذكور يطالع بمستقبله
الذى ينجزه بمشيئة الله الغد المشكور فهو متأهب للخروج نحـو الكـفـار
لا تسأم رايته النصب ولا جبهة سيره الرفع ولا جيشه الجر ولا يصغى الى
قول خاطر الراحة المفند لا تنفروا في الحر ولا يجيب دعوة الفراش الممهدولا
يعرج على الظل الممدد ولا دمية القصر المشيد ولا يعطف على ريحانة فؤاد يفارقه
حولا ويلقاه يوما ولا يقيم على زهرة ولد استهل فتى ذكره الفطر على راحته
قال اني نذرت للرحمن صوما اه

رجوع السلطان صلاح الدين من حلب الى دمشق

قال في الروضتين قال القاضي ابن شداد لم يقم السلطان في حلب الا الى يوم

السبت الثاني والعشرين من ربيع الآخر وانشأ عزما على الغزاة فخرج ذلك اليوم الى الوضيحى مبرزاً نحو دمشق واستنهض العساكر فخرجوا يتبعونه ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماة فوصلها ثم رحل فى بقية يومه ولم يزل يواصل بين المنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الأولى فأقام بها متأهبا الى السابع والعشرين ثم ذكر غزوته لعين جالوت وبسط القول في ذلك

ذكر تولية السلطان صلاح الدين اخاه الملك العادل

ابا بكر بن ايوب على حلب .

قال في الروضتين كان الملك العادل نائبا بمصر فلما فتح السلطان حلب كتب العادل اليه يطلبها منه مع اعمالها ويدع الديار المصرية فكتب السلطان اليه ان يوافيه الى الكرك فأنه سائر الى فتحه فاشار القاضى الفاضل على السلطان ان يستنيب في الديار المصرية موضع اخيه العادل ابن اخيه تقى الدين فاستصحبه السلطان معه في رجب الى الكرك هذه السنة وحاز فى طريقه قبل وصوله اليها غنائم وخيم على الربة ثم حصر الكرك ورماه بالمجانيق صباحاً ومساء وتناوب عليه الأمراء حتى خرج شهر رجب وما حصل منه الطلب لكن عظمت النكاية في الكفار بأخذ اموالهم وتخريب الديار ووصل الخبر ان الفرنج قد استجمعوا وتجمعوا بالموضع المعروف بالواله على قصد المسلمين وخلاص الكرك من ايديهم ورأى السلطان ان حصره يطول فعول على الرحيل الى دمشق ووصل العادل الى السلطان وهو بعد على الكرك فجهز تقي الدين الى الديار المصرية واليا عليها وقوى عضده بصحبة القاضى الفاضل له وتولى العادل حلب واعمالها ومنبج وجميع قلاعها فسار اليها في رمضان ورجع منها الى دمشق الملك الظاهر ونواب السلطان

قلت وكتب العادل الى الفاضل يستشيره فى التعوض عن مصر بحلب فكتب اليه الفاضل كتابا فيه

انما انت كغيث ماطر * حيثما صرفه الله انصرف

قال ابن ابى طي كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه في جميع اموره ويتيمن بمشورته ولا يعلم بأنه اشار على السلطان بأمر فخالفه حدثنى قاضى اليمن جمال الدين قال كان السلطان يجمع الامراء للمشورة فأن كان العادل حاضرا سمع من رأيه وان لم يكن حاضراً لم يقطع امرا في المهمات حتى يكاتبه بجلية الأحوال ثم يسمع رأيه فيها قال وحدثنى ابى قال حدثنى جماعة قالوا كان السلطان ليس له غناء عن العادل ولا عن رأيه فلما حصل العادل بمصر وبعد عن السلطان هناك صار السلطان يتكلف بمكاتبته بالأخبار ويؤخر الأمور الى ان يرد عليه جوابه فيفوته بذلك كثير من المنافع الحاصلة للدولة وللجهاد فلما حصر الكرك في هذه السنة كاتبه بالحضور اليه بعياله وامواله وجميع اصحابه وولى مصر تقى الدين ولما حصل العادل عند السلطان وقع في نفسه ان يعوضه عن ولاية مصر ثم حار في ولاية يوليه اياها قال وحدثني علم الدين قيصر الصلاحى قال انما اقدم السلطان العادل من مصر لأجل ولاية حلب وبذلك كاتبه ولهذا خرج العادل بأمواله وعياله واثقاله قال وحدثنى غيره قال لما حصل العادل عند السلطان بأمواله واثقاله كانت الأموال قد قلت على السلطان وقد حصلت عنده عساكر عظيمة فأحضر العادل ليلا وقال اريد ان تقرضنى مائة وخمسين الف دينار الى الميسور فقال السمع والطاعة ثم قام وخرج من عنده وكتب اليه يقول اموالى جميعها بين يديك وانا مملوك واشتهى ان احمل هذا المال الى خدمة السلطان ويكون عوضا عنه مدينة حلب وقلعتها فأجابه السلطان انني والله ما اقدمتك الا لأوليك حلب

واذ قد اقترحت ذلك فقد وافق ماعندي فلما اصبح العادل انفذ وسأل السلطان ان يكتب له بمدينة حلب كتاباً ويجعله ككتاب البيع والشراء فامتنع السلطان وقال انما تكون حلب اقطاعا والمال عليه له فاعتذر العادل الى السلطان ولما اجتمعا قال له السلطان [اظننت ان البلاد تباع اوماعلمت ان البلاد لأهلها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ورعاة للدين وحراس لأموالهم] اوما علمت ان السلطان ملك شاه السلجوقي لما وقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به احد من القضاة ولا من الفقهاء. ثم قرر السلطان ولاية العادل لحلب واعمالها الى رعبان الى الفرات الى حماة وكتب له التوقيع وقرر عليه مالاً يحمله برسم الزرد خانات وخزانة الجهاد ورجالة من الحلبيين ورحل السلطان الى دمشق واستدعى ولده الظاهر من حلب فلما حضر امره بالعود الى حلب وتسليمها الى عمه العادل ففعل وعاد الى دمشق وسار العادل الى حلب فالتقيا بالرستن وباتا فيه فكانت ولاية الظاهر بحلب فى هذه النوبة نحو ستة اشهر ولما وصل الظاهر الى دمشق اقبل على خدمة والده والتقرب اليه الا ان الأنكسار لخروج حلب عنه ظاهر عليه وهو مع ذلك لايظهر شيئا الا الطاعة لوالده والانقياد الى مرضاته حدثني ابي عن مجد الدين ابن الخشاب قال حدثني الملك الظاهر قال لما بلغني ان السلطان اعطى حلب للملك العادل جرى عليّ ما قدم وما حدث واصابني من السهم مالم اقدر على النهوض به ووددت اني لم اكن رأيتها ولا دخلت اليها لأني قلبي احبها وقبلها وطاب لي هواؤها ولما فارقتها كنت احن اليها واشتاقها قال ودخل العادل حلب فى رمضان وخلع على المقدمين والأعيان وكان قد قدم بين يديه كاتبه المعروف بالصنيعة لتسلم حلب وقلعتها من الملك الظاهر وولى القلعة صارم الدين بزغش وولى الديوان والأقطاعات شجاع الدين بن البيضاوي صباغ ذقنه وولى

الأنشاء وما يتعلق بأمور السر للصنيعة ابن النحال وكان نصرانيا ثم اسلم على يد العادل فولى ابن النحال الوظائف لجماعة من النصارى وفي ذلك يقول الشاعر

فـاق دين المسيح في دولة العا * دل حتى عـلا على الأديان
ذا امير وذا وزير وذا وا * لي وذا مشرف على الديوان

وفي السيرة الصلاحية للقاضي ابن شداد قال عاد السلطان صلاح الدين من الكرك الى دمشق مستصحبا اخاه الملك العادل معه لأياسه عن الكرك بعد نزول الأفرنج عليها فدخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان واعطى اخاه الملك العادل حلب بعد مقامه بدمشق الى ثاني يوم من شهر رمضان وكان بها ولده الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكج يدبر امره وابن العميد في البلد وكان الملك الظاهر من احب الاولاد الى قلبه لما قد خصه الله به من الشهامة والفطنة والعقل وحسن السمت والشغف بالملك وظهور ذلك كله وكان ابر الناس بوالده واطوعهم له ولكن اخذ منه حلب لمصلحة رآها فخرج من حلب لما دخل الملك العادل هو ويازكج مباثرين الى خدمة السلطان فدخل دمشق الثامن عشر من شوال فأقام في خدمة ابيه لايظهر الا الطاعة والأنقياد مع انكسار فى باطنه لايخفى عن نظر والده اه

ومما يجدر ذكره هنا ما ذكره ابن خلكان في ترجمة محمد ابي السعادات المعروف بالمسعودى قال حكى ابو البركات الهاشمى الحلبي قال لما دخل السلطان صلاح الدين الى حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودى المذكور الى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الوقف (وكان محلها فى الشرقية) واختار منها جملة اخذها لم يمنعه منها مانع ولقد رأيته وهو يحشوها فى عدل اه !

سنة ٥٨٠

ذكر وصف الرحالة ابي الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي لما مر به من هذه الديار في هذه السنة

قال في وصفه لمدينة حران

بلد لاحسن لديه ولا ظل يتوسط برّدَيه قد اشتق من اسمه هواءه فلا يألف البرد ماؤه . ولا تزال تتقد بلفح الهجير ساحاته وارجاؤه . لا تجد فيه مقيلا ولا تنفس منه الا نفساً ثقيلا . قد نبذ بالعراء . ووضع في وسط الصحراء . فعدم رونق الحضارة . وتعرت اعطافه من ملابس النضارة . استغفر الله كفى بهذا البلد شرفا وفضلا انها البلدة العتيقة المنسوبة لأبينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم وله بقبليها بنحو ثلاثة فراسخ مشهد مبارك فيه عين جارية كان مأوى له واسارة صلوات الله عليها ومتعبداً لهما . ببركة هذه النسبة قد جعل الله هذه البلدة مقراً للصالحين المتزهدين ومثابة للسائحين المتبتلين لقينا من افرادهم الشيخ ابا البركات حيان بن عبد العزيز حذاء مسجده المنسوب اليه وهو يسكن منه في زاوية بناها في قبلته وتتصل بها في آخر الجانب زاوية لأبنه عمر قد التزمها واشبه طريقة ابيه فما ظلم وتعرفت منه شنشنة اعرفها من أخزم فوصلنا الى الشيخ وهو قد نيف على الثمانين فصافحنا ودعا لنا وامرنا بلقاء ابنه عمر المذكور من رجال الآخرة ولقينا ايضا بمسجد عتيق الشيخ الزاهد سلمة فلقينا رجلاً من الزهاد الأفراد فدعا لنا وسألنا ودعناه وانصرفنا وبالبلد سلمة آخر يعرف بالمكشوف الرأس لا يغطي رأسه تواضعا لله عز وجل حتى عرف بذلك ووصلنا الى منزله فاعلمنا انه خرج للبرية سائحاً وبهذه البلدة كثير من اهل الخير واهلها هينون معتدلون محبون للغرباء مؤثرون للفقراء واهل هذه البلاد من الموصل لديار بكر وديار

ربيعة الى الشام (١) على هذ السبيل من حب الغربـاء واكرام الفقراء واهل قراها كذلك فما يحتاج الفقراء الصماليك معهم زاداً .لهم في ذلك مقاصد فى الكرم مأثورة وشأن اهل هذه البلاد في هذا السبيل عجيب والله ينفعهم بما هم عليه واما عبادهم وزهادهم والسائحون في الجبال منهم فاكثر من ان يقيدهم الأحصاء والله ينفع المسلمين ببركاتهم وصوالح دعواتهم بمنه وكرمه. ولهذه البلدة المذكورة اسواق حفيلة الانتظام عجيبة الترتيب مسقفة كلها بالخشب فلا يزال اهلها في ظل ممدود فتخترقها كأنك تخترق داراً كبيرة الشوارع قد بني عند كل ملتقى اربع سكك اسواق منها قبة عظيمة مرفوعة مصنوعة من الجص هى كالمفرق لتلك السكك ويتصل بهذه الأسواق جامعها المكرم وهو عتيق مجدد قد جاء على غاية الحسن وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سواري رخـام وتحت كل قبة بئر عذبة وفي الصحن ايضا قبة رابعة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام دور كل سارية تسعة اشبار وفي وسط القبة عمود من الرخام عظيم الجرم دوره خمسة عشر شبرا وهذه القبة من بنيان الروم واعلاها مجوف كأنه البرج المشيد يقال انه كان مخزنا لعدتهم الحربية والله اعلم . والجامع المكرم سقف بجوائز الخشب والحنايا وخشبه عظام طوال لسعة البلاط وسعته خمس عشرة خطوة وهو خمسة ابلطة وما رأينا جامعا اوسع حنايا منه وجداره المتصل بالصحن الذي عليه المدخل مفتتح كله ابوابا عددهم تسعة عشر بابا تسعة يمينـا وتسعة شمالا والتاسع عشر منها باب عظيم وسط هذه الأبواب يمسك قوسه من أعلى الجدار الى اسفله بهي المنظر جميل الوضع كانه باب من ابواب المدن الكبار ولهذه الأبواب كلها اعلاق من الخشب البديع الصنعة والنقش تنطبق

(١) كان مجيئه من بغداد الى الموصل الى هذه البلاد

عليها على شبه ابواب مجالس القصور فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب اسواقه المتصلة به مرآى عجيبا قل ما يوجد في المدن مثل انتظامه ولهذه البلدة مدرسة ومارستان وهي بلدة كبيرة وسورها متين حصين مبني بالحجارة المنحوتة المرصوص بعضها على بعض في نهاية من القوة وكذلك بنيان الجامع المكرم ولها قلعه حصينة مما يلي الجهة الشرقية منها منقطعة عنها بفضاء واسع بينهما ومنقطعة ايضا عن سورها بحفير عظيم يستدير بها قد شيدت حافاته بالحجارة المركومة فجاء في نهاية الوثاقة والقوة. وسور القلعه وثيق الحصانة ولهذه البلدة نهير مجراه بالجهة الشرقية ايضا منها بين سورها وجبانتها ومصبه من عين هي على بعد من البلد والبلد كثير الخلق واسع الرزق حاصل البركة كثير المساجد جم المرافق على احفل ما يكون من المدن وصاحبه مظفر الدين بن زين الدين (له ذكر في حوادث سنة ٥٧٨) وطاعته الى صلاح الدين وهذ البلاد كلها من الموصل الى نصيبين الى الفرات المعروفة بديار ربيعة وحده من نصيبين الى الفرات مع ما يلي الجنوب من الطريق وديار بكر التي تليها في الجانب الجوفي كآمد وميافارقين وغيرها مما يطول ذكره ليس في ملوكها من يناهض صلاح الدين فهم الى طاعته وان كانوا مستبدين وفضله يبقى عليهم ولو شاء نزع الملك منهم لفعله بمشيئة الله فكان نزولنا ظاهر البلد بشرقيه على نهيره المذكور واقمنا مريحين يوم الاثنين ويوم الثلاثا منه واثر الظهر منه كان اجتماعنا بسلمة المكشوف الرأس الذي فاتنا لقاؤه يوم الاثنين فلقيناه بمسجده فرأينا رجلاً عليه سيما الصالحين وسمت المحبين مع طلاقة وبشر وكرم لقاء وبر فآنسنا ودعا لنا وودعناه وانصرفنا حامدين لله عز وجل على ما من علينا من لقاء اوليائه الصالحين وعباده المقربين وفي ليلة الأربعا التاسع لربيع المذكور كان رحيلنا بعد تهويم

ساعة فأسرينا الى الصباح ونزلنا مريحين بموضع يعرف بتل عبدة وهو موضع عمارة وهذا التل مشرف متسع كأنه المائدة المنصوبة وفيه اثر بناء قديم وبهذا الموضع ماء جار وكان رحيلنا منه عند المغرب وأسرينا الليل كله واجتزنا على قرية تعرف بالبيضاء فيها خان كبير جديد وهو نصف الطريق من حران الى الفرات ويقابلها على اليمين من الطريق في استقبالك الفرات الى الشام مدينة سروج التي شهر ذكرها الحريرى بنسبة ابي زيد اليها وفيها البساتين والمياه المطردة حسبما وصفها في مقاماته فكان وصولنا الى الفرات ضحوة النهار وعبرنا في الزواريق المقلة المعدة للعبور الى قلعة جديدة على الشط تعرف بقلعة نجم وحولها ديار بادية وفيها سويقة يوجد فيها المهم من علف وخبز فأقمنا بها يوم الخميس العاشر لربيع الأول المذكور مريحين خلال ما تكمل القافلة بالعبور واذا عبرت الفرات حصلت فى حد الشام وسرت في طاعة صلاح الدين الى دمشق والفرات حد بين ديار الشام وديار ربيعة وبكر وعن يسار الطريق في استقبالك الفرات الى الشام مدينة الرقة وهي على الفرات وتليها رحبة مالك بن طوق وتعرف برحبة الشام وهى من المدن الشهيرة ثم رحلنا منها عند مضي ثلث الليل الأول واسرينا ووصلنا مدينة منبج مع الصباح من يوم الجمعة الحادي عشر لربيع المذكور والثانى والعشرين ليونيه

وقال فى وصفه لمدينة منبج

بلدة فسيحة الأرجاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والأنتهاء جوها صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها ارج النشر عليل نهارها يندى ظله وليلها كما قيل فيه سحر كله تحف بغربيها وبشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بآبار معينة شهدية العذوبة سلسبيلة

المذاق تكون فى كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياها
كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات
والمخازن انساعا وكبرا واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر
مدن هذه الجهات لكن هذه البلدة تعاقبت عليها الأحقاب حتى اخذ منها
الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم
اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفيها تنقطع عنها وتنحاز منها ومدن هذه
الجهات كلها لاتخلومن القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون شافعيون
وهى مطهرة بهم من اهل المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة كما تجده في الأكثر
من هذه البلاد فمعاملتهم صحيحة واحوالهم مستقيمة وجادتهم الواضحة فى دينهم
من اعتراض بنيات الطريق سليمة فكان نزولنا خارجها في احد بساتينها واقمنا
يوما مريحين ثم رحلنا نصف الليل ووصلنا بزاعة ضحوة يوم السبت الثاني
عشر لربيع المذكور

وقال في وصفه لبلدة بزاعة

بقعة طيبة الثرى واسعة الذرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع
بين المرافق السفرية والمتاجر الحضرية وفى اعلاها قلعة كبيرة حصينة رامها احد
ملوك الزمن فغاظته باستصعابها فأمر بثلم بنائها حتى غادرها عودة منبوذة
لعرائها ولهذه البلدة عين معينة يخترق ماؤها بسيط بطحاء ترف بساتينها خضرة
ونضارة وتريك برونقها الأنيق حسن الحضارة ويناظرها في جانب البطحاء
قرية كبيرة تعرف بالباب بين بزاعة وحلب وكان يعمرها منذ ثماني سنين قوم
من الملاحدة الاسماعيلية لايحصى عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السبيل
فسادهم واضرارهم حتى داخلت اهل هذه البلاد العصبية وحركتهم الأنفة والحمية

فتجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم وعجلوا بقطع دابرهم وكومت بهذه البطحاء جماجمهم وكفى الله المسلمين عاديتهم وشرهم واحاق بهم مكرهم والحمد لله رب العالمين . وسكانها اليوم قوم سنيون فاقمنا بها يوم السبت ببطحاءهذه البلدة مريحين ورحلنا في الليل واسرينا الى الصباح ووصلنا مدينة حلب يوم الأحد الثالث عشر لربيع الأول والرابع والعشرين ليونيه

وقال في وصفه لحلب حرسها الله

بلدة قدرها خطير وذكرها في كل زمان خطير خطابها من الملوك كثير محلها من النفوس اثير فكم هاجت من كفاح وسلت عليها من بيض الصفاح لها قلعة شهيرة الأمتناع بائنة الأرتفاع معدومة الشبه والنظير فى القلاع تنزهت حصانة ان ترام اوتستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الأرض مستديرة منحوته الأرجاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من احكم تقديرها وتدبيرها وابدع كيف شاء تصويرها وتدويرها عتيقة فى الأزل حديثة وان لم تزل قد طاولت الأيام والأعوام وشيعت الخواص والعوام هذه منازلها وديارها فأين سكانها قديما وعمارها وتلك دارمملكتها وفناؤها فأين امراؤها الحمدانيون وشعراؤها . اجل فنى جميعهم ولم يأن بعد فنائها فيا عجبا للبلاد تبقى وتذهب املاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها تخطب بعدهم فلا يتعذر ملاكها وترام فيتيسر بأهون شيء ادراكها هذه حلب كم ادخلت من ملوكها في خبركان ونسخت ظرف الزمان بالمكان انث اسمها فتحلت بزينة الغوان ودانت بالغدر فيمن خان وتجلت عروساً بعد سيف دولتها ابن حمدان هيهات هيهات سيهرم شبابها ويعدم خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وتتطرف في جنبات الحوادث اليها حتى

يرث الله الأرض ومن عليها لا إله سواه سبحانه جلت قدرته وقد خرج بنا الكلام عن مقصده فلنعد الى ما كنا بصدده فنقول ان من شرف هذه القلعة انه يذكر انها كانت قديما في الزمان الأول ربوة يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب والله علم وبها مشهد كريم يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبانة فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ ابد الدهر والطعام يصبر فيها الدهر كله وليس فى شروط الحصانة اهم ولا آكد من هاتين الخلتين ويطيف بهذين الجبلين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لايكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة والحسن اعظم من ان ننتهي الى وصفه وسورها الأعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالى المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية .

واما البلد فموضعه ضخم جداً حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فكانها فى ظلال وارفة فكل سوق منها تقيد الأبصار حسنا وتستوقف المستوفز تعجبا واما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من المرائي الرياضية واكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللتها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها اجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من ابواب

الجامع المكرم . وهذا الجامع من احسن الجوامع واجملها قد اطاف بصحنه الواسع بلاط كبير متسع مفتح كله ابواباً قصرية الحسن الى الصحن عددها ينيف عن عن الخمسين بابا فيستوقف الابصار حسن منظرها . وفى صحنه بئران معينتان والبلاط القبلي لامقصورة فيه فجاء ظاهر الانساع رائق الانشراح وقد استفرغت الصنعة القرنصية جهدها فى منبره فما أرى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته واتصلت الصنعة الخشبية منه الى المحراب فتجللت صفحاته كلها حسناً على تلك الصفة الغريبة وارتفع كالتاج العظيم على المحراب وعلا حتى اتصل بسمك السقف وقد قوس اعلاه وشرف بالشرف الخشبية القرنصية وهو مرصع كله بالعاج والآبنوس واتصال الترصيع من المنبر الى المحراب مع ما يليهما من القبلة دون ان يتبين بينهما انفصال فتجتلي العيون منه ابدع منظر يكون فى الدنيا وحسن هذا الجامع المكرم اكثر من ان يوصف

ويتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة فيها في الحسن روضة تجاور أخرى وهذه المدرسة من احفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ومن اظرف ما يلحظ فيها ان جدارها القبلي مفتح كله بيوتاً وغرفاً لها طيقان يتصل بعضها ببعض وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنباً فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدلياً امامها فيمد الساكن فيها يده ويجتنيه متكئاً دون كلفة ولا مشقة

وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو اربع مدارس او خمس ولها مارستان وامرها فى الاحتفال عظيم فهي تليق بالخلافة وحسنها كله داخل لا خارج لها الانهير يجري من جوفيها الى قبليها ويشق ربضها المستدير بها فان لها ربضاً كبيراً فيه من

سيأتي الكلام على هذا المنبر والمنبر الذى حمل من حلب الى القدس فى حوادث سنة ٥٨٣ ه

الخانات مالا يحصى عدده وبهذا النهر الارحـاء وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط ربضه وبهذا الربض بعض بساتين تتصل بطوله وكيفما كان الأمر فيه داخلاً وخارجا فهو من بلاد الدنيا التي لانظير لها والوصف فيه يطول فكان نزولنا بربضه في خان يعرف بخان ابي الشكر فاقمنا فيه اربعة ايام ورحلنا ضحوة يوم الخميس السابع عشر لربيع المذكور والثامن والعشرين ليونية ووصلنا (قنسرين) قبيل العصر فارحنا بها قليلا ثم انتقلنا الى قرية تعرف (بتل تاجر) فكان مبيتنا بها ليلة الجمعة الثامن عشر منه .

كلامه على قنسرين والمعرة

قال وقنسرين هذه هي البلدة المشهورة فى الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تغن بالأمس فلم يبق الا آثارها الدارسة ورسومها الطامسة ولكن قراها عامرة منتظمة لأنها على محرث عظيم مد البصر عرضا وطولاً وتشبهها من البلاد الأندلسية جيان ولذلك يذكر ان اهل قنسرين عند استفتاح الأندلس نزلوا جيان تأنسا بشبه الوطن وتعللا به مثل مافعل في اكثر بلادها حسب ماهو معروف ثم رحلنا من ذلك الموضع عند الثلث الماضي من الليل فأسرينا وسرنا الى ضحوة من النهار ثم نزلنا مريحين بموضع يعرف بيافدين في خان كبير يعرف بخان التركمان وثيق الحصانة وخانات هذا الطريق كأنها القلاع امتناعا وحصانة وابوابها حديد وهي من الوثاقة فى غاية ثم رحلنا من هذا الموضع وبتنا بموضع بتمني فى خان وثيق على الصفة المذكورة ثم اسحرنا منه يوم السبت التاسع عشر لربيع الأول المذكور وهو آخر يوم من يونية

ورأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين يوم الجمعة المذكور بلاد (المعرة) وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ويتصل التفـاف

بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا

ذكر مجيء الخلع من الخليفة الى السلطان صلاح الدين

ونزول عسكر الموصل على اربل

قال القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية في شهر جمادى الآخرة وصل رسول الخليفة ومعه الخلع فلبسها السلطان والبس اخاه الملك العادل (كان عنده بدمشق) وابن اسد الدين خلعا جاءت لهم وفى الرابع عشر من هذا الشهر خلع السلطان خلعة الخليفة على ابن قره ارسلان واعطاه دستورا واعطاه العساكر

وفى هذا التاريخ وصلت رسل ابن زين الدين مستصرخا الى السلطان يخبر ان عسكر الموصل وعسكر قزل نزلوا مع مجاهد الدين قايماز على اربل وانهم نهبوا واحرقوا وانه نصر عليهم وكسرهم

(سنة ٥٨١)

ذكر مجيء السلطان الى حلب وتوجهه الى حران ثم قصده

نواحى الموصل

قال القاضي ابن شداد ولما سمع السلطان ذلك رحل من دمشق يطلب البلاد وتقدم الى العساكر فتبعه وسار حتى اتى حران على طريق البيرة والتقى مع مظفر الدين بالبيرة فى الثانى عشر من محرم سنة احدى وثمانين وتقدم السلطان الى سيف الدين المشطوب ان يسير في مقدمة العساكر الى رأس العين ووصل السلطان الى حران الثاني والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين منه قبض على مظفر الدين بن زين الدين لشيء كان قد جرى منه وحديث كان بلغه عنه رسوله ولم يقف عليه وانكره فأخذ منه قلعة حران والرها ثم اقام في الاعتقال

تأديبا الى مستهل ربيع الأول ثم خلع عليه وطيب قلبه واعاد اليه قلعة حران وبلاده التي كانت بيده واعاده الى قانونه في الأكرام والأحترام ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ووعده بها ثم رحل السلطان ثانى ربيع الأول الى رأس العين ووصله في ذلك رسول قليج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق بأسرهم قد اتفقت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين وانهم على ضرب المصاف معه ان اصر على ذلك فرحل السلطان يطلب دنيسر فوصله ثامن ربيع الأول عماد الدين بن قره ارسلان ومعه عسكر نور الدين صاحب ماردين فالتقاهم واحترمهم ثم رحل من دنيسر حادى عشر نحو الموصل حتى نزل موضعا يعرف بالأسماعيليات قريب الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة جديدة يحاصر الموصل فبلغ عماد الدين بن قره ارسلان موت اخيه نور الدين فطلب من السلطان دستوراً طمعا في ملك اخيه فأعطاه دستوراً . اه

قال في الروضتين قال العماد دخلت سنة احدى وثمانين والسلطان مخيم بظاهر حماة فسار الى حلب وتلقاه اخوه الملك العادل واجتمعت له بها العساكر فخرج منها فى صفر لقصد الموصل فسار وقطع الفرات واقام العسكر ثلاثة ايام للعبور بها وكان السلطان قد سير الى معاقل الفرات وقلاعه ونواحيه وضياعه وامر اهلها بعمارة كل سفينة في الفرات وزورق ومركب وجمعها من كل مشرق ومغرب ثم وصل الى حران وفيها مظفر الدين بن زين الدين وهو اخو زين الدين يوسف صاحب اربل وقد كان اول من دخل فى خدمة السلطان واول ما قصد تلك البلاد في المرة الأولى واقتدى به اخوه وغيره من اصحاب الاطراف في الأنتماء الى السلطان وحضر معه حصار عدة بلاد كالموصل وسنجار وآمد وحلب واظهر من المودة فوق ماكان في الحساب وكان كثير الحث للسلطان

على المسير الى الموصل هذه المرة برسوله وكتابه وقال رسوله للسلطان اذا عبرتم الفرات فان مظفر الدين يستدرك كل مافات ويقوم بكل ما يحتاج اليه في تلك البلاد من النفقات والغرامات والازواد ويقدم يوم الوصول الى حران خمسين الف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان الى حران لم ير منه ما التزمه الرسول فارتاب وظن انه مال مع المواصلة ووشت الأعداء فيه بذلك وان نيته قد تغيرت فخلف للسلطان انه لم يتغير وان ما التزمه الرسول لم يكن بأمره وهو ابن ماهان فانعزل عنده عن مرتبته وهان فقبض السلطان على مظفر الدين ليتبين امره وشاور فيه اصحابه فاشار بعضهم بأتلافه وبعضهم باستبقائه واستئلافه فعفا السلطان عنه على ان يسلم اليه قلعتي الرها وحران ففعل ذلك وهو مسرور ببقاء نفسه ثم اعيدت اليه القلعتان في آخر السنة لما رأى السلطان من حركاته المستحسنة اهـ

ثم بسط في الروضتين الكلام على محاصرته للموصل ثم رحيله عنها الى ميافارقين ومحاصرتها الى ان ملكها ثم رحيله منها الى خلاط ثم عوده الى الموصل ونزوله بموضع قريب منها يقال له كفرزمار

قال ابن شداد ومرض السلطان بكفرزمار مرضا شديداً خاف من غائلته فرحل طالباً حران وهو مريض وكان يتجلد ولا يركب محفته فوصل وهو شديد المرض وبلغ الى غاية الضعف وايس منه وارجف بموته ووصل اليه اخوه العادل من حلب ومعه الأطباء .

وكان ذلك سبباً للصلح مع المواصلة وبسط في الروضتين ما تقرر بينه وبينهم من الأمور قال ولما امتد زمان مرضه امر ببناء دار عند سرادقه فبنيت في اربعة او خمسة ايام ثم آذن الله بالشفاء وسمى هذه الدار دار العافية للبرء فيها

من سقامه ثم اخلاها لمن ينزل بها ضيفاً وجعلها للآوين اليها وقفا

سنة ٥٨٢

﴿ ذكر عود السلطان من حران الى حلب وتوجهه ﴾
منها الى دمشق

قال القاضي ابن شداد ولما وجد السلطان نشاطا من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان وصوله اليها رابع عشر محرم سنة اثنتين وثمانين وكان يوماً مشهوداً لشدة فرح الناس بعافيته ولقائه فأقام بها اربعة ايام ثم رحل نحو دمشق

(ذكر نقل ملك العادل من حلب الى مصر)
وتولية حلب للملك الظاهر غازي وشرح اسباب ذلك

قال القاضي ابن شداد وفى سابع عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وصل الملك الأفضل علي (ابن السلطان صلاح الدين ونائبه بمصر) الى دمشق ولم يكن قد رأى قبل ذلك الشام وكان السلطان رأى رواح الملك العادل الى مصر فأنه كان آنس بأحوالها من الملك المظفر فمازال يفاوضه بذلك وهو على حران مريض وقد حصل ذلك فى نفس الملك العادل فأنه كان يحب الديار المصرية فلما عاد السلطان الى دمشق ومنّ الله بعافيته سير يطلب الملك العادل الى دمشق فأقام بها فى خدمة السلطان فجرت بينهما احاديث ومراجعات فى قواعد تقرر الى جمادى الآخرة واستقرت القاعدة على عود الملك العادل الى مصر وتسليم حلب الى الظاهر وكان الملك الظاهر والملك العزيز بدمشق في خدمة والدهما فلما استقرت على ان يكون اتابك الملك العزيز وسلمه والده يربى امره وسلم الملك العادل حلب الى الملك الظاهر ولقد قال لى الملك العادل انه لما استقرت عليه

هذه القاعدة واجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما قلت للملك العزيز يا مولاى ان السلطان قد امرنى ان اسير في خدمتك الى مصر وانا اعلم ان المفسدين كثير وغدا فما نخلو ممن يقول مالا يجوز عنى ويخوفك منى فأن كان لك عزم تسمع فقل لى حتى لا اجئ فقال لا اسمع وكيف يكون ذلك ثم التفت وقلت للملك الظاهر انا اعرف ان اخاك ربما سمع في اقوال المفسدين وانا فمالى الا انت وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدري من جانبه فقال مبارك وذكر كل خير ثم ان السلطان سير ولده الظاهر الى حلب واعادها اليه وكان رحمه الله يعلم ان حلب هى اصل الملك وجرثومته وقاعدته ولهذا دأب فى طلبها ذلك الدأب ولما حصلت له اعرض عما عداها من بلاد الشرق وقنع منهم بالطاعة والمعونة على الجهاد فسلما اليه علما منه بحذاقته وحزمه وحفظه فسار حتى اتى العين المباركة وسير فى خدمته الشحنة حسام الدين بشارة وواليا شجاع الدين عيسى بن بلاشوا فنزل يوم الجمعة بعين المباركة وخرج الناس الى لقائه فى بكرة تاسع جمادى الآخرة وصعد القلعة ضحوة نهار وفرح الناس به فرحا شديداً ومد على الناس من جناح عداه وافاض عليهم وابل فضله. قال ابن الأثير فى حوادث هذه السنة وقد بلغنى من خبير بأحوال صلاح الدين انه انما حمله على اخذ حلب من العادل واعادة تقي الدين الى الشام ان صلاح الدين لما مرض بحران على ما ذكرناه ارجف بمصر انه قد مات فجرى من تقي الدين حركات من يريد ان يستبد بالملك فلما عوفي صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكارى(١) وكان كبير القدر عنده مطاعاً في الجند الى مصر وامره بأخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار مجدا فلم

---

(١) عيسى هذا له ترجمة في ابن خلكان وهو فقيه وامير كان يلبس ثياب الاجناد ويتعمم عمامة الفقهاء وقد ذكره القاضى ابن شداد فى السيرة الصلاحية في صحيفه ٨٢

يشعر تقي الدين الاوقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه يأمره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة وتتجهز فخرج واظهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فأحسن اليه ولم يظهر له شيئاً مما كان لأنه كان حليما كريما صبوراً رحمه الله. واما اخذ حلب من العادل فأن السبب فيه انه كان من جملة جندها امير كبير اسمه سليمان ابن جندر بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلا ذا مكر ودهـاء فاتفق ان الملك العادل لما كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتأثر بذلك فلما مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يوماً سليمان ابن جندر فجرى حديث مرضه وكان صلاح الدين قداوصى لكل واحد من اولاده بشيء من البلاد فقال له بأي رأي كنت تظن ان وصيتك تمضى كأنك كنت خارجاً الى الصيد فلا يخالفونك بالله مانستحي يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا اراد الطائر ان يعمل عشاً لفراخه قصد اعالى الشجرة ليحمى فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الأرض هذه حلب وهي ام البلاد بيداخيك وحماة بيد ابن اخيك تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجه اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا الأمر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لأولاده فلم ينفعه ما فعل. لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره اه . وكانت وفاة الملك العادل سنة ٦١٥ كما ذكره ابن الأثير في حوادث

هذه السنة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقال انه كان عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة صبوراً حليما ذا اناة يسمع مايكره ويغض عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لايقف فى شيء واذا لم تكن حاجة فلا وملك دمشق سنة ٥٩٢ من الافضل ابن اخيه وملك مصر منه سنة ٥٩٦ وقسم الملك فى حياته بين اولاده وبسط ابن الأثير ذلك وقال ابن خلكان في ترجمته ما خلاصته هو ابو بكر محمد بن ابي الشكر ايوب بن شادى بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب في حال غيبته فى الشام ويستدعى منه الأموال للأنفاق في الجند وغيرهم

ولما ملك السلطان مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة اعطاها لولده الظاهر غازي ثم اخذها منه واعطاها للملك العادل فانتقل اليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي بن السلطان لمصلحة وقع الانفاق عليها بينه وبين اخيه صلاح الدين وخروج منها في سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول ثم اعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل في الممالك فى حياة السلطان وبعد وفاته وآخر الأمر انه استقل بمملكة الديار المصرية وخطب له بحلب يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتى عشرة وستمائة وكان ملكاً عظيماً ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازماً فى الأمور صالحاً محافظاً على الصلوات في اوقاتها متبعاً لارباب السنة مائلاً الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس وذكر اسمه في خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وكان بالغالب

يصيف بالشام لأجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش فى ارغد عيش وكان يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد حتى يقال انه كان يأكل وحده خروفاً لطيفاً مشوياً وكان له فى النكاح نصيب وافر وحاصل الامر انه كان ممتعا في دنياه وكانت ولادته بدمشق سنة اربعين وخمسمائة وتوفي سنة خمس عشرة وستمائة ودفن بالقلعة ثانى يوم وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به (هي التى اتخذها الآن المجمع العلمى العربي بدمشق مقراً له واسس فيها مكتبة ومتحفا) ودفن في التربة التى بها وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله

سنة ٥٨٣

ذكر فتح البيت المقدس وحمل المنبر اليه من حلب

في هذه السنة في رجب فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله البيت المقدس وقد كان اخذ من المسلمين سنة اثنين وتسعين واربعمائة فيكون مدة بقائه فى ايديهم احدى وتسعين سنة وبسط ابن الاثير وصاحب الروضتين الأخبار في ذلك قال ابن الاثير وصلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى فى قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محي الدين محمد بن ابى الحسن ابن الزكي قاضي دمشق(١) ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محموداً كان قد عمل بحلب منبرا امر الصناع بالمبالغة فى تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل فى الأسلام مثله فأمر بأحضاره فحمل من حلب ونصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات

(١) وخطبته مذكورة في الروضتين وفي ابن خلكان فى ترجمة ابن الزكي وهي طويلة بديعة

نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله اه

وقال فى الروضتين نقلاعن العماد الكاتب ما خلاصته انهكان بحلب نجار يعرف بالأختريني من ضيعة تعرف بأخترين لم يلف له فى براعته وصنعته قرين فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت الله المقدس وقال له اجتهد ان تأتى به على النعت المهندم والنحت المهندس فجمع الصناع واحسن الأبداع واتمه فى سنين واستحق بحق احسانه التحسين وانفق ان جامع حلب في الأيام النورية احترق فاحتيج الى منبر ينصب فنصب ذلك المنبر وحسن المنظر وتولى حينئذ النجار عمل المحراب على الرقم وشابه المحراب المنبر فى الرسم ومن رأى حلب شاهد منه على مثال المنبر القدسى الأحسان. وفى كراسة عندي تكلم فيها على الجامع الأعظم (ويظهر انها من كنوز الذهب لأبى ذر) قال فيها قرأت في تاريخ الأسلام [للذهبي] وقد كان نور الدين انشأ منبرا برسم الأقصى قبل فتح بيت المقدس طمعا في ان يفتحه ولم تزل نفسه تحدثه بفتحه وكان بحلب نجار فائق الصنعة فعمل لنور الدين هذا المنبر على احسن نعت وابدعه فاحترق جامع حلب فنصب فيه ثم عمل النجار المذكور ويعرف بالأختريني منبرا آخر شبه ذلك المنبر فلما افتتح السلطان بيت المقدس امر بنقل المنبر فنصب الى جانب محراب الأقصى انتهى وقال قبل نقل كلام الذهبي واما المبر الذى هو الآن به فعمل فى ايام السلطان الملك الناصر محمد وصانعه محمد بن على الموصلى بتولى محمد بن عثمان بن الحداد (١)وهذا المنبر غير المنبر الذى كنت سمعت ان صانعه كان فلاحاً من قرية الأخترين من قرى حلب وانه مات قبل تركيبه وعجز الناس عن تركيبه

(١) والملك الناصر محمد تولى الملك فى الديار المصرية ثلاث مرات والمرة الثالثة كانت سنة ٧٠٩ وبقي الى سنة ٧٤١

فرآه ولده في النوم فقال له عجزتم عن تركيبه قال نعم فأراهم كيفية التركيب فاصبح ولده وركبه اه

اقول وقد تقدم فى حوادث سنة ٥٨٠ وصف ابن جبير للمنبر القديم وهذا قد احترق حينما دخل صاحب سيس الى الجامع واحرق الجانب القبلى منه وذلك سنة ٦٨٤ كما سيأتي وبقى الى ان جدد فى ايام الملك الناصر محمد في اوائل القرن الثامن وهو الموجود الى الآن وهو من خشب الآبنوس بديع الصنعة قد تخلل اجزاءه قطع رقاق صغار من العاج يدلك على براعة صانعه ورقي تلك الصنعة في ذلك العهد لكنه على مقتضي وصف ابن جبير له لم يأت مثل المنبر القديم

ومكتوب على تاج بابه (عمل في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ابي الفتح محمد عز نصره) وتحت ذلك (عمل العبد الفقير الى الله محمد بن على الموصلى) وعلى مصراعي الباب (بتولى العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن عثمان الحداد) وكتب وراء المنبر في اعلا الجدار (امر بعمله المقر العالى الأمير الشمسي قراسنقر الجوكندار الملكى المنصورى عز نصره)

واما المنبر الذي حمل الى القدس الذي هو نظير المنبر السابق فأنه لم يزل باقياً فيها الى وقتنا هذا وعزمت على اخذه بالمصور الشمسي واثباته هنا لتعلم منه صنعة ذلك المنبر فلم يتسهل لى ذلك وقد كتب لى بالواسطة ماهو مكتوب على ذلك المنبر قال مكتوب في الجهة الشرقية عن يسار المنبر في اطرافه الأربع بعد البسملة (امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لأعلاء دينه العادل نور الدين ركن الأسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكى بن ايوب ناصر امير المؤمنين عز الله انصاره وادام اقتداره واعلا مناره في الخافقين الويته واعلامه واعز اولياء دولته واذل كفار نعمته

وفتح له وعلى يديه واقرب النصر والزلفا عيناه (هكذا كتب لى) برحمتك يارب العالمين وذلك في شهور اربعة وستين وخمسمائة .

ومكتوب على المصراع الأيمن من الباب (عمله سليمان معالى رحمه الله) وعلى المصراع الأيسر (عمله حميد بن ظافر رحمه الله)

ومكتوب على الجهة الغربية وهي اليمنى في اطرافه الأربع (ان الله يأمر بالعدل والأحسان) الخ الآية وقوله تعالى (واوفوا بعهد الله) الى قوله (ولو شاء الله لجعلكم امةً واحدةً)

ومكتوب على تاج المنبر فى الجهة اليمني في اطرافه الأربع بعد البسملة (فى بيوت اذن الله) الخ الآية وفي الجهة اليسرى اى الملاصقة للمحراب في الأطراف الأربع ايضا بعد البسملة (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاه ولم يخش الا الله) الخ الآية . وكتب ثمة (صنعه حميد بن ظافر الحلبي رحمه الله . وصنعه فضائل وابو الحسن ولدي يحيي الحلبي رحمه الله) ويظهر ان الكتابة على طرفي التاج والكاتب لم يوضح لى ذلك

(سنة ٥٨٤)

(اتصال القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد)

بالسلطان صلاح الدين وفتح جبلة واللاذقية

قال القاضى فى السيرة الصلاحية المسماة بالنوادر اليوسفية في فصل نزول السلطان على كوكب . اني كنت حججت سنة ثلاث وثمانين ثم اتفق لى العود من الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى القدس

فبلغه خبر وصولى فظن اني وصلت من جانب الموصل [لأنه موصلي الأصل] في حديث فاستحضرني عنده وبالغ في الاكرام والأحترام ولما ودعته ذاهبا الىالقدس خرج لي بعض خواصه وابلغني تقدمه اليّ بأن اعود امتثل فى خدمته عند العود من القدس فظننت انه يوصيني بمهم الى الموصل وانصرفت الى القدس يوم رحيله عن كوكب الى دمشق وكان دخوله اليها سادس ربيع الأول وفى ذلك اليوم اتفق دخولي اليها عائداً من القدس فأقام رحمه الله فى دمشق خمسة ايام وكان له غائباً عنها اربعة عشر شهرا وفي اليوم الخامس بلغه خبر الأفرنج انهم قصدوا جبيلا واغتالوها فخرج مسرعاً ساعة بلوغه الخبر وكان قد سير الى العساكر يستدعيها من سائر الجوانب وسار يطلب جبيلاً فلما عرف الأفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين زنكى وعسكر الموصل ومظفر الدين الى حلب قاصدين الخدمة للغزاة فسار نحو حصن الأكراد في طلب الساحل الفوقانى . ولما كان مستهل ربيع الآخر نزل على تل قبالة حصن الأكراد ثم سير الى الملك الظاهر (ولده) والملك المظفر ان يجتمعا وينزلا بتيزين قبالة انطاكية ليحفظ ذلك الجانب وسارت عسكر الشرق حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذه المنزلة ووصلت اليه رحمه الله بهذه المنزلة على عزم المسير الى الموصل متجهزا لذلك فلما حضرت عنده فرح بى واكرمني وكنت قد جمعت له كتاباً في الجهاد (١) بدمشق مدة مقامى فيهـا يجمع آدابه واحكامه فقدمته بين يديه فأعجبه وكان يلازم مطالعته ومـا زلت اطلب دستورا في كل وقت وهو يدافعنى عن ذلك ويستدعيني للحضور في خدمته في كل وقت ويبلغنى على ألسنة الحاضرين ثناءه علي وذكره اياي بالجميل ثم سير الي مع الفقيه عيسى

[١] انظر ترجمة المؤلف في القسم الثانى فى وفيات سنة ٦٣٢

وكشف لي انه ليس في عزمه ان يمكنني من العود الى بلادى وكان الله قد اوقع في قلبي محبته منذ رأيته وحبه الجهاد فأحببته لذلك وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الأولى سنة اربع وثمانين وهو يوم دخوله الساحل وجميع ما حكيته قبل انما هو روايتى عمن اثق به ممن شاهده . ومن هذا التاريخ ما سطرت الا ما شاهدته او اخبرني به من اثق به خبراً يقارب العيان . ثم ذكر خبر فتحه الى انطرسوس وما حولها ثم قال وسار يريد جبلة وكان عرض له ولده الملك الظاهر في اثناء طريق جبلة فأنه طلبه وامره ان يحضر معه جميع العساكر التي كانت بتبرين ووصل الى جبلة في الثامن عشر من جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر حتى اخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمتنع وبقيت القلعة ممتنعة ونزل العسكر محدقا بالبلد وقد دخله المسلمون واشتغل بقتال القلعة فقاتلت قتالاً يقيم عذرا لمن كان فيها وسلمت بالأمان في التاسع عشر واقام عليها الى الثالث والعشرين وسار عنها يطلب اللاذقية وقال ابن الأثير فى حوادث هذه السنة لما اقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد اتاه قاضي جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه وكان هذا القاضى عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الأولى فنزل بانطرسوس (ثم ذكر خبر اخذها وخربها) قال ورحل عنها واتى مرقية وقد اخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم التى لا ترام ولا تحدث احداً نفسه بملكه لعلوه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره

والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد فاتفق انصاحب صقلية من الفرنج قد سير نجده الى فرنج الساحل فى ستين قطعة من الشواني وكانو ابطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا فى البحر تحت المرقب فى شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك امر بالطارقيات والجفتيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من اول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة ثامن عشر جمادى الأولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها تحصنا واجتمعوا بقلعتها فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الأمان وان يأخذ رهائنهم يكونون عنده الى ان يطلق الأفرنج رهائنهم من المسلمين من اهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد اخذ رهائن القاضى ومسلمى جبلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضى رهائن الأفرنج وجاء رؤساء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال واشقها مسلكا وفيه حصن يعرف ببكسرايل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق عليه فى هذا الوقت من بلاد الأسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين احوال جبلة وجعل فيها لحفظها الأمير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها اه

ذكر فتح اللاذقية

قال القاضى بن شداد سار السلطان عن جبلة يطلب اللاذقية وكان نزوله عليها فى الرابع والعشرين وهي بلد مليح خفيف على القلب غير مستور وله ميناء

مشهورة وله قلعتان متصلتان على تلّ مشرف على البلد فنزل محدقا بالبلد واخذ العسكر منازلهم مستديرين على القلعتين من جميع نواحيها الامن ناحية البلد واشتد القتال وعظم الزحف وارتفعت الأصوات وقوي الضجيج الى آخر اليوم المذكور واخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة فأنه كان بلد التجار ففرق بين الناس الليل وهجومه واصبح يوم الجمعة مقاتلا مجتهدا في اخذ النقوب واخذت النقوب من شمالي القلاع وتمكن منها النقب حتى بلغ طوله على ما حكى لى من ذرعه ستين ذراعا وعرضه اربعة اذرع واشتد الزحف عليهم حتى صعد الناس الجبل وقاربوا السور وتواصل القتال حتى صاروا يتحاذفون بالحجارة باليد فلما رأى عدو الله ما حل بهم من الصغار والبوار استغاثوا بطلب الامان عشية الجمعة الخامس والعشرين من الشهر وطلبوا قاضي جبلة يدخل اليهم ليقرر لهم الأمان فأجيبوا الى ذلك وكان رحمه الله متى طلب منه الامان لايبخل به رفقا فعاد الناس عنهم الى خيامهم وقد اخذ منهم التعب فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضي جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون بنفوسهم وذراريهم خلا البغال والذخائر وآلات السلاح والدواب واطلق لهم دواب يركبونها الى مأمنهم ورقى عليها العلم الاسلامى المنصور فى بقية ذلك اليوم واقمنا عليها الى السابع والعشرين اه

قال ابن الاثير وكانت عمارة اللاذقية من احسن الأبنية واكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف انواعه فخرب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشعثوا كثيراً من بيعها التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلمها الى ابن اخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى اذا رآها اليوم من رآها ينكرها فلايظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة

ذكر فتح صهيون

قال القاضي ابن شداد رحل السلطان عن اللاذقية طالباً صهيون واستدارت العساكر بها من سائر نواحيها في التاسع والعشرين من جمادى الاولى ونصب عليها ست مجانيق وهي قلعة حصينة منيعة فى طرف جبل خنادقها اودية هائلة واسعة عميقة وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقدار طوله ستون ذراعا او اكثر وهو نقر فى حجر ولها ثلاثة اسوار . سور دون ربضها وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلعتهـا علم منصوب فحين اقبل العسكر الاسلامى شاهدته قد وقع فاستبشر المسلمون بذلك وعلموا انه النصر والفتح واشتد القتال عليهـا من الجوانب فضربها بمنجنيق الملك الظاهر صاحب حلب وكان نصب منجنيقا قريباً من سورها فقطع الوادى وكان صاحب الحجر فلم يزل يضربهـا حتى هدم من السور قطعة عظيمة يمكن الصاعد فى السور ان يرقى اليه منها ولما كان بكرة الجمعة ثاني جمادي الآخرة عزم السلطان وتقدم وامر المنجنيقات ان تتوالى بالضرب وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج بالتكبير والتهليل ومـا كان الا ساعة حتى رقى المسلمون على الاسوار التى للربض واشتد الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض ولقد كنت اشاهد النـاس وهم يأخذون القدور وقد استوى فيها الطعام فيأكلونها وهم يقاتلون وانضم من كان فى الربض الى القلعة ويحملون ما امكنهم ان يحملوا من اموالهم ونهب الباقي واستدارت المقاتلة حول اسوار القلعة ولما عاينوا الهلاك استغاثوا بطلب الامان ووصل خبرهم الى السلطان فبذل الامان وانعم عليهم على ان يسلموا بأنفسهم واموالهم ويؤخذ من الرجل منهم عشرة دنانير ومن المرأة خمسة وعن الصغير ديناران وسلمت القلعة واقام السلطان

عليها حتى سلم عدة قلاع كالميد وفيحه وبلاطينوس وغيرها من القلاع والحصون تسلمها النواب اه

وقال ابن الأثير رحل صلاح الدين عن اللاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصب عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسى اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح اكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والأمتناع وزحف المسلمون اليهم ثانى جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد اغفل الفرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى التحقوا بالسور الاول فملكوا منها ثلاثة وغنموا مافيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الأمان فلم يجبهم صلاح الدين عليه فقرروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى امير يقال له منكورس صاحب قلعة ابي قبيس فحصنه وجعله من احصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا فى تلك النواحى فملكوا حصن بلاطينوس وكان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك ايضا حصن العيد وحصن الجماهرتين فانسعت المملكة الأسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الأسلامية على

عقبة بكسرائيل شاق شديد لأن الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لأن بعضها
بيد الأسماعيلية وبعضها بيد الفرنج اه

ذكر فتح بكاس والشغر وسرمانية

قال القاضي بن شداد ثم رحل وسرنا حتى اتينا سادس جمادى الآخرة بكاس
وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان المنزل على
شاطئ العاصي وصعد السلطان جريدة الى القلعة وهي على جبل يطل على العاصى
فأحدق بها من كل جانب وقاتلها قتالا شديدا بالمنجنيقات والزحف المضايق
الى تاسع الشهر ويسر الله فتحها عنوة واسر من فيها بعد قتل من قتل منهم
وغنم جميع ما كان فيها وكان له قليعة تسمى الشغر وهى في غاية المنعة ليس
اليها طريق فسلطت عليها المنجنيقات من الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم
فطلبوا الامان في الثالث عشر وسألوا ان يؤخروا ثلاثة ايام لاستئذان من
بانطاكية فاذن له في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطانى عليها يوم
الجمعة سادس عشر ثم عاد السلطان الى الثقل وسير ولده الملك الظاهر الى
قلعة سرمانية فقاتلها قتالاً شديداً وضايقها مضايقة عظيمة وتسلمها يوم الجمعة
الثالث والعشرين من الشهر فانفقت فتوحات الساحل على جبلة الى سرمانية
فى ايام الجمع وهى علامة قبول دعاء الخطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث
يسر الله لنا الفتوح في اليوم الذي يضاعف فيه ثواب الحسنات وهن من
نوادر الفتوحات فى الجمع المتوالية ولم يتفق مثلها فى تاريخ اه

وقال ابن الأثير سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى
قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير

قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى اللاذقية وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الأسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امر بمزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شيء الا القليل الذى لا يؤذي فبقى المسلمون اياما لا يرون فيه طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم في ذكر القلعة واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما اسطاعوا ان ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين او يأتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم فى هذا الحديث اذ قد اشرف عليهم فرنجى ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انتظارهم ثلاثة ايام فأن جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه واخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالهم انهم ارسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه ان يرحل عنهم المسلمون فأن فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو قاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى امير يقال له قلج وامره بعمارته ورحل عنه

ولما كان صلاح الدين مشغولا بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب لحصر سرمينية وضيق على اهله واستنزلهم على قطيعة قررها

عليهم فلما ازلهم واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفي اثره وعالى بنيـانه وكان فيه في هذه الحصون من اسـارى المسلمين الجم الغفير فأطلقوه واعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه فى يوم الجمعة الثالث والعشرين ن جمادى الآخرة واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمانية مع كثرتهـا كان في ست جمع مع انها في أيدى اشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال انطاكية ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودرب ساك وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى اهـ

ذكر فتح برزية

قال ابن الأثير رحل صلاح الدين من قلعة الشغر الى قلعة برزية وكانت قد وصفت له وهي تقابل حصن افامية وتناصفها في اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تتفجر من جبل برزية وغيره .قال القاضى ابن شداد ثم سير السلطان جريدة الى قلعة برزية وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين تحيط بها اودية من سائر جوانبها وذرع علوها كان خمسمائة ذراع ونيفا وسبعين ذراعا ثم جدد عزمه على حصارها بعد رؤيتها واستدعى الثقل وكان نزول الثقل وبقية العسكر تحت جبلها فى الرابع والعشرين من الشهر وفى بكرة الخامس والعشرين منه صعد السلطان جريدة مع المقاتلة والمنجنيقات وآلات الحصار الى الجبل فأحدقت بالقلعة من سائر نواحيها وركب القتال من كل جانب وخرب اسوارها بالمنجنيقات المتواترة الضرب ليلا ونهاراً وفي السابع والعشرين قسم العساكر ثلاثة اقسـام ورتب كل قسم يقاتل شطراً من النهار ثم يستريح ويسلم القتال للقسم الآخر بحيث

لا يفتر القتال عنها وكان صاحب النوبة الأولى عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالاشديدا حتى استوفى نوبته وضرس الناس من القتال وتراجعوا واستلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتحرك خطوات وصاح في الناس فحملوا عليها حملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن الا بعض ساعة حتى رقي الناس على الاسوار وهجموا القلعة واخذت القلعة عنوة فاستغاثوا الأمان وقد تمكنت الأيدي منهم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ونهب جميع ما فيها واسر من فيها وكان قد اوى اليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المذكورة وكان يوما عظيما وعاد الناس الى خيامهم غانمين وعاد السلطان الى الثقل فرحا مسرورا واحضر بين يديه صاحب القلعة وكان رجلا كبيرا منهم وكان هو ومن اخذ من اهله سبعة عشر نفسا فمن عليهم ورق لهم وانفذهم الى صاحب انطاكية استمالة له فأنهم كانوا يتعلقون به ومن اهله اه

وبسط ابن الأثير خبر فتحها باكثر من ذلك وقال في الآخر واما صاحب برزية فأنه اسر هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فأرسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة بيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتعلمه كثيرا من الأحوال التي تؤثر فاطلق هؤلاء لأجلها اه

ذكر فتح درب ساك

قال ابن الأثير لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار عنه الى قلعة درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهي

من معاقل الداوية الحصينة وقلاعهم التي يدخرونها لحماياتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمي بالحجارة فهدمت من سورها شيئاً يسيراً فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجاً وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بأنجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم في التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الأمان فأمنهم على شرط ان لايخرج احد الا بثيابه التي عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

وقال القاضي ابن شداد كان فتحها في الثاني والعشرين منه واعطاها علم الدين سليمان بن جندر وسار عنها في الثالث والعشرين منه اه

ذكر فتح بغراس

قال ابن الأثير ثم سار عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعدان اختلف اصحابه فى حصرها فمنهم من اشار ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الأمر كذلك قل المنازلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من

اهلهـا ان غفلوا لقربهم منهـا وصلاح الدين في بعض اصحـابه على القلعة يقـاتلهـا ونصب المنجنيقـات فلم يؤثر فيهـا شيئاً لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل الماء اليهـا فخفف الأمر عليهم فبينما هوعلى هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فأذن له في الحضور فحضر وطلب الأمان لمن فى الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فأجابهم الى ماطلبوا فعاد الرسول ومعه الأعلام الأسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بمـا فيها من ذخائر واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخرب وكان ذلك مضرة عظيمة على المسلمين فأن ابن ليون صـاحب الأرمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى بهم السواد الذى لحلب وهو الآن بأيديهم اهـ

﴿ذكر الهدنة بين صلاح الدين وصاحب انطاكية﴾

قال القاضي بن شداد كان فتح بغراس ثاني شعبان وفي بقية ذلك اليوم عـاد السلطـان رحمه الله الى المخيم الأكبر وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وقوة قلق عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعقد الصلح بيننا وبين انطاكية من بلاد الفرنج لاغيرعلى ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان الى سبعة اشهر فأن جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد الى السلطان ورحل يطلب دمشق فسأله ولده الملك الظاهر ان يجتاز به فأجابه وسار حتى اتى حلب حادي عشر شعبان واقام بقلعتها ثلاثة

ايام وولده يقوم بالضيافة حق القيام ولم يبق للعسكر الا من ناله من نعمته منال واكثر ظني انه اشفق عليه والده وسار من حلب يريد دمشق فاعترضه ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين واصعده الى قلعة حماة واصطنع له طعاماً حسناً واحضر له سماع الصوفية وبات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك حتى اتاها واقام بمرجها ودخل الى حمامها ثم اتى دمشق فاقام بها حتى دخل شهر رمضان وماكان يرى تخلية وقته عن الجهاد مهما امكنه وكان قد بقي له القلاع القريبة من حوران التي يخاف عليها من جانبها وصفد وكوكب فرأى ان يشغل الوقت بفتح المكانين في الصوم

وقال ابن الأثير بعد ان ذكر خبر الهدنة على نحو ما قدمناه واما صلاح الدين فأنه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر الشرقية كعماد الدين زنكي ابن مودود وصاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح اباز كريا المغربي وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الأمير عز الدين ابو الفليتة قاسم بن المهنا العلوى الحسيني وهو امير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في اعماله كلها ودخل دمشق اول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال ان العمر قصير والأجل غير مأمون وقد بقي بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها فى وسط بلاد الأسلام ولا يؤمن شر اهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد اه

(سنة ٥٨٧)

﴿ ذكر وفاة الأمير حسام الدين ﴾

قال في الروضتين في هذه السنة توفي الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان صلاح الدين بدمشق تاسع عشر رمضان ودفن بالتربة الحسامية المنسوبة اليه

آثاره بحلب

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة [المدرسة الحدادية] انشأها الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن اخت صلاح الدين وهي من الكنائس الأربع التي تقدم ذكرها التي صيرها ابن الخشاب مساجد فهدمها وبناها بناء وثيقا فلم يزل يتولاها المدرسون الى ان وصلت الي ونزلت عنها لولدي وهي الآن بيدهما وقال بعده انها الآن معطلة . قال ابن شداد اول من درس بها الفقيه الأمام الحسين بن محمد بن اسعد ثم تولاها فخر الدين يوسف ولم يزل الى ان قتله التتر عند استيلائهم على حلب

﴿ ذكر وفاة الأمير علم الدين ﴾

قال في الروضتين وفي هذه السنة في اواخر ذى الحجة توفي الأمير علم الدين سليمان بن جندر من اكابر امراء حلب وكان في خدمة السلطان في القدس وهو شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذي اشار بتخريب عسقلان لتتوفر العناية والأهتمام بالقدس ثم مرض بالقدس وطلب المسير الى الوطن فأدركته المنية بقرية غباغب على مرحلة من دمشق

سنة ٥٨٨

وصية السلطان صلاح الدين لولده الملك الظاهر غازي

عند عوده الى حلب بعد عقد الهدنة بين السلطان والفرنج في بلاد الساحل والأذن بعود العساكر الى اوطانهم

قال ابن الأثير في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر وساق سبب الصلح قال القاضي ابن شداد ولما انقضى هذا الأمر واستقرت القواعد اعطى السلطان دستوراً في عود العساكر الأسلامية الى اوطانهم (وكان من جملة عساكره ولده الملك الظاهر غازي) قال ولما كانت بكرة التاسع والعشرين من رمضان توجه الملك الظاهر عز نصره بعد ان ودعه نزل الى الصخرة فصلى عندها وسأل الله تعالى ماشاء ثم ركب وركبت في خدمته فقال لى تذكرت امراً احتاج فيه الى مراجعة السلطان مشافهة فأنفذ من استأذن له العود الى خدمته فأذن له في ذلك فحضر واستحضرني واخلى المكان ثم قال موميا لولده

اوصيك بتقوى الله تعالى فأنها رأس كل خير وآمرك بما امر الله به فأنه سبب نجاتك واحذرك من الدماء والدخول فيها والتقلدبها فأن الدم لا ينام واوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في احوالهم فانت اميني وامين الله عليهم واوصيك بحفظ قلوب الأمراء وارباب الدولة والأكابر فما بلغت ما بلغت الا بمداراة الناس ولا تحقد على احد فأن الموت لا يبقى على احد واحذر ما بينك وبين الناس فانه لا يغفر الا برضاهم ومابينك وبين الله يغفر الله بتوبتك اليه فأنه كريم.

وكان ذلك بعد ان انصرفنا من خدمته ومضى من الليل ما شاء الله ان يمضي

وهذا ما امكنني حكايته وضبطه ولم يزل بين يديه الى قرب السحر ثم اذن له في الأنصراف ونهض له ليودعه فقبل وجهه ومسح على رأسه وانصرف في دعة الله ونام في برج الخشب الذي للسلطان وكنا نجلس عنده في الأحيان الى بكرة وانصرفت في خدمته الى بعض الطريق وودعته وسار في حفظ الله اه ثم قال بعد ذلك وعاد السلطان بعد الفراغ من تصفح احوال القلاع الساحلية باسرها الى دمشق وكان دخوله اليها في السادس والعشرين من شوال

سنة ٥٨٩

ذكر وفاة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى

كان ابتداء مرضه سادس عشر صفر وذكر القاضي بن شداد في السيرة الصلاحية تفاصيل ذلك (ثم قال)وكانت وفاته بدمشق بعد صلاة الصبح من يوم الاربعا السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما وصل القارى الذي كان يقرأ عنده الى قوله تعالى (لا اله الا هو عليه توكلت) تبسم وتهلل وجهه وسلمها الى ربه. وكان يوماً لم يصب الأسلام والمسلمون بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين وغشى القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه الا الله تعالى وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يتمنون فداءه بنفوسهم وما سمعت هذا الحديث الا على ضرب من التجوز والترخص الا في ذلك اليوم فأني علمت من نفسي ومن غيري انه لو قبل الفداء لفدي بالنفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزاء في الايوان الشمالي وحفظ باب القلعة الا عن الخواص والامراء والمعممين وكان يوماً عظيماً وقد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والأسف والبكاء والاستغاثة من ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشد فيه شاعر او يتكلم فيه فاضل وواعظ ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه فما امكننا ان ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة

الا بالقرض حتى فى ثمن التبن الذي بات به الطين وغسله الدولعى الفقيه ونهضت الى الوقوف على غسله ولم تكن لى قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد صلاة الظهر فى تابوت مسجى بثوب فوط وكان ذلك وجميع ما احتاج اليه من الثياب في تكفينه قد احضره القاضى الفاضل من وجه حل عرفه وارتفعت الاصوات عند مشاهدته وعظم من الضجيج والعويل ما شغلهم عن الصلاة فصلى عليه الناس ارسالاً وكان اول من ام بالناس القاضى محي الدين ابن الزكى ثم اعيد الى الدار التى فى البستان وكان متمرضا بها ودفن فى الصفة الغربية منها قال فى الروضتين ما خلاصته لما توفي السلطان رحمه الله دفن بالقلعة في منزله وما زال الأفضل بن صلاح الدين يتروى موضع ينقله اليه ثم استقرأ حدود الجامع ليجعل التربة فيها فوفق لدار كانت لبعض الصالحين وهي في حد المكان الذى زاده الأجل الفاضل فى المسجد فاشتراها منه وامر بعمارتها قبة فعمرت ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين. ثم قال نقلاً عن محمد بن القادسى المؤرخ انه دفن معه سيفه الذي كان معه في الجهاد وكان ذلك برأي الفاضل ومن كلام بعضهم في وفاة السلطان افلت الشمس عند الصباح وذهبت روح الدنيا الذى ذهب بذهابها كثير من الأرواح وتلك الساعة ظلت لها الالباب حائرة وتمثلت فيها السماء مائره والجبال سائره واغمد سيف الله الذى كان على اعدائه دائم التجريد وخفت الارض من جبلها الذي كان يمنعها ان تميد واصبح الاسلام وقد فقد ناصره ثاكلاً لوحيد فهو اعظم فاقد لأعظم فقيد وليس احد الا وقد صم عن الخبر واصيب فى سواد القلب والبصر اه

ترجمته

هو ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي الملقب الملك الناصر صلاح الدين

صاحب الديار المصرية والشامية والعراقية واليمنية . قال ابن خلكان في ترجمته اتفق اهل التاريخ على ان اباه واهله من دوين [بضم الدال وكسر الواو]وهي بلدة في آخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية [بفتح الراء وكسر الدال]وهي قبيلة كبيرة من الأكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من اهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها اجدانقان وجميع اهلها اكراد روادية ومولد ايوب والد صلاح الدين بها

وشاذي (جد صلاح الدين)اخذ ولديه نجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه وخرج بهما الى بغداد وهناك خدم ولداه مجاهد الدين بهروز بن عبدالله الغياثي شحنة العراق فرأى مجاهد الدين في نجم الدين ايوب عقلاً ورأياً حسناً وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت [١]فسار اليها هو ووالده واخوه اسد الدين ومات ابوه شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد

ثم حصلت وقعة بين الأمام المسترشد وبين مسعود بن محمد ملكشاه السلجوقي وعماد الدين زنكي صاحب الموصل فأرسل المسترشد الى قراجا الساقي وهو صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجده فأتاه وكبس عسكرهما وانهزما بين يديه فوصل زنكي الى تكريت فخدمه نجم الدين ايوب واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فأحسن نجم الدين اليهم وبلغ ذلك مجاهد الدين بهروز فسير اليه وانكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدونا فأحسنت اليه واطلقته ثم ان اسد الدين قتل انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما فأرسل مجاهد الدين اليهما فأخرجهما من تكريت فقصدا عماد الدين زنكي وكان اذ ذاك صاحب الموصل

---

(١)قال ابن خلكان دزدار بضم الدال وسكون الزاي وفتح الدال وهو لفظ اعجمي معناه حافظ القلعة وهو الوالي ودز بالعجمي القلعة ودار الحافظ .

فأحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطع لهما اقطاعاً حسناً وصارا من جملة جنده
فلما فتح عماد الدين زنكى بعلبك وذلك في اوائل سنة اربع وثلاثين وخمسمائة
جعل نجم الدين دزدارها

ثم قال اتفق ارباب التواريخ ان صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين
وخمسمائه بقلعة تكريت لما كان ابوه وعمه بها والظاهر انهم ماافاموا بها بعد ولادة
صلاح الدين الا مدة يسيرة . ولما قتل زنكى حصر صاحب دمشق مجير الدين ارتق
بن بورى بعلبك فأرسل نجم الدين ايوب الى سيف الدين غازى ابن زنكى
صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهى اليه الحال ويطلب منه عسكراً
ليرحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في اول ملكه
وهو مشغول بأصلاح ملوك الأطراف المجاورين له فلم يتفرغ وضاق الامر على من في
بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين ايوب الحال وخاف ان تؤخذ قهرا ارسل
في تسليم القلعة وطلب اقطاعاً ذكره فأجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق
عليه وسلم له القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم
وصار عنده من اكبر الامراء واتصل اخوه اسد الدين بخدمة نور الدين محمود
بن زنكى صاحب حلب فقربه نور الدين واقطعه وكان يرى منه فى الحرب آثاراً
يعجز عنها غيره لشجاعته وجرائته فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله
مقدم عسكره

ولما ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق وذلك سنة تسع واربعين وخمسمائة
لازم نجم الدين خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه
لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم
صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد فى امور الجهاد حتى تجهز

للسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية وذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ثم توجه اليها سنة اربع وستين وصار اليها بنفسه وماله واخوته واهله ورجاله ومعه ابن اخوه صلاح الدين وهو كاره للخروج مع عمه ولم يخرج معه باختياره (وعسى انتكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ولما علم الفرنج بوصول اسد الدين الى مصر على انفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكصين واقام اسد الدين بها يتردد اليه شاور (وزير مصر) فى الأحيان ثم تحقق اسد الدين انه لاسبيل لاستيلائه على البلاد مع بقاء شاور فاعمل الحيلة في القبض عليه وقتله تلك السنة وصار وزير مصر بدله والسلطان صلاح الدين يباشر الأمور مقرراً لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته وفى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة مات اسد الدين وكانت مدة وزارته شهرين وخمسة ايام ولما مات اسد الدين استوزر العاضد صاحب مصر صلاح الدين يوسف واستقرت الأمور بعده وتمهدت القواعد ولما تم له ذلك سير بطلب والده نجم الدين ايوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقضية يوسف الصديق عليه السلام فوصل والده اليه فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين

وفي المحرم من سنة سبع وستين وخمسمائة قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للأمام المستضيء بأمر الله امير المؤمنين وكان السبب فى ذلك ضعف امر العاضد وتفرق العساكر في اهليهم وكان نور الدين محمود قد كتب له يأمره بذلك وفي اثناء ذلك توفي العاضد آخر ملوك العبيديين فاستولى صلاح الدين على قصره وامواله وذخائره وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة مالم يكن عند الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله نحو قصبة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط

المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد وبـاع السلطان صلاح الدين جميع ذلك . واستقل حينئذ صلاح الدين بأمر مصر ومهد امورها وجرى امره فيها على السداد ولما توفي الملك العادل نورالدين بدمشق كما تقدم وعلم صلاح الدين ان ولده الملك الصالح صبي لايستقل بالأمر ولا ينهض بأعبـاء الملك واختلفت الأحوال بالشام فنهض حينئذ اليهـا واستولى عليها وعاد الى مصر سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ثم خرج منها الى الشام في سنة ثمان وسبعين واستمر على الجهاد فى سبيل الله الى ان توفي في التاريخ المتقدم رحمه الله

وقال القاضي ابن شداد فى القسم الاول من كتابه السيرة الصلاحية الذى ذكر فيه فيه مولده ومنشأه وخصائصه واوصافه واخلاقه المرضية ما خلاصته : اتفق لوالده الانتقال من تكريت الى الموصل وانتقل ولده المذكور معه واقام بها الى ان ترعرع ثم اعطي بعلبك واقام بها مدة فنقل ولده اليها واقام بها في خدمة والده يتربى تحت حجره ويرتضع ثدي محاسن اخلاقه حتى بدت منه امـارات السعادة ولاحت لوائح التقدم والسيـادة فقدمه الملك العـادل نور الدين محمود رحمه الله وعول عليه ونظر اليه وقربه وخصصه ولم يزل كلما تقدم قدما تبدو منه اسباب تقضى تقديمه الى ما هو اعلى منه

وكان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد اخذ عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ اهل العلم واكابر الفقهاء وكان قد جمع له الشيخ قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه فى هذا الباب وكان من شدة حرصه يعلمها للصغار من اولاده حتى ترسخ في اذهانهم في الصغر وكان شديد المواظبة على الصلاة حتى انه ذكر يوما ان له سنين ما صلى الا جمـاعة وكان ان مرض يستدعى الأمام وحده ويكلف نفسه القيـام ويصلى جماعة وكان يواظب على

السنن الرواتب وكان له صلوات يصليها اذا استيقظ في الليل والا اتى بها قبل
صلاة الصبح . ولقد رأيته قدس الله روحه يصلي في مرضه الذي مات فيه قائما
وما ترك الصلاة الا في الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه واما الزكاة فأنه مات
رحمه الله ولم يحفظ ما تجب عليه به الزكاة . واما صدقة النفل فأنها استرقت
جميع ما ملكه من الأموال فأنه ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته من الذهب
والفضة الا سبعة واربعين درهما ناصرية جرما واحدا ذهبا ولم يخلف ملكا
لادارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة ولاشيئا من انواع الأملاك
وكان رحمه الله تعالى يحب سماع القرآن العظيم ويستجيد امامه ويشترط ان
يكون عالما بعلم القرآن العظيم متقنالحفظه . وكان يستقرئ من يحرسه في الليل
وهو في برجه الجزءين والثلاثة والأربعة وهو يسمع وكان رحمه الله خاشع
القلب رقيقه غزير الدمعة اذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم اوقاته
وكان رحمه الله شديد الرغبة في سماع الحديث وكان يأمر الناس بالجلوس عند
سماع الحديث اجلالاً له . وان كان ذلك الشيخ ممن لايطرق ابواب السلاطين
ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع عليه وتردد الى الحافظ الأصفهاني
بالاسكندرية وروى عنه احاديث كثيرة . وكان يحب ان يقرأ الحديث بنفسه
وكان يستحضرني في خلوته ويحضر شيئا من كتب الحديث ويقرؤها هو فأذا
مر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه

وكان رحمه الله كثير التعظيم لشعائر الدين يقول ببعث الأجسام ونشورها ومجازاة
المحسن بالجنة والمسيء بالنار مصدقا بجميع ما وردت به الشرائع منشرحا بذلك
صدره مبغضا للفلاسفة والمعطلة ومن يعاند الشريعة

ولقد كان رحمه الله عادلا رؤوفا رحيما ناصرا للضعيف على القوي وكان يجلس

للعدل في كل يوم اثنين وخميس فى مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ويفتح الباب المتحاكمين حتى يصل اليه كل احد من كبير وصغير وعجوز هرمة وشيخ كبير وكان يفعل ذلك سفراً وحضراً . على انه كان فى جميع زمانه قابلاً لجميع ما يعرض عليه من القصص في كل يوم ويفتح باب العدل ولم يرد قاصداً للحوادث والحكومات

وكان يجلس مع الكاتب ساعةً اما في الليل او فى النهار ويوقع على كل قصة بما يجريه الله على قلبه ولم يرد قاصداً ابداً ولا منتحلا ولا طالب حاجة وهو مع ذلك دائم الذكر والمواظبة على التلاوة

وكرمه قدس الله روحه كان اظهر من ان يسطر واشهر من ان يذكر وكان يعطى فى وقت الضيق كما يعطى فى حال السعة وكان نواب خزائنه يخفون منه شيئاً من المال حذراً ان يفاجئهم مهم لعلمهم بأنه متى علم به اخرجه. وسمعته يقول فى معرض حديث جرى: يمكن ان يكون في الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب فكأنه اراد بذلك نفسه رحمه الله

وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب فما سمعته قط يقول اعطينا وكان يعطى الكثير ويبسط وجهه للعطاء بسطه لمن لم يعطه شيئاً ،واكثر الرسائل كانت تكون فى ذلك على لساني ويدي وكنت اخجل من كثرة مايطلبون ولا اخجل منه من كثرة ما اطلبه لهم لعلمي بعدم مؤاخذته ذلك وما خدمه احد الا واغناه عن سؤال غيره وقد سمعت من صاحب ديوانه يقول لى قد تجارينا عطاياه فحصرنا عدد ماوهب من الخيل بمرج عكا فكان عشرة آلاف فرس ومن شاهد مواهبه يستقل هذا القدر وكان رحمه الله من عظماء الشجعان قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات لايهوله امر ولقد رأيته يعطي دستوراً فى اوائل الشتاء ويبقى في شرذمة يسيرة

في مقابلة عددهم الكثير. وكان لا بد له من ان يطوف حول العدو في كل يوم مرة اومرتين اذا كنا قريباً منهم ولقد وصل في ليلة واحدة منهم نيف وسبعون مركباً على عكا وانا اعدها من بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وهو لا يزداد الاقوة نفس

وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد على يده جنيبة ويخرق العساكر من الميمنة الى الميسرة ويرتب الأطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاوره

ولقد قرئ عليه جزآن من الحديث بين الصفين وذلك انى قلت له قد سمع الحديث فى جميع المواطن الشريفة ولم ينقل انه سمع بين الصفين فأن رأى المولى ان يؤثر عنه ذلك كان حسناً فأذن في ذلك فأحضر جزءه كما احضر من له به سماع فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشى تارة ونقف اخرى

ومارأيته استكثر العدو اصلاً ولااستعظم امرهم وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير تذكر بين يديه الأقسام كلهـا ويرتب على كل قسم بمقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتريه ولقد انهزم المسلمون فى يوم المصاف الأكبر بمرج عكا حتى القلب ورجاله ووقع الكؤس والعلم وهو رضي الله عنه ثابت القدم في نفر يسير حتى انحاز الى الجبل يجمع الناس ويردهم ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى نصر عسكر المسلمين على العدو

ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة على الجهـاد عظيم الأهتمام به ولو حلف حالف انه ماانفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهماً الا في الجهاد وفي الأرفاد لصدق وبر في يمينه ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا

فى آلته ولا كان له اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره ويحثه عليه ولقد هجر فى محبة الجهاد في سبيل الله اهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب فيها الرياح يمنة ويسرة ولقد وقعت عليه الخيمة فى ليلة ريحية على مرج عكا فلو لم يكن في البرج لقتلته ولا يزيده ذلك الا رغبة ومصابرة واهتماماً

ولقد رأيته ليلة على صفد وهو يحاصرها وقد قال لا تنام الليلة حتى تنصب لنا خمسة مجانيق ورتب لكل منجنيق قوماً يتداولون نصبه وكنا طول الليل في خدمته في الذ مفاكهة وارغد عيش والرسل تتواصل تخبره بأن قد نصب من المنجنيق الفلاني كذا ومن المنجنيق الفلاني حتى اتى الصباح وقد فرغ منها ولم يبق الا تركيب جازيرها عليها وكانت من اطول الليالي واشدها برداً ومطراً

وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظاً لأنساب العرب ووقائعهم عارفاً بسيرهم واحوالهم حافظاً لأنساب خيلهم عالماً بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره منه مالا يسمع من غيره

وكان طاهر المجلس لايذكر بين يديه احد الا بخير وطاهر السمع فلا يحب ان يسمع عن احد الا الخير وطاهر اللسان فما رأيته ولع بشتم قط. وكان حسن العهد والوفاء فما احضر بين يديه يتيم الا وترحم على مخلفيه وجبر قلبه واعطاه وجبر مصابه وان كان له من اهله كبير يعتمد عليه سلمه اليه والا ابقى له من الخير ما يكفي حاجته وسلم الى من يعتني بتربيته ويكفلها

فهذه نبذ من محاسن اخلاقه ومكارم شيمه اقتصرت عليها خوف الأطالة اه

اقول وقد اختصرت كثيراً مما ذكره القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية من احواله ولو ذكرت الجميع لطال الكلام جداً ومن احب الاستزادة من احوال

هذا الرجل العظيم فعليه بهذا الكتاب وبكتاب الروضتين وقد ذكر ابن خلكان في آخر ترجمته ما بناه في مصر والقدس والشام من المدارس والخانقاهات وغير ذلك ولم ار فيما رأيته ان له شيئاً من الآثار في حلب ويظهر ان السبب في ذلك انه لم يقم هنا مدة يتسنى له فيها تشييد شيء من المدارس اوغيرها بل كانت اقامته فيها في قدمانه اليها اياماً قلائل رحمه الله

ذكر حال اولاد صلاح الدين بعده

قال ابن الأثير لما مات صلاح الدين كان معه بها ولده الاكبر الأفضل نور الدين علي وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة في حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها .

وكان ولده الظاهر غازي بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقي الدين عمه فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الأفضل.

سنة ٥٩٠

ذكر الحاق جبلة واللاذقية بمملكة حلب

قال ابن الاثير في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها اخوه الأكبر الملك الأفضل علي ابن صلاح الدين وكنت حينئذ بدمشق فنزل بنواحي ميدان الحصى فأرسل الأفضل

الى عمه الملك العادل ابي بكر بن ايوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده وكان الأفضل غايته الواثق به والمعتمد اليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح فأستقرت القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية واعمالها الغور للأفضل على ما كانت عليه وان يعطي الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة واللاذقية وان يكون الملك العادل بمصر اقطاعه الأول وانفقوا على ذلك وعـاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الي بلده

سنة ٥٩٥ و ٥٩٦

ذكر وفاة الملك العزيز صاحب مصر وحصر الأفضل

والظاهر عمهما العادل فى دمشق ثم رجوعهما وملك العادل مصر والصلح بين الظاهر وعمه العادل

قال ابو الفداء ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر وكان الغالب على دولة الملك العزيز فخر الدين جهاركس فأقام في الملك ولد الملك العزيز الملك المنصور محمد واتفقت الأمراء على احضار احد من بنى ايوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة بحضور القاضي الفاضل فاشار بالملك الأفضل وهو حينئذ بصرخد فارسلوا اليه

فسار مجدًّا ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهوراً ولما وصل الى بلبيس لقيه اخوته وجماعة الأمراء المصرية وجميع الأعيان فاتفق ان اخاه الملك المؤيد مسعودا صنع له طعاماً وصنع له فخر الدين جهاركس مملوك ابيه طعاما فابتدأ بطعام اخيه ليمين حلفها اخوه انه يبدأ به فظن جهاركس انه فعل هذا انحرافاً عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته [هذان السطران من ابن الاثير] وفارقه وتبعه عدة من العسكر وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين وارسل الملك الظاهر الى اخيه الملك الافضل يشير عليه بقصد دمشق واخذها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين فبرز الملك الافضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الأفضل ودخل دمشق قبل نزول الأفضل عليها بيومين ونزل الملك الأفضل على دمشق ثالث عشر شعبان من هذه السنة وزحف من الغد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يمدهم العسكر فتكاثر اصحاب الملك العادل واخرجوهم من البلد ثم تخاذل العسكر فتأخر الأفضل الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل الى الملك الأفضل اخوه الظاهر صاحب حلب فعاد الى مضايقة دمشق ودام الحصار عليها وقلت الأقوات عند الملك العادل وعلى اهل البلد واشرف الأفضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك

ثم دخلت سنة ٥٩٦ه والملكان الأفضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق واتفق وقوع الخلف بين الاخوين الافضل والظاهر وسببه انه كان للملك الظاهر مملوك يحبه اسمه ايبك ففقد ووجد عليه الملك الظاهر وجداً عظيماً وتوهم انه

دخل دمشق فارسل من تكشف خبره واطلع الملك العادل وهو محصور على القضية فأرسل الى الظاهر يقول له ان محمود بن الشكري افسد مملوكك وحمله الى الافضل اخيك فقبض الظاهر على ابن الشكري فظهر المملوك عنده فتغير الظاهر على اخيه الافضل وترك قتال العادل وظهر الفشل فى العسكر فتأخر الافضل والظاهر عن دمشق واقاما بمرج الصفر الى اواخر صفر ثم سارا الى رأس الماء ليقيما به الى ان ينسلخ الشتاء ثم انثنى عزمهما وسار الأفضل الى مصر والظاهر الى حلب على القريتين ولما تفرقا خرج الملك العادل من دمشق وسار فى اثر الأفضل الى مصر ولما وصل الافضل الى مصر تفرقت عسا كره فى بلادهم لأجل الربيع فادركه عمه العادل فخرج الأفضل بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالسابح فانكسر الأفضل وانهزم الى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية ايام فأجاب الأفضل الى تسليمها على ان يعوض عنها ميافارقين وحاني وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به (ثم قال) ولما استقرت المملكة للملك العادل ارسل اليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر اليه مما وقع منه بسبب اخذه بعرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وامره برد بعرين الى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة ونزل عن منبج وقلعة نجم لابن المقدم عوضاً عن بعرين فرضي ابن المقدم بذلك لأنهما خير من بعرين بكثير وتسلمها عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وكان له ايضا فامية وكفرطاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة

وكذلك كاتب الملك الظاهر عمه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب وبلادها وضرب السكة بأسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب ان يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب فى خدمة الملك العادل كلما خرج الى البيكار والتزم

صاحب حلب بذلك اه

سنة ٥٩٧

ذكر اخذ الظاهر منبج وافامية وغيرها

قال ابو الفداء لما دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه بها وبحلب الملك الظاهر وهو مجد في تحصين حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب ابيه بهـا وبالشرق الملك ابراهيم ابن الملك العادل وبميافارقين الملك الأوحد نجم الدين ايوب ابن الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي عز الدين ابراهيم بن محمد بن المقدم وصـارت البلاد بعده وهي منبج وقلعة نجم وفامية وكفرطاب لأخيه شمس الدين عبد الملك ولما استقر شمس الدين بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب حلب وحصرها وملك منبج وعصي عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالأمان فأعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة نجم وبها نـائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب من هذه السنة وارسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل منبج وقلعة نجم على ان يصير معه على الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمين التي في عنقه للملك العادل فلما أيس الملك الظاهر منه سار الى المعرة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب وكانت لابن المقدم ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وارسل الملك الظـاهر احضر عبد الملك بن المقدم من حلب وكان معتقلا بها واحضر معه اصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم فامية فامتنع قراقوش فأمر الملك الظاهر

بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضرباً شديداً وبقي يستغيث فأمر فراقوش فضربت النقارات على قلعة فامية لئلا يسمع اهل البلد صراخه ولم يسلم القلعة فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه الى حماة وحاصرها لثلاث بقين من شعبان من هذه السنة ونزل شمالي البلد وشعث التربة التقوية وبعض البساتين وزحف من جهة الباب الغربي وقاتل قتالاً شديداً ثم زحف في آخر شعبان من الباب الغربي والباب القبلي وباب العميان وجرى فيه قتال شديد وجرح الملك الظاهر بسهم في ساقه واستمرت الحرب الى ايام من رمضان فلما لم يحصل على غرض صالح الملك المنصور على مال يحمله اليه قيل انه ثلاثون الف دينار صورية ثم رحل الملك الظاهر الى دمشق وبها الملك المعظم بن الملك العادل فنازلها الملك الظاهر هو واخوه الملك الأفضل وانضم اليهما فارس الدين ميمون القصري صاحب نابلس ومن وافقه من الأمراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الأخوين الافضل والظاهر انهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الأفضل ثم يسيران ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها الملك الأفضل وتسلم دمشق حينئذ الى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر للملك الافضل ويصير الشام جميعه للملك الظاهر وكان قد تخلف من اكابر الامراء الصلاحية عنهما فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجه فأرسل الملك الأفضل وسلم صرخد الى زين الدين قراجه ونقل الملك الأفضل والدته واهله الى حمص عند شيركوه وبلغ الملك العادل حصار الأخوين دمشق فخرج بعساكر مصر واقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما واشتدت مضايقة الملكين الافضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون بسورها فلما شاهد الملك الظاهر ذلك حسد اخاه الملك الافضل على دمشق وقال له اريد ان تسلم الي دمشق الآن فقال له الأفضل ان حريمي حريمك

وهم على الأرض وليس لنا موضع تقيم فيه وهب هذه البلدة لك فأجعله لي الى حين تملك مصر وتأخذه فامتنع الظاهر من قبول ذلك وكان قتال العسكر والامراء الصلاحية انما كان لاجل الأفضل فقال لهم الافضل ان كان قتالكم لأجلي فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان قتالكم لأجل اخي الملك الظاهر فأنتم واياه فقالوا انما قتالنا لأجلك وتخلوا عن القتال (قال ابن الأثير) وكان الناس كلهم يريدون الأفضل فقالوا ما نريد سواك والعادل احب الينا من اخيك فأذن لهم في العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجا الذي اعطاه الأفضل صرخد فنهم من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما انفسخ الأمر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقرى معينة من المعرة ويكون للافضل سميساط وسروج ورأس العين وحملين ورحلوا عن دمشق اول المحرم سنة ثمان وتسعين

سنة ٥٩٨

قال ابو الفداء فى هذه السنة بعد رحيل الملك الافضل والظاهر عن دمشق كما ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون القصري مع الملك الظاهر فاقطعه اعزاز وفيها ضرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه واقطع منبج بعد ذلك عماد الدين احمد بن سيف الدين علي بن احمد المشطوب (١) وفيها ارسل قراقوش نائب عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم بفامية الى

[١] قال ابن الوردي في تتمة المختصر وكان ذلك بواسطه وزيره بمنبج البرهان ابن ابي شيبة وعمل موضع القلعة مارستانا وحمامين متلاصقتين وخان سبيل فقال اهل منبج عنه هتك الحريم وصان الحمير اه

الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية بشرط ان يعطى شمس الدين عبد الملك ابن المقدم اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك الظاهر الراوندان وكفرطاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة وتسلم فامية ثم ان عبد الملك عصى بالراوندان فسار اليه الظاهر واستنزله منها وابعده فلحق عبدالملك بالملك العادل فأحسن اليه .

وفيها سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجمع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه الملك العادل الى حماة بنية قصده ومحاصرته حلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه واهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانتزعت منه مفردة المعرة واستقرت للملك المنصور صاحب حماة واخذت من الملك الظاهر ايضا قلعة نجم وسلمت الى الملك الافضل وكان له سروج وسميساط وسلم الملك العادل حران وما معها لولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بميافارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق واقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه اهـ

(سنة ٥٩٩)

﴿ ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الأفضل ﴾

قال ابن الأثير فى هذه السنة اخذ الظاهر غازي قلعة نجم من اخيه الأفضل وكانت في جملة ما اخذ من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان هذه

السنة اخذ العادل من الأفضل سروج وحملين ورأس العين وبقي بيده سميساط وقلعة نجم فأرسل اليه الظاهر يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل في اعادة ما اخذ منه فلم يعطه فتهدده بأن يكون البا عليه ولم تزل الرسل تتردد حتى سلمها اليه في شعبان وطلب منه ان يعوضه قرى او مالاً فلم يفعل وهذا من اقبح ما سمع عن ملك يزاحم اخاه في مثل قلعة نجم مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدمها لأخيه واما العادل فأنه لما اخذ سروج ورأس العين من الأفضل ارسل والدته اليه لتسأل في ردها فلم يشفعها وردها خائبة ولقد عوقب البيت الصلاحى بما فعله ابوهم مع البيت الأتابكى فأنه لما قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عم نور الدين يسألانه ان يعود فلم يشفعها فجرى لأولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما رأى الأفضل عمه واخاه قد اخذا ماكان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون في خدمته ويخطب له ببلاده ويضرب السكة بأسمه فأجابه ركن الدين الى ذلك فارسل له خلعة فلبسها الأفضل وخطب له بسميساط في سنة ستمائة وصار في جملته اه

(سنة ٦٠٠)

قال ابو الفدا في هذه السنة نازل بن لاوون ملك الأرمن انطاكية فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون من انطاكية على عقبه اه

(سنة ٦٠٢)

﴿ ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الأرمني صاحب الدروب

على ولاية حلب فنهب وحرق واسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه طريق لأن جميع بلاده لاطريق اليها الا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لاسيما من ناحية حلب فأن الطريق منها متعذر جداً فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لأن اباه منهم اخذه فأنفذ الظاهر ميرة وسلاحا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ الى ميمون ليرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجد فوافاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون الى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الأرمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل واسر وكذلك ايضا فعل المسلمون بالأرمن من كثرة القتل وظفر الأرمن باثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا اشد قتال ثم انهزم المسلمون ايضا وعاد الأرمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم اه

(سنة ٦٠٥)

(قدوم الاشرف الى حلب متوجهاً الى بلاده الشرقية)

قال ابو الفدا في هذه السنة توجه الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل (ابن عم الظاهر) من دمشق راجعا الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وانزله في القلعة وبالغ فى اكرامه وقام للأشرف ولجميع عسكره بجميع ما يحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والعلوفات وكان يحمل اليه فى كل يوم خلعة كاملة وهي غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لأصحابه واقام على ذلك خمسة وعشرين يوما وقدم له تقدمة وهي مائة الف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فنها عشر بقج فى كل واحدة منها ثلاثة اثواب اطلس وثوبان خطاي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة اثواب عتابي خوارزمي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة اثواب عتابي بغدادى وموصلي وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسى وديبقي ومنها اربعون فى كل واحدة منها خمسة اقبية وخمس كمام وحمل اليه خمس حصن عربية بعدتها وعشرين اكديشا واربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفتة وقطارين من الجمال وخلع على اصحابه مائة وخمسين خلعة وقاد الى اكثرهم بغلات واكاديش ثم سار الاشرف الى بلاده اه

وفى هذه السنة وصل غياث الدين كيخسرو ابن قليج ارسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الأرمني وارسل اليه الملك الظاهر

نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعاث فيها ونهب وفتح حصنا يعرف بفرقوس اه

الكلام على نهر حلب المسمى بقويق وعلى قناة حلب

واصلاح مجراها من حيلان الى حلب في هذه السنة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة امر الملك الظاهر صاحب حلب بأجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك اموالاً كثيرة وبقي البلد يجرى الماء فيه اه ويجدر ان نتكلم هنا على نهر حلب واصل منبعه ونتبع ذلك بالكلام على قناتها ثم نذكر تفاصيل الأعمال التى قام بها الملك الظاهر غازى فى اجراء القناة من حيلان الى حلب في هذه السنة فنقول

قال في الدر المنتخب قال ابن شداد اما نهرها فاسمه نهر قويق وله مخرجان شاهدتهما وبين حلب وبينهما اربعة وعشرون ميلاً احدهما فى قرية يقال لها الحسينية بالقرب من اعزاز يخرج الماء منها من عين كبيرة فتجرى فى نهر ويخرج بين جبلين حتى يقع في الوطاة التى قبل الجبل الممتد من بلد اعزاز شرقاً وغرباً والمخرج الأخير يجتمع من عيون ماء من سنياب ومن بعض قرى حولها من بلد الراوندان فتجتمع مياه تلك الاعين وتجري في نهر خارج من فم فج سنياب فيقع في الوطاة المذكورة ويجتمع النهران فيصيران نهراً واحداً في بلد اعزاز وهو نهر قويق ثم يجرى الى دابق ويمر بمدينة حلب ويمده عيون قبل وصوله اليها وتدور به الأرحاء بقرية مالدمن شمالي حلب ثم يمده عيون اخر بعد ان يتجاوز حلب ايضاً منها عين المباركة فيقوي بها ويزيد ويسقي في طريقه مواضع كثيرة حتى ينتهى الى قنسرين ثم يمر في المطخ فيغيض في الأجم وحكى

جماعة ان نهر قويق يغيض في المطخ ويخرج الى بحيرة افامية وان قويقا اذا مد في الشتاء احمر ماء افامية فاستدلوا بذلك على ما ذكروه والمسافة بين مغيضه وافامية مقدار اربعة عشر ميلا

قال وقال ابو الحسين بن المناري في كتابه المسمى بالحافظ مخرج قويق نهر حلب من قرية تدعى سنياب على سبعة اميال من دابق يمر الى حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين اثنى عشر ميلا ثم الى المرج الأحمر اثنى عشر ميلاً ثم يغيض في الأجمة فمن مخرجه الى مغيضه اثنان واربعون ميلا والمرج الأحمر هذا هو المعروف الآن بمرج تل السلطان وانما عرف بذلك لأن السلطان الب ارسلان السلجوقي خيم به مدة فنسب اليه

وقال ابن الخطيب ان نهر حلب كان يجرى فى الشتاء والربيع وينقطع فى الصيف ومنبعه من بلاد عينتاب وغوره فى المطخ قلت (القائل ابن الشحنة) ورأيت له نبعاً بقرية يقال لها ارفيق بين حلب وعينتاب والظاهر انه من منابع كثيرة وقال ياقوت قويق نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى سبتات (صوابه سنياب كما تقدم) وسألت عنها بحلب فقالوا لا نعرف هذا الاسم انما مخرجه من شناذر قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر في رساتيق حلب وبعد ان ذكر ما قاله ابو الحسين المنارى قال وماؤه اعذب ماء واصحه (على قوله) الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما لحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير ديناراً وقد احسن القيسراني محمد بن صغير في وصفه في قوله

رأيت نهر قويق * فساءني ما رأيت
فلو ظمئت واسقيـ * ـت ماءه ما رويت

ولو بكيت عليه * بقدره ما اشتفيت

وقال في السالنامة هذا النهر ينبع من قرية يقال لها جاغديغين من اعمال عينتاب ويجري الى حلب وقبل وصوله اليها بنحو ثلاث ساعات عند قرية تعرف بحيلان اقتطع منه قدر ثلثيه واتخذ له مجرى مخصوص بقناة مغطاة وادخل الى البلدة . وبعد حيلان يتصل بالبقية الباقية من النهر عين يقال لها عين التل وعين يقال لها عين البيضاء ويسقي الجميع بساتين حلب وما فضل منه يمر بقرية يقال لها خان طومان وبعد ذلك يفيض فى اراضى المطخ

وفي زمن الشتاء حين كثرة الماء وفيضانه تجتمع المياه بعد قرية يقال لها تل الطوكان وهي بعد قرية خان طومان وتشكل هناك بحيرة ومتى اقبل الصيف تجف. واسم هذا النهر في القديم شالوس. وسبب تسميته بقويق ان احد رؤساء عشائر التركمان واسمه قويق من اهل القرن الرابع اصلح مجاري هذا النهر فى محال متعددة فنسب اليه (١)

الكلام على قناة حلب

قال فى الدر المنتخب وهذه القناة تأتي من حيلان قرية شمالي حلب وفيها اعين جمع ماؤها وسيق الى المدينة وقيل ان الملك الذي بني حلب وزن ماءها الى وسط المدينة وبنى المدينة عليها وهى تأتي الى مشهد العافية تحت بعادين وتركب بعد ذلك على بناء محكم رفع لها لانخفاض الأرض في ذلك الموضع ثم تمر الى ان تصل الى قرية بابلىّ وهي ظاهرة في مواضع ثم تمر فى جباب قد حفرت لها الى ان تنتهي الى باب القناة وتظهر فى ذلك المكان ثم تمشي تحت الأرض الى ان تدخل باب الأربعين وتنقسم في طرق متعددة الى البلد (قال) ولأهل

[١] سيأتي في حوادث سنة ٧٣١ ذكر اتصال نهر الساجور بنهر حلب

حلب صهاريج في دورهم يأتي اليها الماء من القناة الا ماكان من الأماكن المرتفعة من البلد كالعقبة وقلعة الشريف فأن صهاريجهم من المطر وكان الذي حفرها اجراها الى الكنيسة التي جددتها هيلانة التي هي المدرسة الحلاوية قال وقيل ان هذه القناة دثرت وان عبدالملك بن مروان جددها في ولايته والذي ادخلها الى حلب الشيخ الأمين ابن العصيص الذى تغلب على قنسرين ولم يدخلها داره حتى لايقال عنه انه فعل ذلك لحظ نفسه وقيل ان هذه القناة اسلامية والصحيح انها رومية وكانت لاتدخل فى قديم الزمان الاالى الجامع فقط . قال ابن شدادوفى ايام نورالدين محمود ابن زنكى اخرج منها قطعة الى المطهرة التي هي غربي الجامع بسوق السلاح قلت (القائل ابن الشحنة) هذا السوق الآن سوق امتعة وجانبه الغربي وقف على المدرسة الحلاوية وجانبه الشرقى وقف على الجامع قال وعمل منها قسطل الى رأس الشعيبية واخرج نور الدين قطعة اخرى منها الى الخشابين وساق منها الى الرحبة الكبيرة داخل باب قنسرين ثم انقطع ذلك كله بعد وفاة نور الدين ولم ندرك من القناة شيئاً سوى قسطل الخشابين فقط . قال وكان يدخل الى حلب قناة من جهة باب قنسرين ولما عمل الشيخ منتخب الدين بن الأسكافى المصنع الذي في المسجد الذى هو شمالى مسجد المحصب رأيت هذا الطريق وقد نسيت فاستدللت بذلك على صحة ماقيل ورأيت جماعة من الصناع يقولون ان القناة اسلامية جلبها الى حلب ابن العصيص حين حبس في حلب وكانت هذه القناة قد سد طريقها لطول المدة ونقص منابع عيونها فكثرها الملك الظاهر وحرر طريقها الى البلد وسد مخارج الماء منها فكثر ماؤها وجرى فى القنوات والقساطل

اصلاح الملك الظاهر غازى لمجرى قناة حلب

قال لما كانت سنة خمسة وستمائة سير الملك الظاهر غياث الدين غازى الى دمشق فاحضر صناعاً وخرج بنفسه واوقفهم على اصل هذه القناة التى تخرج من حيلان وامرهم باعتبار الماء الخارج منها واعتبار مايصل منه الى حلب فاختبروا ذلك فرأوا ان مقدار الخارج من اصل القناة مائة وستون اصبعا بمقدار الداخل الى حلب عشرون اصبعا لاغير وضمنوا له ان يكفوا جميع سكان حلب وشوارعها ودورها ومدارسها وربطها وحماماتها ويفضل منه كثير يصرف الى البساتين والأراضى فشرع الملك الظاهر في ذلك وبدأ اولاً بأصلاح المجرى من حيلان الى حلب وباشر ذلك بنفسه واحضر اليها جميع الأمراء فضربوا خيامهم على حافتها ثم امر بذرعها من حيلان الى باب حلب فكانت المسافة خمسة وثلثين الف ذراع بذراع النجارين وهو ذراع ونصف قلت (القائل ابن الشحنة) ولعله كان في ذلك الحين كذلك واما الان فهو ذراع وسدس قال ثم قسم ذلك قطعا على الأمراء وعين لكل امير صناعا وفعلة وحمل اليهم الكلس والزيت والأحجار والآجر فاصلحت جميعها وجدد طريقها الى البلد وكلس مخارج الماء فيه فكثر وكانت منكشفة لاسقف لها فقطع لها الطوابق من الصخور الصلبة وطبقها جميعها الا مواضع جعلها برسم تنقيتها وشرب الماء منها واجرى جميع المجرى الى باب حلب في ثمانية خمسين يوماً ولما اتصلت بالبلد امر ببناء القساطل واجرى الماء فيها حتى عمت اكثر البلد واتخذ البرك في الدور ووصل ماء القناة فى ايامه الى مواضع من البلد لم يسمع بوصولها اليهسا حتى انها سيقت الى الحاضر السليمانى (الكلاسة والمغاير وما بينهما وما كان عامراً في تلك النواحى) فقال ابو المظفر محمد بن محمد الواسطي المعروف بأبن سنينيرة يمدحه لما فعل من هذه المكرمة التى

عم نفعها وشاع برها وصنعها

روي ثرى حلب فعادت روضة　　انفا وكانت قبله تشكو الظما

احيا موات ترابها فكأنه　　عيسى بأذن الله احي الأعظما

لاغرو ان اجرى القناة جداولاً　　فلطالما بقنانه اجرى الدما

ذكر القساطل التي بنيت في حلب على اثر ذلك

قال ابن شداد لما اتصلت القناة بالبلد امر ببناء القساطل فأول قسطل بني القسطل الذي بباب الأربعين تحت الرباط الذي بناه شهاب الدين طغرل الاتابك من رأس خندق الروم وصورته حوض طوله عشرون ذراعاً ورأساه المشرق والمغرب قبتان وفيه انبوبان مقدار الأصبع ثم ساق هذه القناة الى باب النصر وعمل حوضاً كبيرا قريباً من عشرين شبرا بثلاث انابيب ومن القسطل الى بحسيتا وعمل فيها قسطلين وهناك تنتهي الى المعقلية ثم ساق من اصل القناة من باب الأربعين الى الطريق الآخذ الى مدرسة ابن ابي عصرون وجامع الحيات. قسم يأخذ الى السويقة وقسم يأخذ الى البلد وما يليه وهذا الطريق الآخذ الى بلاط فيه قسطل في رأس العقبة قدام درب الملك ثم يسير الى رأس درب الديلم وهناك قسطل ثم الى الدرب المعروف بالبازيار ثم الى رأس درب بني الزهرة والطيوريين وهناك قسطل ثم الى درب شراحيل وهناك قسطل ثم الى عند حمام اوران وهناك قسطل (الظاهر موغان وهي حمام البيلوني التي خربت سنة ١٣٣٥ لتعريض الجادة) ثم الى وسط اسدالله وهناك قسطل ثم الى باب الجنان الى عند مسجد القصير وهناك قسطل ثم يعود الى الطريق الآخذ الى سويقه اليهود ثم الى باب النصر وعمل حوضاً كبيرا يفيض ثم الى السويقة عند دار الصبغ وعمل قسطل وبني

المسجد المعلق وهناك انتهى

ثم ساق من اصل الماء من المقسم الذى تحت القلعة ثم الى اسواق حلب وقصبة البلد مصنعة في الأرض وجعل ماء القناة جميعها تجتمع في تلك المصنعة ثم جعل فيها مقاسم يخرج الماء على السوية فيتفرق في حلب على السواء فأخرج منها طريقاً الى الجامع وما يضاف اليه وطريقاً الى كتاب الاسود وما يليه وطريقاً الى باب العراق وما يليه وطريقاً الى القطيعة (لعله القصيلة) وما يليها

واما طريق الجامع فبنى عليه فى رأس دار العدل قسطلاً ثم الى رأس الصاغة تحت المسجد المعلق قسطلاً واخذ منه الى حمام العفيف التى عند حبس الدلبة ثم اخذ من قسطل راس الصاغة الى رأس سوق النطاعين ثم الى شرق الجامع وبني هناك قسطل وفيه ينقسم الماء ثلاثة اقسام

قسم منه فوارة الجامع وقسم يشق وسط الجامع ويصير الى المطهرة الغربية وما يتصل بها وقسم ياخذ الى باب قنسرين ومايليه فأنه يخرج الى رأس سوق العطارين العتيق وراس المربعة وينقسم هناك قسمين قسم يأخذ الى الخشابين وقسم يأخذ الى الدركاه فأما قسم الدركاه فيصير الى المطهرة الصغيرة المعروفة بتل نيروز ورأس سوق العطر

واما قسم باب قنسرين فينقسم الى الزجاجين فيصير الى رأس درب اسد الدين الآخذ شمالي سوق الاساكفة والبز وهناك قسطل ثم الى عند مسجد المجن ثم الى درب البيمارستان وهناك قسطل يفيض فيه ثلاث انابيب ليلاً ونهاراً

واما طريق باب قنسرين فيصير الى رأس درب ابن ابي الأسود وهناك قسطل ثم يصير الى عند المسجد المعروف بأبن الاسكافى وهنـاك قسطل ثم يصير الى الرحبة التى عند المسجد المحصب وهنـاك قسطل

ثم ينقسم الماء هناك ثلاثة اقسام قسم يأخذ الى الطيريرة قدام المسجد المعروف بصفي الدين طارف (قبل جامع الرومي) فى رأس درب المساسيخ (لعله المسالخ) وهناك قسطل وهو آخر هذا الطريق

وقسم يأخذ الى باب قنسرين وقسم يأخذ الى جرن الأصفر عند المسجد وهناك قسطل (١).

واما القسم الذى يأخذ الى باب قنسرين قسطل يفيض الماء منه بثلاثة انابيب ثم يخرج منه الماء الى ظاهر البلد لتحت برج الغنم مقابل سوق الأعلى وهو بعد عدة قساطل وهو آخر الطريق ثم يدخل منه هناك الى درب البنات وهناك قسطل وهو آخر هذا الطريق اهـ (٢)

قال ابن الخطيب ان الملك الظاهر وقف عليها اوقافاً لعمارتها واصلاحها ولكن هذا الوقف لا يعرف اليوم (قال) وسيق الماء منها فى زماننا الى خارج باب المقام الى القرب من المدرسة الجمالية وانقطع بعد الفتنة التيمورية او قبلها بقليل قلت وقد اجريته انا الى تربة آشق تمر في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة اهـ

(سنة ٦٠٩)

قال ابو الفداء فى سنة ثمان وستمائة ارسل الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد الى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ما كان بينهما من الأحن وفي هذه السنة فى المحرم عقد الملك الظاهر العقد وكان المهر خمسين الف دينار وتوجهت من دمشق

---

(١) رفع هذا القسطل سنة ١٣٣٨ حينما بني خان آل الجلبي وله حجرتان كبيرتان من الحجر الاصفر طول الواحدة ازيد من ذراعين ونصف وعرضها ذراع لم يزالا ملقاتين على قارعة الطريق (٢) بعض هذه الاسماء قد تغيرت الآن انما بالتأمل القليل تعرف اماكنها

في المحرم الى حلب فاحتفل الملك الظاهر لملتقاها وقدم لها اشياء كثيرة نفيسة

(سنة ٦١٠)

ذكر بناء باب اليهود وتسميته باب النصر

قال في الزبد والضرب وفي سنة عشر وستمائة اتم الملك الظاهر بناء باب اليهود بحلب وكان قد شرع في هدمه وحفر خندقه وتوسعته وبناه بناء حسناً وغيره عن صورته التي كان عليها وبنى عليه برجين عظيمين وسماه باب النصر قلت وقد ذكر ابن شداد انه كان يعرف قديماً بباب اليهود لأن اليهود تجاوره بدورهم ومنه يخرجون الى مقابرهم

وفيها في خامس عشر ذي الحجة ولد له الملك العزيز محمد من ابنة عمه الخاتون ضيفة خاتون فضربت البشائر وزينت حلب وعقدت القباب اهـ

قال ابو الفداء في هذه السنة في رمضان توفي بحلب فارس الدين ميمون القصري وهو آخر من بقي من كبراء الأمراء الصلاحية وهو منسوب الى قصر الخلفاء بمصر كان قد اخذه السلطان صلاح الدين من هناك اهـ

(سنة ٦١١)

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر وولي تل باشر بعده ابنه فتح الدين

(سنة ٦١٣)

ذكر وفاة الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب صاحب حلب مولده بالقاهرة

سنة ثمان وستين وخمسمائة وكان ملكا مهيبا لـه سياسة وفطنة ودولته معمورة بالعلماء والفضلاء مزينة بالملوك والأمراء وكان محسنا الى الرعية وحضر معظم فتوحات والده وكان محبا للعلماء مجيزا للشعراء اعطـاه والـده مملكة حلب سنة اثنين وثمـانين وخمسمائة ودفن بقلعه حلب ثم بني له الطواشي طغريل مدرسة تحت القلعة وعمر فيها تربة ونقله اليها اه

وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة فيهـا في جمادى الآخرة توفي الملك الظاهر غازي وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهمـا من بلاد الشام وكان مرضه اسهالاً وكان شديدالسيرة ضابطا لأموره كلها كثير الجمع للأموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لايرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لأن الصغير كانت امه ابنة عمه الملك العادل ابي بكر بن ايوب صـاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقي عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن اعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولاً الى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اي حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادي فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولابد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب وحلف فاتفق في تلك الأيام ان توفي الملك الظاهر والرسول في الطريق ولما عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربيه خادما روميـا اسمه طغريل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفي

الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وازال كثيرا من السنن الجارية واعاد املاكاً كانت قد اخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الأمور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لايقدر ان يتعرض اليه فلما توفي ملكها كيكاوس السلجوقي ملك الروم كما نذكره انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعف عن اموال الرعية واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم في ولاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كل حسن وجميل اه

وقال ابو الفداء لما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الأولى من هذه السنة ابتدأ الملك الظاهر المذكور حمى حادة ولما اشتد مرضه احضر القضاة والأكابر وكتب نسخة يمين ان يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين احمد بن غازى وبعدهما لأبن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين وحلف الأمراء والأكابر على ذلك وجعل الحكم فى الأموال والقلاع الى شهاب الدين طغريل الخادم واعذق به جميع امور الدولة وفى الثالث عشر من جمادى الآخرة اقطع الملك الظافر خضر المعروف بالمستمر كفرسودا واخرج من حلب في ليلة بالتوكيل واخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم نائبا وفي خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس الدخول اليه وتوفي فى ليلة الثلاثا العشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر فى نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة فكان عمره اربعا واربعين

سنة وشهورا وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم اقصر عنه وهو الذي جمع شمل البيت الناصري الصلاحي وكان ذكيا فطناً اهـ

وقال ابن خلكان فى ترجمته كان الظاهر يكنى ابا الفتح وابا منصور ايضا ويلقب بغياث الدين وكان ملكا مهيبا حازماً متيقظاً كثير الأطلاع على احوال رعيته واخبار الملوك عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبا للعلماء مجيزا للشعراء اعطاه والده مملكة حلب فى سنة اثنين وثمانين وخمسمائة بعد ان كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها وتعوض عنها غيرهـا كما قد شهر . ويحكى عن سرعة ادراكه اشياء حسنة منها انه جلس يوماً لعرض العسكر وديوان الجيش بين يديه وكان كلما حضر احد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه ليثبتوه حتى حضر واحد فسألوه عن اسمه فقبل الارض فلم يفطن احد من ارباب الديوان لما اراد فعاودوا سؤاله فقال الملك الظاهر اسمه غازي وتأدب الجندي ان يذكر اسمه لما كان موافقا لاسم السلطان وعرف هو مقصوده وله من هذا الجنس شيء كثير لاحاجة الى التطويل فيه .

وفي الزبد والضرب لما مات الظاهر كتم خبر موته حتى دفن فى الحجرة التى جنب داره الكبيرة التى انشأها بالقلعة وكان له في كل دار بحلب مأتم وعزاء

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار أنة وزفير

قال ابن خلكان ورثاه شاعره الشرف راجح بن اسماعيل بن ابى القاسم الاسدي الحلى وكنيته ابو الوفاء بهذه القصيدة ومدح ولديه السلطان الملك العزيز محمد واخاه الملك الصالح صاحب عين تاب وما قصر فيها وهي

سل الخطب ان اصغى الى من يخاطبه * بمن علقت انيـابه ومخـالبه

نشدتك عـاتبه علي نـائبـاته * وان كان ينأى السمع عمن يعاتبه

لي الله كم ارمي بطرفي ضلالة * الى افق مجد قد تهاوت كواكبه
فالي ارى الشهباء قد حال صبحها * على دجي لا تستنير غياهبه
احقا حمى الغازي الغياث بن يوسف * ابيح وعادت خائبات مواكبه
نعم كورت شمس المدائح وانطوت * سماء العلى والنجح ضاقت مذاهبه
فمن مخبري على ذلك الطود هل وهت * قواعده ام لان للخطب جانبه
اجل ضعضعت بعد الثبات وزعزعت * بريح المنايا العاصفات مناكبه
وغيض ذاك البحر من بعد ما طمت * وطمت لغيبان البلاد غواربه
فشلت يمين الخطب اي مهند * برغم العلى سلت وفلت مضاربه
لئن حبس الغيث الغياثي قطاره * فقد سحبت في كل قطر سحائبه
فأني يلذ العيش بعد ابن يوسف * اخو امل اكدت عليه مطالبه
فلا ادركت نيل العلا طالبانه * ولا بركت في ارض يمن ركائبه
ولا انتجعت الا بعيش حقيبة * من الجدب لانثنى عليه حقائبه
مضى من اقام الناس في ظل عدله * وآمن من خطب تدب عقاربه
فكم من حمي صعب اباحت سيوفه * ومن مستباح قد حمته كتائبه
اري اليوم دست الملك اصبح خاليا * اما فيكم من مخبر اين صاحبه
فمن سائلي عن سائل الدمع لم جرى * لعل فوآدي بالوجيب يجاوبه
فكم من ندوب في قلوب نضيجة * بنار كروب اججتها نوادبه
اسلم ولم يحطم صدور رماحه * بذب ولم يثلم بضرب قواضبه
ولا اصطدمت عند الحتوف كمانه * ولا ازدحمت بين الصفوف جنائبه
ولا سيم اخذ الثار يوم كريهة * بشق مثار النقع فيها سلاهبه
فيا ملبسي ثوباً من الحسن مسبلاً * ايحسن بي ان التسلي سالبه

خدمتك روض المجد تصفو ظلاله * عليّ وحوض الجود تصفو مشاربه
وقد كنت تدنيني وترفع مجلسي * لمفروض مدح ما تعداك واجبه
فما بال اذني قد تمادى ولم يكن * اذا جئت يثنيني عن الباب حاجبه
ارى الشمس اخفت يوم فقدك نورها * فلا كان يوما كاشف الوجه شاحبه
فكيف نبا سيف اعتزامك او كبا * جواد من الحزم الذي انت راكبه
فمن لليتامي يا غياث يغيثهم * اذا الغيث لم يقمع صدى العام ساكبه
ومن للملوك كنت ظلا عليهم * ظليلا اذا ما الدهر نابت نوائبه
ايا تاركي القي العدو مسالما * متى ساءني بالجد قمت الاعبه
سقت قبرك الغر الغوادي وجاده * من الغيث ساريه الملث وساربه
فأن يك نور من شهابك قد خبا * فيا طالما جلى دجى الليل ثاقبه
فقد لاح بالملك العزيز محمد * صباح هدى كنا زمانا نراقبه
فتى لم يفته من ابيه وجده * اباء وجد غالبا من يغالبه
ومن كان في المسعى ابوه دليله * تدانى له الشأو الذي هو طالبه
وبالصالح استعلى صلاح رعية * لها منه رعي ليس يقلع راتبه
لحسب الورى من احمد ومحمد * مليكان من عاداهما ذل جانبه
هما احرزا علياء غازي بن يوسف * وما ضيما المجد الذي هو كاسبه
فأفق الورى لولاهما كان مظلما * مشارقه من بعده ومغاربه
ستحمي على رغم الليالي حماهما * عوالى قنا تردى الاسود ثعالبه
فكم من ملم جل موقع خطبه * فساءت مباديه وسرت عواقبه
فيا قمري سعد اظلا على الدجا * فولى وما الوى على الأرض هاربه
ايمكث في الشهباء عبد ابيكما * ومادحه ام تستقل نجائبه

فأن شئتما بعد الغياث اغثتما * مصاب سهام فوقتها مصائبه
كان لم اقف اجلو التهانى امامه * وتضحك فى وجه الأماني مواهبه
فهنئتما ما نلتما وبقيتما * لأعلاء ملك ساميات مراتبه

آثار الملك الظاهر غازي بحلب

المدرسة الظاهرية وهي المشهورة بالسلطانية

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة المدرسة الظاهرية وهي المعروفة الآن بالسلطانية تجاه القلعة مشتركة بين الشافعية والحنفية وكان الملك الظاهر قد اسسها وتوفي سنة ثلاث عشرة وستمائة ولم تتم وبقيت مدة بعد وفاته حتى شرع فيها شهاب الدين اتابك الملك العزيز فعمرها وكملها سنة ثلاثين وستمائة ومنقوش على بابها انها وقف على الطائفتين الشافعية والحنفية اه

قال ابن شداد درس بها القاضى بهاء الدين بن شداد وهو اول مدرس بها وولى نظرها القاضى زين الدين ابو محمد عبد الله الأسدى قاضى القضاة بحلب وكان يدرس بها المذهبين اه

المكتوب على بابها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين هذه المدرسة قد امر بعمارتها وانشائها في ايام السلطان الملك العزيز غياث الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المظفر غازى بن السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين منقذ بيت الله المقدس من ايدى الكافرين اسكنه محال رضوانه وفسائح جنانه وخلد سلطان الملك العزيز والهمه العدل والأنصاف وانشأها تكية وتربة ولي امره وكافل دولته القائم بقوانين حفظه العبد الفقير الى رحمة ربه الجليل شهاب الدين ابو سعيد طغرل

بن عبد الله الملكى الظاهري عفى الله عنه وجعلهـا مدرسة للفريقين ومقرئاً للمشتغلين بعلوم الشريعة من الطائفتين الشافعية والحنفية والمجتهدين فى الأشتغال السالكين طريقة الأخيار الأمثال الذين يعينهم المدرس بها من الفريقين مشتملة على مسجد لله تعالى ومشيد فيه مدفن السلطان الملك الظاهر قدس الله روحه ليناله ثواب قراءة العلم ودراسته وبركة القرآن وتلاوته لجزاه الله افضل الأجر عليه وشرط فيها اثابه الله تعـالى ان يكون المدرس بها شافعي المذهب والأمام للصلاة فى مسجدهـا شافعي المذهب وكذا المؤذن غفر الله لهم اجمعين سنة ستماية وعشرين

حالتها الحاضرة

لم يزل باب المدرسة قائمًا على حاله وعليه الكتابة المتقدمة وفوق الباب منـارة صغيرة طولها نحو اربعة اذرع والدرج الذى يصعد به اليها خرب وموقف المؤذن كذلك وعن يمين الباب ويساره خمس حجر صغيرة بعضها جدد في اوائل هذا القرن ورممت جميعها منذ ثلاث سنوات يسكنها الآن بعض فقراء المغاربة وكان عن يمين المدرسة ويسارها حجر للطلبة علوية وسفلية ادركناها وهي مشرفة على الخراب والآن قد خربت بالكلية والحائط الشرقى خرب بتـاتا وصـار الناس يدخلون الى المدرسة منه ومنذ سنتين صار بعض اهل الطريقة الرشيدية يقيمون الذكر في قبلية المدرسة فجمعوا من بعضهم ومن بعض اهل الخير نحو ثلاثين الفاً اقاموا فيه هذا الحائط من انقاض المدرسة واصلحوا الدرج الذي ينزل منه الى باب المدرسة لأنه اصبح منخفضاً لتعلية الأرض التى حول المدرسة

وكان فى وسط المدرسة حوض مركب من ثمانية احجار بديع الشكل وقد خرب وبعض احجاره لم تزل ملقاة فى ارض المدرسة . واما القبلية فقد كان جدارهـا

المشرف على صحن المدرسة اصــابه الوهن فــاهتم جميل باشا منذ اربعين سنة في اصلاحه .

ومحراب المدرسة بديع جداً وهو مؤلف من ثلاث عشرة حجرة من الرخــام الملون وفى طرفى المحراب عامودان من الرخام الأزرق ويعلو المحراب احجار ملونة مشتبكة بعضها على اجمل وضع قد استفرغت فيه الصنعة جهدها ولسان حال هذا المحراب ناطق بما وصل اليه فن العمارة في ذلك العصر من الأتقان وهذا المحراب لم يزل على حاله كأن بانيه قد فرغ منه الآن وهو من اهم الآثار العربية القديمة فى حلب

وعن يمين القبلية حجرة واسعة لعلها كانت موضع القاء الدروس . وعن يسارها حجرة واسعة ايضاً وهناك فى وسطها اربعة قبور يتلو بعضها بعضاً اثنان يعلوان عن الأرض شبراً والآخران بعض اصابع . وأحد هذه القبور قبر السلطــان الملك الظاهر غازى . لكن لايعلم اي قبر هو كما انى لم اقف على اسم من دفن في القبور الثلاثة

وللتربة باب من صحن الجامع ولها شباكان واحد للجهة الشرقية وواحد للجهة الجنوبية وقد سد الآن لتعلية الأرض حول المدرسة كما قدمنا ومكتوب على باب التربة وعلى هذين الشباكين

هذه تربة السلطان الملك الظاهر غازى بن الملك الناصر صلاح الدين منقذ بيت المقدس من ايدى الكافرين قدس الله روحهما ورحم من ترحم عليهما

واوقاف هذه المدرسة كانت كثيرة لكنها ذهبت وتغلبت عليها الأيدي وليس لها الآن من العقارات المقيدة في دائرة الأوقاف سوى دكان واحدة في محلة القصيلة وارداتها نحو ليرة ونصف عثمانية ذهباً . وارض تحت القلعة

وتنوى الآن دائرة الأوقاف ان تعيد بناء الحجر التى كانت عن اليمين والشمال وتسكن فيها الطلبة وتفرش ارضها بالرخام وتعيد اليها بهجتها الأولى حقق الله ذلك

المسجد الكبير فى القلعة

ومن آثاره المسجد الكبير بالقلعة وهو قريب من المنارة ومكتوب عليه (بسم الله امر بعمله مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر المنصور غياث الدنيا والدين ابو المظفر غازى بن الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف ابن ايوب خلد الله ملكه سنة ٦١٠)

وللملك الظاهر غير ذلك من الآثار فى القلعة خصوصاً فى ابوابها . ومكتوب على وسط بابها الأول المصفح بالحديد (امر بعمارته مولانا الملك الظاهر غازي بن يوسف سنة ثمان وستمائة) ومثل ذلك على الباب الرابع غير ان تاريخ هذا سنة ٦٠٦) وحروف الكتابة من حديد ولها مسامير ادخلت فى الخشب ودقت من الطرف الآخر ولو تأمل فيها اهل ذاك العصر قليلا لاهتدوا منها الى فن الطباعة

المدرسة الظاهرية

قال فى الدر المنتخب في الكلام على مدارس الشافعية التى بظاهر حلب اولها المدرسة الظاهرية انشأها السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازى بن يوسف ابن ايوب صاحب حلب وانتهت عمارتها فى سنة ستة عشر وستمائة (اي بعد وفاته) وانشأ الى جانبها تربة ارصدها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء اه

قال ابن شداد بعد العبارة المتقدمة وفوض النظر فى المدرسة الى القاضى بهاء الدين ابن شداد وشرف الدين ابى طالب العجمى وحضر السلطان يوم درس بها وعمل دعوة عظيمة حضرها الفقهاء اه

اقول وهذه المدرسة الآن خربة وحجرها التي كانت عن اليمين والشمال تهدمت وعواميدها العظيمة مع كثير من انقاضها ملقاة في ارض المدرسة ولم يبق من آثار عمرانها سوي محرابها مع عمودين من الرخام وليس على بابها شيئ من الكتابة وفي وسطهـا حوض مثمن بديع الصنعة . وحالتها الحاضرة تعرب عن عظمة شأنها وجلالة قدر بانيها واذا أجلت النظر في اطرافها ونظرت اليها نظر معتبر سالت منك العبرات واشتعلت في فؤادك نيران الحسرات ولو كانت هي الخربة وحدها لهان الأمر لكن تجد خارج باب المقام كثيراً من المدارس والرباطات والخانقاهات قد اخنى عليها الزمان وجارت عليها الأيام واصبحت اطلالاً ورسوماً وكلها تنبيك عن تقدم العمران في ذلك العصر وتدلك على ارتقاء العلم في الشهباء ورواج سوقه وانها كانت محط الرحال ومنتهى الآمال

ولا ندري هل يسمح الزمان في عمران ما هنالك من الآثار القديمة من مدارس وغيرها على شكل تستفيد منه الأمة ولا ريب ان ذلك خير من ان تبقى على هذه الحالة المؤدية الى ذهاب تلك الآثار بتاتا فأن اهل تلك المحلة لفقرهم قد تسلطوا على احجار تلك الآثار وهم يسرقون منها شيئاً بعد شيئ واذا طال الحال ولم يتلاف ذلك تصبح هذه الأماكن التي هي مفاخر الآباء والاجداد اثرا بعد عين

المدرسة الهروية

قال في الدر المنتخب المدرسة الهروية انشاها الشيخ ابو الحسن على ابن ابى بكر الهروي السائح قبلى حلب ولم تزل الى ان كانت فتنة التتر فدثر بعضها ولم يبق بها ساكن وخرب وقفها لأنه كان سوقا بالحاضر اه

اقول نسبة انشائها الى الهروى سهو والذى انشأها انما هو الملك الظاهر غازي ففي تاريخ ابن خلكان في ترجمة ابى الحسن علي الهروي المذكور ان ابا الحسن

كان فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياوبه تقدم عند الملك الظاهر غازى صاحب حلب واقام عنده وكان كثير الرعاية له وبنى له مدرسة بظاهر حلب وفى ناحية منها قبة وهو مدفون فيها وفي تلك المدرسة بيوت كتب على باب كل بيت منها ما يليق به ورأيته كتب على باب الميضاة بيت المال في بيب الماء ورأيت فى قبته معلقا عند رأسه غصنا وهو حلقة خلقية ليس فيه صنعة وهو اعجوبة وقيل انه رآه في بعض سياحاته فاستصحبه واوصى ان يكون عند رأسه ليعجب منه من يراه

اقول هي الآن خربة كما قال ولم يبق من المدرسة سوى احجار بابها والمكان المدفون فيه ابو الحسن المذكور وحجرة بجانبه متوهنة والمدرسة داخل كرم ايضا ومكتوب على احجار القبر (لله مافى السموات) الخ الآية والكتابات التى كانت عليها ذهب اكثرها والمكان كان قد خرب واعيد بصورة بسيطة وبنوا بعضاً من الكتابات في اماكن من الجدر كيفما اتفق فتشوهت وذهب رونقها وجميع المكان مشرف الآن على الخراب

سنة ٦١٥

ذكر قصد كيكاوس حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس

قال ابن الأثير فى هذه السنة سار عز الدين كيكاوس ابن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصداً للتغلب عليها ومعه الأفضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان بحلب رجلان فيهما شر كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين عن رعيته فاوغرا صدره فلقي الناس منهما شدة فلما توفي الظاهر وولي الأمر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما

ممن يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعليه ولم يطرق اليه احد من اهله فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس وآذوهما وتهددوهما لما كانا اسلفاه من الشر فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فأطمعاه فيها وقررا في نفسه انه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك ما بعدها فلما عزم على ذلك اشار عليه ذوو الرأى من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا الا بأن يكون معك احد من بيت ايوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الأفضل بن صلاح الدين هو فى طاعتك والمصلحة انك تستصحبه معك وتقرر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك ماتريد فاحضر الافضل من سميساط اليه وحمل اليه شيئا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما ان يكون مايفتحه من حلب واعمالها للأفضل وهو في طاعة كيكاوس والخطبة له فى ذلك اجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه مما بيد الملك الأشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكاوس وجرت الأيمان على ذلك. وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الأفضل فمال الناس حينئذ اليهما ثم سار الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دلدرم الياروقي فحصروه وضيقوا عليه وملكوها منه فأخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب يعمل به هكذا فلا يحصل الا ان يكون قد قلع بيته لغيره ففترت نيته واعرض عماكان يفعله وكذلك ايضا اهل البلاد فكانوا يظنون ان الأفضل يملكها فيسهل عليهم الأمر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا . واما شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتة وهذه كانت عادته مذ مات الظاهر

خوفاً من ثائر يثور به فلما حدث هذا الأمر خاف ان يحصروه وربما سلم اهل البلد والجند المدينة الى الأفضل لميلهم اليه. فأرسل الى الملك الأشرف بن الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم له ويخطبون له ويعمل السكة باسمه ويأخذ من اعمال حلب مااختار ولأن ولد الظاهر ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم في عساكره التي عنده وارسل الى الباقين يطلبهم اليه وسره ذلك للمصلحة العامة لجميعهم واحضر العرب من طيّ وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولما اخذ كيكاوس تل باشر كان الأفضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل ان يحتاطوا ويتجهزوا فعاد عن ذلك وصار يقول الرأي اننا نقصد منبج وغيرها لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا شيء قصداً للتمادي ومرور الزمان في لا شيء فتوجهوا من تل باشر الى جهة منبج وتقدم الأشرف نحوهم وسارت العرب في مقدمته وكان طائفة من عسكر كيكاوس نحو الف فارس قد سبقت مقدمة له فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الأشرفي فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الأسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلما وصل اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولى على اعقابه يطوى المراحل الى بلاده خائفاً يترقب فلما وصل الى اطرافها اقام وانما فعل هذا لأنه صبي وغر لا معرفة له بالحرب والا فالعساكر ما برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الأشرف فملك رعبان وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس جملهم في دار واحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافة واستقبحوه واستضعفوه لا جرم لم يمهله الله تعالى وعجل عقوبته للؤم قدرته وشدة عقوبته ولعدم الرحمة في قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلم الأشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى

شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان عازما على اتباع كيكاوس ويدخل
بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لأن
الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان المظيم اذا توفي ربما جرى خلل في البلاد
لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفى كل منها اذى صاحبه

زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابو الفدا لما مات الملك الظاهر صاحب حلب واجلس ابنه العزيز في المملكة
وكان طفلاً طمع صاحب بلاد الروم كيكاوس في الأستيلاء على حلب فاستدعى
الملك الأفضل صاحب سميساط واتفق معه كيكاوس ان يفتح حلب وبلادها
ويسلمها الى الملك الأفضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الملك الأشرف
ابن الملك العادل ويتسلمها كيكاوس وتحالفا على ذلك وسار كيكاوس الى جهة
حلب ومعه الملك الأفضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها كيكاوس وسلمها
الى الملك الأفضل فمالت اليه قلوب اهل البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر وبها
ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها الى الملك الأفضل واخذها كيكاوس لنفسه فنفر
خاطر الملك الأفضل وخواطر اهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الأشرف
ابن العادل الى حلب لدفع كيكاوس عن البلاد ووصل اليه بها الامير مانع ابن
حديثة امير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكاوس الى منبج وتسلمها
لنفسه ايضاً وسار الملك الأشرف بالجموع التي معه ونزل وادي بزاعا ووقع بعض
عسكره مع مقدمة عسكر كيكاوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس واخذ من
عسكر كيكاوس عدة اسرى فأرسلوا الى حلب ودقت البشائر لها ولما بلغ ذلك
كيكاوس وهو بمنبج ولى منهزماً مرعوباً وتبعه الملك الأشرف يتخطف اطراف
عسكره ثم حاصر الأشرف تل باشر واسترجعها وكذلك استرجع رعبان وغيرها

وتوجه الملك الأفضل الى سميساط ولم يتحرك بعدها في طلب ملك الى ان مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وعاد الملك الأشرف الى حلب وقد بلغه وفاة ابيه اه

سنة ٦١٩

قال ابو الفداء وفي هذه السنة فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب الى الملك الصالح احمد ابن الملك الظاهر امر الشغر وبكاس فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليها واضاف اليه سروج ومعرة مصرين

عجائب المخلوقات

قال ياقوت في معجم البلدان في الكلام على كلز جرى في هذه الناحية في ايامنا هذه شيء عجيب كنت قد ذكرت مثله في أخبار سد يأجوج ومأجوج وكنت مرتابا فيه ومقلداً لمن حكاه فيه حتى اذا كان في اواخر ربيع الآخر سنة ٦١٩ شاع بحلب وانا كنت بها يومئذ ثم ورد بصحته كتاب والى هذه الناحية انهم رأوا هناك تنينا عظيماً في طول المنارة وغلظها اسود اللون وهو ينساب على الأرض والنار تخرج من فيه ودبره فما مر على شيء الا واحرقه حتى انه اتلف عدة مزارع واحرق اشجاراً كثيرة من الزيتون وغيره وصادف في طريقه عدة بيوت وخركاهات للتركمان فأحرقها بما فيها من الماشية والرجال والنساء والأطفال ومر كذلك نحو عشرة فراسخ والناس يشاهدونه من بعد حتى اغاث الله اهل تلك النواحي بسحابة اقبلت من قبل البحر وتدلت حتى اشتملت عليه ورفعته وجعلت تعلو قبل السماء والناس يشاهدون النار تخرج من قبله ودبره وهو يحرك ذنبه ويرتفع حتى غاب عن اعين الناس قالوا ولقد شاهدناه والسحابة ترفعه وقد لف بذنبه كلباً فجعل الكلب ينبح وهو يرتفع وكان قد احرق في ممره نحو اربعمائة شجرة لوز وزيتون

سنة ٦٢٢

وفاة الملك الافضل علي بن صلاح الدين بسميساط

ونقله الى مدينة حلب

قال ابن الأثير فى هذه السنة في صفر توفي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجأة بقلعة سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة حلب ودمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر وذكرنا سنة ست وتسعين اخذها منه وانتقل الى سميساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفي بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله كان خيراً عادلاً فاضلاً حليما قل ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق في كثير من الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضي الله عنه ورأيت من كتابته اشياء حسنة فما بقي على خاطرى منها انه كتب الى اصحابه لما اخذت دمشق منه كتابا من فصوله واما اصحابنا بدمشق فلا علم لي بأحد منهم وسبب ذلك اني

اى صديق سألت عنه ففى * الذل وتحت الخمول في الوطن

واي ضد سألت حالته * سمعت مالا تحبه اذني

فتركت السوآل عنهم وهذا غاية الجودة في الأعتذار عن ترك السوآل عنهم ولما مات اختلف اولاده وعمهم قطب الدين موسي ولم يقوَ احد منهم على الباقين

ليستبد بالأمر اه

وقال ابن خلكان في ترجمته كان الأفضل اكبر اولاد ابيه واليه كانت ولاية عهده وفيه فضيلة ومعرفة وكتابة ونباهة وكان يحب العلماء ويعظم حرمتهم سمع بالاسكندرية من الأمام ابي الطاهر اسماعيل بن مكى بن عوف الزهري وبمصر من العلامة ابي محمد عبد الله بن بزي النحوى واجاز له ابو الحسن احمد بن حمزة ابن علي السلمى وابو عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحراني وغيرهما من الشاميين واجاز له ابو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود وابو عبد الله محمد بن احمد بن حامد وغيرهما من المصريين وله شعر فمن المنسوب اليه انه كتب الى الأمام الناصر يشكو من عمه العادل ابى بكر واخيه العزيز عثمان لما اخذا منه دمشق

مولاى ان ابا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده * عليهما فاستقام الأمر حين ولي
فخالفاه وحلا عقد بيعته * والأمر بينهما والنص فيه جلى
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الأواخر ما لاقي من الاول

فجاءه جواب الأمام الناصر وفي اوله وكان الناصر يتشيع

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالود يخبر ان اصلك طاهر
غصبا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر
فابشر فأن غدا عليه حسابهم * واصبر فناصرك الأمام الناصر

قال ابو الفدا ومن شعره يعرض الى سوء حظه قوله

يامن يسود شعره بخضابه * لعساه من اهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة * ولك الأمان بأنه لا ينصل

ثم قال ابن خلكان وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة

ووالده يومئذ وزير المصريين وتوفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ونقل الى حلب ودفن بتربة بظاهر حلب بالقرب من مشهد الهروى

اقول هذه التربة غربي الكروم الذي فيه ضريح الهروي بينهما الطريق وهناك قبلية لاصحن لها وهي مشرفة على الخراب وامام القبلية قبر لا ادري ان كان هو قبر الملك الافضل علي او قبر امه اذ لا كتابة عليه . ومكتوب على جدار القبلية من الخارج في الجهة الجنوبية والجهة الغربية بعد البسملة

هذه تربة العبدة الفقيرة الى رحمة ربها (جهة) مولانا الغازي المجاهد المرابط المناع العادل الزاهد الملك الناصر صلاح الدنيا والدين منقذ القدس من ايدي المشركين مظهر قبور الأنبياء والمرسلين . من دحض الكافرين مانع الطراز الاخضر من بنى الاصفر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب والدة ولده المولى الملك الافضل علي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وكان الفراغ في شعبان سنة احدى وعشرين وستمائة اهـ

وسميساط بضم السين المهملة وفتح الميم وهي قلعة في بر الشام على الفرات في ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملاطية اهـ

(ذكر وفاة الأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين سليمان بن جندر)

قال ابن كثير فى تاريخه في حوادث هذه السنة وتوفي فيها الأمير سيف الدين على ابن الأمير علم الدين سليمان بن جندر وكان من اكابر الأمراء بحلب وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين احداهما على الشافعية والاخرى على الحنفية وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات وغزا غزوات اهـ

آثاره بحلب نقلاً عن الدر المنتخب

قال فيه (المدرسة السيفية) انشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر انتهت سنة سبع عشرة وستمائة مشتركة بين الشافعية والحنفية وهي خراب داثر وفيه في باب ذكر ما بحلب من مدارس المالكية والحنابلة [مدرسة] انشأها الأمير سيف الدين علي تحت القلعة لتدريس مذهبي مالك واحمد بن حنبل وهذه المدرسة كانت قد نسيت واغلق بابها ففتحته وما ادري مافعل الله بها بعد خروجي من حلب وقال في باب الخانقاهات والربط [رباط] انشأه الأميرسيف الدين علي بالرحبة الكبيرة وكانت في دار تعرف ببدر الدين محمود بن شكري الذي خنقه الملك الظاهر غازي اه

ومن آثاره جامع خارج محلة الكلاسة قال بيشوف مكتوب عليه . بسم الله انشأ هذا المسجد المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الظاهر غازي خلد الله ملكه العبد الفقير الى رحمة ربه علي بن سليمان بن جندر غفر الله له ولوالديه سنة ٦٠٦

سنة ٦٢٤

قال ابن الأثير فيها ظفر جمع من التركمان كانوا بأطراف اعمال حلب بفارس مشهورمن الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلكفساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ الى اتابك المتولي لأمور حلب فراسل الفرنج وتهددهم بقصد بلادهم واتفق انعسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية ايضا فاذعنوا بالصلح وردوا الى التركمان كثيرا مناموالهم وحريمهم واسراهم اه

قال ابن كثير في حوادث هذه السنة وممن توفي فيها من الأعيان جنكزخان

ملك التتار وجد ملوكهم وساق له ترجمة طويلة حافلة تدل على حسن سيرته وعدله في رعيته ومما جاء فيها انه اهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فأستحسنه جنكزخان فوهن امره عنده بعض خواصه وقال خوند هذا زجاج لا قيمة له فقال اليس قد حمله من بلاد بعيدة حتى وصل الينا سالماً اعطوه مائتي بالس اهـ

سنة ٦٢٦

(وصف ياقوت لحلب في هذه السنة في كلامه على حلب في كتابه معجم البلدان) قال شاهدت من حلب واعمالها ما استدللت على ان الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد فمن ذلك انه يزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكرم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذيا لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصا غضا طريا ويفوق ما يسقي بالمياه والسيح في جميع البلاد وهذا لم اره فيما طوفت من البلاد في غير ارضها . ومن ذلك ان مسافة ما بيد مالكها في ايامنا هذه وهو الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن ايوب ومدبر مملكته والقائم بجميع اموره شهاب الدين طغرل وهو خادم رومي زاهد متعبد حسن العدل والرأفة برعيته لا نظير له في ايامه في جميع اقطار الأرض حاشا الامام المستنصر بالله ابي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر لدين الله [الخليفة في بغداد] من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية مشتركة بين الرعية والسلطان اوقفني الوزير الصاحب القاضي الأكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي وهو يومئذ وزير صاحبها ومدبر دواوينها على الجريدة بذلك واسماء القرى واسماء ملاكها وهي

بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم . قال لى الوزير الأكرم لو لم يقع اسراف في خواص الأمراء وجماعة من اعيان المفاريد لقامت بأرزاق سبعة آلاف فارس لأن فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم فى العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الأمراء الف فارس . وفي اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق مستحفظيها خارجا عن جميع ما ذكرناه وهو جملة اخرى كثيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الأقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عينا وحبوبا ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها فى العام الماضى وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التى يجبي فيها العشور من الأفرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة الف درهم مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى فيها متظلم ولا متهضم ولا مهتضم وهذا من بركة العدل وحسن النية

واما قلعتها فيها يضرب المثل في الحسن والحصانة لان مدينة حلب في وطاء من الارض وفى وسط ذلك الوطأ جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية فى رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب قد اعتنى بها بهمته العالية فعمرها عادية وحفر خندقها وبنى رصيفها بالحجارة المهندمة فجاءت عجبا للناظرين اليها لكن حالت المنية بينه وبين تتمتها . ولها في ايامنا هذه ثمانية ابواب باب الأربعين وباب اليهود وكان الملك الظاهر قد جدد عمارته وسماه باب النصر وباب الجنان وباب انطاكية وباب قنسرين وباب

العراق وباب النيرب وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه ادباء وشعراء ولأهلها عناية باصلاح انفسهم وتثمير الأموال فقل ما ترى من نشئتها من لم يتقبل اخلاق آبائه فى مثل ذلك فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة ويتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان. وقد اكثر الشعراء من ذكرها ووصفها والحنين اليها وانا اقتنع من ذلك بقصيدة لأبي بكر محمد بن الحسن بن مرادالصنوبرى وقد اجاد فيهاووصف منتزهاتها وقراهاالقريبة فقال

احبسا العيس احبساها * واسئلا الدار اسئلاها
واسئلا اين ظبـاء الـ * ـدار ام اين مهـاهـا
اين قطـان محـام * ريب دهر ومحـاهـا

وهى طويلة جداً وقد تقدم منها وصفه لجامع حلب الأعظم

سنة ٦٢٧

قال ابو الفداء فيهاولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب اه

سنة ٦٢٨

قال ابن الاثير فى هذه السنة قلت الأمطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب واعمالها فأنها كانت قليلة بالمرة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب الا انه لم يكن بالشديد مثل ما تقدم في السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب الدين وهو والى الأمر بحلب والمرجع الىامره ونهيه وهو المدبر لدولة سلطانها الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربى له من المال والغلات كثيرا وتصدق صدقات دارة وساس سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء اثر فجزاه الله خيرا وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى بين جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين

اليهم العساكر مع اميركان اقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى والغنيمة . اه(١)

سنة ٦٢٩

ذكر استقلال الملك العزيز بالملك

قال ابن خلكان فى ترجمة القاضي ابن شداد في اول سنة تسع وعشرين توجه القاضى ابن شداد الى الديار المصرية لأحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها وجاء بها في رمضان من السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الاتابك طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من الشبان الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه فاشتغل بهم ولم ير القاضي ابو المحاسن وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته اه

سنه ٦٣٠

ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب ﴿ حلب على شيزر ﴾

قال ابو الفداء وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين عثمان بن الداية وكان سابق الدين عثمان بن الداية المذكور واخوته من اكابر امراء نور الدين محمود بن زنكى ثم اعتقل الملك الصالح اسماعيل بن نور الشهيد سابق الدين عثمان بن الداية وشمس الدين اخاه فانكر السلطان صلاح الدين عليه ذلك وجعله حجة لقصد الشام وانتزاعه من الملك الصالح اسماعيل فاتصل

(١) اقول والى هذه السنة انتهى تاريخ ابن الاثير

اولاد الداية بخدمة السلطان صلاح الدين وصاروا من اكبر امرائه وكانت شيزر اقطاع سابق الدين المذكور فأمره السلطان صلاح الدين عليها وزاده ابا قبيس لما قتل صاحبها حمار دكن ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود بن عثمان حتى مات وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فسار الملك العزيز صاحب حلب بأمر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها الملك المظفر محمود صاحب حماه مساعدا له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى الملك العزيز ونزل الى خدمته فتسلمها في هذه السنة وهنى الملك العزيز يحي بن خالد بن القيسراني بقوله

يا مالكا عم اهل الارض نائله وخص احسانه الداني مع القاصى
لما رأت شيزر آيات نصرك في ارجائها القت العاصى الى العاصى

ثم ولى الملك العزيز على شيزر واحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل كل منهما الى بلده

وفاة الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل

قال ابو الفداء في حوادث هذه السنة وفيها توفي مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك

آثاره وآثار ابيه بحلب

قال في الدر المنتخب خانقاه الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك صاحب اربل بالسهيلة وهي الآن معروفة بسويقة حاتم بالقرب من الجامع الكبير اه

اقول موقع هذه الخانقاه في اوائل الزقاق المعروف الآن بزقاق الفرن وهي عن يمينك

اذا قدمت من جهة الجامع الكبير داخل بوابة طويلة ينزل اليها بعدة درجات ولذا قل من يعرفها . ولها قبلية صغيرة امامها قبو وامام القبو صحن طوله مع القبو تسعة امتار وعرضه ثمانية . وفى الجهة الشرقية ثلاث حجر فى داخل الوسطى منهن حجرة صغيرة فيها قبر لم اعلم صاحبه وفى الجهة الشمالية حجرة مستطيلة وفى الغربية حجرتان والجميع مقبو ومنذ سنين غير معلومه تغلب الجيران فبنوا فوق هذه الحجر بيوتا ومطابخ حتى فوق القبلية وقد كان المكان المنخفض من البوابة ممتلئاً ترابا الى باب الخانقاه بحيث سد الباب فسعى منذ ١٥ سنة الشيخ عمر ابن الشيخ عبد الرؤف الكيالى وازال تلك الأتربة وفتح باب الخانقاه ورمم بعضها وصار يسكنها بعض الفقراء لكنها لاتصلح لشيئ لانك لاتجد في هذه الحجر ولا في القبلية الابعض المنافذ والشمس لاتعرفها مطلقاً . وقد تمكنت بعد عناء من قراءة الكتابة التى على بابها وهي

(البسملة) جدد في دولة مولانا الملك الظاهر
غياث الدنيا والدين ابو المظفر الغازى ابن
الملك الناصر يوسف بن ايوب خلد الله ملكه
وقدس روح الواقف الامير الكبير المجاهد
زين الدين على بن بكتكين وابقا ولده الملك المعظم
مظفر الدين ادام الله ايامه في سنة (التاريخ ذاهب)
وذلك بتولى الجابى الفقير الى ربه محمد بن سلمان النيزينى رحمه الله

من هذه الكتابة ومما قاله في الدر المنتخب ظهر لى ان البانى الاول هو زين الدين على بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣ والمجدد هو ولده الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى المتوفى في هذه السنة وهي سنة ٦٣٠ وليس لهذه الخانقاه شيئ

من الاوقاف سوى بعض اراض عشرية .

ترجمة الباني الاول

قال ابن الاثير في حوادث سنة ثلاث وستين وخمسمائة . في هذه السنة فارق زين الدين على بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهرزور وجميع القلاع التى معها وجميع بلاد الهكارية وقلاعه منه العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمي ايضاً فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته بأربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقي معه اربل ولم يزل بها الى ان مات بهذه السنة

وقال ابن خلكان هو زين الدين على المعروف بكجك صاحب اربل رزق اولاداً كثيرة وكان قصيرا ولهذا قيل له كجك واصله من التركمان وملك اربل وبلاداً كثيرة فى تلك النواحى وفرقها على اولاد اتابك قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل ولم يبق له سوى اربل ويقال انه جاوز مائة سنة وعمى فى آخر عمره وانقطع بأربل الى ان توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد . وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة وله بالموصل اوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها

قال في الروضتين وكان خيراً عادلاً حسن السيرة جواداً محافظاً على حسن العهد واداء الامانة قليل العذر بل عديمه وكان اذا وعد بشيئ لابد له من ان يفعله وان كان خطيراً وكان حاله من اعجب الاحوال بينما يبدو منه مايدل على سلامة صدره وغفلته حتى يبدو منه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء بلغني

انه اتاه بعض اصحابه بذنب فرس ذكر انه نفق له فأمر له بفرس فأخذ ذلك الذنب ايضاً غيره من الاجناد فأحضره وذكر انه نفق له دابة فأمر له بفرس وتداول ذلك الذنب اثنا عشر رجلاً كلهم يأخذ فرساً فلما احضره آخرهم قال لهم اما تستحيون مني كما استحي انا منكم قد احضر هذا عندي اثنا عشر رجلاً وانا اتغافل لئلا يخجل احدكم اتظنون انني لا أعرفه بلى والله وانما اردت ان يصلكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتركوني

ليس الغبي بسيد في قومه　　　لكن سيد قومه المتغابي

قال وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيماً وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شيئاً بل انفذه جميعه في العطايا والانعام على الناس وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج اليه من سكين ودوفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك وغير ذلك . وكان اشجع الناس ميمون النقيبة لم يهزم له راية وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركيا اسمر اللون خفيف العارضين قصيرا جداً . وبنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها وبلغني انه مدحه الحيص بيص فلما اراد الأنشاد قال له انا لاادري ماتقول لكن اعلم انك تريد شيئاً فأمر له بخمسمائة دينار واعطاه فرساً وخلعا وثيابا يكون بمجموع ذلك الف دينار

(ترجمة ولده الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المجدد لبناء هذه الخانقاه)

قال ابن خلكان ابو سعيد كوكبوري بن ابي الحسن علي بن بكتكين الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل ولما توفي والده ولي موضع ابيه وعمره اربع عشرة سنة وكان اتابكه مجاهد الدين قايماز فأقام مدة ثم تعصب مجاهد الدين عليه وكتب محضرا انه ليس اهلاً لذلك وشاور الديوان العزيز (اى الخليفة في بغداد) في امره واعتقله واقام اخاه زين الدين ابا المظفر يوسف مكانه وكان

اصغر منه ثم اخرج مظفر الدين من البلاد فتوجه الى بغداد فلم يحصل له بها مقصود فانتقل الى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازى بن مودود فاتصل بخدمته واقطعه مدينة حران فانتقل اليها واقام بها مدة ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده وتمكن منه وزاده في الاقطاع الرها في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة واخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني واعطاها مظفر الدين مع حران واخذ الرقة من ابن حسان واعطاها ابن الزعفراني ثم اعطاه سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خاتون بنت ايوب وشهد مع صلاح الدين مواقف كثيرة وابان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزة وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره على ماتضمنه تواريخ العماد الأصفهانى وبهاء الدين بن شداد وغيرهما وشهرة ذلك تغنى عن الأطالة فيه ولو لم يكن الا وقعة حطين لكفته فأنه وقف هو وتقي الدين صاحب حماة وانكسر العسكر بأسره ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم . ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلاً عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه وكان في جملتهم زين الدين يوسف اخو مظفر الدين وهو يومئذ صاحب اربل فأقام قليلا ثم مرض وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرة فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان ان ينزل عن حران والرها وسميساط ويعوضه اربل فأجابه الى ذلك وضم اليه شهرزور فتوجه اليها في هذه السنة هذه خلاصة امره

سيرته وآثاره (اقرأ وتأمل)

قال واما سيرته فلقد كان له فى فعل الخيرات غرائب لم يسمع ان احداً فعل فى ذلك مافعله . لم يكن فى الدنيا شيئ احب اليه من الصدقة كان له كل يوم قناطير

مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج فى عدة مواضع من البلد بجتمع في كل يوم خلق كثير ويفرق عليهم في اول النهار . وكان اذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار جمع كثير فيدخلهم اليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف او غير ذلك ومع الكسوة شيئ من الذهب من الدينار والأثنين والثلاثة واقل واكثر . وكان قد بنى اربع خانقاهات للزمنى والعميان وملأها من هذين الصنفين وقرر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخميس ويدخل عليهم ويدخل الى كل واحد فى بيته ويتفقده بشيئ من النفقة ويسأله عن حاله وينتقل الى الآخر وهكذا حتى يدور على جميعهم وهو يباسطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم وبنى داراً للنساء الأرامل وداراً للصغار الأيتام وداراً للملاقيط ورتب بها جماعة من المراضع وكل مولود يلتقط يحمل اليهن فيرضعنه . وأجرى على اهل كل دار مايحتاجون اليه فى كل يوم وكان يدخل اليها فى كل وقت ويتفقد احوالهن ويعطيهن النفقات زيادة على المقرر لهن وكان يدخل الى البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهيه وكان له دار مضيف يدخل اليها كل قادم على البلد من فقيه اوفقير اوغيرهما وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول اليها ولهم الراتب في الدار في الغداء والعشاء واذا عزم الأنسان على السفر اعطوه نفقة على مايليق بمثله .

وبنى مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السماط ويبيت بها ويعمل السماع واذا طاب خلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئاً من الأنعام ولم يكن له لذة سوى السماع فانه كان لايتعاطى المنكر ولايمكن من ادخاله الى البلد . وبنى للصوفية خانقاهين

فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ويجتمع فى ايام المواسم فيهما من الخلق مايعجب الأنسان من كثرتهم ولهما اوقاف كثيرة بجميع مايحتاج اليه ذلك الخلق ولابد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها . وكان ينزل بنفسه اليهم ويعمل عندهم السماعات فى كثير من الأوقات . وكان يسير فى كل سنة دفعتين جماعة من امنائه الى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها اسرى المسلمين من ايدى الفرنج فأذا وصلوا اليه اعطى كل واحد شيئاً .وان لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك . وكان يقيم فى كل سنة سبيلاً للحاج ويسير معه جميع ماندعو حاجة المسافر اليه في الطريق ويسير صحبته امينا معه خمسة او ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويج وارباب الرواتب وله بمكة حرسها الله تعالى آثار جميلة وبعضها باق الى الآن وهو اول من اجرى الماء الى جبل عرفات ليلة الوقوف وغرم عليه جملة كثيرة وعمر بالجبل مصانع للماء فأن الحاج كانوا ينضررون من عدم الماء وبنى له تربة ايضاً هناك

احتفاله بمولد النبي الكريم

قال واما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فأن الوصف يقصر عن الأحاطة به لكن نذكر طرفاً منه . وهو ان اهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه فكان في كل سنة يصل اليه من البلاد القريبة من اربل مثل بغداد والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحى خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولايزالون يتواصلون من المحرم الى اوائل شهر ربيع الأول ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة اربع او خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة واكثر منها قبة له والباقى للأمراء واعيان دولته لكل واحد قبة فأذا كان اول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة

الفاخرة المتجملة وقعد في كل قبة جوق من الأغانى وجوق من ارباب الخيال ومن اصحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات حتى رتبوا فيها جوقاً وتبطل معايش النـاس فى تلك المدة ومـا يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاورة للميدان فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة الى آخرها ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه فى القباب ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع فيها ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع الى القلعة قبل الظهر هكذا يعمل كل يوم الى ليلة المولد وكان يعمله سنة فى ثامن الشهر وسنة فى ثاني عشره لأجل الأختلاف الذى فيه . فأذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الأبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع عنده من الطبول والأغانى والملاهي حتى يأتى بها الى الميدان ثم يشرعون فى نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة فأذا كان ليلة المولد عمل السماعـات بعد ان يصلى المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيئ كثير وفي جملتها شمعتان من الشموع الموكبية التى تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي الى الخانقاه فأذا كان صبيحة المولد انزل الخلع من القلعة الى الخـانقاه على ايدى الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل واحد وراء الآ خر فينزل من ذلك شيئ كثير لا اتحقق عدده ثم ينزل الى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسى للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك الى الموضع الذى فيه الناس والكرسى وشبابيك اخر للبرج ايضاً الى الميدان وهو ميدان كبير فى غـاية الأتساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك

النهار وهو تارة ينظر الى عرض الجند وتارة الى الناس والوعاظ ولايزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك ويكون سماطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيئ كثير لايحد ولا يوصف ويمد سماطاً في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسى وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل واحد منهم ثم يعود الى مكانه . فاذا تكامل ذلك حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل الى داره ولا يزالون على ذلك الى العصر اوبعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل السماعات الى بكرة هكذا دأبه في كل سنة . وقد لخصت صورة الحال فأن الأستقصاء يطول فأذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل انسان للعود الى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة وقد ذكرت فى ترجمة الحافظ ابي الخطاب بن دحية فى حرف العين وصوله الى اربل وعمله لكتاب التنوير في مولد السراج المنير لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وانه اعطاه الف دينار غير ما غرم عليه مدة اقامته من الأقامات الوافرة (ثم قال) وكان كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة سالم البطانة شديد الميل الى اهل السنة والجماعة لاينفق عنده من ارباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ومن عداهما لايعطيه شيئاً الا تكلفا . وكذلك الشعراء لايقول بهم ولايعطيهم الا اذا قصدوه فما كان يضيع قصدهم ولا يخيب امل من يطلب بره وكان يميل الى علم التاريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به ولم يزل رحمه الله تعالى مؤيداً في مواقفه ومصافاته مع كثرتها لم ينقل انه انكسر في مصاف قط ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب وفى شهرة معروفه غنية عن الأطالة (ثم قال) وكانت ولادته بقلعة الموصل سنة

تسع واربعين وخمسمائة وتوفي فى رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد ثم نقل الى قلعة اربل ودفن بها ثم نقل الى الكوفة ودفن بالقرب من المشهد رحمه الله ٠

سنة ٦٣١

ذكر وفاة الاتابك شهاب الدين طغريل الخادم

قال الصلاح الصفدى في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي اتابك طغريل مملوك الملك الظاهر غازى صاحب حلب كان صالحاً عفيفا زاهداً كثير الصدقات والاحسان وكان واسطة خير يحب الصالحين ولما توفي الظاهر قام بأمر ولده العزيز احسن قيام واستمال الاشرف وحفظ عليه البلاد وكان قد طهر حلب من الفسق والفجور والمكوس والخمور وكان الأشرف يقول ان كان لله تعالى ولي في الأرض فهو هذا الخادم فلما كبر العزيز ابن الظاهر تحدث عليه اقوام قصدهم اذى الخادم وقالوا له قد رضيت لنفسك ان تكون تحت حجر هذا الخادم وكان له تل باشر فاخذها منه وازال الحجر عنه واقام الاتابك لا ينفذ له امر فمرض ومات في هذه السنة ودفن بباب الأربعين اه وذكره العلامة ابن خلكان في آخر ترجمة القاضي بهاء الدين بن شداد قال وتوفي الاتابك شهاب الدين طغريل ليلة الاثنين الحادى عشر من محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب الأربعين وكان خادما ارمني الجنس ابيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى

آثاره بحلب

المدرسة الاتابكية

قال في الدر المنتخب (المدرسة الاتابكية) انشأها شهاب الدين طغريل عتيق

الملك الظاهر غياث الدين غازي نائب السلطنة بالقلعة الحلبية ومدبر الدولة بعد وفاة معتقه انتهت عمارتها فى سنة ثمان عشرة وستمائة واول من درس بها الشيخ الامام العالم جمال الدين خليفة بن سليمان بن خليفة القرشي الحوارني الأصل ولم يزل بها الى ان خرج من حلب فراراً من ايدى التتر اسوة من خرج من اهل بلده مع من كتب عليه الجلاء من اهل حلب واحرقت في زمن التتر وهى دائرة الآن (قلت) رممت بعد ذلك وكملت عمارتها واستقر في تدريسها العلامة شهاب الدين احمد ابن البرهان وكان مجتهداً في مذهب ابي حنيفة ولم تزل بيده الى ان نزل عنها لجدى العلامة كمال الدين ابي الفضل محمد بن الشحنة وهي الآن باسم ولدى المشار اليهما (هما ابو اليمن وعبد البر) ولكن ليس لها وقف الا حصة كمنون ومتحصلها يسير جداً لايقوم بمعلوم القائم والأمام وهى ملاصقة لدارنا من جهة القبلة قال ابو اليمن البترونى في حواشي الدر المنتخب . هذه المدرسة لا نكاد تذكر الآن اعنى في سنة خمس وثلاثين و الف ولكن اخبرني بعض الناس انها المدرسة الدائرة التى لدثورها رمها بعض الفقراء وجعلها مسكنا الكائنة بالقرب من الجامع الحادث المعروف بالعادلية بالجانب الشرقى منه قبلى الخان الموقوف على الجامع المذكور وبين الخان المذكور وبينها زقاق كما ان بينها وبين الجامع المذكور زقاق والآن قد صارت مسكناً يسكنها بعض النـاس وقد سد بابها وجعل له باب آخر يدخل منه اليها ودور ذرية المصنف (اي بنى الشحنة) قريبة اليها الا ان الدور المذكورة فى الجانب الشرقى من الزقاق الذى بينها وبين المدرسة وهي الآن بيد ولد اخي وهو مولانا القـاضي عبد الرحمن بن شيخ الأسلام ابى الجود افندي تولاها بعد ان عزل عن قضاء حماة والذى ادركناه من قرية كمنون انها جميعها وقف المدرسة ولها محصول وافر اه

اقول قبلي الخان المذكور المسمى الآن بخان الفرايين وامام باب جامع العادلية وبــاب قــارساية العلبية عرصة واسعة نصفهـا الشمالى او اكثر من النصف هو هذه المدرسة ودور بنى الشحنة . المدرسة من جهة الغرب امام باب الجامع والدور من جهة الشرق . وقدحفر منذ عهد قريب امام شـابيك الحمام المعروفة بحمام ميخان فوجد اثر باب كبير وقد رأيته ويغلب على الظن انه باب المدرسة وهي آخذة الى الشمال وبين هذا الباب ومدفن كوهر ملك شاه السلطانة الواقع قبلي العرصة مقدار ستة اذرع

﴿ المدرسة الأتابكية ايضا ﴾

قال فى الدر المنتخب [المدرسة الأتابكية] انشأها الاتابك شهاب الدين طغريل الظاهري المقدم ذكره وتمت في سنة عشرين وستمائة واول من درس بها صفي الدين عمر الحموي وبعده نظام الدين محمد بن محمد بن عثمان البلخي الأصل ولم يزل بها الى ان توفي بحلب فوليها بعده ولده تقي الدين احمد ولم يزل بها الى ان قتل فى فتنة التتر ثم وليها فى الأيام الظاهرية الفقيه فخر الدين عبد الرحمن بن ادريس ثم خرج عنها الى ديار مصر اه وقال ايضاً خانقاه انشاها خارج باب الأربعين بالجبيل .
اقول موقع هذه المدرسة والخانقاه فى محلة الجبيلة في الزقاق الكائن عن يســار الداخل من باب الحديد وهما متلاصقتان على مكان مرتفع ولهما بابــان بجانب بعضهما بينهما اربعة اذرع مكتوب على باب المدرسة

هذا ما تقدم بأنشائه العبد الفقير الى رحمة الله وكرمه الشاكر لما افاض عليه رحمانه ابو سعيد طغرل بن عبد الله الملكى الظاهرى تقبل الله منه واثابه مشهد لله تعالى تقام فيه الصلوات الخمس في اوقاتها ويسكنه المدرس والفقهاء الحنفية على مــا شرطه في كتاب للوقف وان قدر الله وفــاته خارج مدينة حلب يدفن فيه في

الموضع المعد له يلازمه القراء وملازمته للقرآن العظيم على ما شرطه فلا يحل الأخذ بغيره عما وضع له ومن بدله بعد ما سمعه فأنما اثمه على الذين يبدلونه وذلك فى شهور سنة عشرين وستمائة .

وفي صدر المدرسة قبلية في طرفهـا الأيمن ايوان في وسطه ضريح هو قبر الواقف طغرل والكتابة التى كانت على الباب الآخر وهو باب الخانقاه محيت وعليه الآن كتابة حديثة كتبت سنة ١٢٨٦ خلاصتها انه جدد هذا المكان بأشارة الألهام الشيخ الهمام مربى المريدين الشيخ محمد بن احمد المكى القرشي من خلفاء محمد جان النقشبندى .

والذي تحقق عندي ان هذا الرجل من اهالي مرعش كان حضر الى حلب قبل التاريخ المتقدم بقليل وتوجه منها الى مكة وبقي فيها مدة وجيزة ثم عاد الى حلب وهو على زي اهل مكة من العمامة والجبة وادعى انه مكي قرشي . وكان فى الخانقاه في جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والشمالية حجر صغيرة ويسكن هناك رجل مصري كفيف حافظ لكتاب الله تعالى فسعى فى اخراجه وسكن هو وكتب ما كتب على بـاب الخانقاه وصار يقيم الذكر فى قبلية المدرسة وصـار بعض موظفى الأتراك يترددون اليه ويعتقدون عليه ويبرونه وكان باب القبلية متوهنا فسعى في تجديده في سنة ١٣٠٢ وكتب على جداره هذا المقام للسيد علي جواد ابن سيدنا الأمام الباقر رضي الله عنه وقد اتخذ هذه الكتابة وسيلة لجر مغنم اليه خصوصاً من النساء وهذا محض افتراء منه لأن الضريح الذى في ايوان القبلية هو ضريح الواقف رحمه الله كما تقدم لك نقله عن الصلاح الصفدى وابن خلكان . ثم انه لم يقف عند هذا الحد بل خرب الحجر الصغيرة التى في الخانقاه وبنى موضعها بيتين وصارت الخانقاه على هيئة دار وطين باب الخانقاه

لتخفى الكتابة التى كتبها على الباب وادعى حينئذ ان الدار له وحاول تسجيلها في الحكومة على انها ملكه فعندئذ قام اهل المحلة ورفعوا الأمر للمحكمة الشرعية واخيرا ازيلت يده واخرج من المكان

ومنذ عشرين سنة وضعت دائرة المعارف يدها على المدرسة والخانقاه ورفعت الجدار الذي كان بينهما ولم يزل اثره باقياً الى الآن وصار المكانان مكاناً واحداً وبنت فيه تحت وفوق غرفاً للطلبة واتخذته مدرسة ابتدائية تسمى الآن مدرسة النجاة والباقي في المدرسة من الحجر القديمة التى كانت للطلاب هي الحجر الثلاث الشرقية كما يظهر لك بالتأمل قليلا

والقبلية محتاجة الى الترميم جداً يتوالى نزول الأتربة من سقفها وسألت عن سبب بقائها مشعثة فعلمت ان دائرة الاوقاف مهملة لشأنها لوضع دائرة المعارف يدها على المكان جميعه واتخاذه مدرسة وتقول دائرة المعارف ان امر القبلية يرجع الى دائرة الأوقاف وهكذا ضاع هذا المكان بين هاتين الدائرتين ولله الأمر

والباقي لهذا المكان من الأوقاف اراض عشرية يبلغ ريعها ثلاثين ليرة عثمانية ذهباً وقد فقد الكثير من اوقافها

ذكر بناء قلعة المعرة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة استتم بناء قلعة المعرة وكان قد اشار سيف الدين علي ابن ابى علي الهذباني على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال و السلاح ولم يكن ذلك مصلحة لأن الحلبيين حاصروها فيما بعد واخذوها وخربت المعرة بسببها اه

سنة ٦٣٢

ذكر وفاة الملك الزاهر داود صاحب البيره

قال ابو الفداء فى هذه السنة توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضا وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن اخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب اه

وقال الصلاح الصفدي فى حوادث هذه السنة بعد ان ذكر وفاته مولده سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وكان فاضلا اديبا وشاعرا مجيدا ومن شعره رحمه الله

يا راحلين ولم يقدموا * لقد بان صبرى مذ بنتم
وعدتم بأن تبعثوا طيفكم * فهلا وفيتم بما قلتم
وفارقتمونى على انكم * تعودون نحوى فما عدتم
فشوقى شديد الى قربكم * وصبرى ضعيف ولم تعلموا
يجدد لى كل يوم بكم * غرام فأظهر ما اكتم
واذكر عصراً مضى وانقضى * وقد نلت فيه المنى منكم
وارتقب البرق من نحوكم * واسأل ريح الصبا عنكم
بحرمة ما بيننا سالفا * من العهد الا تعطفتم
فأين مواثيق تلك العهود * وانتم على العهد ماخنتم

ذكر استيلاء كيقباذ بن كيخسرو على حران والرها

قال ابو الفداء وفيها لما تفرقت العساكر الكاملية قصد كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرهما واستولى عليهما وكانا للسلطان

الملك الكامل اه

ذكر وفاة القاضي بهاء الدين بن شداد

قال ابو الفداء وفى هذه السنة توفي القاضى بهـاء الدين يوسف بن رافع بن شداد في صفر وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطـان صلاح الدين وكان قاضي عسكره ولما توفي صلاح الدين كان عمر القاضي المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضى بهاء الدين المذكور من المنزلة عند اولاد صلاح الدين وعند الاتابك طغريل مالم ينلها احد واصله من الموصل وكان فاضلا دينا وكان اقطاعه على الملك العزيز ما يزيد على مائة الف درهم فى السنة اه (اقول)وهو مؤلف السيرة الصلاحية المسماة بالنوادر اليوسفية وهى مطبوعة في مصر وقدم بك تقول كثيرة عنها وصاحب الروضتين قداتى على معظها . وقد ذكرناه في القسم الثاني بأبسط من هذا

سنة ٦٣٣

قال ابو الفدا وفي هذه السنة سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباذ صاحب بلاد الروم وامسك كيقباذ ونوابه الذين كانوا بهما وقيدهم وارسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه

سنة ٦٣٤

ذكر وفاة الملك العزيز محمد صاحب حلب

وولاية ابنه الملك الناصر يوسف

قال ابو الفدا وفي هذه السنة كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى حارم للصيد ورمي البندق

واغتسل بماء بارد فحم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتدمرضه وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وشهوراً وكان حسن السيرة في رعيته ولما توفي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمني وعز الدين عمر بن مجلي وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع في الأمور الى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل اه

وقال صلاح الدين الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي ولد في ذي الحجة سنة تسع وستمائة وتوفي والده وهو طفل ونشأ في حجر شهاب الدين طغريل الخادم فرتب اموره احسن ترتيب وقام بدولته القيام العجيب الى ان ترعرع واستقل بالأمر وفك عن نفسه الحجر توفي بحلب ودفن بالقلعة وكان حسن الصورة كريما عفيفا ولم يبلغ اربعاً وعشرين سنة وملك حلب بعده ولده الملك الناصر الذي قتله التتر رحمهما الله تعالى

وقال في الزبد والضرب دفن بالقلعة ودفنت والدته بالحجرة تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز اه وفي المختار من الكواكب المضية نقلاً عن العلامة الذهبي في تاريخ الأسلام انه دفن في مشهد الفردوس شمالي قبة الشيخ علي الهروي وغربي جبانة الصالحين وقبلي جبانة القلعيين وهو مشهد مبارك تقام فيه الجمعة اه (اقول) لعله بعد ان دفن في القلعة نقل الى مشهد الفردوس

ذكر توجه عسكر حلب مع توارنشاه لمحاصرة بغراس

قال ابو الفداء في هذه السنة توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توارنشاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس وكان قد عمرها الداوية بعد ما فتحها السلطان

صلاح الدين وخربها واشرف عسكر حلب على اخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج اغاروا على ربض درب ساك وهي حينئذ لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والأسر وعاد عسكر حلب بالأسرى ورؤوس الفرنج وكانت هذه الوقعة من اجل الوقائع اه

سنة ٦٣٥

ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماه

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بدمشق ولما بلغ الحلبيين موت الكامل اتفقت اراؤهم على اخذ المعرة ثم اخذ حماة من الملك المظفر صاحب حماه لموافقته الملك الكامل على قصدهم ووصل عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتها وخرجت المعرة حينئذ عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توارانشاه بن صلاح الدين الى حماة بعد استيلائهم على المعرة ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة.

ذكر الخطبة بحلب الى كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو

قال ابو الفداء وفي هذه السنة عقد سلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو العقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهي صغيرة حينئذ وتولى القبول عن ملك الروم قاضي دوقات ثم عقد للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على اخت كيخسرو

وهى ملكة خاتون بنت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج ارسلان وام ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل ابى بكر بن ايوب وقد كان زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور وخطب لغياث الدين كيخسرو بحلب اهـ

سنة ٦٣٦

ذكر عود العساكر الحلبية عن محاصرة حماه

قال ابو الفداء فى هذه السنة نزل الملك الحافظ ارسلان شاه ابن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب عن قلعة جعبر وبالس وسلمها الى اخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلاداً معها تساوى ما نزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ المذكور اصابه فالج وخشي من اولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لأنه كان ببلاد قريبة الى حلب لايمكنهم التعرض اليه اهـ

ذكر عيث الخوارزمية فى البلاد الحلبية والقتال بينهما

قال ابو الفداء وفي هذه السنة كثر عيث الخوارزمية القاطين فى بلاد حران وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح ايوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين واسر مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على اثقال الحلبيين واسروا منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشترى غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئا كثيرا ثم نزل الخوارزمية بعد ذلك على حيلان وكثر عيثهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب وجفل اهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد اهلها للحصار وارتكب

الخوارزمية من الفواحش والقتل ما ارتكبه التتر ثم سارت الخوارزمية الى منبج وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الأول من هذه السنة وفعلوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهي حران وما معها بعد ان اخربوا بلد حلب

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى الجبول ثم الى تل عزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون ما يجدونه فأن الناس جفلوا من بين ايديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسماعيل المستولي على دمشق نجدة للحلبيين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ماهم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لانتماء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح ايوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان ولحقتهم العرب فأرمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في اواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابراهيم قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية والتقوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب اقفيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين لولو صاحب الموصل

نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الأسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين اسيرا في بلدة دارا من حين اسروه في كسرة الحلبيين فحمله بدر الدين لولو الى الموصل وقدم له ثياباً وتحفاً وبعث به الى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حمص المنصور ابراهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل اليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح ايوب بآمد وتسلموها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم يزل ذلك بيده حتى توفي ابوه الملك الصالح ايوب بمصر وسار اليهما المعظم المذكور على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وبقي ولد المعظم وهو الملك الموحد عبدالله ابن المعظم تورانشاه ابن الصالح ايوب مالكا لحصن كيفا الى ايام التتر وطالت مدته بها اه

سنة ٦٣٩

وفاة الملك الحافظ ارسلان صاحب اعزاز ونقله الى حلب

قال ابو الفداء في هذه السنة في ذى الحجة توفي الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل بن ايوب بأعزاز وهى التى تعوضها عن قلعة جعبر ونقل الى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك الناصر يوسف صاحب حلب قلعة اعزاز واعمالها اه

سنة ٦٤٠

ذكر القتال بين الحلبيين والخوارزمية وانهزام الخوارزمية

قال ابو الفداء وفى هذه السنة كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازي

صاحب ميافارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قريب الخابور عند المجدل يوم الخميس لثلاث بقين من صفر هذه السنه فولى المظفر غازي والخوارزمية منهزمين اقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب شيئاً كثيرا ونهبت وطاقات الخوارزمية ونساؤهم ايضا ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازى واحتوى على خزائنه ووطاقه ووصل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب في مستهل جمادى الأولى مؤيدين منصورين

﴿ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب ﴾

قال ابو الفداء وفي هذه السنة فى ليلة الجمعة لأحد عشر ليلة خلت من جمادى الأولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب وكان مرضها قرحة في مراق البطن وحمى ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى او اثنين وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب حين كانت حلب لأبيها الملك العادل قبل ان ينتزعها منه اخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازي فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند ابيها الملك العادل ضيف فسماها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج بأختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السلاطين وقامت بالملك احسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابنها الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وماهو مضاف اليها والمرجع في الامور الى جمال الدين اقبال الاسود

الخصي الخاتوني اه

وقال في الزبد والضرب دفنت في الحجرة بالقلعة تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز

آثارها بحلب

خانقاه داخل باب الأربعين تجاه مسجد الشيخ الحافظ عبد الرحمن ابن الأستاذ (در المنتخب)

الفردوس

هي خارج باب المقام قال في الزبد والضرب جعلتها تربة ومدرسة ورباطا ورتبت فيه خلقا من القراء والصوفية والفقهاء وهي معدودة في تاريخ ابن شداد من مدارس الشافعية وهاهو اسمها مكتوب عليها فى سطر حسن الخط جدا وما احسن ما قيل فى هذا المكان

فى باب فردوس حلب * سطر من الخط عجب

فيه صحاف من ذهاب * هن صحاف من ذهب

يشير الشاعر بما ذكره الى ما كتب هناك من الآية التى فيها ذكر صحاف الذهب التى يطاف بها على اهل الجنة

اقول هذه المدرسة لم تزل عامرة الى الآن بل هي المدرسة الوحيدة التى حفظتها لنا الأيام فى الجملة فى تلك الاماكن وفى زماننا هذا لاقراء فيها ولا فقهاء غايته انه تقام فيها الجمعة ويكثر المصلون فيها يوم الجمعة ايام الربيع. اما محرابها وعموداه ومافوقه فهو مما يستوقف الناظر اليه لحسن صنعته وبداعة هندسته واحكام بنائه ولعله اعظم اثر عربي موجود فى الشهباء ويتجلى لك فيه ما وصل اليه فن البناء فى ذلك العصر من الرقى .

وعن يمين القبلية حجرة واسعة فيها ثمانية قبور لم تعلم اصحابها على التعيين لأن الكتابة التى على الواح القبور كادت تكون ممحوة وقد تقدم وسيأتى لنا ذكر اشخاص من ملوك بني ايوب وغيرهم قلنا انهم دفنوا فى الفردوس . وعن يسار القبلية حجرة كذلك وفى وسطها ضريحان بجانب بعضهما وعلى احدهما ستار اخضر كتب عليه هذا قبر علي بن ابي طالب نقله الى هنا سيف الدولة بن حمدان وهذا كذب لا اصل له ولا ادري من كتبه ولا زمن ذلك فأن قبر علي كرم الله وجهه فى الكوفة في قصر الأمارة في مكان لا يعرف على التحقيق ولم نر مؤرخاً قال ان علياً رضي الله عنه نقل الى حلب مع شدة اعتناء المؤرخين خصوصا الشيعة بأخبار علي وآله رضي الله عنهم اجمعين. واری ان من الواجب على دائرة الأوقاف ان تمحو هذه الكتابة

وفي صحن المدرسة حوض مركب من ثمانية احجار كبيرة بديعة الصنعة جداً غير ان المـاء لا يأتيه فى هذه الأزمنة وفيه عواميد ضخمة جداً خمسة منها لم تزل مرفوعة وثلاث منها وهي عواميد الجهة الغربية ملقاة على الارض مع عدة قواعد لها وعن يمين الصحن ويساره بيتان كبيران قد امتلئا من القبور ثلاث منها او اربع قديم والباقي حادث ولا نعلم اصحابها والذي علمته ان المتولين على هذه المدرسة من اهل تلك المحلة كانوا يدفنون هناك مع بعض اهليهم وذراريهم حتى ملئوا المكانين على سعتهما ويظهر انهما محل الرباط قديما

وفى شماليها ايوان كبير جداً مبني بالحجارة الضخمة كتب على يمينه فوق مدخل المدرسة بسم الله الرحمن الرحيم لله در اقوام اذا جن عليهم الليل سمعت لهم انين والحان واذا اصبحوا رأيت عليهم تغير الوان .اذا ما الليل اقبل [وداخل الأيوان من الأيمن] كابدوه . ويسفر عنهم وهم ركوع . اطار الشوق نومهم فقاموا .

واهل الأمن في الدنيا هجوع . اجسادهم تصبر على التعبد واقدامهم ليلهـا تقيم على التهجد لا يرد لهم صوت ولا دعاء تراهم في ليلهم سجداً ركعاً قد ناداهم النادى واطربهم الشادي . يارجال الليل (وفى صدره) جدوا . رب صوت لا يرد . ما يقوم الليل الا . من له حزم وجد . لو ارادوا في ليلهم ساعةً ان يناموا اقلقهم الشوق اليه فقاموا وجذبهم الوجد والغرام فهاموا وانشدهم بريد الحضرة وبثهم وحملهم على المناجاة وحثهم . حثوا مطاياكم وجدوا . ان كان لى في القلوب وجد . قد آن ان تظهر الخبا (وفى يساره) يا . وتنشر الصحف فاستعدوا . الفرش مشتاقة اليهم والوسائد . . أسفة عليهم النوم قوم الى عيونهم والراحة مرتاحة الى جنوبهم الليل عندهم اجل الاوقات في المراتب ومسامرهم عند تهجده يرعي الكواكب وزارني طيفك حتى [وفى الجانب الأيسر خارج الأيوان] اذا . اراد ان يمضي تعلقت به . فليت ليلي لم يزل سرمدا والصبح لم انظر الى كوكبه . هجروا المنام فى الظلام وتلذذوا بطول القيام وناجوا ربهم بأطيب كلام . [وفي الجدار الغربى] وأنسوا بقرب الملك العلام لو احتجبوا عنه في ليلهم لذابوا ولو تغيبوا عنه لحظة لما طابوا يديمون التهجد الى السحر ويتوقعون ثمر اليقظة والسهر بلغنا ان الله تبارك وتعالى يتجلى للمحبين فيقول لهم من انا فيقولون انت مالك رقابنا فيقول انتم احبتى انتم اهل ولايتى وعنايتي ها وجهي فشاهدوه هـا كلامي فاسمعوه ها كأسي فاشربوه وسقاهم ربهم شراباً طهوراً اذا شربوا طابوا ثم طربوا اذا طربوا قاموا اذا قاموا هاموا اذا هاموا طاشوا اذا طاشوا عاشوا لما حملت ريح الصبا قميص يوسف لم يفضض ختامه الا يعقوب ما عرفه اهل كنعان ومن عندهم خرج ولا يهودا وهو الحامل اهـ

وعلى الجدار الشرقي

البمسلة هذا ما انشأنه الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في ايام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازى بن يوسف ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه

وعلى الجدار الشرقي من خارج المدرسة

البسملة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون(١) هذا ما امر بأنشائه الستر الرفيع والجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب تغمدهم الله برحمته وذلك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب ناصر امير المؤمنين عز نصره.

بتولى العبد الفقير عبد المحسن العزيزي الناصري رحمه الله

في سنة ثلثة وثلاثين وستمائة

وقد كان للمدرسة باب قديم فيه شيء من الصنعة فقلعته ادارة الأوقاف من نحو ثمان سنين والقته في رواق ادارتها في خان الكمرك بين ما يوضع هناك من الأخشاب العتيقة التي يقل الفائدة منها وعملت للمدرسة بابا جديداً ويا ليتها

(١) سورة الزخرف

ابقت القديم على قدمه

واذا شاهدت محراب هذه المدرسة وصحنها وما فيه من العواميد العظيمة وايوانها وقنطرته المبنية من الأحجار الضخمة وقفت خاضعاً خاشعاً وتجلت لك عظمة البانين وما كانوا عليه من العناية والأهتمام في شأن العلم واهله والعناية فى رفع مناره وتشييد الأبنية الضخمة له ورصد الأوقاف الكثيرة لأجله فلا غرابة اذا انتشر العلم في ذلك العصر وراجت اسواقه وتهافت الناس عليه وقد خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ولم يبق للأمراء والاغنياء في عصرنا الحاضر عناية الابتثمير اموالهم والعكوف على ملذاتهم وانفاق اموالهم في غير ما يرضي الله تعالى وفيما لا يعود بشيء من النفع على الامة فلا تستغرب اذا حل بهم البلاء واحاط بهم الشقاء (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهذا الأثر العظيم هو البقية الباقية من الآثار القديمة فى حلب وهو فى حاجة كبرى الى الترميم فى عدة اماكن ولعل ادارة الأوقاف تمد له يد الأهتمام والعناية ليحافظ على حالته الحاضرة وتعود اليه بهجته الأولى . والباقى له الآن من الأوقاف اراض عشرية يبلغ ريعها عشرين ليرة عثمانية ذهباً

ونختم الكلام على هذا المكان بلطيفة ذكرها الصلاح الصفدى في تاريخه الوافى بالوفيات فى ترجمة الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكانى قال لما توجه الى قضاء حلب نزل في مكان يعرف بالفردوس وكان معه شمس الدين محمد الخياط الشاعر المشهور الدمشقي فانشده لنفسه وانشدني من لفظه غير مرة

ياحاكم الحكام يامن به * قد شرفت رتبته الفاخره

ومن سقى الشهباء مذحلها * بحار علم وندى زاخره

نزلت فى الفردوس فابشر به * دارك فى الدنيا وفى الآخره

اه وكانت وفاة الزملكاني فى سنة ٧٢٧ وله فى فوات الوفيات ترجمة حافلة

﴿ سنة ٦٤١ ﴾

قال ابو الفرج الملطي في تاريخه مختصر الدول في سنة احدى واربعين غزا يساورنوين الشام ووصل الى موضع يسمى حيلان على باب حلب وعاد عنها لحقي اصاب خيول المغول واجتاز بملطية وخرب بلدها ورعي غلاتها وبساتينها وكرومها واخذ منها اموالاً عظيمة حتى خشل النساء وصلبان البيع ووجوه الاناجيل وآنية القداس المصوغة بالذهب والفضة ثم رحل عنها اه

(سنة ٦٤٤)

﴿ ذكر محاصرة الخوارزمية دمشق ثم اقتتالهم مع العساكر الحلبية عند بحيرة حمص وانكسارهم وتشتت شملهم ﴾

ذكر الصلاح الصفدي فى تاريخه المرتب على السنين في حوادث سنة ٦٤٣ ان في هذه السنة حضر معين الدين ابن الشيخ (احد الأمراء) والخوارزمية الى دمشق وحاصروها وضايقوها وقطعت الخوارزمية الطريق على الناس وزحفوا الى البلد من كل ناحية وبعد ان ذكر ما ارتكبه الخوارزميون من فظيع الأعمال ثمة من النهب والأحراق قال ولما علم الصالح ايوب بان الصالح اسماعيل قد اتفق مع الخوارزمية استمال المنصور صاحب حمص فأجابه وكتب الى الحلبيين يقول هؤلاء الخوارزمية قد اخربوا البلاد والمصلحة ان نتفق عليهم فأجابوه وخرج الأمير شمس الدين لولو بالعساكر من حلب في سنة اربع واربعين وجمع صاحب حمص العرب والتركمان وخرج اليهم عسكر دمشق واجتمعوا كلهم على حمص واتفق الصالح اسماعيل والخوارزمية وعز الدين ايبك والناصر داود واجتمعوا

على مرج الصفر ولم ينزل اليهم الناصر من الكرك بل بعث اليهم عساكره وساروا والتقوا على بحيرة حمص فكانت الدائرة على الخوارزمية قال ابو الفداء انهزموا هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركه خان وحمل رأسه الى حلب وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفى الله الناس شرهم

(سنة ٦٤٦)

﴿ ذكر استيلاء الحلبيين على حمص ﴾

قال ابو الفداء فى هذه السنة ارسل الملك الناصر يوسف صاحب حلب عسكراً مع الأمير شمس الدين لولو الأرمنى فحاصروا الملك الأشرف موسى بحمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتعوض عنها بتل باشر مضافا الى مابيده من تدمر والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين ايوب ذلك شق عليه وسار الى الشام لارتجاع حمص من الحلبيين وكان قد حصل له مرض وورم في مأبطه ثم فتح وحصل منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وارسل عسكرا الى حمص مع حسام الدين ابن ابى علي فخرالدين ابن الشيخ فنازلوا حمص وحاصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا يرمى بحجر زنتها مأئة واربعون رطلاً بالشامى مع عدة منجنيقات اخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر الحصار عليها واتفق حينئذ وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان ايضا قد قوى مرضه ووصل ايضا نجم الدين الباذراي رسول الخليفة وسعى فى الصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تستقر حمص بيد الحلبيين وأجاب الملك الصالح الى ذلك وامر العسكر فرحلوا عن حمص بعد ان اشرفوا على اخذها

(سنة ٦٤٧)

استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على نصيبين وقرقيسيا

قال ابو الفداء في هذه السنة وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو وبين الملك الناصر صاحب حلب فأرسل اليه الملك الناصر عسكرا والتقوا مع المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولى الحلبيون على اثقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحلبيون نصيبين واخذوها من صاحب الموصل ثم ساروا الى دارا فنازلوها وتسلموها وخربوها بعد حصار ثلاثة اشهر ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا الى حلب

(سنة ٦٤٨)

ذكر قتل الملك المعظم تورانشاه وخروج الملك عن

بني ايوب في مصر وسلطنة ايبك التركماني

قال ابو الفداء في حوادث سنة ٦٤٧ ما خلاصته في هذه السنة توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب فى شعبان ولم يوص بالملك الى احد فلما توفي احضرت شجر الدر وهي جارية الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ والطواشي وعرفتهما بموت السلطان فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الأمراء وقالت لهم السلطان يأمركم ان تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بحصن كيفا وللأمير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية العسكر وبعد ان حلفوا ارسل فخر الدين قاصداً لأحضار الملك المعظم من حصن كيفا فسار منها الى مصر

ثم قال فى حوادث سنة ٦٤٨ وفي يوم الأثنين لليلة بقيت من المحرم قتل الملك

المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب الملك ابن الكامل محمد بن الملك العادل ابى بكر بن ايوب وسبب ذلك ان المذكور اطرح جانب امراء ابيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نفر قلبه منه واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا اراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطانا فيما بعد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذى نصب له بفارسكور على ما تقدم ذكره فاطلقوا فى البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالباً البحر ليركب في حراقته فحالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه فى البحر فأدركوه واتموا قتله في يوم الأثنين المذكور وكانت مدة اقامته في المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين واياماً ولما جرى ذلك اجتمعت الأمراء واتفقوا على ان يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وان يكون عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحي المعرف بالتركمانى اتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل) وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولداً ومات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع (والدة خليل) ثم ان كبراء الدولة اتفقوا على اقامة عز الدين ايبك الجاشنكيرى الصالحى في السلطنة لأنه اذا استقر امر المملكة في امرأة على ماهو الحال تفسد الأمور فاقاموا ايبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وابطلت السكة والخطبة التى كانت بأسم شجر الدر

ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق

قال ابو الفداء وابن كثير بعد ان وقع ما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء الملك المعظم توراشاه ارسل المصريون رسولاً الى الأمراء القيمرية الذين بدمشق يطلبون منهم موافقتهم على عملهم فلم يجيبوهم الى ذلك وكاتب الأمراء القيمرية الملك الناصر يوسف صاحب حلب فركب الحلبيون معهم ابن استاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ومن كان عندهم من ملوك بنى ايوب منهم الصالح اسماعيل بن العادل وكان احق الموجودين بالملك من حيث السن والقدر والحرمة والرياسة ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل والأشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن اسد الدين شيركوه الذى كان صاحب حمص وغيرهم فجاؤا الى دمشق فحاصروها وملكوها سريعا ونهبت دار ابن يغمور وحبس بالقلعة وذلك لثمان مضين من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الأمراء القيمرية واحسن اليهم واعتقل جماعة من الأمراء مماليك الملك الصالح وعصت عليه بعلبك وشميس مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

مسير الملك الناصر يوسف صاحب حلب الى الديار المصرية وكسرته وعوده الى الشام

قال ابو الفداء ثم سار الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز بعساكره من دمشق وصحبته من ملوك اهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن ايوب والأشرف موسى صاحب حمص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر والمعظم توارنشاه

ابن السلطان صلاح الدين واخو المعظم المذكور نصرة الدين والأمجد حسن
والظاهر شاذي ابناء الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى وتقي الدين عباس بن
العادل ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمنى واليه تدبير المملكة فرحلوا من
دمشق منتصف رمضان ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى
السايح وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرج ايبك التركمانى حينئذ
عن ولدى الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبد الملك وكانا معتقلين
من حين استيلاء الملك الصالح ايوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف
صاحب دمشق من ابيهما الصالح اسماعيل والتقى العسكران المصرى والحلبي بالقرب
من العباسية عاشر ذى القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة اولاً على عسكر
مصر فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر وثبت المعز ايبك
التركمانى في جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك
الناصر الى ايبك التركمانى ولما انكسرت المصريون وتبعتهم العساكر الشامية ولم
يشكوا في النصر بقى الملك الناصر تحت السناجق السلطانية مع جماعة يسيرة من
المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركمانى بمن معه عليه فولى الملك الناصر
منهزماً طالباً جهة الشام ثم حمل ايبك التركمانى المذكور على طلب شمس الدين
لولو فهزمهم واخذ شمس الدين لولو اسيرا فضربت عنقه بين يديه وكذلك اسر
الأمير ضياء الدين القيمرى فضربت عنقه واسر يومئذ الملك الصالح اسماعيل
والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين بن ايوب واخوه
نصرة الدين ووصل عسكر الملك الناصر في اثر المنهزمين الى العباسية وضربوا
بها دهليز الملك الناصر وهم لايشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فلما بلغهم
هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فمنهم من اشار بالدخول الى القاهرة وتملكها

ولو فعلوه لما كان بقى مع ايبك التركمانى من يقاتلهم به وكان هرب فأن غالب المصريين المنهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من اشار بالرجوع الى الشام وكان معهم تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح ووصل المنهزمون من المصريين الى القاهرة فى غد الواقعة نهار الجمعة فلم يشك اهل مصر في ملك الملك النـاصر ديار مصر وخطب له في الجمعة المذكورة بقلعة الجبل ومصر واما القاهرة فلم يقم فيها فى ذلك النهار خطبة لأحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل ايبك التركماني والبحرية الى القاهرة يوم السبت ثانى عشر ذي القعدة ومعه الصالح اسماعيل تحت الاحتياط وغيره من المتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقيب ذلك اخرج ايبك التركمانى امين الدولة وزير الصالح واستاذ داره يغمور وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح ايوب على بعلبك فشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذي القعدة. وليلة السابع والعشرين منه هجم جماعة على الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الملك العادل بن ايوب وهو يمص قصب السكر واخرجوه الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من خمسين سنة اهـ

سنة ٦٥٣

ذكر الصلح بين المصريين والشاميين

قال ابو الفداء في هذه السنة مشى نجم الدين الباذارى في الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال ان يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بئر القاضى وهو بين الواردة والعريش وبيد المعز ايبك الديار المصرية وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده اهـ

سنة ٦٥٤

توجه الكمال بن العديم رسولاً من طرف الناصر الى الخليفة

قال ابو الفداء في هذه السنة توجه كمال الدين المعروف بأبن العديم رسولاً من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبته تقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه ووصل من جهة المعز ايبك التركماني صاحب مصر شمس الدين سنقر الأقرع وهو من مماليك المظفر غازي صاحب ميافارقين الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى في تعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقي الخليفة متحيرا ثم انه احضر سكينا من اليشم كبيرة وقال الخليفة لوزيره اعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة منى فى ان له خلعة عندي في وقت آخر واما فى هذا الوقت فلا يمكننى فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وعاد الى الناصر يوسف بغير خلعة اه

(سنة ٦٥٥)

﴿ ذكر قتل المعز ايبك التركمانى ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة قتل الملك المعز ايبك التركماني وهو اول ملوك الاتراك في مصر قتلته امرأته شجر الدر واتفقت كلمة الأمراء على اقامة ولده نور الدين علي ولقبوه الملك المنصور وعمره خمس عشرة سنة ثم قتلت شجر الدر ودفنت في تربة كانت قد عملتها اه باختصار

ذكر وصول الخلعة من الخليفة الى الملك الناصر

وفى هذه السنة وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز

سنة ٦٥٦

ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسيه

قال ابو الفداء ماخلا صنه فى هذه السنة قصد هولاكو ملك التتر بغداد وملكها فى العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم ودام القتل والنهب فى بغداد نحو اربعين يوماً ثم نودي بالأمان

ويجمل بنا ان نذكر هنا اصل التتر ومنشأهم والأسباب التى دعتهم الى الخروج من بلادهم وهي في اقصى الشرق الى اواسطه ثم قصدهم بغداد ثم هذه الديار قال ابن الأثير في حوادث سنة سبع عشرة وستمائة فى هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الأسلام وهم نوع من كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة اشهر وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء ارض التتر بأطراف بلاد الصين وهم سكان براري ومشهورون بالشر والغدر (اقول) بلادهم هي المشهورة الآن بكتب جغرافيا الجديدة ببلاد المغول قال فى النخبة الأزهرية فى تعداد ولايات المملكة الصينية ومن جملة ولاياتها بلاد المغول (وهي فى الجهة الشمالية الصينية) ومن مدنها الشهيرة كامى وباركول فى سفح جبال تيان شان ثم اورجا واهمية هذه المدن قليلة وهى في قتال مستمر مع سكان الصحراء حتى ان كثيرا من شبيهاتهـا من المدن انقرض من جراء ذلك ولا تزال خرائبها قائمة الى اليوم ومن ضمنها مدينة كراكوروم التى كانت عاصمة لجنكيز خان ملك المغول . قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء وسبب ظهور التتر ان اقليم الصين متسع دوره ستة اشهر وهو ست ممالك ولهم ملك حاكم على الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكز خان فحضر زائرا لعمته وقد مات

زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان فاعلمتهما ان الملك لم يخلف ولداً واشارت على ابن اخيها ان يقوم مقامه فقام وانضم اليه خلق من المغول ثم سير التقادم الى القان الاكبر فاستشاط غيظا وامر بقطع اذناب الخيل التى اهديت وطردها وقتل الرسول لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك انما هم بادية الصين فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلوخان تحالفا على التعاضد واظهروا الخلاف للقان واتتهما امم كثيرة من التتار وعلم القان قوتهم وشرهم فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك انه ينذرهم ويهددهم فلم يغن ذلك شيئا ثم قصدهم وقصدوه فوقع بينهم ملحمة عظيمة فكسروا القان الأعظم وملكوا بلاده واستفحل شرهم واستمر الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة ثم سارا الى بلاد شافون من نواحى الصين فملكاها فمات كشلوخان فقام مقامه ولده فاستضعفه جنكزخان فوثب عليه وظفر به واستقل جنكزخان ودانت له التتار وانقادت له واعتقدوا فيه الألوهية وبالغوا فى طاعته ثم كان اول خروجهم فى سنة ست وستمائة من بلادهم الى نواحى الترك وفرغانة فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان فأمر اهل فرغانة والشاش وكاسان وتلك البلاد النزهة العامرة بالجلاء والجفل الى سمرقند وغيرها ثم خربها جميعا خوفا من التتار ان يملكوها لعلمه انه لاطاقة له بهم ثم صارت التتار يتخطفون ويتنقلون الى سنة خمس عشرة

قال ابن خلدون وفي هذه السنة اى سنة ٦١٥ لما استقر السلطان محمد بن تكش الخوارزمى بنيسابور وفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الطائية التى تنسج من وبر الأبل البيض ويخبر انه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك ويسأل الموادعة والأذن للتجار من الجانبين في التردد في متاجرهم وكان في خطابه اطراء السلطان بأنه مثل اعز اولاده

فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محموداً الخوارزمي من الرسل واصطنعه
ليكون عينا له على جنكزخان واستخبره على ما قاله في كتابه من ملكه الصين
واستيلائه على مدينة طمغاج فصدق ذلك وانكر عليه الخطاب بالولد وسأله عن
مقدار العساكر ففشه وقللها وصرفهم السلطان بماطلبوه من الموادعة والأذن للتجار
فوصل بعض التجار من بلادهم الى انزار وبها ينال خان ابن خال السلطان فى
عشرين الفا من العساكر فشره الى اموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا
بتجـار فأمره بالأحتيـاط عليهم فقتلهم خفية واخذ اموالهم وفشى الخبر الى
جنكزخان فبعث بالنكير الى السلطان فى نقض العهد وان كان فعل ينال افتياتا
فبعث اليه يتهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخـان
فسار في العساكر واعتزم السلطان ان يحصن سمرقند بالأسوار فجبي لذلك خراج
سنتين وجبي ثالثة استخدم بها الفرسان وسـار الى احياء جنكزخان فكبسهم
وهو غائب عنها في محاربة كشلوخان فغنم ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت
بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين ولجأ خوارزم شاه الى جيحون
فاقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان فاجفل وتركها وفرق عساكره
في مدن مـا وراء النهر انزار وبخارى وسمرقند وترمذ وجند وانزل
آبنايخ من كبراء امرائه وحجاب دولته في بخارى وجاء جنكزخـان الى انزار
فحاصرها وملكها غلابا واسر اميرها ينال خان الذي قتل التجار واذاب الفضة
فى اذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الأمان وقـاتلوا معه القلعة حتى
ملكوها ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا
فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وستمائة ثم ذكر ابن خلدون وابن الأثير وغيره
تقلبهم فى البلاد واكتساحهم لها وتخريبها وقتلهم لأهاليها وارتكابهم لفظائع تنفطر

منها القلوب وتبكى منها العيون دماء

وفي هذه السنة كان وصولهم الى بغداد وهدموا منها اركان الخلافة العباسية ونثروا عقدها وطمسوا محاسن بغداد ومدنيتها الزاهرة ومدارسها العامرة وقضوا على حياة بني العباس وشتتوا شمل من بقى منهم وهو القليل ووصل منهم الى مصر المستنصر بالله احمد ابو القاسم بن الظاهر بامر الله ابى نصر محمد كما سيأتى

﴿ سنة ٦٥٧ ﴾

رسالة هولاكو ملك التتر الى الملك الناصر صاحب حلب

قال ابو الفرج الملطي في تاريخه مختصر الدول وفي سنة سبع وخمسين وستمائة ارسل هولاكو ايلجية الى الملك الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها

يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله تعالى واحضرنا مالكها وسألناه مسئلتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب منا العذاب كما قال فى قرآنكم (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وصان المال فآل الدهر به الى ما آل واستبدل النفوس النفيسة بنقوش معدنية خسيسة وكان ذلك ظاهر قوله تعالى (وجدوا ما عملوا حاضرا) لأننا قد بلغنا بقوة الله الأرادة ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة ولا شك انا نحن جند الله فى ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم فيما مضى معتبر وبما ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لاتمنع والعساكر للقائنا لا تضر ولا تنفع ودعاءكم علينا لا يستجاب ولا يسمع فاتعظوا بغيركم وسلموا الينا اموركم قبل ان ينكشف الغطا ويحل عليكم الخطا فنحن لانرحم من شكا ولا نرق لمن بكا قد اخربنا البلاد وافنينا العباد وايتمنا الأولاد وتركنا في الأرض

الفساد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق . وعقولنا كالجبال وعددنا كالرمال . فمن طلب منا الأمان سلم . ومن طلب الحرب ندم فان انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم امرنا وفي غيكم تماديتم فلا تلومونا ولوموا انفسكم فالله عليكم ياظالمين فهيئوا للبلايا جلبابا وللرزايا اترابا فقد اعذر من انذر وانصف من حذر لأنكم اكلتم الحرام وخنتم الأيمان واظهرتم البدع واستحسنتم الفسق بالصبيان فابشروا بالذل والهوان فاليوم تجدون ما كنتم تعملون (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) فقد ثبت عندكم اننا كفرة وثبت عندنا انكم فجرة وسلطنا عليكم من بيده الأمور مقدرة والأحكام مدبرة فعزيزكم عندنا ذليل وغنيكم لدينا فقير ونحن مالكون الأرض شرقا وغربا واصحاب الأموال نهبا وسلبا واخذنا كل سفينة غصبا فميزوا بعقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الحرب نارها وترمى بشرارها فلا تبقي منكم باقية وتبقي الأرض منكم خالية فقد انصفناكم حين راسلناكم واعذرناكم اذ انذرناكم فسارعوا الينا برد الجواب بتة قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم تعلمون اه

فطلبه ليحضر عنده ولما شاور الأمراء لم يمكنوه من المشى الى هولاكو وبقي متحيرا خائفاً مذعوراً لم يدر مايصنع غير انه استخار الله وسير ولده الملك العزيز وصحبته الأموال الكثيرة والهدايا والتحف وبقي هناك من اوائل الشتاء الى الربيع ثم عاد الى ابيه قائلا . قد قال ملك الأرض نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالآن ان كان قلبه صحيحا معنا يجيء الينا والا فنحن نمشي اليه . فلما سمع الملك الناصر ذلك بقي متردداً فى رأيه لأن الأمراء لم يمكنوه من

المشي اليه وهو فقد وقع عنده الخوف والجزع ولم يطمئن على القعود اه

صورة الجواب من الملك الناصر صاحب حلب الى هولاكو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قل اللهم مالك الملك الخ الآية وقفنا والحمد لله والصلوة على رسول الله محمد وآله وسلم على كتاب من الحضرة الأيلخانية والسدة السلطانية بصرها الله رشدها وصير الحق والصواب مقبولا عندها فعرفنا من تفصيله وجملته ما ابان انكم مخلوقون من سخط الله ونقمته وانكم مسلطون على من حل عليه غضبه في محنته لا ترقون لشاك ولا ترحمون عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبكم وذلك كله من جملة عيوبكم ولقد كشفتم عن الامر الخفي لأنه لا ينتزع الرحمة الا من قلب شقي وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين وكفى بهذا لكم واعظا شافيا وبما وصفتم به انفسكم رادعا كافيا (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل نبي اهنتم وبكل بيان بالقبيح عرفتم ووصفتم وعندنا خبركم من حيث خلقتم وانتم الكفرة الظلمة كما زعمتم (الا لعنة الله على الظالمين) وقلتم عنا اننا اظهرنا البدع في الأيمان واستحلينا الفسوق والعصيان لا غرو ان كان فرعون مذكرا والظالم ناهيا منكرا وكل من تمسك بالأصول لا يبالي بالفروع بالأيمان نذراً فعل العصيان ونحن المؤمنون حقا لا يداخلنا عيب ولا يخامرنا ذم ولا ريب والقرآن علينا نزل وربنا رحيم بنا لم يزل قد تحققنا تنزيله وعرفنا اسراره وتأويله والجنة لنا زخرفت والجحيم لكم خلقت ولخلودكم فيها سعرت اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت ومن اعجب العجب تهديد الرتوت باللتوت والسباع بالضباع خيولنا عربية وسهامنا يمنية ولتوتنا صعيدية وسيوفنا مصرية وهي شديدة المضارب موصوفة في المشارق والمغارب وانا لا يصدع

قلوبنا التهديد وجمعنا لايخاف التفرقة والتبديد ولو اننا نستف الصعيد فانا لا نميل ولا نبيد وذلك بتأييد العزيز الحميد ان عصيناكم فتلك الطاعة وان قاتلناكم فنعم البضاعة وان قتلنا او قتلنا فبينناوبين الجنة ساعة واما قولكم قلوبنا كالجبال وعديدنا كالرمال فأن القصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير من الحطب يحرقه قليل من الضرم والفرار من الدنايا لامن المنايا وهجوم المنية هي عندنا غاية الأمنية وانا ان عشنا عشنا سعداء وان متنا متنا شهداء ابعد امير المؤمنين وخليفةرب العالمين تطلبون منا الطاعة لاسمع لكم ولاطاعة لانعطي الذلةوبأيدينا سيوف حدادوبين ايدينا رجال شداد وزعمتم ان نلقي اليكم امرنا قبل ان ينكشف الغطا وينزل علينا منكم الخطا هذا كلام فيه لحن وتمكيك وفي نظمه تبديل وتركيك فسوف ينكسر منكم المطا وتقصر منكم الخطا اكفر بعد ايمان ام تكذيب بعد تبيان ام طاعة صلب واوثان ام تدعون مع الله الهاً ثان لقدجئتم شيئاً ادّا (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا فقولوا لكاتبكم الذي رصف رسالته وصنف مقالته ما قصرت اوجزت وابلغت واختصرت ووصل الينا كتابك وفهمنا ما ما تضمنه خطابك فكان عندنا كصرير الباب او كطنين الذباب ماكان الغرض الا اعلان فصاحتك واظهار محض نصيحتك وقد يستفيد الظنة المتنصح . الآن قد استوجبت النقم كما استخففت بالنعم وسوف تقع في الندم وتزل بك القدم والسلام على من اتبع الهدى انه قداوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم(١)

---

(١) اقول ظفرت بهذا الجواب فى كراسة خطية قديمة عند السيد اسعد العينتابي مدير دائرة تسجيل الاملاك الآن وقد كتب معها الكتاب الذى ارسله هولاكو الى الملك الناصر صاحب حلب غير انه يختلف عما نقلناه عن مختصر الدول فى بعض الالفاظ والمآل واحد وهذا الجواب نادر الوجود ولعلك لا تجده في غير هذا الكتاب

سنة ٦٥٧

ذكر سلطنة قطز وتوجه الكمال ابن العديم الى مصر

رسولا من طرف الملك الناصر يوسف يستنجده على التتر

قال ابو الفداء فى اواخر هذه السنة قبض سيف الدين قطز على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين علي بن المعز ايبك وخلعه من السلطنة وكان علم الدين الغتمي وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزية غائبين فى رمى البندق فانتهز قطز الفرصة فى غيبتهما وفعل ذلك ولما قدم الغتمي وبهادر المذكوران قبض عليهما قطز ايضا واستقر قطز فى ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بأبن العديم قد قدم الى مصر في ايام الملك المنصور علي ابن ايبك مستنجدا على التتر وانفق خلع المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين بن العديم ولما استقر قطز في السلطنة اعاد جواب الملك الناصر يوسف انه ينجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك اه

وقال ابن كثير في حوادث هذه السنة فيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن ابي جرادة المعروف بأبن العديم الى الديار المصرية رسولاً من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم الى الشام وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها في هذه السنة وقد جاز اشموط بن هولاكو الفرات واقترب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بالديار المصرية بين يدي المنصور بن المعز التركماني وحضر قاضى الديار المصرية بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام وافاضوا في الكلام فيما

يتعلق بأخذ شيء من اموال العامة لمساعدة الجند وكان العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام فكان حاصله اذا لم يبق في بيت المال شيء وانفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة وتساويتم انتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب ولم يبق للجندى سوى فرسه التى يركبها ساغ اخذ شيء من اموال الناس فى دفع الأعداء لأنه اذا دهم العدو وجب على الناس كافة ان يدفعوهم باموالهم وانفسهم اه

ذكر ما كان من الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب عند قصد التتر حلب

قال ابو الفداء لما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزة في اواخر هذه السنة وجفل الناس من بين يدى التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزة وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقدارى من حين هرب من الكرك والتجأ الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزة امم عظيمة من العساكر والجفال ثم دخلت سنة ٦٥٨ والملك الناصر ببرزة فبلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهليز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حمية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقداري الى جهة غزة واشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم ان يقبضوا عليه ويسلطنوا اخاه الملك الظاهر غازي ابن الملك العزيز محمد لشهامته ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفا من اخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر امهما ام ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازي الى غزة واجتمع عليه من بها من العسكر واقاموه

سلطانا ولما جرى ذلك كاتب بيبرس البندقداري الشاميين وسار الى مصر في جماعة من اصحابه فأقبل عليه الملك المظفر قطز وانزله في دار الوزارة واقطعه قليوب واعمالها اه

استيلاء التتر على البلاد الجزرية ونزولهم الى ظاهر حلب

قال ابو الفداء وفي هذه السنة قدم هولاكو الى البلاد شرقي الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وارسل ولده اشموط بن هولاكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في العشرين الأخير من ذي الحجة من هذه السنة اعني سنة سبع وخمسين وستمائة وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه قتالهم واكمن لهم التتر في (بابلاّ) وتقاتلوا عند بانقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالبين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق في ابواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالأمان ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة اه

سنة ٦٥٨

﴿ ذكر مسير هولاكو بجيوشه الى الديار الحلبية ﴾

قال ابو الفرج الملطي وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة دخل هولاكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعمائة الف ونزل بنفسه على حران وتسلمها بالأمان وكذلك الرها ولم يدن لأحد فيهما سوء واما اهل سروج فأنهم اهملوا امر المغول فقتلوا عن اقصاهم وتقدم هولاكو فنصب جسراً على الفرات قريبا من مدينة ملطية

وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسيا وعبرت العساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة ثم تفرقت العساكر على القلاع والمدن ونفر قليل من العسكر طالب حلب فخرج اليهم الملك المعظم بن صلاح الدين الكبير فالتقاهم وانكسر قدام المغول ودخل المدينة منهزما وطرف منهم وصل المعرة وخربوها وتسلموا حماة بالأمان وحمص ايضا فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونسائه وجميع ما يعز عليه وتوجه منهزما الى برية الكرك والشوبك وعند ما وصلت المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالأمان ولم يلحق باحد منهم اذى واما هولاكو فأنه بنفسه نزل على حلب وبنى عليها سيبا ونصب المنجنيقات واستضعف في سورها موضعا عند باب العراق واكثر القتال والزحف عليه وفى ايام قلائل ملكوها ودخلوها يوم الأحد الثالث والعشرين من كانون الثانى من هذه السنة وقتل فيها اكثر من الذي قتل ببغداد وبعد ذلك اخذوا القلعة في اسرع ما يكون وقتا اه

﴿ استيلاء التتر على حلب ثم على قلعتها ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة يوم الأحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه ان هولاكو عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وارسل هولاكو الى الملك المعظم توارنشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر فاجعلوا لنا عندكم بجانب شحنة ونتوجه نحن الى العسكر فأن كانت الكسرة على عسكر الأسلام كانت البلاد لنا وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين في الشحنتين ان شئتم طردتموهما وان شئتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس

لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاكو اليهم في ذلك صاحب ارزن الروم فتعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك اهل حلب بسبب ذلك واحاط التتر بحلب ثاني صفر وهجموا النواثر فى غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين جماعة كثيرة وممن قتل اسد الدين ابن الملك الزاهر بن صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان (حمام بزى) فى ذيل قلعة الشريف في يوم الأحد تاسع صفر وبذلوا السيف فى المسلمين وصعد الى القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من يوم الأحد المذكور الى الجمعة رابع عشر صفر المذكور فأمر هولاكو برفع السيف ونودي بالأمان ولم يسلم من اهل حلب الا من التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين اخى مردكين ودار البازيار ودار علم الدين قيصر الموصلي والخانقاه التى فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت في ايديهم وقيل انه سلم بهذه الأماكن ما يزيد على خمسين الف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها الملك المعظم ومن التجأ اليها من العسكر واستمر الحصار عليها :

اما قلعة حلب فوثب جماعة من اهلها فى مدة الحصار على صفي الدين بن طرزة رئيس حلب وعلى نجم الدين احمد بن عبد العزيز بن احمد بن القاضى نجم الدين بن ابي عصرون فقتلوهما لأنهم اتهموهما بمواطأة التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر ثم سلمت بالأمان في يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأول ولما نزل اهلها بالأمان وكان فيها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الناصر فنهم سكز وبرامق وسنقر الأشقر فسلمهم هولاكو وباقى الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان حق وهو رجل من اكابر القبجاق هرب من التتر لما غلبت على القبجاق وقدم الى حلب فأحسن اليه الملك الناصر

فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى التتر

واما العوام والغرباء فنزلوا الى اماكن الحمى التي قدمنا ذكرها وامر هولاكو ان يمضى كل من سلم الى داره وملكه وان لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد الدين القزويني وامر هولاكو بخرب اسوار قلعة حلب واسوار المدينة فخربت عن آخرها . ثم رحل هولاكو الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا ان يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضره هولاكو وسلموها اليه فغضب هولاكو من ذلك وامر بهم فقتل اهل حارم عن آخرهم وسبي النساء

قال ابو الفرج الملطى في تاريخه مختصر الدول ان هولاكو رحل عن حلب واحاط بقلعة حارم واختار ان يسلموها اليه ويؤمنهم على انفسهم فلم يطمئنوا الى قوله وانما طلبوا منه رجلاً مسلما يحلف لهم ويكون صاحب شريعة يطمأن اليه حيث يحلف لهم بالطلاق والمصحف ان لا يدنو لأحد منهم سوء وينزلوا ويسلموا اليه القلعة فسألهم هولاكو من تريدون يحلف لكم قالوا فخر الدين الوالي بقلعة حلب فأنه رجل صادق مؤمن خير فتقدم هولاكو اليه فدخل اليهم وحلف لهم على جميع ما يريدون فحينئذ فتحوا الأبواب ونزل الناس خلائق كثيرة وتسلم المغول القلعة ثم ان هولاكو تقدم بقتل فخر الدين الوالي اولاً ثم بقتل جميع من كان في القلعة من الصغار والكبار الرجال منهم والنساء حتى الطفل الصغير في المهد اه

ثم ملك هولاكو بلاد الشام واحدة واحدة وهدم اسوارها وولي عليها ووصل الى هولاكو على حلب الملك الأشرف صاحب حمص موسى بن ابراهيم بن شيركوه وكان قد انفرد الأشرف المذكور عن المسلمين لما توجه الملك الناصر الى جهة مصر ووصل الى هولاكو بحلب فاكرمه واعاد عليه حمص وكان قد اخذها منه الملك الناصر صاحب حلب في سنة ست واربعين وستمائة وعوضه عنها تل باشر فعادت

اليه في هذه السنة واستقر ملكه بها وقدم ايضا هولاكو وهو نازل على حلب محي الدين بن الزكي من دمشق فاقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام ولما عاد ابن الزكي المذكور الى دمشق لبس خلعة هولاكو وكانت مذهبة وجمع الفقهاء وغيرهم من اكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاكو واستقر في القضاء

﴿ذكر ما كان من امر الملك الناصر بعد اخذ حلب﴾

قال ابو الفداء ولما بلغ الملك الناصر بدمشق اخذ حلب رحل من دمشق بمن بقي معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفي صحبته الملك المنصور صاحب حماة واقام بنابلس اياماً ورحل عنها وترك فيها الأمير مجير الدين بن ابي زكريا والامير علي بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الى غزة فانضم اليه مماليكه الذين كانوا ارادوا قتله وكذلك اصطلح معه اخوه الملك الظاهر غازي وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا العسكر الذين بها وقتلوا مجير الدين والأمير علي بن شجاع ولما بلغ الناصر ذلك رحل من غزة الى العريش وسير القاضي برهان الدين ابن الخضر رسولاً الى الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاضدة ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب حماة والعسكر ووصلوا الى قطية فجرى بها فتنة بين التركمان والأكراد الشهرزورية ووقع نهب في الجفال وخاف الملك الناصر ان يدخل مصر فيقبض عليه فتأخر في قطية ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع الملك الناصر جماعة يسيرة منهم اخوه الظاهر غازي والملك الصالح بن شيركو صاحب حمص وشهاب الدين القيمري ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى جهة تيه بني اسرائيل ولما وصل الى التيه تحير الى اين يتوجه وعزم على التوجه

الى الحجاز وكان له طبردار اسمه حسين فحسن له المضي الى التتر وقصد هولاكو فاغتر بقوله ونزل ببركة زيرا وسار حسين الكردي الى كتبغا نائب هولاكو وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كتبغا اليه وقبض عليه واحضره الى عجلون وكانت بعد عاصية فامرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت اليهم فهدموها وارسل كتبغا الملك الناصر الى هولاكو فوصل الى دمشق ثم الى حماة ثم سار الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما قد حل بها وبأهلها تضاعف تألمه وانشد

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلى * وكانت به آيات حسنكم تتلى

ثم سار الى الاردو فاقبل عليه هولاكو ووعده برده الى مملكته .

قال ابو الفداء وابن خلدون ثم ان هولاكو امر عماد الدين القزويني (الذي ولاه على حلب) بالرحيل الى بغداد وجعل مكانه بحلب رجلاً اعجميا ثم قفل هولاكو الى العراق لاختلاف بين اخوته واستخلف على الشام كتبغا من اكبر امرائه في اثنى عشر الفا من العساكر وتقدم اليه بمطالعة الأشرف موسى ابن ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص بعد ان ولاه على مدينة دمشق وسائر مدن الشام واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد ان استشاره في تجهيز العساكر بالشام لمدافعة اهل مصر عنها فهون عليه الأمر وقللهم في عينه فجهز كتبغا ومن معه

استيلاء كتبغا نائب هولاكو على قلعة دمشق

قال ابن خلدون ثم سار كتبغا الى قلعة دمشق وهي ممتنعة بعد فحاصرها وافتتحها عنوة وقتل نائبها بدر الدين بربدك وخيم بمرج دمشق وجاءه من ملوك الأفرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر اخو الناصر صاحب صرخد فرده الى عمله واوفد عليه المغيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله ورده الى

ابيه وبعث كتبغا الى المظفر قطز صاحب مصر بأن يقيم طاعة هولاكو فضرب اعناق الرسل ونهض الى الشام

﴿ ذكر هزيمة التتر وقتل كتبغا ﴾

قال ابن اياس في تاريخه لمصر المسمى (ببدائع الزهور) لما وصلت الأخبار الى الديار المصرية بما فعله هولاكو فى بغداد وحلب وباقي البلاد من القتل والنهب والتخريب اضطربت مصر وماجت بأهلها ثم ان اميرا من امراء هولاكو يقال له كتبغا بعد ان استولى على دمشق حضر(١) الى الملك قطز (صاحب مصر) وصحبته اربعة من التتر ومعهم كتـاب من عند هولاكو وكان مضمونه من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم ونعت فيه نفسه بالفاظ معظمة وذكر في الكتـاب شدة سطوته وكثرة عساكره وما جرى على البلاد منه ولا سيما مافعله في بغداد وما جرى على اهلها منه وارسل يقول يـا اهل مصر انتم قوم ضعاف فصونوا دماءكم مني ولا تقاتلوني ابداً فتندموا وشرع يذكر في كتابه اشياء كثيرة من هذه الألفاظ الفاحشة فلما ان سمع الملك المظفر قطز مضمون ما فى كتاب هولاكو احضر الأمراء واستشارهم فيما يكون من امر هولاكو فقال الأمراء نجمع العساكر من سائر البلاد ونخرج اليه ونقاتله اشد مايكون من القتال ثم ان الملك المظفر نـادى في القـاهرة النفير العام الى الغزو فى سبيل الله ثم انه عرض العساكر وارسل خلف عربان الشرقية والغربية فاجتمع من العساكر مالا يحصى ثم انه اخذ في اسباب جمع الأموال فأخذ من اهل مصر والقـاهرة على كل رأس من الناس من ذكر وانثى ديناراً واحداً واخذ من اجرة الأملاك والأوقاف شهراً واحداً واخذ من اغنياء الناس والتجار زكاة اموالهم معجلاً واخذ من التركات

(١) الصواب ان كتبغا لم يتوجه بنفسه ولعل الرسول اسمه كتبغا ايضاً

الأهلية الثلث من المال واخذ على الغيطان والسواقى اجرة شهر واحدث من ابواب هذه المظالم اشياء كثيرة فبلغ جملة ما جمعه من المال فى هذه الحركة ستمائة الف دينار فانفق على العسكر والعربان وبرز خيامه الى الريدانية فلما كان اواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل في موكب عظيم فلما نزل بالريدانية امر بتوسيط كتبغا فويز بك امير هولاكو ومن كان معه من التتار ثم رحل من الريدانية ونزل بمنزلة الصالحية واقام بها الى ان تكامل العسكر ثم رحل من الصالحية وجد في السير الى ان وصل الى عين جالوت من ارض كنعان فتلاقى هناك عسكر هولاكو وعسكر السلطان قطز فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصى وقتل من الفريقين ما لا يحصى عدده فكانت الكسرة على التتار فكسروهم وشتتوهم الى بيسان وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان اعظم من الأولى فقتل من التتر نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك .

وقال ابوا الفداء في سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الأسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز ايبك على الخروج الى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الأسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة واخوه الملك الأفضل على وكان مسيره من الديار المصرية في اوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الأسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التتر وسار الى لقاء المسلمين وكان الملك السعيد صاحب الصبيبة

ابن الملك العزيز ابن الملك العادل ابن ايوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان فى الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم المسلمون فأفنوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقداري فى اثرهم فتبعتهم المسلمون الى اطراف البلاد الشرقية وكان ايضا في صحبة التتر الملك الأشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فاكرمه واقره على ما بيده وهو حمص ومضافاتها واما الملك السعيد صاحب الصبيبة فانه امسك اسيرا واحضر بين يدى الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق

ترجمة قائد التتار كتبغا وتفصيل قتله وزيادة بيان في الوقعة المقدمة

قال ابن الخطيب في الدر المنتخب كتبغا نوين مقدم عساكر التتار يوم عين جالوت كان عظيماً عندهم يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره وكان بطلاً شجاعاً مقداماً خبيرا بالحروب والحصارات وافتتاح الحصون والمعاقل وكان هولاكو عظيم التتار يثق به ولا يخالفه فيما يشير به ويحكى عنه العجايب في حروبه وحصاراته فمنها انه كان اذا فتح حصناً ساق اهله الى الحصن الذي يليه فأن مكنهم من الدخول اليه ضيقوا عليهم فى المأكول والمشروب وان منعوهم من الدخول هم بضرب اعناقهم فيمكنونهم وان اصروا على المنع ضرب اعناقهم فأذا فتح الحصن الآخر فعل به كذلك الى ان استكمل الحصون وكان شيخاً مسناً ادرك

جنكزخان جد هولاكو وكان عنده ميل الى دين النصرانية لكنه لايظهر الميل
اليهم لتمسكه بما سنه جنكزخان لأن من احكامها ان سائر الأديان عنده سواء
وهو الذى حصل المصاف بينه وبين السلطان الملك المظفر قطز بعين جالوت
وذلك ان هولاكو لما اخذ حلب قدم كتبغا على جيش كثير من التتار وجهزه
الى جهة دمشق فجاء الى دمشق واخذها وعاث التتار فى بلاد حوران ونابلس
وغزة بالأفساد ثم توجه كتبغا بعساكره الى بعلبك وحاصر القلعة ونصب عليها
عدة مجانيق في يوم واحد وجميعها تضرب فى برج واحد ففتحت المجانيق فيه
طاقة كبيرة كالباب فأذعن اهل القلعة بتسليمها فطلبوا الامان فأمنهم كتبغا على
انفسهم وان يخرج كل انسان بما يستطيع ان يحمله من ماله فخرجوا على هذه
الصفة ووفى لهم ولم يرق لاحد محجمة دم ثم بعد خروج الناس من القلعة دخلها
كتبغا فرآها وصعد قلعتها ونهبها التتار ورحلوا ثم ان كتبغا نزل مرج برغوث
ثم نزل البقاع فلما كان بالبقاع بلغه ان السلطان الملك المظفر قطز خرج بعساكر
الديار المصرية ومن انضوى اليه من عساكر الشام لقتال التتار ودفعهم عن البلاد
الاسلامية فاستدعى كتبغا الملك الاشرف موسى صاحب حمص وكان قد ولاه
هولاكو الشام بأسره والبسه خلعة بذلك وقاضى القضاة محي الدين ابن الزكي
وكان هولاكو قد ولاه قضاء قضاة الشام من العريش الى قنسرين وعظمه والبسه
الخلعة بذلك فاستدعاهما كتبغا من الشام الى البقاع واستشارهما في ذلك فنهم
من اشار بعدم الملتقى والاندفاع بين يدي الملك المظفر الى ان يجيئه مدد من
هولاكو ومنهم من اشار بغير ذلك فاقتضي رأي كتبغا الملتقى وتوجه على فوره
على كره ممن اشار بالاندفاع لما اراد الله من اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك
وحزبه فحصل التقاء العساكر على عين جالوت فى يوم الجمعة خامس عشرين رمضان

سنة ثمان وخمسين وستمائة فانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة فحمل الملك المظفر رحمه الله فى طائفة عظيمة من اول البصاير (هكذا) فكسرهم كسرة شنيعة اتت على اكثر اعيانهم واصيب كتبغا نوين وقتل قتله الامير جمال الدين آقوش الشمسى على ما قيل ولم يعرفه فولوا الادبار ولا يلوون على شيء واعتصم طائفة منهم بالجبل المجاور لمكان الوقعة فأحدقت بهم العساكر وصابروهم حتى افنوهم قتلا ونجا من نجا بحشاشته واهل البلاد يتخطفونهم ولما تمت الكسرة قيل للملك المظفر ان كتبغا قد هرب وكان قد احضر ولده اسيرا فقال قطز ابوك هرب فقال لا ابى ما يهرب ابصروه في القتلى فأحضرت عدة رؤس وعرضوها على ولده وهو يقول ما هو هذا الى ان احضروا رأسه فقال هذا هو وبكى ثم قال للملك المظفر وهو بين يديه ما معناه نم طيبا مابقى لك عدو تخاف منه هذا هو كان سعادة التتار به يهزمون الجيوش وبه يفتحون الحصون وكذا كان لم يفلحوا بعده ولله الحمد والمنة وكان مقتل كتبغا يوم المصاف الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة اه

﴿ ذكر ما كان بعد انتهاء هذه الوقعة ﴾

قال ابو الفداء ولما انقضى امر المصاف احسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة واقره على حماة وبارين واعاد اليه المعرة وكانت فى ايدي الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة واخذ سلمية منه واعطاها امير العرب واتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فأن القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد

الأسلام ولأنهم ماقصدوا اقليما الا فتحوه ولاعسكرا الاهزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك المظفر قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق امر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر وكان من جملتهم حسين الكردى طبردار الملك الناصر يوسف وهو الذى اوقع الملك الناصر في ايدى التتر (الى ان قال) ثم جهز الملك المظفر قطز عسكراً الى حلب لحفظها ثم فوض نيابة السلطنة بدمشق الى علم الدين سنجر الحلبي وبحلب الى الملك السعيد بن بدرالدين لولو صاحب الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان اخاه الملك الصالح بن لولو قد صار صاحب الموصل بعد ابيه فولاه حلب ليكاتبه اخوه بأخبار التتر . ولما استقر السعيد المذكور فى نيابة حلب سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على اخذ مال الرعية اهـ

ذكر القبض على الملك السعيد على بن بدر الدين
لؤلؤ صاحب حلب وعود التتر اليها

قال القطب اليونينى في تاريخه ذيل مرآة الزمان قد اشرنا الى سوء سيرة الملك السعيد مع الجند والرعية فاجمع رأي الأمراء بحلب على قبضه واخراجه من حلب وتحالفوا على ذلك وعينوا للقيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى فبينما هم على ذلك وردت عليهم بطاقة والى البيرة يخبر ان التتر قد قاربوا البيرة لمحاصرتها واستصرخ بهم لينجدوه بعسكر وكان التتر قد هدموا ابراج البيرة واسوارها وهي مكشوفة من جميع جهاتها فجرد الملك السعيد عسكرا اليها وقدم عليهم الأمير سابق الدين امير مجلس الناصري فحضر الأمراء عنده وقالوا له

هذا العساكر الذى جردته لا يمكنه رد العدو ونخاف ان يحصل القتال بيننا وبين العدو وعسكرنا قليل فيصل العدو الى حلب ويكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل فخرجوا من عنده وهم مستاؤن وسار العسكر المسير الى البيرة من حلب فلما وصلوا الى عمق البيرة صادفوا التتر بجموعهم فوقع القتال بينهم فلم يمكن سابق الدين لقاهم فقصد البيرة واتبعه التتر وقتلوا من اصحابه جماعة كثيرة وما سلم منهم الا القليل وورد الخبر الى حلب فجفل اهل حلب الى جهة القبلة ولم يبق بها الا القليل من الناس وندم الملك السعيد على مخالفته الأمراء فيما اشاروا به عليه وقوى بذلك غضبهم عليه وقاطعوه وباينوه ووقعت بطاقة من البيرة فيها ان طائفة من التتر توجهوا الى جهة منبج وهم على عزم كبس العسكر بحلب فانثنى عزم الأمراء عن القبض عليه لئلا يطمع العدو فيهم واخذ يتذلل للأمراء ويعتذر اليهم من مخالفتهم وطلب ان يشيروا عليه بما يعتمدون فاشاروا عليه بالخروج الى جهة التتر وان يضرب دهليزه ببابلا وهي شرقي حلب وان يكون العسكر حوله وان يجمع اليه العرب والتركمان ويكون على اهبة لقائهم فأجابهم الى ذلك وضرب دهليزه ببابلا ونزل العسكر حوله واخذ في تجهيز عصيه وهو احد الأمراء بحلب الى منبج للكشف واستطلاع اخبار العدو فوقع التتر عليه وقاتلوه فقتلوه وورد الخبر بذلك الى حلب فاشتد خوف الملك السعيد من غائلة هذا الأمر وبعد يومين وصل الأمير بدر الدين ازدمر الدوادار العزيزي وكان قطز رحمه الله (١) قد رتبه نائبا باللاذقية وجبلة فقصد خوشداشيته بحلب فلما قرب منها ركبت العزيزية والناصرية فالتقوه فأخبرهم بأن الملك المظفر قتل وان ركن

---

(١) قطز قتل قبل هذه المدة بقليل قتله الامير ركن الدين بيبرس البند قداري وتسلطن مكانه

الدين البندقداري ملك الديار المصرية وتلقب بالملك الظاهر وان الأمير علم الدين سنجر الحلبي قد خطب له بالسلطنة في دمشق وصار مالكا لها ولبلادها قال ونحن نعمل ايضا مثل عمل اولئك ونقيم واحدا من الجماعة مقدما ونقبض على هذا المدبر يعني ابن صاحب الموصل ونقتصر على حلب وبلادها مملكة استاذنا فاجابوه الى ذلك وتقرر بينهم ان حال وصولهم الى المخيم يمضي اليه الامراء حسام الدين الجوكندار وسيف الدين بكتمر وبدر الدين ازدمر الدوادار وكان الملك السعيد نازلاً ببابلا في دار القاضي بهاء الدين ابن الأستاذ قاضي حلب وهو فوق سطحها والعساكر حوله وكانت الأشارة بين هؤلاء الأمراء وبين بقية الأمراء انهم متى شاهدوا هؤلاء المذكورين معه على السطح يشرعون في نهب وطاقه والذين عنده يقبضون عليه فلما حضر المذكورون بابه وطلبوا الاذن للدخول عليه اذن لهم فلما حضروا عنده على السطح واعين الباقين من الخوشداشية ممتدة اليهم شرعوا في نهب وطاقه وخيله واصحابه فسمع الضجة فاعتقد ان التتر قد كبست العسكر ثم شاهد نهب العزيزية والناصرية لوطاقه ووثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه فطلب منهم الأمان على نفسه فأمنوه وشرطوا عليه ان يسلم اليهم جميع ما حصله من الأموال ثم نزلوا به الى الدار وقصدوا الخزانة فما وجدوا فيها طائلا فتهددوه وقالوا اين الأموال التي حصلتها وطلبوا قتله والمال فقام الى ساحة باب الدار المذكورة وحضر تحت اشجار نارنج هناك واخرج اموالاً كثيرة ذكرانها كانت تزيد على اربعين الف دينار ففرقت على الامراء على قدر منازلهم ورسموا عليه جماعة من الجند وسيروه الى شغر وبكاس معتقلا وبقي في الأعتقال اياما ثم اخرجوه بعد ان اندفعوا بين يدي التتر كما سنذكره ان شاء الله تعالى . قال القطب اليونيني وابو الفداء وبعد ايام قلائل

دهم التتر حلب في اواخر هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها واخرجوا اهلها بعائلاتهم واولادهم الى قرنبيا واسمها مقر الانبياء فسماها العامة قرنبيا ولما اجتمع المسلمون بقرنبيا احاط بهم التتر في ذلك المكان ووضعوا فيهم السيف فافنوا غالبهم وسلم القليل منهم فدخلوا الى حلب في اسوء حال ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خائف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته اخوه الملك الأفضل علي والامير مبارز الدين وباقي العسكر واجتمعوا بحمص مع باقي العساكر الى ان خرجت هذه السنة .

قال ابن خطيب الناصرية فى الدر المنتخب فى ترجمة الملك السعيد علي بن بدر الدين لؤلؤ لما تقدم التتار الى جهة حماة وقربوا منها رحل الملك المنصور والجوكندار بعسكرهما الى حمص ووصلت التتار الى حماة ونازلوها فأغلقت ابوابها فطلبوا منهم فتح الأبواب وانهم يؤمنونهم كالمرة الاولى فلم يجيبوهم ولم يكن مع التتار خسروشاه ولم يكن يثقون الا اليه (١) واندفعوا عن حماة طالبين لقاء العسكر واجفل الناس بين ايديهم وخاف اهل دمشق خوفاً شديداً ثم وصل التتار الى حمص وبها الأمير حسام الدين الجوكدار وصاحب حماة فاقتتلوا فانكسر التتار كسرة شديدة وكان مقدمهم بيدرا وذلك فى اوائل المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة اهـ

﴿ سنة ٦٥٩ ﴾

قال القطب اليونيني دخلت السنة التاسعة والخمسون وستمائة والمستولي على حلب واعمالها الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى وهو فى طاعة الملك الظاهر

---

(١) انظر سبب ثقتهم به في ابي الفدا فى حوادث سنة ٦٥٨

ذكر كسرة التتر على حمص والغلاء في حلب

قال ابو الفداء في يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا في آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين ايديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الأشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتقى التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكورة وكان التتر اكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الوقعة وانضم من سلم من التتر الى باقي جماعتهم وكانوا نازلين قرب سلمية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور واخوه الملك الأفضل والعسكر واقام التتر على حماة يوماً واحداً ثم رحلوا عن حماة واراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فمنعه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو واخوه الملك الافضل في جماعة قليلة وبقى الطواشي مرشد في باقي العسكر بحماة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الأشرف صاحب حمص الى دمشق .

واما حسام الدين الجوكندار العزيزي فتوجه ايضا بمن في صحبته ولم يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر واقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق في دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبي الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب امره ولذلك اقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلا في طاعته لضعفه وتلاشي امره . واما التتر فساروا عن حماة الى افامية وكان قد وصل الى افامية

سيف الدين الدنبلي الأشرفي ومعه جماعة فاقام بقلعة افامية وبقي يغير على التتر فرحلوا عن افامية وتوجهوا الى الشرق اه

وقال القطب اليونيني في حوادث هذه السنة وفيها في اوائل المحرم كانت كسرة التتار على حمص وكانوا في ستة آلاف فارس فلما وصلوا حمص وجدوا عليها الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي ومن معه والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حمص في الف واربعمائة فارس فحملوا على التتار حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتى القتل على معظمهم وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما عاد فلّ التتار الى حلب اخرجوا من فيها من الرجال والنساء ولم يبق الا من اختفى خوفاً على نفسه ثم نادوا من كان من اهل حلب فليعتزل فاختلط على الناس امرهم ولم يعلموا المراد فاعتزل بعض الغرباء مع اهل حلب وبعض اهل حلب مع الغرباء فلما عين الفريقان اخذوا الغرباء وساروا بهم الى ناحية بابلا فضربوا رقابهم وكان فيهم من اهل حلب جماعة من اقارب الملك الناصر رحمه الله ثم عدوا من بقي من اهل حلب وسلموا كل طائفة منهم الى رجل من الأكابر ضمنوهم له ثم اذنوا لهم في العود الى البلد واحاطوا بها ولم يمكنوا احداً من الخروج منها ولا من الدخول اليها اربعة اشهر فغلت الاسعار وبلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما ورطل السمك ثلثين درهما ورطل اللبن خمسة عشر درهما ورطل السيرج سبعين درهما ورطل الارز عشرين درهما ورطل حب الرمان ثلثين درهما ورطل السكر خمسين درهما والحلوى كذلك ورطل العسل ثلثين درهما ورطل الشراب ستين درهما والجدى الرضيع اربعين درهماً والدجاجة خمسة دراهم والبيضة درهما ونصفاً والبصلة نصف درهم والخسة نصف درهم وباقة البصل درهماً والبطيخة اربعين درهماً والتفاحة خمسة دراهم حتى اكلت الميتة من شدة الغلاء اه

ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد

قال ابو الفداء وفي هذه السنة جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكراً مع علاء الدين ايدكين البندقداري لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق فوصلوا الى دمشق فى ثالث عشر صفر واستولى عليها وقبضوا على سنجر الحلبي وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم اطلق واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس واقيمت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالحي في دمشق لتدبير امورها اه باختصار

نقل رأس يحي عليه السلام من القلعة الى الجامع الاعظم

قدمنا في حوادث سنة ٤٣٥ خبر نقل رأس يحي عليه السلام من بعلبك الى حلب وانه دفن في مقام ابراهيم عليه السلام الذي في القلعة في جرن من الرخام الأبيض قال في الدر المنتخب ذكر الكمال بن العديم فى تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكى جدد عمارة المقام وفى سنة تسع وستمائة في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه كان به من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير فاحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله سبحانه عنه النار . وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحى عليه السلام لان النار لم تصل اليه وحمي منها (ثم قال) ولما تسلم التتر قلعة حلب صلحاً سنة ثمان وخمسين وستمائة فى تاسع ربيع الأول اخربوها واخربوا الجامع المذكور مع اماكن اخر ثم لما عادوا ثانياً وجدوا اهل حلب قد بنوا بالقلعة برجاً للحمام فأنكروا عليهم بناه وكملوا هدم القلعة حتى لم يبقوا لها اثراً ولما اشتملت عليه من اثر واحرقوا المقامين (الفوقانى والتحتانى) حريقاً لا يمكن جبره وذلك

في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستمائة ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمد سيف الدولة ابو بكر ابن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الذخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الاصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد بحلب ودفناه غربي المنبر وقيل شرقيه (الصحيح الاول) وعمل له مقصورة وهو يزار اه

﴿ ذكر نزوح التتر عن حلب ونيابة فخر الدين بها ﴾

﴿ ثم تغلب آقوش البرلي عليها ﴾

قال القطب اليونيني كان الملك الظاهر جهز الامير فخر الدين الطنبا الحمصي والامير حسام الدين لاجين العينتابي في عسكر لترحيل التتار عن حلب فلما وصلوا غزة كتب الفرنج من عكا الى التتار يخبرونهم فرحلوا عنها في اوائل جمادى الاولى فتغلب عليها جماعة من احداثها وشطارها منهم نجم الدين ابو عبد الله بن المنذر وعلى بن الانصارى وابو الفتح ويوسف بن معاني فقتلوا ونهبوا ونالوا اغراضهم ثم وصل اليها فخر الدين الحمصي والعينتابي بمن معهما من العسكر فخرجوا هاربين ولما دخلها العينتابي صادر اهلها وعذبهم حتى استخرج منهم الف الف وستمائة الف دراهم بيروتية واقام بها الى ان وصل اليها الامير شمس الدين آقوش التركى في جمادى الآخرة فخرج لتلقيه ظنا منه انه جاء نجدة له وكان قد خرج من دمشق هاربا لما استشعر من الملك الظاهر فلما دخلها تغلب عليها فخافه فخر الدين الحمصى فأعمل الحيلة في الخلاص منه بأن طلب السفر الى الملك الظاهر ليستميله اليه فمكنه من الخروج فلما توجه اخذ البرلى في مصادرة من كان في صحبة الحمصى وابقى على العينتابي وامر واقطع ووفد عليه زامل بن علي بن حذيفة في اصحابه

ففرق عليهم تسعة الف مكوكا (١) مما احتاط عليه من الغلال التي كانت مطمورة بحلب وفرق في التركمان اربعة الف مكوكا (٢) اخرى اه

ذكر اقامة خليفة عباسى في مصر وخليفة عباسى في حلب

قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء لما اخذت التتار بغداد هرب المستنصر بالله احمد ابو القاسم بن الظاهر بأمر الله ابي نصر محمد بن الناصر لدين الله احمد وصار الى عرب العراق فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس وفد عليه في رجب ومعه عشر من بنى مهارش فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والدولة فشق القاهرة ثم اثبت نسبه على يد قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ثم بويع بالخلافة فأول من بايعه السلطان ثم قاضى القضاة تاج الدين ثم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم الكبار على مراتبهم وذلك فى ثالث عشر رجب ونقش اسمه على السكة وخطب له ولقب بلقب اخيه وركب يوم الجمعة وعليه السواد الى جامع القلعة وصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس وبعد ان ذكر الأحتفال الذى عمل له وما رتبه له السلطان. قال واما صاحب حلب الأمير شمس الدين آقوش فأنه اقام بحلب خليفة ولقبه الحاكم بأمر الله وخطب له ونقش اسمه على الدراهم ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه الى العراق فخرج معه السلطان يشيعه الى ان دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة واولاد صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم من الذهب الف الف دينار وستة وستين الف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق وصاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة فاجتمع به الخليفة الحاكم ودان له ودخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة

(١) هكذا ولعله تسعة آلاف مكوك (٢) هكذا ولعله اربعة آلاف مكوك

المستنصر فقيل قتل وهو الظاهر وقيل سلم وهرب فأضمرته البلاد وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين فكانت خلافته ستة اشهر وتولى بعده بسنة الحاكم الذي كان بويع بحلب في حياته وهو الحاكم بامر الله ابو العباس احمد بن ابى علي الحسن القبى ابن علي بن ابى بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله كان اختفى وقت اخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفي صحبته جماعة فقصد حسين بن فلاح امير بنى خفاجة فاقام عنده مدة ثم توصل مع العرب الى دمشق واقام عند الامير عيسى بن مهنا مدة فطالع به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه فبغته مجيء التتار فلما جاء الملك المظفر دمشق سير في طلبه الامير قلج البغدادى فاجتمع به وبايعه بالخلافة وتوجه فى خدمته جماعة من امراء العرب فافتتح الحاكم عانة بهم والحديثة وهيت والانبار وصافى التتار وانتصر عليهم ثم كاتبه علاء الدين طيبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه الى السلطان وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة ايام الى القاهرة فما رأى ان يدخل اليها خوفا من ان يمسك فرجع الى حلب فبايعه صاحبها ورؤساءها منهم عبد الحليم بن تيمية وجمع خلقا كثيرا وقصد عانة فلما رجع المستنصر وافاه بعانة فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته فلما عدم المستنصر في الوقعة المذكورة في ترجمته قصد الحاكم الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعة فاكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة وامتدت ايامه وكانت خلافته نيفا واربعين سنة وانزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة وخطب بجامع القلعة مرات قال الشيخ قطب الدين فى يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلساً عاماً وحضر الحاكم بأمر الله راكباً الى الأيوان بقلعة الجبل وجلس مع السلطان

وذلك بعد ثبوت نسبه فأقبل عليه السلطان وبايعه بأمرة المؤمنين ثم أقبل هو على السلطان وقلده الأمور ثم بايعه الناس على طبقاتهم فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والامامة وتعرض الى ماجرى من هتك حرمة الخلافة ثم قال وهذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصرة الأمامة عند قلة الأنصار وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار واول الخطبة الحمد لله الذي اقام لآل العباس ركناً وظهيرا ثم كتب بدعوته الى الآفاق اه

ذكر رضاء الملك الظاهر على علم الدين سنجر الحلبي

وتوليته على حلب وطرد آقوش البرلي منها

قدمنا ان آقوش البرلي عصى على الملك الظاهر بيبرس وقدم الى حلب وتغلب عليها وان علاء الدين ايدكين البندقدار استقر بدمشق قال ابو الفدا لما استقر بها جهز عسكراً صحبة فخر الدين الحمصي للكشف عن البيرة فأن التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم شمس الدين آقوش البرلي الى حلب كان بها فخر الدين الحمصي فقال له البرلي نحن فى طاعة الملك الظاهر فتمضي الى السلطان وتسأله ان يتركني ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف ونكون تحت طاعته من غير ان يكلفني وطئ بساطه فسار الحمصي الى جهة مصر ليؤدى هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلي واحتاط على ما في حلب من الحواصل واستبد بالأمر وجمع العرب والتركمان واستعد لقتال عسكر مصر ولما توجه فخر الدين الحمصى لذلك التقى في الرمل جمال الدين المحمدي الصالحي متوجها بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلي وامساكه فأرسل الحمصى عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلي فارسل الملك الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصى المذكور ويأمره بالانضمام الى المحمدي والمسير

الى قتال البرلي فعاد من وقته ثم رضي الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدى في جمع من العسكر ثم اردفه بعز الدين الدمياطى في جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلي وساروا الى حلب وطردوه عنها وانقضت السنة والأمر على ذلك اه

وقال القطب اليونينى لما خرج فخر الدين الحمصي من حلب كما قدمنا ذكره وبلغ الرمل كتب اليه الملك الظاهر يأمره بالعود وكان البرلي لما تغلب على حلب خرج منها فى حشد من التركمان والعربان لشن الغارة على عيسى بن مهنا وكان على حمص فلما مر البرلي بحماة طلب من صاحبها موافقته فأبى واغلق دونه ابواب البلد فأحرق غلالاً للعشر بالباب الغربى وعاث في نواحيها وافسد وذلك في نصف رجب وبلغ الملك الظاهر فولى علم الدين سنجر الحلبى نيابة السلطنة بحلب واقطعه ما يقوم بوظائف المملكة ورتب معه علاء الدين بن نصير الله مدبر الأمور وبعث معه عسكراً لمحاربة البرلي وقدم عليه الأمير جمال الدين آقوش المحمدي فسار الحلبي ومن معه في شعبان فلما قرب من حلب والبرلي على تل السلطان رحل بمن معه وقصد الرقة ودخل الحلبي حلب وسار المحمدى وتبع البرلي فادركه بالرقة فركب ودخل على المحمدي فى خيمته وقال انا مملوك السلطان وما هربت الا خوفا منه وقد رغبت اليك فى ان تستعطفه بحيث يبقى علي حران فانى طردت نواب التتر عنها ووليت فيها ومتى لم يسمح بالأبقاء علي لم اجد بداً من التجائى الى التتار فتكفل له المحمدى بما التمسه ورحل عائدا وعبر البرلي الى حران وكان ذلك خديعة منه



ذكر اخذ آقوش البرلي البيرة وعوده الى حلب واخذها

قال القطب اليونيني كان الأمير علم الدين سنجر الحلبي قد كاتب الاسد حلب الجوكندار اليهاعلى ان يسلمها اليه(هكذا والقصدانه كاتب صاحب البيرة ليسلمها اليه) وكان ولاه بها علاء الدين ابن صاحب الموصل فطلب ذهباً تقرر وعينه فأجابه الحلبي وسير اليه المال ولم يسلمها ثم استدعى البرلي من حران فسار اليه وسلمها ثم قصد حلب فلما كان بتل باشر خرج عن طاعة الحلبي اكثر من كان معه ولحقوا بالبرلي فخرج الحلبي من حلب ليلاً فلما علم البرلي بذلك بعث اليها علم الدين طقصبا الناصري وسيف الدين كيكلدي الحلبي فتسلماها ثم دخلها في اوائل شهر رمضان وبعث طائفة ممن كان معه في اثر الحلبي فلم يدركوه اه

ذكر مقتل الملك الناصر يوسف صاحب حلب والشام وترجمته

قال ابو الفداء في هذه السنة ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وعقد عزاه بجامع دمشق في سابع جمادى الأولى من هذه السنة وصورة الحال فى قتله انه لما وصل الى هولاكو على ما قدمناه ذكره وعده برده الى ملكه واقام عند هولاكو مدة فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبغا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك واحضر الملك الناصر المذكور واخاه الملك الظاهر غازي وقال له انت قلت ان عسكر الشام في طاعتك فغدرت بي وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ما ضرب احد فى وجه عسكرك بالسيف ومن يكون ببلاد توريز كيف يحكم على بلاد الشام

فاستوفى هولاكو لعنه الله ناصحا وضربه به فقال الملك الناصر يا خوند الصنيعة فنهاه اخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه بفردة ثانية فقتله ثم امر بضرب رقاب الباقين فقتلوا الظاهر اخا الملك الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص والجماعة الذين كانوا معهم واستبقوا الملك العزيز ابن الملك الناصر لأنه كان صغيرا فبقي عندهم مدة طويلة واحسنوا اليه ثم مات

ترجمته

قال القطب اليونيني في ترجمته ولد الملك الناصر سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب بقلعتها ولما ولد زين البلد ولبس العسكر احسن زى واظهر من السرور والأبتهاج بمولده ما جاوز الحد وكان عمره لما افضى اليه الملك بعد وفاة والده نحو سبع سنين وقام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لولو الاميني والأمير عز الدين عمر ابن مجلي ووزير الدولة جمال الدين القفطي ويحضر معهم جمال الدولة اقبال الخاتونى في المشورة فاذا انفق رأيهم على شيء دخل جمال الدولة الى الصاحبة ضيفة خاتون بنت الملك العادل والدة الملك العزيز وعرفها ماانفق عليه الجماعة فكانت الأمور منوطة بها وفي سنة اربعين توفيت الصاحبة ضيفة خاتون فاستقل ابنها الملك الناصر بالسلطنة واشهد على نفسه بالبلوغ وله نحو ثلث عشرة سنة وامر ونهى وقطع ووصل وجلس في دار العدل والاشارة للأمير شمس الدين لولو ولجمال الدولة اقبال الخاتونى وللوزير القاضي الأكرم جمال الدين القفطي.

وكان ملكاً جليلاً جوادا كريما كثير المعروف غزير الأحسان حليما صفوحا حسن الأخلاق كامل الأوصاف جميل العشرة طيب المحادثة والمفاكهة قريبا من الرعية يؤثر العدل ويكره الظلم وزاد ملكه على ملك ابيه وجده فأنه ملك بلاد الجزيرة وحران والرها والرقة ورأس عين وما معها من البلاد وملك

حمص كما ذكرنا ثم ملك الشام كما ذكرنا بعد قتل الملك المعظم وصفا له الشام والبلاد الشرقية واطاعه صاحب الموصل وصاحب ماردين وعظم شأنه جدا ثم دخل بعساكره الى الديار المصرية سنة ثمان واربعين فكسر عساكرها وخطب له بمصر وقلعة الجبل وكاد يملك الأقليم ويستولى على الممالك الصلاحية كلها لولا ماقدره الله من ظهور طائفة من عسكر مصر وانهزامه الى الشام ومقتل مدبر دولته الامير شمس الدين لولو واقام الملك الناصر بدمشق عشر سنين حاكما على الشام والشرق الى ان قدر الله تعالى ما قدره من استيلاء التتر على البلاد وذهابه اليهم ومقتله رحمه الله ولم يكن لأحد من الملوك قبله مثل ما كان له من التجمل بكثرة الطعام وغيره فأنه كان يذبح في مطبخه كل يوم اربعمائة رأس من الغنم وكان نفقة مطبخه في كل يوم عشرين الف درهم

وكان الملك الناصر رحمه الله حليما الى الغاية عظيم العفو عن الزلات لايرى المؤاخذة والانتقام بل سجيته الصفح والتجاوز اعترضه شخص يوما بورقة فأمر بأخذها منه وقرأها فوجد فيها الوقيعة فيه وذمه فقال لبعض غلمانه قل له يخرج من دمشق الى حيث شاء فانا ما اوذيه ولا اقابله على فعله

وكان رحمه الله حسن المباسطة مع جلسائه وكان في خدمته جماعة كثيرة من الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم ولهم عليه الرواتب السنية وكان حسن العقيدة والظن بالصالحين يكرمهم ويبرهم ويجري عليهم الرواتب اهباختصار وقال ابو الفداء ايضا فى ترجمته كان حليما وتجاوز به الحلم الى حد أضر بالمملكة وانقطعت الطرق في ايامه وبقي لا يقدر المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برفقة من العسكر وكثر طمع العرب والتركمان فى ايامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا حضر القاتل الى بين يدي الملك

الناصر المذكور يقول الحي من الميت ويطلقه فأدى ذلك الى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية والمفسدين

وكان على ذهن الناصر المذكور شيئ كثير من الأدب و الشعر ويروى له اشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا ... وجرعتني كاسات دمعي دما صرفا

لما زادني الا هوى ومحبة ... ولا اتخذت روحي سواك لها الفا

وقدمنا ان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريبا اه

سنة ٦٦٠

ذكر طاعة البرلى للملك الظاهر وارسال سنقر الرومى الى حلب

قدمنا دخول البرلى الى حلب فى شهر رمضان من السنة الماضية قال القطب اليونينى فى الذيل لما دخل البرلى حلب اظهر طاعة الملك الظاهر واقام بها الى ان كتب اليه الملك الصالح صاحب الموصل يعلمه بنزول التتر عليه ويستنجده فكتب الى الملك الظاهر يستأذنه فى التوجه لنصرته فأجابه وامره بالتربص بحران الى ان يصل اليه عسكر من جهته ينجد به صاحب الموصل فلما وصل حران اقام بها ثم خاف من العسكر الواصل من مصر ان يقبض عليه فتوجه الى سنجار

واما الملك الظاهر فتقدم الى الأمير شمس الدين سنقر الرومي بالمسير الى حلب ثم الموصل وجهز معه عسكراً وكتب الي الأمير علاء الدين طيبرس نائب

السلطنة بدمشق والى الأمير علاء الدين البندقدار يأمرهما ان يكونا معه بعسكرهما اذا وصل اليهما حيث توجه فلما وصلت العساكر تل السلطان واتصل بهم توجه البرلي الى سنجار وبعثوا الى حلب من تسلمها نيابة عن البندقدار ثم عادت العساكر الى انطاكية فنزلوا عليها وشنوا الغارات على نواحيها فداراهم من بها بأقامة وضيافة وسألوهم ان يرحلوا عنهم على ان يحملوا اليهم مالاً مصانعة فوقع الخلف في تقرير المال بين الأمير علاء الدين طيبرس والأمير شمس الدين سنقر فرحلا بالعسكر ونزلا على تل السلطان فاتاهم امر السلطان ان يتوجه البندقدار الى حلب ويعود طيبرس وسنقر الرومي الى دمشق

(ذكر قصد التتر الموصل واستنجاد صاحبها بالبرلي)

وانهزامهما من التتر

قال القطب اليونيني ما خلاصته فى هذه السنة قصدت التتر الموصل ومقدمهم صيدعون صاحب ماردين وغيرهم فاستصرخ الملك الصالح صاحبها بالبرلي فخرج من حلب وسار الى سنجار فلما اتصل بالتتر وصوله عزموا على الهرب واتفق وصول الزين الحافظي اليهم من عند هولاكو فعرفهم ان الجماعة التي مع البرلي قليلة والمصلحة ان تلافوهم فقوي عزمهم الحافظى قاتله الله فسار صيدعون بطائفة ممن كان على حصار الموصل عدتها عشرة آلاف وقصد سنجار وبها البرلي ومعه الف وخمسمائة فارس عن الف واربعمائة من التركمان ومائة من العرب فخرج اليهم بعد ان تردد في ملتقاهم فكانت الكرة عليه وقتل الكثير من جماعته ونجا الأمير شمس الدين البرلي في جماعة يسيرة من العزيزية والناصرية ولماوصل البيرة فارقه اكثرهم ودخلوا الديار المصرية اهـ

ذكر عود البرلي الى الديار المصرية وما كان من امره

قال القطب اليونيني لما حل الأمير شمس الدين البرلى بالبيرة وصله قونور خاله وزين الدين قراجا الجدار الناصري وكان اخذ اسيرا من حلب رسلاً من هولاكو يطلبونه اليه ليقطعه البلاد فقال انا مملوك السلطان الملك الظاهر وما يمكنني مفارقته واختيار هولاكو عليه ثم سير الكتب الى الملك الظاهر وكتب يطلب منه امانا بما سأل ويسأله المصير الى مصر فتوجه من البيرة في تاسع عشر شهر رمضان واجتمع بالبندقدار [نائب حلب] بعد توثق كلاهما بالأيمان ودخل البرلي الى مصر غرة ذى الحجة فأنعم عليه الملك الظاهر وعين له سبعين فارساً اه

وقال ابو الفداء لما ضاقت على آقوش البرلي البلاد واخذت منه حلب ولم يبق بيده غير البيرة دخل فى طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى النواب بالأحسان اليه وترتيب الأقامات له فى الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية في ثاني ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة ستين فتلقاه الملك الظاهر وبالغ في الأحسان اليه واكثر له العطاء فسأل آقوش البرلي من الملك الظاهر ان يقبل منه البيرة فلم يفعل وما زال يماوده حتى قبلها وبقي آقوش البرلى العزيزي المذكور مع الملك الظاهر الى ان تغير عليه وقبضه فى رجب سنة احدى وستين وستمائة فكان آخر العهد به اه

-○*﴿ ذكر ولاية علاء الدين ايدكين حلب ﴾*○-

قال القطب اليونينى في هذه السنة في شوال ولي الأمير علاء الدين ايدكين الشهابي نيابة السلطنة بحلب

وفيها اشتد الغلاء بالشام فبيع رطل اللحم بالدمشقي بستة دراهم وسبعة دراهم

والغرارة من القمح بأربعمائة وخمسين درهما والشعير بمائتين وخمسين درهما والمكوك القمح بحماة وبحلب بأربعمائة درهم واللحم الرطل بالحلبي بثمانية دراهم ورطل الخبز بثلثة دراهم ثم بلغ خمسة ثم اشتد الغلاء في جميع الأصناف ومات خلق كثير من الجوع بحلب وحماة وغيرهما اه

ذكر وفاة الكمال بن العديم صاحب تاريخ حلب

قال ابو الفداء في هذه السنة في ذى الحجة توفي الصاحب كمال الدين عمر بن احمد المعروف بأبن العديم انتهت اليه رياسة اصحاب ابى حنيفة وكان فاضلاً كبير القدر الف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لماجفل الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها فلما نظر ما فعله التتر من خراب حلب وقتل اهلها بعد تلك العمارة قال في ذلك قصيدة منها

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم * وان رمت انصافا لديه فتظلم
اباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا * واصمت لدى فرسانها منه اسهم
وافنى بنى ايوب مع كثر جمعهم * ومـا منهم الا مليك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع * لهم اثرا من بعدهم وهم هم
واعتابهم اضحت تداس وعهدها * تبـاس بـأفواه الملوك وتلثم
وعن حلب ماشئت قل من عجائب * احل بها يا صاح ان كنت تعلم

ومنهـا

فيالك من يوم شديد لغامه * وقد اصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت * مصاحفها فوق الثرى وهي ضخم

وهي طويلة وآخرهـا

ولكنما لله في ذا مشيئة * فيفعل فينا ما يشاء ويحكم

وسنذكر في القسم الثانى من الكتاب ترجمته بأبسط من هذا ان شاء الله تعالى وانما ذكرناه هنا تبعا لأبى الفداء بمناسبة القصيدة المتقدمة لعلاقتها بأخبار التتار وبحثت كثيراً عن بقية القصيدة لأثبتها جميعها فلم اعثر عليها

قال ابن الوردى فى تتمة المختصر في حوادث هذه السنة رأيت مقامة مرصعة وضعها الشيخ جمال الدين عمر بن ابراهيم بن الحسين الرسغنى وذكر فيها وقعة حلب ولعلها من احسن ماقيل فى ذلك (فنها) هذا وقد نزلت فنون البلاء بالشام وهملت عيون العناء كالغمام وصار وشام الأسلام كالوشام وعرام الأنام في غرام وخفيت آثار المآثر ودرست. وطفئت انوار المنابر وطمست. وحلبت العيون ماءها على حلب وسكبت الجفون دماءها من الصبب والتف عليها الختل والأختلال واحتف بها القتل والوبال واختطف من اعيانها الشموس والأقمار واقتطف من اغصانها نفائس النفوس والأعمار فستر سفور السرور ونشر ستور الشرور وتخربت الدور والقصور ونحرت الحور في النحور وجرت عيونها على اعيانها وهمت جفونها على شبانها بدموع جرت نجيعا لقطوع طرت سريعا. ونمى الطغيان والغش فى روضة الشام وسما العدوان في عش بيضة الأسلام ورفعت الصلبان على المساجد ووضعت الأديان والمعابد حتى بكى على الوجود الجلمد وشكى الى المعبود السرمد ولما تعظم العدو وتكبر وتقدم بالعتو وتجبر وبسط سيفه على الخافقين وهبط خوفه على المشرقين اطلع الله طلائع اللواء المظفر وابدع مطالع السناء الأنور وخفقت الرايات والبنود وشرقت الآيات والسعود بانجذاب الكفار الى كنعان وانسحاب الفجار الى الهوان وهي طويلة اهـ

﴿ ذكر طرد التتر من نواحى الفرات عند البيرة ﴾

قال ابن كيثر في هذه السنة جهز السلطان الملك الظاهر عسكراً جماكثيفا الى ناحية الفرات تطرد التتار النازلين للبيرة فلما سمعوا بالعساكر الظاهرية قداقبلت تولوا على اعقابهم منهزمين والحمد لله رب العالمين فطابت تلك الناحية وامنت تلك المعاملة وقد كانت قبل ذلك لاتسكن من كثرة الفساد بها والخوف فعمرت وامنت ولله الحمد اه

﴿ ذكر تولية قضاة من المذاهب الأربعة ﴾

قال القطب اليونيني وابن كثير فى هذه السنة ولي من كل مذهب قاضى قضاة مستقل بالديار المصرية وسبب ذلك كثرة توقف قاضى القضاة تاج الدين في تنفيذ الأحكام وكثرت الشكاوي منه في يوم الأثنين ثاني عشر ذي الحجة فأشار الأمير جمال الدين ايدغدى العزيزي على السلطان بأن يولى من كل مذهب قاضى قضاة وكان يحب رأيه ومشورته فأجاب الى ذلك ففعل كما ذكرنا وكان الأمير جمال الدين يكره القاضى تاج الدين فقال له الأمير جمال الدين نترك مذهب الشافعي لك ونولى معك من كل مذهب قاضيا وذكر اسماء القضاة الأربعة الذين عينوا

(سنة ٦٦٤)

﴿ذكر دخول العساكر الى بلاد الأرمن﴾

قال ابو الفداء وفى هذه السنة بعد فراغ الملك الظاهر من فتوح صفد سار الى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكراً ضخما وقدم عليهم الملك المنصور وامرهم بالمسير الى بلاد الأرمن فسارت العساكر صحبة الملك المنصور ووصلوا

الى بلاد سيس فى ذي القعدة من هذه السنة وكان صاحب سيس اذ ذاك هيثوم ابن قسطنطين بن باسل قد حصن الدربندات بالرجالة والمناجق وجعل عسكره مع ولديه على الدربندات لقتال العسكر الأسلامي ومنعه فداستهم العساكر الأسلامية وافنوهم قتلاً واسراً وقتل ابن صاحب سيس الواحد واسر ابنه الآخر وهو ليفون بن هيثوم المذكور وانتشرت العساكر الأسلامية في بلاد سيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا اهلها ثم عادت العساكر وقد امتلأت ايديهم من الغنائم ولما وصل خبر هذا الفتح العظيم الى الملك الظاهر بيبرس رحل من دمشق ووصل الى حماة ثم الى فامية فالتقى عساكره وقد عادت منصورة وامر بتسليم الأسرى وفيهم ليفون بن صاحب سيس وكان المذكور لما اسرسلمه الملك المنصور الى اخيه الملك الأفضل فاحترز عليه وحفظه حتى احضره بين يدى السلطان ثم عاد الى الديار المصرية على طريق الكرك فتقنطر بالملك الظاهر المذكور فرسه عند بركة زيزا وانكسرت فخذه وحمل في محفة الى قلعة الجبل اه

(سنة ٦٦٦)

ذكر مسير الملك الظاهر الى انطاكية وبغراس وفتحها

قال القطب اليونيني وابن كثير وابو الفداء فى هذه السنة فى مستهل جمادى الأولى توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وفتح يافا في العشر الأوسط من الشهر المذكور واخذها من الفرنج ثم سار الى انطاكية وكان نزوله عليها فى مستهل شهر رمضان فخرج اليه اهلها يطلبون منه الأمان وشرطوا شروطاً عليهم فأبى ان يجيبهم وردهم خائبين وصمم على حصارها وزحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر ورتب على ابوابها من الأمراء جماعة لئلا يخرج احد من

الحرافشة بشئ من النهب ومن وجد معه شئ اخذ منه وحصر من قتل فيهـا فكانوا فوق الأربعين الفا وغنم منها شيئاً كثيرا واطلق للامراء اموالاً جزيلة ووجد من اسارى المسلمين من الحلبيين خلقاً كثيرا كل هذا في اربعة ايـام وقد كان الأبرنس صاحبها وصاحب طرابلس من اشد النـاس اذية للمسلمين حين ملك التتار حلب وفر الناس منها وكانت انطاكية للبرنس بيمند بن بيمند وله معها طرابلس وكان مقيما بطرابلس لما فتحت انطاكية

قال ابو الفداء وفيها في ثالث عشر رمضان استولى الملك الظـاهر على بغراس وسبب ذلك انه لما فتح انطاكية هرب اهل بغراس منها وتركوا الحصن خاليـا فأرسل من استولى عليها فى التاريخ المذكور وشحنه بالرجال والعدد وصار من الحصن الأسلامية وقد تقدم ذكر فتح صلاح الدين للحصن المذكور وتخريبه ثم عمارة الفرنج له بعد صلاح الـدين ثم حصار عسكر حلب له ورحيلهم عنه بعد ان اشرفوا عـلى اخذه

تتمة حوادث سنة ٦٦٦

قال ابو الفداء وفيها فى شوال وقع الصلح بين الملك الظاهر وبين هيثوم صاحب سيس على انه اذا احضر صاحب سيس سنقر الاشقر من التتر وكانوا قد اخذوه من قلعة حلب لما ملكها هولاكو كما تقدم ذكره وسلم مع ذلك بهسنا ودربسـاك ومرزبان ورعبان وشيح الحديد يطلق له ابنه ليفون فدخل صـاحب سيس على ابغا ملك التتر وطلب منه سنقر الأشقر فأعطاه اياه ووصل سنقر الأشقر الى خدمة الملك الظاهر وكذلك سلم دربساك وغيرهـا من المواضع المذكورة خلا بهسنا واطلق الملك الظـاهر ابن صاحب سيس ليفون بن هيثوم وتوجه الى والده اه

سنة ٦٦٨

ذكر مجيء الملك الظاهر بيبرس الى حلب

قال ابو الفداء فيها توجه الملك الظاهر بيبرس من الكرك مستهل المحرم عند عوده من الحج فوصل الى دمشق بغتة وتوجه من يومه ووصل الى حماة فى خامس المحرم وتوجه من ساعته الىحلب ولم يعلم به العسكر الا وهو فى الموكب معهم وعاد الى دمشق فى ثالث عشر المحرم المذكور ثم توجه الى القدس ثم الى القاهرة فوصل اليها في ثالث صفر من هذه السنة اه

سنة ٦٦٩

(ذكر ترتيب الملك الظاهر بيبرس خيل البريد)

بين البلاد المصرية والبلاد الشامية

قال ابن اياس في هذه السنة رتب السلطان خيل البريد بسبب سرعة اخبار البلاد الشامية فكانت اخبار البلاد الشامية ترد عليه في الجمعة مرتين وقيل انه انفق على ذلك جملة مال حتى تم له ترتيب ذلك وكان خيل البريد عبارة عن مراكز بين القاهرة ودمشق وفيها عدة خيول جيدة وعندها رجال يعرفون بالسواقين ولا يقدر احد ان يركب من خيل البريد الا بمرسوم سلطاني وكان عند كل مركز ما يحتاج اليه المسافرون من زاد وعلف وغير ذلك وهذا كله لأجل سرعة مجيء اخبار البلاد الشامية وغيرها من البلاد وقيل ان الملك الظاهر بيبرس هذا كان يعمل موكبا بمصر وموكبا بالشام وكانت خيل البريد مرصودة بسبب ذلك حتى لقد قال القائل في المعنى

يوما بمصر ويوما بالشآم ويو * ما بالفرات ويوما في قرى حلب

واستمر هذا الأمر باقيا بعد الملك الظاهر بيبرس مدة طويلة ثم تلاشى امره قليلا قليلا حتى بطل فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق عند ماقدم تيمورلنك الى الشام واخرب البلاد الشامية وذلك فى سنة ثلاث وثمانمائة فعند ذلك بطل امر خيل البريد مع جملة ما بطل من شعائر مملكة الديار المصرية اهـ

سنة ٦٧٠

ذكر اغارة التتر على عينتاب ورجوعهم عنها وانهزامهم من الملك الظاهر على الفرات

قال ابن كثير فى هذه السنة فى ربيع الأول وصلت الجفالة من حلب وحماة وحمص الى دمشق بسبب الخوف من التتار وجفل خلق كثير من اهل دمشق . وفي ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية الى حضرة السلطان الى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور ثم سار الى حلب فخيم بالميدان الاخضر بها وكان سبب ذلك ان عسكر التتار جمعوا نحواً من عشرة آلاف فارس وبعثوا طائفة منهم فاغاروا على عين تاب ووصلوا الى بسطون ووقعوا على طائفة من التركمان بين حارم وانطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان رجعوا على اعقابهم .قال ابن اياس وفيها جاءت الأخبار بأن التتار قد تحركوا على البلاد ووصلوا الى الفرات وملكوا البيرة فخرج اليهم السلطان ومعه سائر الأمراء وكان جاليش العسكر الأمير قلاون الالفى والأمير بيسري فتلاقوا مع التتار على الفرات فكان بينهم وقعة عظيمة فقتل منهم ما لا يحصى عدده واسر منهم جماعة كثيرة فلما دخل السلطان البيرة خلع على نائبها واقره على حاله وفرق جملة من المال على من بها من الرعية لأنهم قاتلوا التتار قتال

الروب حتى كسروهم كسرة قوية فأقام السلطان في البيرة اياما ثم رجع الى الشام فأقام بها شهرا ثم توجه الى الديار المصرية فدخلها في موكب عظيم وزينت له وحملت القبة والطير على رأسه اه

وقال القطب اليونيني في حوادث هذه السنة وفي خامس جمادى الأولى اتصل بالملك الظاهر وهو بدمشق ان فرقة من التتار قصدت الرحبة فبرز الى القصير بالعساكر فبلغه انهم عادوا عن الرحبة ونزلوا على البيرة فسار الى حمص واخذ مراكب الصيادين بالبحيرة على الجمال للجسور ثم رحل حتى وصل الى الباب من اعمال حلب وبعث جماعة من المماليك والعربان لكشف اخبارهم وسار الى منبج فعادوا واخبروا ان طائفة من التتر مقدارها ثلثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة فرحل من منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى ووصل شط الفرات وتقدم الى العسكر بخوضها فخاض الأمير سيف الدين قلاون والأمير بدر الدين بيسري في اول الناس ثم تبعهما بنفسه وتبعته العساكر فوقعوا على التتر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا مقدار مأتي نفس ولم ينج منهم الا القليل وتبعهم الأمير بدر الدين بيسرى الى قرب سروج ثم عاد والذين كانوا على البيرة شرف الدين بن الخطير واتابك ارسلان دغمش وامين الدين ميكائيل النائب بقونية وامر الروم تقديرا ثلثة آلاف فارس (١) ومقدم المغل [التتار] درباى ولما اتصل بهم خبر الوقعة رحلوا عن البيرة بعد ان اشرفوا على اخذها وتركوا مالهم من الأسلحة والعدد والمجانيق والامتعة ونجوا بأنفسهم فسار الملك الظاهر الى البيرة ووصلها في الثاني والعشرين من الشهر وصعدها وخلع

(١) هكذا في الاصل ولعل القصد ان ميكائيل جاء نجدة من طرف ملك الروم السلجوقي ومعه ثلاثة آلاف فارس

على مستحفظها وفرق فى اهلها مائة الف درهم وانعم عليهم ببعض ما تركه التتر عند هربهم ثم رحل قاصداً دمشق وقد ذكر خوض الفرات المولى شهاب الدين محمود الكاتب في قصيدة اولها

سر حيث شئت لك المهيمن جار * واحكم فطوع مرادك الأقطار

لم يبق للدين الذي اظهرته * يا ركنه عند الأعادي ثار

ومنها

لما تراقصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الأوتار

خضت الفرات بسابح اقصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار

حملتك امواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار

وتقطعت فرقا ولم يك طودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار

ومنها

رشت دماءهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش الصعيد غبار

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والأطيار

هذي منعت وهؤلاء منعتهم * وسقيت تلك وعم ذي الايثار

فلأملأن الدهر فيك مدائحا * تبقى بقيت وتذهب الاعصار

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب الكناني رحمه الله في واقعة الفرات واظنه حضرها

ولما ترامينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقوى والقوادم

فأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وقال صاحبنا موفق الدين عبد الله بن عمر رحمه الله

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالأموال والاهل

اقتحم الماء ليطفى به * حرارة القلب من الغل

انتهى ما في القطب اليونيني وقال ابن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الوفيات في ترجمة الملك الظاهر المذكور قال محي الدين بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لانطيق لهم غلبا
وجاؤا الى شط الفرات وبادروا * بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله في العدد التي * تميس لها الأبطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسد من حديد سباحة * اليهم فما اسطاع العدو له نقبا

وقال قال بدر الدين يوسف بن المهمندار

لو عاينت عيناك يوم نزولنا * والخيل تطفح في العجاج الأكدر
وقد اطلخم الأمر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجترى
لرأيت سداً من حديد ما يرى * فوق الفرات وفوقه نار ترى
طفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولولا خيلنا لم تطفر
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبى * ومن الفوارس اسجراً في ابحر
لما سبقنا اسهماً طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا المرمي منهم اعينا * حتى كحلن بكل لدن اسمر
فتسابقوا هرباً ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
ما كان اجرى خيلنا في اثرهم * لو انها برؤسهم لم تعثر
كم قد قلعنا صخرة من صخرة * ولقد ملأنا محجرا من محجر
وجرت دماؤهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجاري الأنهر
والظاهر السلطان في آثارهم * يذري الرؤس بكل عضب ابتر
ذهب الغبار مع النجيع بصقله * فكأنه في غمده لم يشهر

سنة ٦٧٣

ذكر دخول السلطان الملك الظاهر الى بلاد سيس

قال ابن شداد فى الأعلاق الخطيرة ـ لما كانت سنة ثلاث وسبعين عزم مولانا
السلطان على قصد سيس وذلك ان هيثوم مات وولى بعده ولده ليفون فأخذ
في افساد ما كان بين ابيه وبين السلطان بمكاتبة التتر والتعرض للقفول الواردة
من بلاد الروم واخذ ما فيها من البضايع والفتك بأربابها فخرج من القاهرة
نحو الشام وصحبته العساكر المنصورة وترك نائبا عنه الأمير شمس الدين آق سنقر
الفارقانى فوصل الى دمشق وطلب ثم توجه ولم يشعر احد اين يتوجه فنزل
بقرب (سرمين) ورتب العساكر وطلب من كل جندي قرية وحبلا برسم الكلك
(هكذا) وفرقهم على الامراء ثم رحل ونزل حارم مخفا ثم رحل وخاض النهر
الاسود ونزل تحت درب ساك وجعل كل الف فارس الى مقدم وامرهم بدخول
سيس فكان اول من دخلها الامير بلبيك الخزندار نائب المملكة ومعه جماعة
من الأمراء فوصل الى اسكندرونة فقتل وسبا وقصد المصيصة فباكرها فوجد
الأرمن يريدون ان يحرقوا الجسر الذي هو على نهر جيجان فعاجلهم وقد اخذت
النار فيه فأطفاها وعبر ومكن سيفه فيمن لقي من الأرمن ولم يبق الا النساء
والاطفال ثم ردفه مولانا بمن بقي معه من العساكر فلما عبر الجسر قطعه ثم
رحل وقصد سيس فوجد ليفون وقد خرج منها هاربا فسار خلفه ليدركه ففاته
فعاد الى سيس فحاصر قلعتها فامتنعت عليه فأحرق البلد وعفاها وطمس معالمها
واخفاها وبث عساكره فى اعمالها وامرهم بأحراق ضياعها ومزارعها الى ان
وصلوا الى ساحل البحر فنهبوا من كان بأياس من التجار ثم عاد السلطان ورحل

ونزل على قلعة تسمى سن الفار فحاصرها اياماً ثم رحل بسبب ان العلوفات والأقوات قلت وكان قد استاء من السلطان عند توغله في بلاد سيس عشرون الف بيت من التركمان وخلق كثير من العرب كانوا قد ركبوا الى هيثوم لما استولت التتر على بلاد حلب فأمر جماعة منهم واقطعهم الأخباز واخذ منهم العداد . فلله عزمات اضرمت فى صدر الأعداء ناراً واكسبتهم بالفرار عاراً وشنارا واخلتهم عن ديار اهدت اليهم درها كبارا وغذتهم بدرها صغارا وامكنت منهم سيوفا البستهم على مدى الايام ذلاً وصغارا . وجرت على عزمات من تقدم من الملوك ذيل الفخر باغتنام الاجر وطلعت في السير طلوع الفجر فأنها ازاحت علة الخوف من الأرمن بفتكاتها المبيدة واراحت من جاوز بلادهم من حرب يحتاج فيه الى ختل ومكيدة واصارت صياصها موطوءة بالحوافر محبوة بالتطهير ممن كان يستوطنها من الكوافر اه

سنة ٦٧٤

ذكر مجيء التتار الى البيرة وانكسارهم عليها

قال ابن كثير لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة نزل التتار على البيرة فى ثلاثين الف مقاتل من المغول [وكان اسم مقدمهم افطاي كما في ابى الفداء] وخمسة عشر الفا من الروم والمقدم على الجميع البرواناه بأمر ابغا ملك التتر ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والاكراد ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقا فخرج اهل البيرة بالليل فكسروا عسكر التتار واحرقوا المنجنيقات ونهبوا شيئاً كثيراً ورجعوا الى بيوتهم سالمين فاقام عليها الجيش مدة الى تاسع عشر الشهر المذكور ثم رجعوا عنها بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا .

ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة انفق في الجيش ستمائة الف دينار ثم ركب سريعا وفى صحبته ولده السعيد فلما كان فى اثناء الطريق بلغه رحيل التتار عنها فعاد الى دمشق اه

(سنة ٦٧٥)

﴿ذكر انكسار التتار على البلستين وفتح قيسارية﴾

قال ابو الفداء وابن كثير وابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار بأن التتار زحفوا على البلاد فجاء الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وكان خروجه من مصر في العشرين من رمضان ودخل دمشق في سابع عشر شوال فأقام بها ثلثة ايام ثم سار حتى دخل حلب فاقام بها يوما ورسم لنائب حلب ان يقيم بعسكر حلب على الفرات لحفظ المعابر وسار السلطان فقطع الدربند في نصف يوم ووقع سنقر الأشقر فى اثناء الطريق بثلاثة الآف من المغول فهزمهم يوم الخميس تاسع ذي القعدة وصعد العسكر الجبال فاشرفوا على وطاة البلستين عاشر ذي القعدة فرأوا التتار قد رتبوا عساكرهم وكانوا احد عشر الف مقاتل وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرتهم فلما ترآى الجمعان حملت ميسرة التتار فصدمت صناجق السلطان ودخلت طائفة بينهم فشقوها وساقت الى الميمنة فلما رأى السلطان ذلك اردف المسلمين بنفسه ومن معه ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت تنحطم فأمر جماعة من الأمراء بأردافها ثم حمل بالعسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا الى الأرض عن آخرهم وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وصبر المسلمون صبراً عظيما فأنزل الله نصره على المسلمين فاحاطت بالتتار العساكر من كل جانب وقتلوا منهم خلقا كثيرا

وقتل مقدمهم تناون وغالب كبرائهم واسر منهم جماعة كثيرة صاروا امراء وكان من جملة المأسورين في هذه الوقعة سيف الدين قبجق وسيف الدين ارسلان وقتل من المسلمين ايضا جماعة فكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير وسيف الدين قيماز وسيف الدين تنجو الجاشنكير وعز الدين ايبك الثقفي وهرب البرواناه (من امراء الروم الذين كانوا مع التتار) فنجا بنفسه ودخل قيسارية فى بكرة الأحد ثانى عشر ذي القعدة واعلم امراء الروم وملكهم بكسرة التتر على البلستين واشار عليهم بالهزيمة فانهزموا منها واخلوها

واما الملك الظاهر فأنه بعد فراغه من هذه الوقعة سار الى قيسارية واستولى عليها وكان الحاكم بالروم يومئذ معين الدين سليمان البرواناه وكان يكاتب الملك الظاهر في الباطن وكان يظن الملك الظاهر انه اذ وصل الى قيسارية يصل اليه البرواناه على ما كان اتفق معه فى الباطن فلم يحضر البرواناه لما اراده الله من هلاكه على ما نذكره ان شاء الله تعالى ودخل الملك الظاهر قيسارية سابع عشر ذي القعدة بعد ان حاصر اهلها وارسلوا اليه يطلبون الأمان فأرسل لهم الأمان على يد الأمير بيسري فسلموا المدينة وكان دخوله الى المدينة يوماً مشهوداً فنزل بدار السلطنة وصلى بها الجمعة وخطب له بها واقام عليها سبعة ايام ثم رحل عن قيسارية فى الثانى والعشرين من ذي القعده وحصل للعسكر شدة عظيمة من نفاد القوت والعلف وعدمت غالب خيولهم ووصلوا الى عمق حارم واقاموا به شهراً ثم رحلوا وتوجهوا الى دمشق وسارت بذلك البشائر الى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله

ولما بلغ خبر هذه الوقعة ابغا بن هولاكو ساق في جموع المغول حتى وصل الى

البلستين وشاهد مكان المعركة وشاهد عسكره صرعى ولم يشاهد احداً من عسكر الروم مقتولاً فغاظه ذلك واعظمه وحنق على البرواناه اذ لم يعلمه بجلية الحال وكان يظن ان امر الظاهر دون هذا كله واشتد غضبه على اهل قيسارية واهل تلك الناحيه فقتل منهم قريبا من مائتي الف انسان وقيل قتل منهم خمسمائة الف من قيسارية وارزن الروم وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب ثم سار ابغا الى الأردو وصحبته معين الدين البرواناه فلما استقر بالاردو امر بقتل البرواناه فقتل وقتل معه نيفاً وثلاثين نفساً من مماليكه وخواصه واسم البرواناه المذكور سليمان والبرواناه لقب وهو الحاجب بالعجمى وكان مقتله بالاطاغ وكان البرواناه حازما بتدبير المملكة ذا مكر ودهاء

(سنة ٦٧٦)

﴿ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس وآثاره بهذه البلاد﴾

قال ابن اياس في هذه السنة دخل السلطان الى حلب [بعد رجوعه من محاربة التتار] فتوعك جسده واخذته الحمى وسلسل في المرض فاسقاه الحكماء دواء مسهلاً فأفرط فى الأسهلال وثقل فى المرض فرحل من حلب وقصد الدخول الى دمشق فمات في بعض ضياع دمشق فلما مات كتم موته عن العسكر وحمل فى محفة الى ان دخل دمشق فدفن هناك ليلاً وكان موته يوم الخميس في الثامن والعشرين من المحرم وله من العمر نحو ستين سنة وكان ملكا عظيما جليلاً مهيبا كثير الغزوات خفيف الركاب يحب السفر والحركة فى الشتاء والصيف وكان مشهوراً بالفروسية في الحرب وله اقدام وعزم وقت القتال وله ثبات عند التقاء الجيوش فى الحرب .

قال ابن كثير لما مات الظاهر جعلوه في تابوت ورفعوه الى القلعة من السور فجعلوه في بيت من بيوت البحرية الى ان نقل الى تربته التي بناها ولده بعد موته وهي دار العقيقي تجاه العادلية ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة (١) قال وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة وكذلك ابن شداد الحلبي ايضا وذكر ثمة آثاره في البلاد المصرية وغيرها وله في تاريخ ابن شاكر المسمى بفوات الوفيات ترجمة حافلة مطولة وذكر ماله من الآثار في هذه البلاد وهي مصطبة كبيرة مرخمة بالميدان الأخضر شمالي حلب . جسر القامة . جامع بانطاكية مكان الكثيب . جامع في بغراس وانشأ قلعة البيرة وبنى بها الأبرجة ووسع خندقها وجدد جامعها . بناء ما تهدم من قلعة عين تاب . اصلاح قلعة شيزر . وبعد وفاة الظاهر اقيم في الملك ولده الملك السعيد بركة وكان ذلك في اوائل ربيع الأول

(سنه ٦٧٧)

﴿ ذكر وصول العساكر الى بلد سيس ﴾

قال ابن شداد في الأعلاق الخطيرة كان الملك السعيد خرج من مصر الى الشام فعند وصوله جرد الأمير بيسري الشمسي الى حلب واغار على قلعة الروم ثم كتب الى الملك السعيد بأن صاحب سيس وصلتني رسله وهو يتضرع ويسأل ان يحمل الى الخزائن المعمورة مائتى الف درهم ويعفي من طروق العساكر المنصورة بلاده فخرج الامير سيف الدين قلاون الالفي وصحبته العسكر وهو المقدم عليهم وعلى من بالشام من العسكر المتقدم فسار الى ان وصل الى حلب ثم رحل ودخل طرسوس وصحبته الأمير بدر الدين بيسري فشن الغارة عليها ونهب بلدها وغنم العسكر

(١) وتربته معروفة مشهورة وفيها الآن المكتبة المعروفه بالمكتبة الظاهرية وقبره رحمه الله في وسط هذا المكان

غنيمة صالحة وعاد الى دمشق ثم ملك الديار المصرية والشامية ونعت نفسه بالملك المنصور اهـ

سنة ٦٧٨

ذكر خلع الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر واقامة اخيه سلامش ثم خلعه

فى هذه السنة خلع الملك السعيد بركة وارسل الى الكرك واقيم اخوه بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر ولقبوه الملك العادل وعمره اذ ذاك سبع سنين وشهور وكان القائم بتدبير دولته قلاون الألفي ثم خلعه وتسلطن مكانه

ذكر سلطنة الملك المنصور قلاون الصالحى

قال ابن اياس هو السابع من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية تسلطن بعد خلع الملك العادل سلامش يوم الاحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة وتلقب بالملك المنصور وكان اصله من مماليك آق سنقر الكاملي. قال ابو الفدا ولما تولى السلطنة اقام منار العدل واحسن السياسة وقام بتدبير المملكة احسن قيام

ذكر خروج سنقر الأشقر عن الطاعة وسلطنته بالشام

قال ابو الفداء فى الرابع والعشرين من ذي القعدة جلس سنقر الأشقر بدمشق فى السلطنة وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر

سنة ٦٧٩

ذكر وفاة آقوش الشمسى نائب السلطنة بحلب وتولية علم الدين سنجر

قال ابو الفداء فى هذه السنة توفي آقوش الشمسى نائب السلطنة بحلب وولى

السلطان الملك المنصور قلاون على حلب علم الدين سنجر الباشقردي اهـ

ذكر كسرة سنقر الاشقر الخارج على السلطان قلاون

قال ابو الفداء ماخلاصته لما عصى سنقر الأشقر بدمشق وتسلطن بها جهز الملك المنصور قلاون اليه عساكر ديارمصرمع علم الدين سنجر الحلبي والتقى الفريقان بظاهر دمشق فولى الشاميون وسنقر الأشقر منهزمين واتى سنقر الى الرحبة وكاتب ابغا بن هولاكو ملك التتر واطمعه فى البلاد وكان عيسى بن مهنا ملك العرب مع سنقر الأشقر وقاتل معه وكتب بذلك الى ابغا ايضا موافقة له ثم سار سنقر الأشقر من الرحبة الى صهيون فى جمادى الاولى من هذه السنة واستولى عليها وعلى برزية وبلاطنس والشغر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت هذه الأماكن له

ذكر مجيء التتار الى حلب وعودهم ثم رجوعهم

قال ابن كثير ان السلطان الملك المنصور قلاون ارسل طائفة من الجيش لحصار شيزر (وقد قدمنا انها صارت بيد سنقر الاشقر) فبينما هم كذلك اذ اقبلت التتر من كل فج لما سمعوا بتفريق كلمة المسلمين فانجفل الناس من ايديهم من سائر البلاد الى الشام ومن الشام الى مصر فوصلت التتار الى حلب وقتلوا خلقا كثيرا ونهبوا شيئا كثيرا وظنوا ان جيش سنقر الأشقر يكون معهم على الملك المنصور قلاون فوجدوا الامر بخلاف ذلك وذلك ان المنصور كتب الى سنقر الاشقر ان التتار قد اقبلوا الى المسلمين والمصلحة انا نتفق عليهم لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم واذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا احداً فكتب اليه سنقر بالسمع والطاعة وبرز من حصنه فخيم بجيشه ليكون على اهبة متي طالب اجاب ونزلت نوابه من

حصونهم وبقوا مستعدين لقتال التتار وخرج الملك المنصور من مصر في اواخر جمادي الأولى ومعه العساكر. وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان انه قد عهد بالملك الى ابنه علي ولقب بالملك الصالح فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التتر من حلب الى بلادهم وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ففرح المسلمون بذلك ولله الحمد.

وقال ابو الفداء في حوادث هذه السنة ان الملك المنصور ارسل عسكرا الى شيزر وهي لسنقر الاشقر وجرى بينهم مناوشة ثم انه ترددت الرسل بين السلطان وبين سنقر الأشقر واحتاج السلطان الى مصالحته لقوة اخبار التتر ووقع بينهم الصلح على ان يسلم شيزر الى السلطان ويتسلم سنقر الأشقر الشغر وبكاس وكانتا قد ارتجعتا منه فتسلم نواب السلطان شيزر وتسلم الشغر وبكاس سنقر الأشقر وحلفا على ذلك واستقر الصلح بينهما اه وتقدم انه على اثر هذا الصلح عاد التتر من حلب

وقال ابن اياس في حوادث هذه السنة فيها جاءت الاخبار ان ملك التتار زحف على البلاد وارسل اخاه منكوتمر في جاليش العسكر وقد وصلوا الى حلب وملكوا ضياعها واشرفوا على اخذ المدينة فلما بلغ الملك المنصور قلاون الالفي ذلك خرج بنفسه هو والامراء على جرائد الخيل فلما وصل الى غزة جاءت الاخبار بأن منكوتمر اخا ابغا لما بلغه مجيء السلطان نهب البلاد واحرق الضياع وقتل الرعية وآذى البرية ثم رجع الى بلاده. فلما بلغ السلطان رجع من غزة الى القاهرة. فجاءت الأخبار بأن التتار رجعوا الى حلب وافحشوا في حق الرعية اعظم ما فعلوا في الأول فخرج اليهم السلطان ثانيا وجد في السير فتلاقى مع عسكر التتار على المرج

الاصغر فكان بينهما واقعة عظيمة وذلك في سنة ثمانين وستمائة

سنة ٦٨٠

ذكر الوقعة العظيمة مع التتر على حمص وانكسارهم عليها

قال ابو الفداء فى هذه السنة اعنى سنة ثمانين وستمائة فى شهر رجب كان المصاف العظيم بين المسلمين وبين التتار بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعد ما كانوا قد ايقنوا بالبوار وكان من حديث هذا المصاف العظيم ان ابغا بن هولاكو حشد وجمع وسار بهذه الحشود طالبا الشام ثم انفرد ابغا المذكور عنهم وسار الى الرحبة وسير جيوشه وجموعه الى الشام وقدم عليها اخاه منكوتمر بن هولاكو وسار الى جهة حمص .

قال ابن كثير لما اقترب مجيء التتار كتب السلطان المنصور قلاون الى مصر وغيرها من البلاد يستدعى الجيوش فدخل محمد بن حجي ومعه بشر كثير من الأعراب وجاء صاحب الكرك المسعود نجدة للسلطان يوم السبت الثانى عشر من جمادى الآخرة وقدم الناس عليه ووفدوا اليه من كل جانب وجائته التركمان والأعراب وكثرت الاراجيف بدمشق وكثرت العساكر بها وانجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحى وتركوا الغلات والأموال خوفا من ان يدهمهم العدو من التتار ووصلت التتر صحبة منكوتمر بن هولاكو الى عين تاب وسارت العساكر المنصورة الى نواحى حلب يتبع بعضها بعضا ونازلت التتر بالرحبة في اواخر جمادى الآخرة طائفة من الأعراب وكان فيهم ملك التتار ايضا مختفيا ينظر ماذا يصنع اصحابه وكيف يقاتلون اعدائه ثم خرج الملك المصور من دمشق وكان خروجه منها في اواخر جمادى وقنت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد

وغيرها في الصلوات وغيرها ولما انتهى السلطان الملك المنصور الى حمص كتب
الى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه اليه نجدة فجاء الى خدمته فاكرمه
السلطان واحترمه ورتب له الاقامات وتكاملت الجيوش كلها في صحبة الملك
المنصور عازمين على لقاء العدو لامحالة مخلصين فى ذلك واجتمع الناس بعد خروج
السلطان في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين ايديهم وجعلوا يبتهلون
الى الله تعالى في نصرة الأسلام واهله على الأعداء وخرجوا كذلك والمصحف على
رؤسهم الى المصلى يدعون ويبتهلون ويبكون واقبلت التتار قليلا قليلا فلما وصلوا
حماة احرقوا بستان الملك وقصره وما هناك من المساكن والسلطان المنصور مخيم
بحمص في عساكر من الأتراك والتركمان وغيرهم فى جحفل كثير جدا فاقبلت
التتر فى مائة الف مقاتل او يزيدون [في ابى الفداء كان عدتهم ثمانين الفا]
ولما كان يوم الخميس رابع عشر شهر رجب التقى الجمعان وتواجه الخصمان عند
طلوع الشمس وعسكر التتر في مائة الف فارس وعسكر المسلمين على النصف
من ذلك اويزيدون قليلا والجمع فيما بين مشهد خالد بن الوليد الى الرستن
فاقتتلوا قتالا عظيما لم ير مثله من اعصار متطاولة فاستظهر التتار اول النهار وكسروا
الميسرة واضطربت الميمنة ايضا وانكسر جناح القلب الأيسر وثبت السلطان
ثباتا عظيما جدا فى جماعة قليلة وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين والتتر فى آثارهم
حتى وصلوا وراءهم الى بحيرة حمص ووصلوا الى حمص وهى مغلقة الأبواب
فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم واشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ثم
ان اعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تآمروا فيما بينهم مثل سنقر الاشقر
وبيسرى وطيبرس الوزيري وامير سلاح وايتمش السعدى وحسام الدين لاجين
وحسام الدين طرنطاي والدواداري وامثالهم لما رأوا ثبات السلطان ردوا الى

السلطان وحملوا حملات متعددة صادقة ولم يزالوا يتتابعون الحملة بعد الحملة حتى
كسر الله بحوله وقوته التتر وخرج منكوتمر وجاءهم الامير عيسى بن مهنا ناحية
العرض فصدم التتر فاضطربت الجيوش لصدمته وتمت الهزيمة ولله الحمد وقتلوا
من التتر مقتلة عظيمة جدا ورجعت الطائفة من التتر الذين اتبعوا المسلمين
المنهزمين فوجدوا اصحابهم قد كسروا والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون
والسلطان ثابت فى مكانه تحت الصناجق والكوسات تضرب خلفه وما معه الا
نحو الف فارس فطمعوا فيه فقتلوه فثبت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه
فلحقهم فقتل اكثرهم وكان ذلك تمام النصر وكان انهزام التتر قبل الغروب
وافترقوا فرقتين اخذت فرقة منهم الى ناحية سلمية والبرية والأخرى الى ناحية
حلب والفرات فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما
وقع من النصر الى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب فدقت البشائر وزينت
البلد واوقدت الشموع وفرح الناس فلما اصبح الناس يوم السبت اقبلت طائفة
من المنهزمين منهم بيلبك الناصري والجالق وغيرهم فأخبروا الناس بما شاهدوا من
الهزيمة فى اول الأمر ولم يكونوا شاهدوا ما بعد ذلك فبقي الناس فى قلق عظيم
وخوف شديد وتهيأ ناس كثير للهرب فبينما الناس في ذلك اذ اقبلت البريدية
واخبروا الناس بصورة ماوقع في اول الأمر وآخره فتراجع الناس وفرحوا
فرحا شديدا ولله الحمد ثم دخل السلطان الى دمشق يوم الجمعة الثانى والعشرين
من رجب وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شعف رؤس القتلى منهم
وكان يوما مشهوداً ومع السلطان طائفة من اصحاب سنقر الأشقر منهم علم
الدين الدواداري فنزل السلطان بالقلعة مؤيدا منصورا وقد كثرت له المحبة والأدعية
وكان سنقر الأشقر قد ودع السلطان من حمص ورجع الى صهيون واما التتر

فأنهم انهزموا في اسوء حال واتعسه يتخطفون من كل جانب ويقتلون في كل فج حتى وصلوا الى الفرات فغرق اكثرهم ونزل اليهم اهل البيرة فقتلوا منهم خلقا كثيراً واسروا منهم آخرين والجيوش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى اراح الله منهم الناس وقد استشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين ازدمر الجهدار وهو الذى جرح ملك التتار يومئذ منكوتمر فأنه خاطر بنفسه واوهم انه مقفز اليه وقلب رمحه حتى وصل اليه فطعنه فجرحه فقتلوه رحمه الله تعالى ودفن بالقرب من مشهد خالد وخرج السلطان من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الأحد ثانى شعبان والناس يدعون له ودخل مصر في ثاني عشر شعبان

قال ابو الفداء كان عدة التتر ثمانين الف فارس منهم خمسون الفاً من المغل والباقي خشود وجموع من اجناس مختلفة مثل الكرد والأرمن والعجم وغيرهم ولما وصل خبر هذه الكسرة الى ابغا وهو على الرحبة يحاصرها رحل عنها على عقبه منهزما وكتب بهذا الفتح العظيم الى سائر البلاد الأسلامية فزينت لذلك (ثم قال) ومات منكوتمر بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان بجزيرة ابن عمر مكمودا عقب كسرته على حمص وكان موته من جملة هذا الفتح العظيم

(سنة ٦٨١)

قال ابو الفداء فيها ولى السلطان مملوكه شمس الدين قرا سنقر نيابة السلطنة بحلب فسار اليها واستقر

(سنة ٦٨٢)

قال ابن الوردي فيها تسلم عسكر حلب لكختا بمكاتبة حكامها قراسنقر وصارت من اعظم الثغور نفعا

سنة ٦٨٤

﴿ ذكر تجديد المحراب الكبير في الجامع الأعظم ﴾

قال في كراسة عندي تكلم فيها على الجامع الاعظم. واما المحراب الكبير فقد جدد بعد حريقه في ايام السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون فى شهر رجب سنة اربع وثمانين وستمائة فى كفالة قراسنقر المنصورى وفيه انحراف اه .

تاريخ حريقه

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة لما استولى التتار المخذولون على حلب يوم الأحد عاشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة دخل صاحب سيس الى الجامع وقتل به خلقا كثيرا واحرق الجانب القبلي منه واخذ الحريق قبلة وغربا الى المدرسة الحلاوية واحترق سوق البزازين فعرف عماد الدين القزوينى لهولاكو ما اعتمده السيسيون من الاحراق للجامع واعفائهم كنائس النصارى فأمر هولاكو برفع ذلك واطفاء النار وقتل السيسيين فقتل منهم خلقا كثيراً ولم يقدروا على اطفاء النار فأرسل الله عز وجل مطراً عظيماً فاطفاها ثم اعتنى نور الدين يوسف بن ابى بكر بن عبد الرحمن السلماسي الصوفى بتنظيف الجامع ودفن ما كان فيه من قتلى المسلمين فى جباب كانت بالجامع للغلة فى شماليه ولما مات عز الدين احمد احد البتكجية وليس معناه الكاتب مطلقا انما معناه الذي يكتب الكتب (١) خرج عن ماله جميعه لله تعالى فقبضه اخوه وتصدق ببعضه وعمر حائط الجامع منه فأصرف عليه عشرون الف درهم منها ثمانية عشر الفاً لبنائه والفان لحصره ومصابيحه (قلت) ولما ملك السلطان الملك الظاهر حلب امر بتكليس الحائط الذى بني وعقد الجملون على الحائط القبلى وكذا الحائط الغربي من جهة الصحن وعمل له سقفاً متقناً اه

---

(١) قلت فعلى هذا يقتضى ان تكون هذه الكلمة الكتبجية

اقول يظهر انه لم يبن جميع الحائط القبلى وبقي محل المحراب الى ان امر بعمارته الملك المنصور قلاون فى هذه السنة في ولاية قراسنقر كما هو محرر على الجدار فوق المحراب ونص ذلك(امر بعمارته بعد حريقه مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون عز الله تعالى نصره)

وكتب تحت ذلك فوق المحراب ما نصه | بالأشارة العالية المولوية الأميرية الشمسية قراسنقر الجوكندار الملكى المنصوري . وكتب على الجدار تحت المنبر (امر بعمله الحقير العالى الاميرى قراسنقر الجوكندار المنصوري عز نصره)

(سنة ٦٨٩)

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور قلاون الصالحي

وسلطنة ولده الأشرف خليل

قال ابو الفداء ما خلاصته فى هذه السنة في ذى القعدة توفي الملك المنصورسيف الدنيا والدين قلاون الصالحى وكانت مدة ملكه احدى عشر سنة وثلاثة اشهر ولما توفي جلس فى الملك بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل

سنة ٦٩٠

ذكر عمارة قلعة حلب بعد خرابها

قال ابو الفداء وفي اوائل هذه السنة اعنى سنة تسعين تكملت عمارة قلعة حلب وكان قد شرع قراسنقر فى عمارتها فى ايام السلطان الملك المنصور فتمت في ايام الملك الأشرف فكتب اسمه عليها وكان قد خربها هولاكو لما استولى على حلب في سنة ثمان وخمسين وستمائة فكان لبثها على التخريب نحو ثلاثة وثلاثين سنة بالتقريب اه

قال بيشوف في تاريخه مكتوب جانب الباب الأوسط في القلعة
(بالأشارة العالية المولوية الأميرية الشمسية قراسنقر الجوكندار المنصوري الأشرفي كافل المملكة الحلبية اعز الله نصره) وعلى ظاهر القصر فوق باب القلعة (امر بعمارته بعد اهماله واشرافه على الدثور في ايام مولانا السلطان الأعظم الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ناصر الأسلام والمسلمين عماد الدولة ركن الملة مجير الأمة ظهير الخلافة نصير الأمامة سيد الملوك والسلاطين سلطان جيوش الموحدين ناصر الحق بالبراهين محي العدل في العالمين)
وعلى الباب الوسطاني في القلعة (امر بعمارته بعد دثوره السلطان الاعظم الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل محي الدولة الشريفة العباسية ناصر الملة المحمدية عز نصره)

سنة ٦٩١

ذكر فتوح قلعة الروم وعزل قراسنقر عن حلب

وتولية سيف الدين بلبان الطباخي

قال ابو الفداء فى هذه السنة سار السلطان الملك الأشرف من مصر الى الشام وجمع عساكره المصرية والشامية وسار الملك المظفر محمود وعمه الملك الأفضل الى الى خدمته والتقياه بدمشق وسارا فى خدمته وسبقاه فاهتم الملك المظفر صاحب حماة فى امر الضيافة والاقامة والتقدمة ووصل السلطان الى حماة (الى ان قال) واما العساكر فسارت على السكة الى حلب ثم فصل السلطان الى حلب وتوجه منهـا الى قلعة الروم في العشر الاول من جمادى الآخرة من هذه السنة وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة ونصب عليها المجانيق (عند ابن كثير

ان المجانيق كانت تزيد على ثلثين منجنيقا) وهذا الحصار من جملة الحصارات التي شاهدتها وكانت منزلة الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكنا نشاهد احوال اهلها في مشيهم وسعيهم في القتال وغير ذلك واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف في يوم السبت حادي عشر رجب من هذه السنة وقتل اهلها ونهب ذراريهم واعتصم كيناغياوس خليفة الارمن المقيم بها في القلة وكذلك اجتمع بها من هرب من القلعة وكان منجنيق الحمويين على رأس الجبل المطل على القلة فتقدم مرسوم السلطان الى صاحب حماة ان يرمى عليهم بالمنجنيق فلما وترناه لنرمى عليهم طلبوا الامان من السلطان فلم يؤمنهم الا على ارواحهم خاصة وان يكونوا اسرى فأجابوا الى ذلك واخذ كيناغيلوس وجميع من كان بقلة القلعة اسرى عن آخرهم ورتب السطان علم الدين سنجر الشجاعى لتحصين القلعة واصلاح ماخرب منها وجرد معه لذلك جماعة من العسكر واقام الشجاعي وعمرها وحصنها الى الغاية القصوى ورجع السلطان الى حلب ثم الى حماة وقام الملك المظفر بوظائف خدمته ثم توجه السلطان الى دمشق واعطى الملك المظفر الدستور فأقام ببلده وسار السلطان الى دمشق وصام بها رمضان وعيد بها ثم سار الى الديار المصرية وعند عود السلطان الى حلب من قلعة الروم عزل قراسنقر المنصورى عن نيابة السلطنة بحلب واستصحبه معه وولى موضعه على حلب سيف الدين بلبان المعروف بالطباخي

سنة ٦٩٢

ذكر استيلاء الملك الاشرف على قلعة بهسى وقلعة مرعش وتل حمدون

قال ابن اياس في هذه السنة توجه الملك الأشرف من مصر الى دمشق فعرض

عليه العسكر بدمشق وعين جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ليتوجهوا الى نحو سيس فلما وصلوا الى سيس ارسل صاحبها يطلب الأمان فأرسل الأمراء يكاتبون السلطان بذلك فعاد الجواب من السلطان ان كان صاحب سيس يسلم هذه القلاع الثلاث وهي قلعة بهسني وقلعة مرعش وتل حمدون فأعطوه الأمان وان لم يسلم هذه القلاع الثلاث فحاصروه فلما وصلت مراسيم السلطان بذلك سلم صاحب سيس تلك القلاع الثلاث وحصل الصلح ورجع العسكر من سيس

سنة ٦٩٣

﴿ ذكر مقتل الملك الأشرف خليل وسلطنة اخيه ﴾

قال ابو الفداء فى اوائل المحرم قتل السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاون وساق سبب ذلك واقيم في السلطنة مكانه اخوه الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون

(سنة ٦٩٤)

ذكر استيلاء زين الدين كتبغا على المملكة

قال ابو الفداء في هذه السنة في تاسع المحرم جلس الامير زين الدين كتبغا المنصورى على سرير المملكة ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا واستحلف الناس على ذلك وخطب له بمصر والشام ونقشت السكة بأسمه وجعل مولانا السلطان الملك الناصر فى قاعة بقلعة الجبل وحجب عنه الناس ولما تملك زين الدين كتبغا المذكور جعل نائبه فى السلطنة حسام الدين لاجين الذي كان مستترا بسبب قتل السلطان الملك الاشرف

﴿ ذكر اسلام قازان خان ملك التتر ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنه في ذي الحجه استقر قازان خان بن ارغون بن ابغا ابن هولاكو بن طلو بن جنكزخان في المملكة

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته غازان واسمه بالعربي محمود ولي امر الملك بالبلاد الشرقية في سنة اربع وتسعين وستمائة عوضاً عن القان بيدو بن طرغاي ابن هولاكو وكان وزيره ومدبر مملكته زوج عمته الامير نوروز التركي فحرضه على الأسلام فأسلم في شعبان من هذه السنة بخراسان على يد الشيخ الكبير المحدث صدر الدين ابراهيم بن الشيخ عبد الله بن حمويه الجويني وذلك بقرب الري بعد خروجه من الحمام وجلس مجلساً عاماً فتلفظ بشهادة الحق وهو يتبسم ووجهه يستنير ويتهلل وكان شابا اشقر مليحاً له اذ ذاك بضع وعشرون سنة وضج المسلمون حوله عندما اسلم ضجة عظيمة من المغل والعجم وغيرهم ونثر على الخلق الذهب واللؤلؤ وكان يوماً مشهوداً وفشى الأسلام في حاشيته بتحريض الامير نوروز المذكور فأنه كان مسلماً خيرا صحيح الأسلام يحفظ كثيراً من القرآن والرقايق والأذكار ثم شرع نوروز يلقن الملك غازان شيئاً من القرآن ويجتهد عليه ودخل رمضان فصامه ولولا هذا الفوز الذي حصل له في الأسلام والا كان قد استباح الشام لما غلب عليه فلله الحمد والمنة اه وسيأتيك خبر مجيئه الى هذه البلاد سنة ٦٩٩

وقال ابن كثير في هذه السنة ملك التتار قازان بن ارغون فاسلم واظهر الاسلام على يد الأمير نوروز رحمه الله تعالى ودخلت التتر او اكثرهم في الأسلام ونثر الذهب واللؤلؤ والفضة على رؤس الناس يوم اسلامه وتسمي بمحمود وشهد

الجمعة والخطبة وخرب كنائس كثيرة وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد وظهرت السبح والهياكل مع التتر والحمد لله وحده اه

(سنه ٦٩٦)

ذكر خلع الملك العادل كتبغا واستيلاء حسام الدين لاجين على المملكة

قال ابو الفداء ماخلاصته في هذه السنة حصلت وقعة بين الملك العادل كتبغا وبين نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين فى دمشق ادت الى خلع الملك كتبغا نفسه وطلب الأمان واقيم فى السلطنة حسام الدين لاجين وبايعه الامراء ولقب بالملك المنصور وشرط عليه الأمراء شروطا منها ان لا ينفرد عنهم برأي ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فأجابهم لاجين الى ذلك ثم رحل بالعساكر المصرية الى مصر واعطى للعادل كتبغا صرخد

﴿ذكر قتل الأمير نوروز﴾

قال ابن كثير في هذه السنة قتل قازان نوروز الذى كان اسلامه على يديه كان نوروز هو الذى استسلمه ودعاه الى الأسلام فاسلم واسلم معه اكثر التتر فأن التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب اليه وكان نوروز هذا من خيار امراء التتر عند قازان ولقد اسلم على يديه خلق كثير لا يعلمهم الا الله واتخذوا السبح والهياكل وحضروا الجماعات وقرأوا القرآن انتهى

سنة ٦٩٧

ذكر تجريد العساكر الى حلب ودخولهم الى بلاد سيس

وعودهم الى حلب ثم دخولهم ثانيا وما فتحوه

قال ابو الفداء في هذه السنة جرد حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور جيشا كثيفا من الديار المصرية مع بدر الدين بكتاش الفخري المعروف بامير سلاح ومع علم الدين سنجر الدواداري ومع شمس الدين كريته ومع حسام الدين لاجين الرومي المعروف بالحسام استاذدار فساروا الى الشام ورسم لاجين المذكور بمسير عساكر الشام فسار البكي الظاهري نائب السلطنة بصفد ثم بعد مدة سار سيف الدين قبجق نائب السلطنة بالشام واقام قبجق ببعض العسكر بحمص وسارت العساكر الى حلب وسار الملك المظفر محمود صاحب حماة بعسكره ووصل المذكورون الى حلب يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وسابع نيسان ثم ساروا الى بلاد سيس فعبر صاحب حماة والدواداري ومن معهما من العساكر من دربندمري وعبر باقي العساكر من جهة بغراس من باب اسكندرونة واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغارات على بلاد سيس في العشر الاوسط من شهر رجب وكسبوا وغنموا وعادوا فخرجوا من دربند بغراس الى مرج انطاكية في الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة الموافق لرابع ايار وسار صاحب حماة الملك المظفر الى جهة حماة حتى وصل الى جهة قصطون فورد مرسوم لاجين بعود العساكر واجتماعهم بحلب ودخولهم الى بلاد سيس ثانياً وهذه الغزاة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من اولها الى آخرها فعدنا الى حلب ووصلنا اليها في يوم الأحد الثامن والعشرين من رجب واقمنا ثم

رحلنا من حلب ثالث رمضان من هذه السنة الموافق للعشرين من حزيران واقام على حموص بدر الدين بكتاش امير سلاح والملك المظفر صاحب حماة ومن انضم اليهما من عسكر دمشق مثل ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجالق ومضافيه من عسكر دمشق وحاصرنا حموص وضايقناها واما باقي العسكر فأنهم نزلوا اسفل من حموص فى الوطاة واستمر الحال على ذلك وقل الماء في حموص واشتد بهم العطش وكان قد اجتمع فيها من الأرمن عالم عظيم ليعتصموا بها وكذلك اجتمع فيها من الدواب شيء كثير فهلك غالبهم فى العطش

ولما اشتد بهم الحال وهلكت النساء والأطفال اخرج اهل حموص فى الخامس والعشرين من رمضان وهو سابع عشر يوماً من نزولنا عليها من نسائهم نحو الف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العسكر وغنموهم فكان قسمي جاريتين ومملوكاً واصابنا ونحن نازلون على حموص في العشر الأوسط من شهر تموز ضباب قوي ومطر وحصل للملك المظفر وهو نازل على حموص قليل مرض ولم يكن صحبته طبيبه فاقتصر على ما كنت اصفه له واعالجه به فشفاه الله تعالى وعاد الى العافية وانعم علي واحسن الي على جاري عادته وكانت خيمته المصوبة على حمص خيمة ظاهرها احمر قد عملها من اكسية مغربية وداخلها منقوش بالخام الرفيع المصبغ وكانت الامراء الذين لم ينازلوا حمص وهم مقيمون في الوطاة اذا عرض لهم ما يقتضي المشاورة يطلعون الى الجبل ويجتمعون فى خيمة الملك المظفر وبين يديه يتشاورون على ما فيه المصلحة واستمر الحال على ذلك الى ان فتحت حموص وغيرها على ما سنذكره

ثم قال ولما دخلت العساكر الى سيس ونازلت حموص كان ملك الأرمن سنباط ولما ضاقت على الأرمن البلاد بما رحبت وهلكوا من كثرة ما قتل وغنم منهم

المسلمون نسبوا ذلك الى سوء تدبير سنباط وعدم مصانعته للمسلمين فتركوه واتفقوا على اقامة اخيه دندين بن ليفون في المملكة والقبض على سنباط واجتمع الأرمن على دندين فأحس سنباط بذلك فهرب الى جهة قسطنطينية وتملك دندين ويقال له كسيندين ايضا فلما تملك دندين المذكور ارسل الى العساكر المقيمة في بلاد سيس على حموص وعلى غيرهـا وبذل لهم الطاعة والاجابة الى ما يريدهم به سلطان الاسلام وانه نائب السلطان بهذه البلاد فطلب منه العسكر ان يكون نهر جيحان حدا بين المسلمين والارمن وان يسلم كل ماهو جنوبي نهر جيحون من الحصون والبلاد فأجاب دندين المذكور الى ذلك وسلم جميع البلاد التي جنوب نهر جيحان المذكور الى المسلمين منهـا حموص وتل حمدون وكوبرا والنقير وحجر شغلان وسرفندكار ومرعش وهذه جميعها حصون منيعة مانرام وكذلك سلم غيرها من البلاد وكان تسليم حموص يوم الجمعة تاسع عشر شوال من هذه السنة ووافق ذلك ثامن شهر آب وسلمت تل حمدون بعدها ثم سلمت باقي الحصون والبلاد المذكورة وامر حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور باستمرار عمـارة هذه البلاد وكان ذلك رأيا فـاسدا على ما سيظهر من عود هذه البلاد الى الأرمن عند دخول قازان البلاد (ثم قال) وعدنا من بلاد سيس ودخلنا حلب تاسع ذي القعدة

ولما اقمنا بها ورد مرسوم حسام الدين لاجين الى سيف الدين بلبان الطباخي [نائب حلب] بالقبض على جماعة من الأمراء المجردين مع العسكر فعلموا بذلك وكان قفجق مقيما بحمص مستشعرا خائفاً من لاجين المذكور فهرب من حلب فارس الدين البكي نائب السلطنة بصفد وكان من جملة العسكر المجردين على حلب وكذلك هرب السلحدار وبورلار وغراز ووصلوا الى حمص واتفقوا مع سيف الدين

قبجق على العصيان . ولما هربوا ساق خلفهم ايدغدى شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب مع جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق ففاتهم قبجق ومن معه وعبروا الفرات واتصلوا بقازان ملك التتر فاحسن اليهم واقاموا عنده حتى كان منهم ماسنذكره انشاء الله تعالى

سنة ٦٩٨

ذكر قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين وسلطنة

الملك الناصر محمد بن قلاون

في هذه السنة قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين قتله جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر . واقيم في السلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون وهي سلطنته الثانية

ما احتج به قازان ملك التتر في قصده هذه البلاد ايضا

قال ابو الفدا في هذه السنة ارسل سيف الدين بلبان الطباخى [نائب السلطنة بحلب] عسكرا الى ماردين فنهبوا ربض ماردين حتى نهبوا الجامع وعملوا الافعال الشنيعة وذلك كان حجة لقازان فى قصد البلاد على ماسنذكره

في هذه السنة فى رمضان الموافق لحزيران من شهور الروم جرد الملك المظفر عسكر حماة الى حلب بسبب حركة التتر الى جهة الشام فسرنا من حماة الى المعرة وورد كتاب سيف الدين بلبان الطباخي بتراخي الأخبار فعدنا من المعرة الى حماة فورد كتابه بطلبنا فأعادنا الملك المظفر من حماة فى يوم وصولنا اليها وهو يوم الأربعا سابع عشر رمضان وحزيران فسرنا ودخلنا حلب في الثانى والعشرين من رمضان من هذه السنة ثم ارسل الملك المظفر وطلبني من نائب السلطنة

بمفردي فأعطاني سيف الدين بلبان الطباخي دستورا فسرت الى حماة الى خدمة ابن عمي الملك المظفر واستمر اخواي وغيرهما من الأمراء والعسكر مقيمين بحلب واقمت انا عند الملك المظفر بحماة اه

ثم قال وفيها سار مولانا السلطان الملك الناصر من الديار المصرية بعساكر مصر الى بلاد غزة واقام بها حتى خرجت هذه السنة

سنة ٦٩٩

ذكر المصاف العظيم الذى كان بين المسلمين والتتر

واستيلاء التتر على دمشق وخروجهم منها وعزل سيف الدين بلبان عن حلب وتوليتها الى قراسنقر للمرة الثانية

قال ابن اياس في حوادث هذه السنة فيها جاءت الأخبار من حلب بأن قازان ملك التتار قد زحف على البلاد ووصل اوائل عسكره الى الفرات وهو في عسكر ثقيل لايحصى وغازان هذا هو ابن ابغا بن هولاكو الذى اخرب بغداد وقتل الخليفة وجرى منه ماجرى . وكان سبب مجيء قازان وزحفه على البلاد هو ان قبجق نائب الشام لما بلغه ان الملك المنصور لاجين ارسل بالقبض عليه اخذ اولاده وعياله وبركه وماله وخرج من الشام وتوجه هاربا الى القان قازان وحسن له ان الملك الناصر صغير وان الأمراء والعسكر بينهم الخلف وانه اذا زحف القان غازان على البلاد لايجد من يرده عنها فعند ذلك جمع القان غازان عساكر عظيمة نحو مائتي الف مقاتل ولما وصل الخبر الى الديار المصرية اضطربت الأرض واجتمعت الأمراء بالقلعة وضربوا مشورة فوقع الأتفاق على ان الاتابكى بيبرس الجاشنكير يتوجه الى حلب ومعه خمسمائة مملوك قبل خروج

السلطان وخرج الأتابكي بيبرس على جرائد الخيل مع العسكر ثم خرج الملك الناصر محمد بعده فى خامس عشر صفر وكان صحبته الخليفة الأمام احمد الحاكم بأمر الله والقضاة الأربع وكان قاضي القضاة الشافعى حينئذ شيخ الأسلام تقي الدين ابن دقيق العيد وخرج مع السلطان وسائر الأمراء والعساكر فجد السلطان فى المسير حتى وصل الى دمشق في ثامن ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسبعمائة ثم خرج من دمشق فتلاقى مع جاليش غازان فى مكان يعرف بسلمية قرب بعلبك فوقع بينهما واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم فانكسر عسكر السلطان وهرب الملك الناصر الى بعلبك ونهب بركه وسائر برك العسكر ولم يبق معه من العسكر الاطائفة يسيرة ثم ان القان غازان زحف على ضياع الشام ونهب ما فيها وسبى اهلها فلما بلغ اهل الشام ذلك خافوا على انفسهم من غازان فيما فعله فى اهل الضياع فتشاوروا مع جماعة من العلماء الذين كانوا بدمشق وخرجوا الى غازان يطلبون منه الأمان فخرج قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعى والشيخ زين الفارقي والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحرانى والقاضي نجم الدين ابن الصرصرى والقاضي عز الدين ابن تركى والشيخ عز الدين ابن القلانسى والقاضي جلال الدين القزويني وغيرهؤلاء جماعة العلماء الصلحاء فلما دخلوا على غازان ووقفوا بين يديه وقف الترجمان وتكلم مع القان غازان في امرهم وانهم جاؤا يطلبون الأمان منه فقال له غازان قل لهم انى قد ارسلت لهم الأمان قبل حضورهم عندي فرجعوا الى دمشق واجتمع في جامع بنى امية الجم الغفير وقرأوا على الناس الأمان الذي ارسله القان غازان الى اهل دمشق فلما قرأ عليهم ذلك الامان وسمعوه فرح الناس بذلك وحصل عندهم سكون بعد ما كانوا فى اضطراب من امر غازان ثم حضر الأمير قفجق الذي كان نائب الشام وهرب الى

غازان ونزل بالميدان الأخضر وارسل يقول الى نائب قلعة الشام سلم الينا القلعة ولا تحوجنا ان نحاصرك وتغلب بعد ذلك فأرسل نائب القلعة يقول اقفجق ليس لك عندي الا السيف وكيف اسلم القلعة والملك الناصر على قيد الحياة

قال ابو الفداء وكاتب النائب بالقلعة الأمير سيف الدين ارجواش المنصوري فقام في حفظها اتم قيام وصبر على الحصار ولم يسلمها واحرق الدور التى حوالى القلعة والمدارس فاحترقت دار السعادة التى كانت مقر نواب السلطنة وكذلك احترق غيرها من الأماكن الجليلة واقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية ثم عادالى بلاده الشرقية وقرر في دمشق قفجق وجردصحبته عدة من المغل

قال ابن اياس كان رحيل قازان عن دمشق يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى وترك بها اميرا من التتار يقال له الأمير قطلواشاه ومعه عسكر من التتار هذا ماكان من امر القان قازان واما ما كان من امر الملك وامر عسكره فأنه لما انكسر ودخل الى بعلبك اقام بها اياماً ثم قصد التوجه الى الديار المصرية وجد فى السير حتى وصل الى القاهرة فدخل على حين غفلة وطلع القلعة وقد نهب جميع ما كان معه من البرك وكذلك الأمراء والعساكر فلما طلع القلعة فتح الزردخانة وفرق ماكان فيها من الملبوس والسلاح على العسكر ثم فتح خزائن المال وانفق على العسكر فاعطى كل مملوك ثمانين ديناراً وجماعة منهم لعطائهم خمسة وسبعين ديناراً وجماعة منهم خمسة وستين ديناراً واعطى مماليك الأمراء كل واحد خمسين ديناراً ثم انفق على عسكر الشام الذي حضروا بصحبته فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير ذهبا وعشرة ارادب شعيرا وعشرة ارادب قمحاً ثم انفق على سائر الأمراء والمقدمين والطبلخاناه والعشروات لكل واحد منهم على قدر مقامه وكان القائم فى تدبير مملكته الامير سلار نائب السلطنة

والاتابكى بيبرس الجاشنكير ثم ان الملك الناصر قصد العود الى محاربة قازان فبرز بخيامه فى الريدانية وخرج من القاهرة ثانيا وكان صحبته الخليفة الامام احمد والقضاة الاربع وسائر الامراء والعساكر فلما اقام في الريدانية وجد في السير فتقدم في جاليش العسكر الامير سلار نائب السلطنة والاتابكى بيبرس الجاشنكير فلما وصل الجاليش الى دمشق تلقاهم الامير قبجق واظهر الطاعة للسلطان واجتمع بالأمراء واشار عليهم بأن السلطان يرجع الى القاهرة ولا يدخل دمشق وسيجيئه الامر كما يختار فعند ذلك رجع السلطان الى القاهرة وكان رجوعه اليها في ثامن عشر شهر رمضان من سنة تسع وتسعين وستمائة قال ابو الفداء لما بلغ العساكر المصرية مسير قازان عن الشام خرجوا من مصر في العشر الأول من شهر رجب من هذه السنة وخرج السلطان الى الصالحية ثم اتفق الحال على مقام السلطان بالديار المصرية ومسير سلار وبيبرس الجاشنكير بالعساكر إلى الشام فسار المذكوران بالعساكر وكان قبجق وبكتمر السلحدار والالبكى قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا الى جهة ديار مصر وبلغ ذلك التتر المجردين بدمشق فخافوا وساروا من وقتهم الى البلاد الشرقية وخلا الشام منهم ووصل قبجق والالبكى والسلحدار الى الابواب السلطانية فأحسن اليهم السلطان

ووصل سلار وبيبرس الجاشنكير الى دمشق وقررا امور الشام ورتبا فى نيابة السلطنة بدمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم على عادته ورتبا قراسنقر في نيابة السلطنة بحلب بعد عزل سيف الدين بلبان الطباخي عنها واعطائه اقطاعاً بديار مصر (ثم قال) وسار قراسنقر الى حلب ثم عاد سلار والجاشنكير بالعساكر الى الديار المصرية

قال ابن اياس قال القاضي محي الدين بن فضل الله حكى لى الامير قبجق بعدان جرى ماجرى ورجع الى القاهرة وتلاقى عسكر السلطان مع عسكر غازان فكاد غازان ينكسر وهم بالهرب فطلبني ليضرب عنقى لأنى كنت السبب في مجيئه الى دمشق فلما حضرت بين يديه قال لى ماهذا الحال فقلت ما ثم الا الخير والسلامة فأنا اخبر بعساكرنا فأن لهم اول صدمة ثم يولون عن القتال فالقان يصبر ساعة فما يبقى قدامه احد منهم فصبر ساعة فكان ما قاله صحيحا ولما انكسر عسكر مصر اراد ان يزحف عليهم بما معه من العسكر فقلت في نفسي متى زحف عليهم لم يبق منهم احد فقلت له القان يصبر ساعة فأن عسكر مصر لهم حيل وخداع وربما يكون لهم كمين وراء الجبل فيخرج علينا فتنكسر فسمع لى ثم وقف ساعة حتى ابعدتم عنا ولم يبق منكم احد قدامه فلو زحف عليكم ما بقي منكم احد فلولا انا ما سلم منكم احد فكان الامر كما قيل

ولو شئت قابلت المسيء بفعله * ولكنى ابقيت للصلح موضعا

وقد بسط ابن كثير فى حوادث هذه السنة ما لاقته دمشق من الفظائع والشدائد قال ابو الفداء وحينما كان قازان بجموعه في البلاد الشامية جمع الأرمن فى البلاد التى افتتحها منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين بها من العسكر والرجالة واخلوها فاستولى الارمن عليها وارتجعوا حمص وتل حمدون وكوبر وسرفندكار والنقير وغيرها ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة حجر شغلان واستولى الارمن على غيرها من الحصون والبلاد التى كانت جنوبى نهر جيحان

سنة ٧٠٠ سبعمائة

عود التتر الى بلاد الشام

قال ابو الفداء في هذه السنة عاودت التتر قصد الشام وعبروا الفرات في ربيع الآخر وجفلت المسلمون منهم وخلت بلاد حلب وسار قراسنقر بعسكر حلب الى حماة وبرز زين الدين كتبغا وعساكر حماة الى ظاهر حماة في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وسادس كانون الاول وكذلك وصلت العساكر من دمشق واجتمعوا بحماة واقامت التتر ببلاد سرمين والمعرة وتيزين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون (١) وسار السلطان بالعساكر الاسلامية ووصل الى العوجا واتفق في تلك المدة تدارك الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى انقطعت الطرقات وتعذرت الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية فوصل اليها في عاشر جمادى الاولى من هذه السنة

واما التتر فأنهم اقاموا يتنقلون في بلاد حلب نحو ثلاثة اشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ورد التتر على اعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة الموافق لأوائل آدار من شهور الروم ورجع عسكر حلب مع قرا سنقر الى حلب وتراجعت الجفال الى اماكنهم

وفي هذه السنة توفي سيف الدين بلبان الطباخي الذي كان نائبا بجانب ودفن بأرض الرملة وورثه السلطان بالولاء

(١) قال ابن خطيب الناصرية في ترجمة غازان لما كان سنة سبعمائة جمع ايضاً غازان عسكره وحشد وقدم الى بلاد الشام فجفل الناس وخلت البلاد الحلبية واخذ التتار في الأفساد على عادتهم وحاصروا قلعة حلب ولم يحصلوا منها على طائل ولا اخذوها الا انهم نهبوا قراها

سنة ٧٠١

﴿ ذكر الاغارة على سيس ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة جرد من مصر بدر الدين بكتاش امير سلاح وايبك الخزندار معهما العساكر فساروا الى حماة وورد الامر الى زين الدين كتبغا نائب السلطنة بحماة ان يسير بالعساكر الى بلاد سيس فخرج كتبغا المذكور من حماة وخرجنا صحبته في يوم السبت الخامس والعشرين من شوال في هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من حزيران من شهور الروم وسار العسكر صحبة زين الدين المذكور ودخلنا حلب مستهل ذى القعدة ودخلنا دربند بغراس سابع ذي القعدة من الشهر المذكور وانتشرت العساكر في بلاد سيس فخرقت الزروع ونهبت ما وجدت ونزلنا على سيس وزحفنا عليها واخذنا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جفال الارمن وعدنا من الدربند الى مرج انطاكية ووصلنا الى حلب تاسع عشر ذي القعدة وسرنا الى حماة ودخلناها فى السابع والعشرين من الشهر المذكور اه‍ -

سنة ٧٠٢

ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد اخرى

قال ابن اياس فى حوادث سنة اثنتين وسبعمائة فيها جاءت الاخبار بان اميراً من امراء القان غازان يقال له قطلوشاه قد دخل الى حلب على حين غفلة من اهلها ومعه طائفة من عسكر التتار وذكروا ان بلادهم قد اضمحلت هذه السنة وقصدهم الاقامة بحلب حتى يشتروا لهم مغلا وكل ذلك حيل وخداع ثم بعد ايام دخل منهم جماعة الى مرعش فأرسل نائب حلب يكاتب السلطان بذلك فلما جاء هذا

الخبر عين السلطان جماعة من الامراء المقدمين عدتهم ستة من الامراء وعين الف مملوك من المماليك السلطانية فخرجوا من القاهرة على الفور مسرعين فلما وصلوا الى غزة تواترت الاخبار بوصول غازان الى الرحبة وان نائب الرحبة تلطف به وارسل له بالأقامة مع ولده ومنعه من محاصرة المدينة فلما ان بلغ السلطان ذلك احضر الامير سلار النائب والاتابكى بيبرس الجاشنكير وضربوا مشورة في ذلك فأشاروا على السلطان بالخروج قبل ان يتمكن العدو من البلاد فنادى السلطان فى جميع اماكن القاهرة للعسكر بالرحيل من كبير وصغير ثم ان السلطان احضر جماعة من عربان الشرقية ومن عربان الغربية ونادى بالنفير عاماً وخرج مسرعاً على جرائد الخيل وكان معه الخليفة المستكفى بالله ابو الربيع سليمان والقضاة الاربع وسائر الامراء والعسكر من كبير وصغير فلما رحلوا من الريدانية تقدم الاتابكى بيبرس الجاشنكير مع جماعة من العسكر قدام السلطان . فلما وصلوا الى الشام جاءت الاخبار بأن جاليش غازان قد وصل الى قرب حماة فأرسل الاتابكى بيبرس يستحث السلطان فى سرعة الحضور فجد السلطان في السير حتى وصل الى الشام في مستهل شهر رمضان من السنة المذكورة ثم ان السلطان لم يقم بالشام وبرز الى قتال عسكر قازان فكان مع السلطان من العساكر المصرية والشامية وعربان جبل نابلس نحو مائتي الف انسان وكان مع غازان مثل ذلك او اكثر فتلاقى العسكران على مرج راهط تحت جبل غباغب فكان بين الفريقين هناك واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان فكانت النصرة يومئذ للملك الناصر محمد بن قلاون على القان غازان فقتل من الفريقين مالايحصى عددهم واسر من عسكر غازان نحو الثلث وقتل من امراء مصر الامير حسام الدين لاجين استادار العالية والامير قوليا بن قرمان والامير سنقر الكافورى والامير

ايدمر الشمسى والامير آقوش الشمسى الحاجب والامير عزالدين نقيب الجيوش المنصورة والامير علاءالدين بن التركماني والامير حسام الدين بن ساخل والامير سيف الدين بهادر الدكاجكى هؤلاء غير من قتل من امراء دمشق الشام وحماة وحلب وطرابلس وغزة وغير ذلك من الامراء وقتل من المماليك السلطانية والامراء نحو الف وخمسمائة مملوك هذا خارجاً عن العربان والمشاة والعبيد والغلمان وغير ذلك فلما دخل الليل حالت الظلمة بين العسكرين فالتجأ عسكر غازان الى اعلى الجبال وباتوا يوقدون النيران وبات عسكر السلطان محدقين بهم كالحلقة فلما لاح الصباح من يوم الاحد رابع شهر رمضان عاين عسكر التتار الهلاك من العطش والجوع فصاروا ينسحبون من الأودية اولاً بأول فحمل عسكر السلطان عليهم فصيروهم رمما واسروا منهم ماشاؤا فامتلأت من قتلاهم القفار فلما وصلت هذه النصرة للملك الناصر محمد ارسل الأمير بكتوت الفتاح بأخبار هذه النصرة الى الديار المصرية ثم ان السلطان رحل من المكان الذي وقعت فيه الواقعة ودخل الى دمشق وصحبته الخليفة المستكفى بالله سليمان والقضاة الاربع فنزل بالقصر الأبلق وكان يوم دخوله الى دمشق يوماً مشهوداً لم يسمع بمثله .

وقبل هذه الواقعة كانت وقعة اخرى ذكرها ابو الفداء في تاريخه فقال في هذه السنة عاودت التتر قصد الشام وساروا الى الفرات واقاموا عليها مدة في ازوارها (بساتينها) وسارت منهم طائفة تقدير عشرة آلاف فارس واغاروا على القرنبيين وتلك النواحي وكانت العساكر قد اجتمعت بحماة عند زين الدين كتبغا النائب بحماة وكان مريضاً من حين عاد من بلاد سيس فلما اجتمعت العساكر عنده وقع الاتفاق على ارسال جماعة من العسكر الى التتر الذين اغاروا على القرنبيين فجردوا استدمر الكرجى نائب السلطنة بالساحل وجردوا صحبته جماعة من عسكر

حلب وجماعة من عسكر حماة وجردوني ايضاً من جملتهم فسرنا من حماة سابع شعبان من هذه السنة وتوافقنا مع التتر على موضع يقال له الكوم قريبا من عرض واقتتلنا معهم يوم السبت عاشر شعبان الموافق لسلخ آدار وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة عن خيلهم واحاط المسلمون بهم بعد فراغهم من الوقعة وبذلوا لهم الأمان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا سروج الخيل ستائر لهم وناوشهم العسكر القتال من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم وكان هذا النصر عنوان النصر الثاني ثم عدنا مؤيدين منصورين ووصلنا حماة ثالث عشر شعبان الموافق لثانى نيسان . (ثم ذكر الواقعة الثانية بمعنى ماقدمناه عن ابن اياس الى ان قال) لما اصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يبتدرون الهرب وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم ارض متوحلة فتوحل فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم اسرى وقتل بعضهم وجرد من العسكر الاسلامى جمعا كثيرا مع سلار وساقوا في اثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهي في قوة زيادتها فلم يقدروا على العبور والذى عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع اكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع واخذ منهم العرب جماعة كثيرة واخاف الله تعالى بهذه الوقعة ماجرى على المسلمين فى المصاف الذى كان ببلد حمص قرب مجمع المروج فى سنة تسع وتسعين وستمائة ولما حصل هذا النصر العظيم واجتمعت العساكر بدمشق اعطاهم السلطان الدستور فسارت العساكر الحلبية والحموية والساحلية الى بلادهم فدخلنا حماة مؤيدين منصورين يوم السبت سادس عشر رمضان من هذه السنة الموافق لرابع ايار من شهور الروم اه

سنة ٧٠٣

ذكر الاستيلاء على تل حمدون

قال ابن كثير يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر واضيف اليها الفان من دمشق وساروا واخذوا معهم نائب حمص الجوا كندار ووصلوا الى حماة فصحبهم نائبها الامير سيف الدين قفجق وجاء اليهم اسندمر نائب طرابلس وانضاف اليهم قراسنقر نائب حلب وانفصلوا كلهم عليها فانفرقوا فرقتين سارت طائفة صحبة قفجق الى ناحية ملطية وقلعة الروم والفرقة الأخرى صحبة قراسنقر حتى دخلوا الدربندات وحاصروا تل حمدون فتسلموه عنوة في ثالث ذي القعدة بعد حصار طويل فدقت البشائر لذلك بدمشق ووقع الاتفاق مع صاحب سيس على ان يكون للمسلمين من نهر جيحان الى حلب وبلاد ما وراء النهر الى ناحيتهم لهم وان يعجلوا حمل سنين ووقعت الهدنة على ذلك بعد قتل خلق من الأمراء الارمن ورؤسائهم وعادت العساكر الى دمشق مؤيدة منصورة ثم توجهت العساكر المصرية الى مصر اه قال ابو الفداء لما استولوا على تل حمدون هدموها الى الأرض

سنة ٧٠٥

ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس

قال ابو الفداء في اوائل المحرم من هذه السنة الموافق العشر الأخير من تموز ارسل قراسنقر نائب السلطنة بحلب مع قشتمر مملوكه عسكر حلب للأغارة على بلاد سيس فدخلوها في اول الشهر المذكور وكان قشتمر المذكور ضعيف العقل قليل التدبير مشتغلا بالخمر ففرط فى حفظ العسكر ولم يكشف اخبار العدو

واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعاً كثيرة من التتر وانضمت اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى قشتمر المذكور ومن معه من الأمراء وعسكر حلب والتقوا بالقرب من بياس فلم يكن للحلبيين قدرة بمن جاءهم فتولوا يبتدرون الطريق وتمكنت الارمن منهم فقتلوا واسروا غالبهم واختفى من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وكان صاحب سيس فى هذه السنة هيثوم بن ليفون بن هيثوم.

سنة ٦٩٨

مسير السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى الكرك

واستيلاء بيبرس الجاشنكير على المملكة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة في الخامس والعشرين من شهر رمضان خرج الملك الناصر محمد بن قلاون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز الشريف ولما وصل الى الكرك واستقر بها امر جمال الدين آقوش نائب السلطنة بها والامراء الذين حضروا في خدمته بالمسير الى الديار المصرية واعلمهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة الى المقام بالكرك وكان سبب ذلك استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة واستبدادهما بالأمور وتجاوز الحد فى الانفراد بالاموال والامر والنهي ولم يتركا للملك الناصر غير الأسم فأنف من ذلك وترك الديار المصرية واقام بالكرك ولما وصلت الأمراء الى الديار المصرية واعلموا من بها بأقامة السلطان بالكرك اتفقوا على ان تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير وان يكون سلار مستمرا على نيابة السلطنه كما كان عليه وحلفوا على ذلك وركب بيبرس من داره بشعار السلطنة الى الأيوان الكبير بقلعة الجبل وجلس على سرير الملك في الثالث

والعشرين من شوال هذه السنة اعني سنة ثمان وسبعمائة وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري وارسل الى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له عن آخرهم وكتب تقليداً لمولانا السلطان بالكرك ومنشورا بما عينه له من الأقطاع بزعمه وارسلها اليه واستقر الحال على ذلك حتى خرجت هذه السنة اهـ

سنة ٧٠٩

دعوة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك

(الى دمشق ثم الى مصر واقامته فى السلطنة وتولية حلب لسيف الدين قبجق)

في هذه السنة عاد السلطان محمد بن قلاون من الكرك الى دمشق ثم الى مصر واعيد الى السلطان لمكاتبات اتت له من اهالي دمشق وحلب وخلع بيبرس الجاشنكير نفسه واستقر الملك الناصر على سرير ملكه مستهل شوال من هذه السنة وهي سلطنته الثالثة وقد بسط ابو الفداء وابن اياس القول في ذلك ثم قال ابو الفداء واعطى نيابة السلطنة بحلب سيف الدين قبجق وقرر نيابة السلطنة بالشام لشمس الدين قراسنقر (النائب السابق بحلب)

سنة ٦١٠

ذكر وفاة سيف الدين قبجق وتولية حلب الى اسندمر

ثم القبض عليه

[illegible] هذه السنة اعطى مولانا السلطان نيابة السلطنة بالسواحل والفتوحات لأسندمر وتصدق علي بحماة والمعرة وبارين وارسل تقليد اسندمر بالسواحل مع منكوتمر الطباخي فوصل الى دمشق في الثالث والعشرين من جمادي الاولى وسار الى حماة فلم يجب اسندمر الى المسير الى الساحل وامتنع من

قبول التقليد والخلعة .ورد التقليد صحبة منكوتمر المذكور فعاد به الى دمشق واتفق عند ذلك موت سيف الدين قفجق نائب السلطنة بحلب في يوم السبت سلخ جمادى الأولى فلما وصل خبر موته الى الأبواب الشريفة انعم السلطان بنيابة حلب على اسندمر موضع سيف الدين قفجق

قال ابن الخطيب في الدر المنتخب في ترجمته نقلاً عن تاريخ شيخه الحسن بن حبيب قال سنة عشرة وسبعمائة وفيها توفي الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب السلطنة بحلب كان عزيز الجانب مشحون الفلك والقارب معظماً في الدول مصدقاً الى ان قال موفقاً ان فعل موصوفاً بالأقدام والحماسة مشهوراً بالمعرفة والخبرة والسياسة ولي نيابة السلطنة بدمشق وحماة قبل حلب وكانت وفاته بها ونقل الى تربته بحماة تغمده الله برحمته

قال ابو الفدا وكان السلطان قد جرد عسكرا مع كراي المنصورى وشمس الدين سنقر الكمالي فساروا واقاموا بحمص ولما وصلت الى حماة عائداً من الأبواب الشريفة ركبوا من حمص وساقوا ليكبسوا اسندمر بحلب ويبغتوه بها فأنه كان مستشعراً لما كان قد فعله من الجرائم وارسل كراي المذكور الي يعلمنى بمسيرهم وان اسير بالعسكر الحموي واجتمع بهم لهذا المهم فخرجت من حماة يوم الخميس تاسع ذي الحجة وسقنا نهار الجمعة وبعض الليل ووصلنا الى حلب بعد مضي ثلثي الليلة المسفرة عن نهار السبت حادي عشر ذي الحجة واحتطنا بدار النيابة التي فيها اسندمر تحت قلعة حلب وامسكناه بكرة السبت واعتقل بقلعة حلب وجهز الى مصر مقيداً فى يوم الأحد ثانى عشر ذى الحجة ووصل الى مصر فاعتقل بها ثم نقل الى الكرك وكان آخر العهد به واحتيط على موجوده من الخيل والقماش والسلاح وكان شيئاً كثيراً وحمل جميع ذلك الى بيت المال واستمر كراي والكمالي ومن

معهمامن العساكر والعبدالفقيراسماعيل بن علي مقيمين بحلب حتى خرجت هذه السنة

سنة ٧١١

ذكر نقل قراسنقر من نيابة السلطنة بدمشق الى حلب

قال ابو الفداء في هذه السنة لما قبض على اسندمر سأل قراسنقر نائب السلطنة بدمشق من مولانا السلطان ان ينقله الى نيابة السلطنة بالملكة الحلبية لأنه كان قد طال مقامه بها والف سكنى حلب فرسم له بذلك وحضر تقليده بولاية حلب مع الأمير سيف الدين ارغون الدوادار الناصرى وسار فى صحبته من دمشق متوجهاً الى حلب وحصل عند قراسنقر استشعار من العسكر المقيمين بحلب لئلا يقبضوا عليه وبقي المقر السيفى ارغون الدودار الناصري المذكور يطيب خاطر قراسنقر ويحلف له على عدم توهمه ويسكنه ويثبت جاشه حتى وصل الى حلب وركبت العساكر المقيمون بحلب لملتقاه فالتقيناه ودخل حلب فى يوم الأثنين ثامن عشرمحرم من هذه السنة واستقر فى نيابة السلطنة بحلب واعطى المقرالسيفى ارغون الناصري عطاءً جزيلا وسفره وسارالمقر السيفى ارغون المذكور من حلب يوم الاربعا لعشرين من المحرم وتوجه الى الديار المصرية فأقمنا بعد ذلك مدة ثم ورد الدستورالى العساكر المقيمة بحلب فسرنا منها في يوم الجمعة الحادى والعشرين من صفر عائدين الى اوطاننا

(ذكر مسير قراسنقر الى الحجاز واظهاره العصيان وقصده حلب)

قال ابو الفداء وفي هذه السنة سأل قراسنقر دستوراً الى الحجاز الشريف لقضاء حجة الفرض فرسم له السلطان بذلك فعمل شغله وسار من حلب فى اوائل شوال من هذه السنة ولم يسر على الطريق وسار على طرف البلاد من شرقيها

حتى وصل الى بركة زيزا لحصل عنده التخيل والخوف من الركب المصرى لئلا يقبضوا عليه فى الحجاز فعاد من بركة زيزا على البرية وسار على البر الى اركة والسخنة ثم الى بر حلب واجتمع مع مهنــا بن عيسى امير العرب واتفقــا على المشاققة والعصيان وقصد قراسنقر حلب ليستولى عليها فاجتمع العسكر والأمراء الذين بها ومنعوه من الدخول اليها ووصل من صدقات السلطان الى قراسنقر ومهنا ما يطيب خاطرهما فلم يرجعا عن ضلالهما واصرا على ذلك فجرد السلطان عسكراً مع المقر السيفي ارغون الدوادار الناصري ومع الأمير حسام الدين قرالاجين بسبب قراسنقر المذكور بحيث ان رجع عن الشقــاق والنفاق يقرر امره في مكان يختاره وان لم يرجع عن ذلك يقصده العسكر حيث كان ووصل العسكر المذكور الى حماة سادس ذي الحجة وسرت بصحبتهم في عسكر حماة وتوجهنا الى البرية بالخام بالقرب من الزرقا حادى عشر ذي الحجة فاندفع قراسنقر الى الفرات واقام هناك وافترقت مماليكه فبعضهم سار الى التتر وبعضهم قدم الى الطاعة .
ثم توجه قراسنقر الى جهة مهنا فعادت العساكر من الخام الى حلب وكان دخولنا اليها رابع عشر ذى الحجة من السنة ثم كان ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ثم قال وخرجت هذه السنة وقراسنقر قد اظهر الشقاق وانضم الى مهنا بن عيسى امير العرب وهو متردد في البراري على شاطئ الفرات والحكم بحلب الى المشدين والنظار وليس بها نائب

(سنة ٧١٢)

ما كان من امر قراسنقر والأفرم وسيرهما الى التتر

قال ابو الفداء وفي هذه السنة قصد آقوش الأفرم نائب السلطنة بالفتوحات

ان يحدث خلافاً وان يجمع الناس عليه فهرب اليه حموه ايدمر الزمر الزردكاش من دمشق وانضم اليه من لا يق به وسار من دمشق واجتمع بالأفرم بالساحل وقصدوا من عسكر الساحل ومن غيرهم الموافقة لهم على ضلالهم فلم يوافقهم احد فلما رأى الأفرم ذلك هرب من الساحل وخرج على حمية وعبر على الفولة بين دمشق وحمص وسار الى البرية واجتمع بقراسنقر في شهر المحرم من هذه السنة وكان بعض العساكر مع الأمير سيف الدين اركتمر على حمص فساق خلف الأفرم فلم يلحقه وكان على حلب العسكر المقدم ذكره فى السنة الماضية صحبة الأمير سيف الدين ارغون الدوادار فلما بلغنا هروب الأفرم واجتماعه بقراسنقر وهم قريب سلمية وقع آراء الأمراء على الرحيل من حلب والمسير الى جهة حمص وسلمية فرحل الأمير سيف الدين ارغون الناصري والأمير حسام الدين قرا لاجين ومؤلف هذا المختصر بعسكر حماة من حلب وسرنا ووصلنا الى حماة فى ثاني عشر المحرم من هذه السنة ووصلت باقى العسكر وسرنا من حماة في يوم الثلاثا خامس عشر المحرم الموافق الثامن والعشرين من ايار ونزلنا بظاهر سلمية وقصد قراسنقر والأفرم كبس العسكر بالليل لظنهما ان فيهم مخامرين وانهم يوافقونهم على ذلك فلم يوافقهم احد على ذلك فرجعوا عن ذلك وسار قراسنقر والأفرم ومن معهما الى جهة الرحبة فاتفق آراء الأمراء على تجريد عسكر في اثرهم فجردوا العبد الفقير اسماعيل بن على بعسكر حماة وكذلك جردوا من المصريين الأمير سيف الدين (قلى) بمقدمته وغيره من المقدمين المصريين والمقدمين الدماشقة فسرنا من سلمية فى يوم الخميس سابع عشر المحرم من هذه السنة الى القسطل ثم الى قديم ثم الى عرض ثم الى قباقب ثم الى الرحبة ووصلنا اليها فى يوم الأحد الثامن والعشرين من المحرم فلما وصلنا الى الرحبة اندفع قراسنقر ومن معه الى جهة رومان قريب عانة والحديثة فما

امكنا المضي خلفه الى تلك البلاد بغير مرسوم فأقمنا بالرحبة ثم رحلنا منها عائدين في مستهل صفر الموافق لثامن حزيران من هذه السنة وسرنا الى المقر السيفي ارغون الدوادار وكان قد سار من سلمية الى حمص فوصلنا الى حمص في يوم الخميس ثامن صفر من هذه السنة ثم ان المقر السيفي رأى ان حماة قريبة وليس بمقامي بعسكر حماة على حمص فائدة فاقتضى رأيه سيري الى حماة فسرت اليها ودخلتها ثاني عشر صفر . واستمر العسكر مقيمين بحمص ثم ان قراسنقر والأفرم طال عليهما الحال وكثر ترداد الرسل اليهما في اطابة خواطرهما وهما لا يزدادان الاعتوا ونفورا حتى سارا الى التتر واتصلا بخدابندا في ربيع الأول من هذه السنه وكذلك ايدمر الزردكاش ومن انضم اليهم

(زيادة بيان في حوادث قرا سنقر واحتمائه بأمير العرب مهنا بن عيسى)
(وقصد هذا حلب وتوجههما مع امير حمص الأفرم الى بلاد العراق)

قال ابن بطوطة في رحلته كان قراسنقر من كبار الأمراء وممن حضر قتل الملك الأشرف اخي الملك الناصر وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقر به القرار واشتدت اواخي سلطانه جعل يتتبع قتلة اخيه فيقتلهم واحداً واحداً اظهاراً للأخذ بثاره وخوفاً ان يتجاسروا عليه بما تجاسروا على اخيه وكان قراسنقر امير الأمراء بحلب فكتب الملك الناصر الى جميع الأمراء ان ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميعاداً يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه فلما فعلوا ذلك خاف قراسنقر على نفسه وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صباحاً فأخترقهم واعجزهم سبقاً وكانوا في عشرين الفاً وقصد منزل امير العرب مهنا بن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه والقى العمامة في عنق نفسه ونادى الجوار ياأمير

العرب وكانت هناك ام الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت قداجرناك واجرنا من معك فقال انما اطلب اولادى ومالي فقالت له لك ما تحب فانزل فى جوارنا ففعل ذلك واتى مهنا فأحسن نزله وحكمه فى ماله فقال انما احب اهلي ومالي الذي تركته بحلب فدعا مهنا بأخوته وبنى عمه فشاورهم في امره فمنهم من اجابه الى ماأراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك الناصر ونحن فى بلاده بالشام فقال لهم مهنا فأفعل لهذا الرجل مايريده واذهب معه الى سلطان العراق .وفى اثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن اولاد قراسنقر سيروا على البريد الى مصر فقال مهنا لقراسنقر اما اولادك فلا حيلة فيهم واما مالك فنجتهد فى خلاصه فركب فيمن اطاعه من اهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين الفاً وقصدوا حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قراسنقر ومن بقي من اهله ولم يتعدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم امير حمص الأفرم ووصلوا الى الملك محمد خدابنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى قراباغ وهو مابين السلطانية وتبريز فأكرم نزلهم واعطى مهنا عراق العرب واعطى قراسنقر مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة واعطى الافرم همدان واقاموا عنده مدة مات فيها الافرم وعاد مهنا الى الملك الناصر بعد مواثيق وعهود اخذها منه وبقي قراسنقر على حاله وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة فمنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية جماعة (١)وكان لا يفارق الدرع ابداً ولا ينام الا فى بيت العود والحديد فلما مات السلطان محمد خدابنده وولي ابنه ابو سعيد وقع ما سنذكره

(١) انظر آخر حوادث سنة ٧٢٧ في الكلام على حصن القدموس

من امراء الجوبان كبير امرائه وفرار ولده الدمرطاش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين ابي سعيد واتفقا ان يبعث ابو سعيد الى الملك الناصر برأس قراسنقر ويبعث اليه الملك الناصر برأس الدمرطاش فبعث اليه الملك الناصر برأس الدمرطاش الى ابي سعيد فلما وصله امر بحمل قراسنقر اليه فلما عرف قراسنقر بذلك اخذ خاتما كان له مجوفاً في داخله سم ناقع فنزع فصه وامتص ذلك السم فمات لحينه فعرف ابو سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأسه

﴿ ترجمة قراسنقر المنصوري وآثاره بحلب ﴾

قال ابن خطيب الناصرية في الدر المنتخب. قراسنقر المنصوري الامير شمس الدين ولي نيابة حلب من قبل استاذه الملك المنصور قلاوون في سنة احدى وثمانين وستمائة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الباشقردي وقدم اليها من مصر واستمر بها عشر سنين ثم عزل منها في سنة احدى وتسعين وستمائة بالأمير سيف الدين بلبان الطباخي ثم وليها في سنة تسع وتسعين عوضاً عن المذكور واستمر بها عشر سنين ايضاً ثم نقل الى نيابة دمشق ثم ولي نيابة حلب مرة ثالثة واستمر بها اياماً ثم تسحب هو والأمير جمال الدين آقوش الأفرم الدواداري نائب السلطنة بطرابلس وذلك في سنة احدى عشرة وسبعمائة الى بلاد التتار خوفاً على نفسهما فلحقا بخدابنده بن ارغون بن القان هولاكو ملك البلاد الشرقية على ماحكينا في ترجمة آقوش الأفرم . وكان الأمير قراسنقر المذكور اميرا كبيرا شجاعا سعيداً حازماً معرضاً عن شرب الخمر ذا معرفة وخبرة ودهاء وتدبير ولي نيابة السلطنة بمصر ودمشق وحماة وحلب وجمع املاكاً كثيرة وبنى بالقاهرة مدرسة مشهورة وبحلب رباطاً معروفاً به وله وقف كبير وفيه

يقول العلامة صدر الدين ابو عبد الله محمد الشهير بأبن الوكيل الشافعي عند قدومه الى حلب

شمس سما فوق السماك محله * وسبا سناه البدر في هالاته
بالسيف والعلم ارتقى فضاء ذا * لعداته ومضى به لعداته
فالعلم بين بنانه وبيانه * والحلم من ادواته ودواته
وكذا حديث الجود عنه مسند * متواتر قد صح عند رواته
قد كان فى حلب وفي سكانها * شوق اليه يشب فى لفحاته
فتباشروا فرحاً بنيل مرامهم * ودعوا بطول بقائه وثباته

وفيه يقول الرئيس بهاء الدين علي بن ابى سوادة الحلبي من ابيات

وقائلة من افرس الترك في الوغى * واثبتهم فوق الجياد السوابق
وافتكهم طعناً اذا اشتبك القنا * واضربهم بالسيف في كل مازق
فقلت كفيل الملك والبطل الذي * له صولة الآساد تحت السناجق
قراسنقر المنصور في كل موقف * وحامى حمي الأسلام عند الحقائق

توفي الأمير شمس الدين قراسنقر في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بمراغة وقد جاوز سبعين سنة تغمده الله تعالى برحمته اه اقول وذكره المقريزى في تاريخه السلوك فيمن توفي فى سنة احدى واربعين وسبعمائة والله اعلم ايهما اصح قال ثمة وقد اعي الملك الناصر قتله وبعث اليه كثيراً من الفداوية فصانه الله منهم بحيث قتل من الفداوية بسببه مائة واربعة عشر فداوياً ولما بلغ السلطان موته قال والله ما كنت اشتهي موته الا من تحت سيفي واكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودي ولكن الأجل حصين وكانت له مع الفداوية اخبار طويلة ذكر منها المقريزي مايطول به الكلام فاكتفينا بما نقلناه لك عن ابن بطوطة

تولية حلب لسيف الدين سودى وقصد التتار الرحبة

قال ابو الفداء وفى هذه السنة قرر السلطان سيف الدين سودى الجمدار الأشرفى ثم الناصري في نيابة السلطنة بحلب المحروسة موضع قرا سنقر فوصل سودى الى حلب في ثامن ربيع الأول من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب

﴿ مجئ التتر الى الرحبة وتجريد العساكر الى حلب ﴾

قال ابو الفداء فى يوم السبت سابع عشر رجب خرجت بعساكر حماة ودخلت حلب فى يوم السبت الآخر الرابع والعشرين من رجب واقمت بها وكان النائب بها الأمير سيف الدين سودى ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادراص وقويت اخبار التتر وجفل اهل حلب وبلادها ثم وصلت التتر الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات فعندها رحل الأمير سيف الدين سودى وجميع العساكر المجردة من حلب ثامن رمضان ووصلنا الى حماة سابع عشر رمضان وكان خدابندا نازل الرحبة بجموع المغل (التتر) في آخر شعبان من هذه السنة الموافق لأواخر كانون الأول وقام سيف الدين سودى بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب ونزل بعضهم في الخانات وكان البرد شديدا والجفال قد ملؤا المدينة واستمرينا مقيمين بحماة وكشافتنا تصل الى عرض والسخنة وتعود الينا بأخبار المخذول واستمر خدابندا حاصراً للرحبة واقام عليها المجانيق واخذ فيها النقوب ومعه قراسنقر والأفرم ومن معهما وكانا قد اطمعا خدابندا انه ربما يسلم اليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة وهو بدر الدين ابن اركشى الكردي لأن الأفرم هو الذي كان قد سعى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة واخذ له امرة الطبلخاناة فطمع الأفرم بسبب تقدم احسانه الى المذكور ان يسلم اليه

الرحبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الايمان للسلطان وقام بحفظ القلعة احسن قيام وصبر على الحصار وقاتل اشد قتال ولما طال مقام خدابندا على الرحبة بجموعه وقع فى عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الأقوات وكثرت منه المقفزون الى الطاعة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيئاً ولا وجد خدابندا لما اطمعه به قراسنقر والافرم صحة فرحل خدابندا عن الرحبة راجعاً على عقبه في السادس والعشرين من رمضان بعد حصار نحو شهرين وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فنزلت اهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة ولما جرى ذلك رحل سودى وعسكر حلب من حماة وعادوا الى حلب واستمر بهادراص ومن معه من عسكر دمشق مقيما بحماة مدة ثم ورد لهم الدستور فساروا الى دمشق اه وذكر ابن اياس لرحيلهم عن الرحبة سبباً آخر حيث قال وفي هذه السنة حضر مملوك نائب حلب واخبر السلطان بأن التتار قد تحركوا على البلاد فلما تحقق السلطان ذلك عرض العسكر وانفق عليهم فعبوا حالهم فى سبعة ايام ثم خرج السلطان من القاهرة في اوائل شهر رمضان وقصد التوجه الى حلب بسبب التتار فلما وصل الى غزة وردت عليه الاخبار بأن التتار بلغهم مجيء السلطان فخافوا ورحلوا عن مدينة الرحبة وتوجهوا الى بلادهم

سنة ٧١٤

وفاة سيف الدين سودى وآثاره بحلب وتوليتها للامير علاء الدين الطنبغا

قال ابو الفداء في هذه السنة في رجب توفي الأمير سيف الدين سودى نائب السلطنة بحلب فولى السلطان نيابة السلطنة بحلب الامير علاء الدين الطنبغا الحاجب

ووصل الى حلب واستقر بها نائبا فى اوائل شعبان من هذه السنة . اه

قال ابن كثير وممن توفي فى هذه السنة سودى نائب حلب في رجب ودفن بتربته وهو الذى كان سبباً فى اجراء النهر اليها غرم عليه ثلثمائة الف (١) وكان مشكور السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفي تتمة المختصر لأبن الوردي كان مشكور السيرة ودفن بالمقام وبنيت عليه تربة ورتب عليه قراء وما يليق به . قال في الدر الكامنة في ترجمته كان رأس نوبة ومن اعيان الأمراء وولي نيابة حلب في سنة ٧١٢ وهو الذي اجرى النهر الى قويق وطوله اربعون الف ذراع وكان الغرامة عليه اربعمائة الف درهم لم يظلم فيه احداً ولم يزل الى ان مات فى رجب سنة ٧١٤ وكانت مدة امرته على حلب سنتين

قال ابن الوردى فى تتمة المختصر ولي حلب بعد سودى الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحى الحاجب فانتفعت به حلب وبلادها وعمر جامعه بالميدان الاسود ونقل اليه اعمدة عظيمة من قورس وعمرت بسبب هذا الجامع اماكن كثيرة حوله

سنة ٧١٨

﴿ ذكر بناء الطنبغا للجامع المسمى باسمه ﴾

قال في الدر المنتخب ومن مشاهير جوامع حلب جامع الطنبغا الصالحي نائب حلب ثم دمشق بناه بطرف الميدان الاسود سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهو اول جامع بني بحلب بعد الجامع الكبير داخل سورها على كتف خندق الروم شرقي المدينة وجعل له بابين باباً غربياً يستطرق منه الى حوش عظيم يعرف به ومنه الى المدينة وهو بابه الكبير وبنى الى جانبه ميضاة كبيرة كثيرة النفع وباباً شرقياً صغيراً يستطرق منه على جسر الى ظاهر البلد وركب عليه باب

(١) انظر حوادث سنة ٧٣١

قلعة النقير لما افتتحها واخربها واليه تنسب محلته وبه الآن مكان يخزن به ملح الجبول اظنه كان خانقاها للمسجد المذكور وكرا المخزن يأخذه متوليه فيصرفه على مرتزقته وبالقرب منه تربة هي الآن تحت يد بعض الناس تغلب عليها فجعلها بيتاً وهي بناء عظيم

سبب بنائه

قال في كراسة عندي اظنها من (كنوز الذهب لأبي ذر) ونحن نذكر في كتابنا هذا ما تجدد بعده (بعد ابن شداد) من الجوامع من غير استيعاب فنبدأ بجامع الطنبغا اذ هو اول جامع بنى بحلب بعد الاموي كما تقدم وكملت عمارته فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهذا الجامع بصدر الميدان الأسود وبلغني ان الطنبغا كان يكره الخطيب ابن العجمي خطيب الجامع الاعظم وهو مذكور مع اقاربه فى فصله وكان الطنبغا لا يقابله بذلك وصنع هذا الجامع ليصلى فيه ولا يصلي خلفه وفي اول جمعة صليت فيه قرئ علي ابي القاسم عمر بن حبيب المسلسل بالاولية تبركاً بالحديث النبوي وفيه مناسبة اخرى ظاهرة وفيه يقول ابن حبيب [١]

في حلب دار القرى جامع * انشأه الطنبغا الصالحي
رحب الذرى يبدو لمن امه * لطف المعانى حسنه الواضح
مرتفع الرايات يروي الظما * من مائه السارب السارح
يهدي المصلي في ظلام الدجى * من نوره اللامع اللائح
من حوله الروض يروي الورى * من زهره بالفايق الفائح
لله بانيه الذي خصه * بالروح للغادي وللرائح

(٢) الأبيات من الدر المنتخب ومن هذه الكراسة

المكتوب على بابه الكبير الغربي

(١) البسملة انما يعمر مساجد الله (٢) من آمن بالله واليوم الآخر . انشا هذا الجامع (٣) المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف العالي العلائي (٤) الطنبغا الناصري تغمده الله برحمته وعفا عنه وذلك في ايام (٥) دولة مولانا السلطان المالك الملك الناصر محمد عز نصره (٦) في شهور سنة ثمانية عشر وسبعمائة من الهجرة النبوية والحمد لله .

وعلى يسار الداخل اليه باب يخرج منه الى ساحة واسعة كانت قديماً مخزناً للملح الذي يؤتى به من الجبول. والقبلية ذات اربع سوار في وسطها مبنية من الحجارة ولا أثر للعواميد هناك غير ان ثلاثة منها شكل بنائها يفيد ان تحت القواعد عواميد واخبرت انه كان حصل هناك حريق فأصاب العواميد شيء من التوهن فلف كل عمود بسارية من الحجر حفظاً له

والقبة التي فوق المحراب ذات هندسة بديعة حفظتها لنا الأيام مع ارتفاع بنائها وضخامة احجارها. وقد كان بعض جدار القبلية الشمالي معمولاً من الخشب فتوهن وصار يتطرق منه الهواء الى القبلية فيتأذى به المصلون ايام الشتاء فأزيل ذلك الخشب وبني عوضه من الحجر وذلك في سنة ١٣٤٠ وحصل في الجامع في هذه السنة شيء من الترميم من طرف دائرة الاوقاف ومن بعض اهل الخير فعاد للجامع بعض رونقه .

وكان احدث امام الباب الصغير الشرقي ميضاة بحيث منعت الدخول الى الجامع من هذا الباب وقد ازيلت سنه ١٣٤٠ ومن هذا الباب تخرج الى الخندق القديم الذي كان محيطاً بسور البلد وقد طم هذا الخندق وصار الآن جادة واسعة ووراء هذه الجادة المحلة المعروفة ببرية المسلخ.

وجدار القبلية الشرقي هو داخل في بناء السور ولذا كتب عليه من خارجه (١) البسملة امر بعمارة هذا السور في ايام مولانا السلطان الملك النـاصر ابي السعادات بن محمد بن الملك الاشرف قايتباي (٢) عز نصره المقر الكريم جان بلاط كافل حلب المحروسة وبتولى السيفى مصر باى نائب القلعة الحلبية بتاريخ جماد الآخر سنة ثلاث وتسعمائة

والباقي له الآن من الأوقاف ثلث دار في محلة المزوق . واصطبل ونصف دار في محلة البستان ومزرعتان في قرية السفيرة الواحدة اسمها الناعورة والاخرى مردغين ويبلغ مجموع وارداته نحو ثلاثة آلاف قروش رائجة

﴿ ذكر اغارة عسكر حلب على آمد ﴾

قال ابو الفداء فى هذه السنة فى ربيع الآخر كانت الأغارة على آمد وسبب ذلك ان نائب السلطنة بحلب جهز عدة كثيرة من عسكر حلب وغيرهم من التراكمين والعربان والطماعة وقدم عليهم شخصاً تركمانياً من امراء حلب يقال له ابن جاجا وكان عدة المجتمعين المذكورين مايزيد على عشرة آلاف فـارس فساروا الى آمد وبغتوها ودخلوها ونهبوا اهلها المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك امر باطلاق من كان مسلماً فاطلقوا بعد ان ذهبت اموالهم وبالغ المجتمعون المذكورون فى النهب حتى نهبوا الجامع واخذوا بسطه وقناديله وفعلوا بالمسلمين كل قبيح وعادوا سالمين وقد امتلأت ايديهم من الكسب الحرام الذى لا يحل ولا يجوز شرعاً وخلت آمد من اهلها وصارت كانها لم تغن بالأمس اه

(سنة ٧٢٠)

ذكر الاغارة على سيس وبلادها

قال ابو الفداء فى هذه السنة تقدمت مراسيم السلطان بأغارة العساكر على بلاد سيس ورسم لمن عينه من العساكر الاسلامية الشامية فسار من دمشق تقدير الفي فارس وسار الامير شهاب الدين قرطاى بعساكر الساحل وجردت من حماة امراء الطبلخانات الذين بها وسارت العساكر المذكورة من حماة في العشر الاول من ربيع الاول ووصلوا الى حلب ثم خرجت عساكر حلب صحبة المقر العلاي الطنبغا نائب السلطنة بحلب وسارت العساكر المذكورة عن آخرهم ونزلوا بعمق حارم واقاموا به مدة ثم رحلوا ودخلوا الى بلاد سيس في منتصف ربيع الآخر من هذه السنة الموافق للرابع والعشرين من ايار وساروا حتى وصلوا الى نهر جيحان وكان زائداً فاقتحموه ودخلوا فيه فغرق من العساكر جماعة كثيرة وكان غالب من غرق التراكمين الذين من عسكر الساحل وبعد ان قطعوا جيحان المذكور ساروا ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور وغنموا منها واتلفوا البلاد والزرع وساقوا المواشي وكانت شيئاً كثيراً واقاموا ينهبون ويخربون ثم عادوا وقطعوا جيحان وكان قد انحط فلم ينضر احد به ووصلوا الى بغراس فى التاسع والعشرين من ربيع الآخر ثم ساروا الى حلب واقاموا بها مدة يسيرة حتى وصل اليهم الدستور فسار كل عسكر الى بلده اه

[سنة ٧٢٤]

قال ابن اياس فى هذه السنة برزت المراسيم الشريفة الى نائب حلب بأن يروك البلاد الحلبية كما فعل فى البلاد الشامية فخرج امير من الامراء العشروات ومعه

جماعة من المباشرين بسبب ذلك فتوجهوا من القاهرة الى حلب وراكوا البلاد الحلبية حكم البلاد الشامية لجميع البلاد المصرية والشامية والحلبية الآن في الروك الناصري اه

سنة ٧٢٧

ذكر عزل علاء الدين الطنبغا وتولية حلب لأرغون الدوادار

قال ابن كثير في العشر من المحرم دخل مصر ارغون نائب مصر (قادماً من الحجاز كما في روض المناظر) فمسك في حادي عشره وجلس اياماً ثم اطلق وبعثه السلطان نائبا الى حلب فاجتاز بدمشق في الثاني والعشرين من المحرم فبات بها ليلة ثم سافر الى حلب وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الحاى الدوادار الى مصر وفي صحبته نائب حلب علاء الدين معزولاً عنها الى حجوبة الحجاب بمصر (الطنبغا تولى حلب مرة ثانية سنة ٧٣١)

مرور الرحالة ابي عبد الله محمد بن بطوطة بهذه البلاد

في هذه السنة وذكره لنائب السلطنة بها ولقضاتها الاربع

في هذه السنة مر الرحالة ابن بطوطة بمدينة حلب قال في رحلته . وبحلب ملك الأمراء ارغون الدوادار اكبر امراء الملك الناصر وهو من الفقهاء موصوف بالعدل لكنه بخيل والقضاة بحلب اربعة المذاهب الاربعة فمنهم القاضي كمال الدين ابن الزملكاني شافعي المذهب عالي الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الأخلاق متفنن بالعلوم وكان الملك الناصر قد بعث اليه ليوليه قضاة القضاة بحضرة ملكه فلم نقض له ذلك وتوفي ببلبيس وهو متوجه اليها ومن قضاة حلب قاضي قضاة

الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن الصورة والسيرة اصيل مدينة حلب

تراه اذا ما جئته متهللاً * كانك تعطيه الذى انت سائله

ومنهم قاضى قضاة المالكية لا اذكره كان من الموثقين بمصر واخذ الخطة عن غير استحقاق ومنهم قاضى قضاة الحنابلة لا اذكر اسمه وهو من اهل صالحية دمشق ونقيب الاشراف بحلب بدرالدين بن الزهرة . ومن فقهائها شرف الدين بن العجمي واقاربه كبراء مدينة حلب

ذكر وصفه لمدينة حلب

قال وهي من اعز البلاد التى لا نظير لها فى حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع الأسواق وانتظام بعضها ببعض واسواقها مسقفة بالخشب فاهلها دائماً في ظل ممدود وقيساريانها لا تماثل حسناً وكبراً وهى تحيط بمسجدها وكل سماط منها محاذ لباب من ابواب المسجد ومسجدها الجامع من اجمل المساجد في صحنه بركة ماء ويطيف به بلاط عظيم الأتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالعاج والآبنوس وبقرب جامعها مدرسة مناسبة له وبها مارستان واما خارج المدينة فهو بسيط افيح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الأعناب به منتظمة والبساتين على شاطئ نهرها وهو النهر الذي يمر بحماة ويسمى العاصى (هذا سهو منه) والنفس تجد في خارج مدينة حلب انشراحاً وسروراً ونشاطاً لا يكون في سواها وهي من المدن التى تصلح للخلافة قال ابن جزي (جامع رحلة ابن بطوطة) اطنبت الشعراء فى وصف محاسن حلب وذكر داخلها وخارجها وفيها يقول ابو عبادة البحترى (١)

يا برق اسفر عن قويق فطرتى * حلب فأعلى القصر من بطياس

(١) من قصيدة مطلعها . ناهيك من حرق ابيت اقاسي . وهي في ديوانه المطبوع فى الجوائب صحيفة ٢٤٨

عن منبت الورد المعصفر صبغه * في كل ضاحية ومجنى الآس
ارض اذا استوحشت ثم انيتها * حشدت عليَّ فاكثرت ايناسي

وقال فيها الشاعر المجيد ابو بكر الصنوبري

سقى حلب المزن مغنى حلب * فكم وصلت طرباً بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستطب
اذا نشر الزهر اعلامه * بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة * تروق واوساطه من ذهب

وقال فيها ابو العلاء المعرى [١]

حلب للولي جنة عدن * وهي للغادرين نار سعير
والعظيم العظيم يكبر في عينيـ * ـه قدر الصغير الصغير
فقويق في انفس القوم بحر * وحصاة منه مكان ثبير

وقال فيها ابو الفتيان بن حيوس

يا صاحبي اذا اعياكما سقمى * فلقياني نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكنا * فيها وكان الهوى العذري من اربى

وقال فيها ابو الفتح كشاجم

وما امتعت جارها بلدة * كما امتعت حلب جارها
بها قد تجمع ما تشتهى * فزرها فطوبى لمن زارها

وفيها قال ابو الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى العنسى

حادي العيس كم تنيخ المطايا * سق بروحى من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامي * ومرامي وقبلة الأشواق
لاخلا جوشن وبطياس والـ * ـسعدى من كل وابل غيداق

[١] من قصيدة في ديوانه سقط الزند مطلعها . اتق في نعمه بقاء الدهور .

كم بهـا مرتع لطرف وقلب * فيه سقي المنى بكأس دهـاق
وتغنى طيورها لارتياح * وتثنى غصونهـا للعنـاق
وعلو الشهباء حيث استدارت * انجم الأفق حولهـا كالنطاق

وقال بعد ذكره لما قاله الرحالة ابن جبير في وصف قلعتها وقد قدمناه في حوادث سنة ٥٨٠ وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة

وخرقاء قد تاهت على من يرومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يجر عليهـا الجو جيب غمـامة * ويلبسهـا عقداً بأنجمه الشهب
اذا ماسرى برق بدت من خلاله * كما لاحت العذراء من خلل السحب
فكم من جنود قد امـاتت بغصة * وذى سطوات قد ابانت على عقب

وفيها يقول ايضاً وهو من بديع النظم

وقلعة عانق العيوق سـافلهـا * وجاز منطقة الجوزاء عـاليهـا
لاتعرف القطر اذ كان الغمام لها * ارضـاً توطـأ قطريه مواشيهـا
اذا الغمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهمي عواليهـا
يعد من انجم الأفلاك مرقبهـا * لو انه كان يجرى في مجاريها
ردت مكايد اقوام مكايدهـا * وقصرت بدواهيهم دواهيها

وقبل هذا البيت كما في تاريخ ابن شداد

على ذراً شامخ وعر قد امتلأت * كبراً به وهو مملوء بها تيهـا
له عقـاب عقـاب الجو حـائمة * من دونها فهي تخفى في خوافيها

وبعده

اوطأت همتك العلياء هامتهـا * لما جعلت العوالي من مراقيها
فلم تقس بك خلقاً في البرية اذ * رأت قسيّ الردى في كف باريها

وفيها يقول جمال الدين علي بن ابي المنصور

كادت لفرط سموها وعلوهــا * تستوقف الفلك المحيط الدائرا
وردت قواطنهــا المجرة منهلا * ورعت سوابقها النجوم زواهرا
ويظل صرف الدهر منها خائفاً * وجلا فما يمسى لديهــا حــاضرا

﴿ وقال في وصفه للمعرة ﴾

والمعرة مدينة صغيرة حسنة اكثر شجرها التين والزيتون والفستق ومنها يحمل الى مصر والشام وبخارجها على فرسخ منها قبر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يبغضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويبغضون كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي رضي الله عنه

﴿ وقال في وصفه لسرمين ﴾

ثم سرنا منها الى مدينة سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين واكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الآجرى ويجلب الى مصر والشام ويصنع بها ايضاً الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها واهلها سبابون يبغضون العشرة ومن العجب انهم لايذكرون لفظ العشرة وينادي سماسرتهم بالأسواق على السلع فاذا بلغوا العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوماً فسمع سمساراً ينــادى تسعة وواحد فضربه بالدبوس على رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه تسع قباب ولم يجعلوها عشرة قياما بمذهبهم القبيح اه

[قال في وصفه لتيزين]

ثم سافرت منها (من حلب) الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين وهي حديثة اتخذها التركمان واسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الأتقان وقاضيها بدر الدين العسقلاني

قلت قال في المعجم (تيزين) ويقال لها توزين قرية كبيرة من نواحي حلب كانت تعد من اعمال قنسرين ثم صارت في ايام الرشيد من العواصم . وقال في الدر المنتخب هي مدينة صغيرة قديمة كان لها سور قد تهدم واليها تنسب الكورة وان كان فيها ماهو اميز منها ولم تزل في ايدي المسلمين الى ان استولت الفرنج كما ذكرنا على انطاكية ثم استعادها المسلمون منهم وقصبتها الآن ارتاح

وقال في وصفه لمدينة انطاكية

ثم سافرت الى مدينة انطاكية وهي مدينة عظيمة اصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في اسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الاشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي . وبها قبر حبيب النجار رضى الله عنه وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنه ينيف على المائة وهو ممتع بقوته دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع حطباً ورفعه على كاهله ليأتي به منزله بالمدينة

ورأيت ابنه قد اناف على الثمانين الا انه محدودب الظهر لا يستطيع النهوض ومن يراهما يظن الوالد منهما ولداً والولد والداً

وقال في وصفه لحصن بغراس

ثم سافرت الى حصن بغراس وهو حصن منيع لايرام عليه البساتين والمزارع

ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالاً ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبغلية وبهـا تصنع الثيـاب الدبيزية وامير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن اخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصص ويحفظ الطريق الى بلاد الأرمن

وقـال فى وصفه لحصن الشغر

ثم سافرت الى حصن الشغر بكاس وهو منيع في رأس شاهق اميره سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من اصحاب ابن تيمية

وقال في وصفه لمدينة صهيون

ثم سافرت الى مدينة صهيون وهى حسنة بها الأنهار المطردة والأشجار المورقة ولها قلعة جيدة واميرها يعرف بالأبراهيمى وقاضيها محي الدين الحمصى وبخارجها زاوية في وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر وهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوى رحمه الله وقد زرت قبره

وقال في وصفه لحصن القدموس ومصياف وغيره

ثم سافرت منها فررت بحصن القدموس ثم بحصن المنيقة ثم بحصن العليقة ثم بحصن مصياف ثم بحصن الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لهـا الأسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم احد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من اعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدو له اعطاه دية فأن سلم بعد تأتي مايراد منه فهي له وان اصيب فهي اولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتاله وربما لم تصح حيلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الأمير قراسنقور فأنه لمـا

هرب الى العراق بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدروا عليه لأخذه بالحزم

(سنة ٧٣١)

ذكر وصول نهر الساجور الى حلب

قال في روض المناظر نهار الأربعا تاسع صفر وصل نهر الساجور الى حلب فزيد به نهر قويق (١) بساقية بناها الأمير ارغون الدوادار وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً خرج لتلقيه ملك الأمراء وسائر الناس مشاة مكبرين مهللين ومنع اهل الذمة من الخروج معهم وكذلك المطربون وكان قبله الأمير سودى نائب حلب قصد سوقه وشرع فيه فقيل له من ساقه يموت في عامه فتأخر عنه وقيل مثل ذلك لأرغون فقال لا ارجع عن خير عزمت عليه فقدر الله انه مرض قبل اربعين يوماً ومات رحمه الله وانشد القاضي الفاضل شرف الدين الحسين بن ريان

لما اتى نهر الساجور قلت له * ماذا التأخر من حين الى حين
فقال اخرني ربي ليجعلني * من بعض معروف سيف الدين ارغون

وانشد القاضي الفاضل بدر الدين الحسن بن حبيب رحمه الله فيه

قد اضحت الشهباء تثني على * ارغون في صبح وديجور
من نهر الساجور اجرى بها * للناس بحرا غير مسجور

ودفن في تربته التي انشاها بسوق الخيل بين بابي القوس وكان عمره نحو الخمسين اشتراه الملك المنصور قلاون الصالحي صغيرا لولده الملك الناصر محمد وربي معه وكان معه بالكرك ثم ولاه نيابة الملك بمصر وولي بعد بيبرس الدويدار ست عشرة سنة كما تقدم ثم نقله الى نيابة حلب ثم طلب الحضور فحضر واجتمع بالسلطان ثم تباكيا ثم عاد الى حلب ومات بها وكان فقيها حنفياً ورعاً اذن له بالأفتاء على

(١) انظر في حوادث سنة ١١٤٩

مذهبه سمع صحيح البخاري على الشيخ ابي العباس احمد بن الشحنة الحجار ووزيرة بنت عمر بن اسعد بن المنجا بمصر فى سنة خمس عشرة وسبعمائة بقراءة الشيخ ابي حيان وكتب بخطه مجلداً منه .

وقال ابو الفداء فى حوادث هذه السنة وفيها في صفر وصل نهر الساجور الى نهر قويق وانصبا الى حلب بعد غرامة اموال عظيمة وتعب من العسكر والرعايا بتولية الامير فخر الدين طمان . وفى ربيع الاول مات بحلب الامير سيف الدين ارغون الناصري نائبها وخرجت جنازته بلا تابوت وعلى النعش كساء بالفقيرى من غير ندب ولا نياحة ولا قطع شعر ولا لبس جل ولا تحويل سرج حسبما اوصى به ودفن بسوق الخيل تحت القلعة وعملت عليه تربة حسنة ولم يجعل على قبره سقف ولا حجرة بل التراب لا غير

وكان متقناً لحفظ القرآن مواظباً على التلاوة عنده فقه وعلم ويرد احكام الناس الى الشرع الشريف حتى كان بعض الجهال ينكر عليه ذلك وكتب صحيح البخاري بخطه بعد ما سمعه من الحجار واقتنى كتباً نفيسة وكان عاقلاً وفيه ديانة رحمه الله .

اقول قبلي حمام الناصري المعروفة الآن بحمام اللبابيدية مسجد قديم بابه مؤلف من ثلاثة احجار كبيرة بينه وبين الحمام بضعة اذرع فيه قبلية وحجرات صغيرة مشرفة على الخراب يسكنها بعض الفقراء وحجرة واسعة فيها قبر ارغون المذكور عليه تابوت من حجارة كتب بعض الجهلة على الحجرة العليا منه (هذا ضريح الولي الزاهد العارف بالله تعالى صاحب الخيرات والمبرات الشيخ محمد بن عبد الله قويق الحافر المجرى لنهر حلب الشهباء) والصواب انه قبر ارغون الدوادار رحمه الله وهذه تربته التى ذكرها ابن الشحنة في الكلام على الترب

ترجمته ايضاً

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ارغون الدوادار اشتراه المنصور فرباه مع ولده الناصر احمد ولم يزل معه في خدمته حتى توجه الى الكرك وهو معه حتى عاد وهو ملازمه الى ان ولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية سنة ٧١٢ فسار سيرة حسنة الى الغاية وكان يخلص الناس من شدائد يريد الناصر ان ينزلها بهم وحج سنة ١٥ وخلف السلطان لما حج سنة ١٩ ثم حج هو سنة عشرين ومشى من مكة الى عرفة بمسكنة في هيئة الفقراء ثم في سنة ٢٦ بلغ الناصر ان مهنا يجهز للحج فأسر الى ارغون ان يحج ويقبض على مهنا (١) فبلغ مهنا فتأخر عن الحج فاتهم الناصر ارغون بذلك فلما عاد قبض عليه واعتقله ثم اخرجه لنيابة حلب وكان قد اشتغل على مذهب الحنفية ومهر فيه الى ان صار يعد من اهل الأفتاء وكانت له عناية بالكتب عظيمة جمع منها جمعاً ما جمعه احد من ابناء جنسه وكان الناس قد علموا رغبته في الكتب فهرعوا اليه بها وكان خيرا ساكناً قليل الغضب حتى يقال انه لم يسمع منه احد في طول زمانه بمصر وحلب كلمة سوء وكان للملك به جمال وكان له حضور على ابن الوكيل وعلى ابي حيان وابن سيد الناس وغيرهم واوصل بهمته نهر الساجور الى البلد قال الذهبي كان تركيا فصيحاً مليح الشكل شديد الحرص وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٧٣١ اهـ

سنة ٧٣٣

دخول الامير لؤلؤ القندشي لحلب وما اتاه من المظالم

قال ابن الوردي في خامس عشر شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة دخل الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشي الى حلب شاداً على المملكة وعلى يده تذاكر

(١) امير العرب في البلاد الشامية

وصادر المباشرين وغيرهم ومنهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني والقاضي جمال الدين سليمان بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد ابن قرناص عامل الجيش وعمه المحيي عبد القادر عامل المحلولات والحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازي والحاج على بن السقا وغيرهم واشتد به الخطب وانزعج به الناس كلهم حتى البريشون وقنت الناس في الصلوات وقلت في ذلك

قلبي لعمر الله معلول * بماجرى للناس مع لولو
يارب قد شرد عنا الكرا * سيف على العالم مسلول
وما لهذا السيف من مغمد * سواك يامن لطفه السول

كان هذا لؤلؤ مملوكاً لقندش ضامن المكوس بحلب ثم ضمن هو بعد استاذه المذكور ثم صار ضامن العداد ثم صار امير عشرة ثم امير طبلخانات ثم صار منه ماصار ثم انه عزل ونقل الى مصر واراح الله اهل حلب منه

وقال ابن خطيب الناصرية في الدر المنتخب قرأت فى تاريخ محمد بن حبيب في حوادث سنة ثلاث وثلثين وسبعمائة قال وفيها وصل الأمير بدر الدين القندشي الى حلب من الديار المصرية متولياً شد الدواوين وصحبته الأمير سيف الدين جركتمر الناصر كاشفاً احوال المباشرين وعلى يده تذكرة واضحة الأبانة تشتمل على محاققتهم واخذ ماثبت عليهم من الخيانة فبادر وصادر وتنمر وتجبر وقام وقعد وبرق ورعد ونهى وامر وهمز وهمر واذل الرجال واستخرج الأموال واخذ ونقل وسجن واعتقل وعزل وصرف وتزاعج وانحرف واهان الأكابر وروع الحرم والأصاغر ونزع ابواب الأنصاف وسلط الأطراف على الأشراف وضرب بالعصى والسياط وكلف الناس ادخال الجمل فى سم الخياط واقام بين

ظهرهم مدة وهم ينتظرون الفرج بعد الشدة الى ان رحل الى الديار المه
وانطفأ عن الشام شرر شر البرية ثم رفع له المنار وعظم شأنه في تلك الديار
وولي بها الأمرة واشد ومارجع عن الظلم ولا ارتد ثم دارت الدوائر وانعكس
حساب القدم الجائر وعاد بعد حين الى حلب واوقعه الدهر فى شرك من له
عليه طلب فرقم طرس جلده بقلم السياط وعوقب الى ان هلك وطوت ايدي
الردى ذلك اباساط وقلت فيه

لما اعتدى لؤلؤ سقوه من طلا كاس العذاب علقم المشروب
وبالسياط ثقبوا جلدته * تبا له من لؤلؤ مثقوب

وفاة الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشي

قال ابن الوردي فى حوادث ٧٤٢ سنة وفيها في جمادى الاولى عوقب لؤلؤ
القندشي بدار العدل بحلب حتى مات واستصفى ماله وشمت به الناس قلت

ألؤلؤ قد ظلمت الناس لكن * بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت فى تاج فلما * صغرت سحقت سنة كل لولو

وقال المقريزى فيالسلوك فى حوادث هذه السنة ومات الأمير بدر الدين لولو
الحلبي وكان ضامن حلب فعاقبهم واخذ اموالهم ثم ولي شد الدواوين بحلب
فكثر شاكوه فتسلمه الاكر مشد الجهات بديار مصر ثم نقل الى شد الدواوين
بالقاهرة واعزل واخرج بعد مجيئه الى حلب شاد الدواوين ثم ضرب بالمقارع
حتى مات وفيه قال ابن الوردى

اشكو الى الرحمن لولو الذى * اضحى يصادر سادةً وصدورا
نثر الجنوب بل القلوب بسوطه * فتي اشاهد لؤلؤ منثورا

قال وفيها دخل القاضي تاج الدين محمد بن الزين حلب متولياً كتابة السر ولبس الخلعة وباشر وأبان عن تعفف عن هدايا الناس اه

[سنة ٧٣٥]

ذكر عمارة قلعة جعبر

قال ابن الوردى فى هذه السنة وصل الأمير سلف الدين ابو بكر الباشري الى حلب وصحب معه منها الرجال والصناع وتوجه الى قلعة جعبر وشرع فى عمارتها وكانت خراباً من زمن هولاكو وهي من امنع القلاع تسبب فى عمارتها الأمير سيف الدين تنكزنائب الشام ولحق المملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها ونفوذ ماء الفرات الى اسفل منها كلفة كثيرة اه

توجه العساكر الحلبية لاسترجاع مدينة سيس

قال ابن اياس فى هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن الأرمن ملكوا مدينة سيس وطردوا من كان بها من المسلمين فرسم السلطان لنائب حلب بأن يتوجه اليهم ومعه العساكر الحلبية فخرج اليهم فى سابع عشرى رمضان فحاصر من كان بها من الأرمن واحرق الضياع التي حولها واسر جماعة من الأرمن نحو ثلثمائة انسان فلما بلغ ذلك من كان من الأرمن بقلعة اياس ثاروا على من كان عندهم من المسلمين وحشروهم في خندق واحرقوا الخندق فاحترق فيه من المسلمين نحو الفي انسان ما بين رجال ونساء وصغار وذلك في يوم العيد فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قال ابن الوردى كان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم اهل اياس بذلك [اي بما احرق من الضياع وما اسر] احاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم

وحبسوهم فى خان ثم احرقوه فقل من نجا فعلوا ذلك بنحو الفى رجل من التجــار البغاددة وغيرهم فى يوم عيد الفطر فلله الأمر اه

وفـاة مهنا امير العرب وآثاره

وقال وفيها مات حسام الدين مهنا بن عيسى امير العرب وحزن عليه واقاموا مأتما بليغا ولبسوا السواد اناف على الثمانين وله معروف من ذلك مارستان جيد بسرمين ولقد احسن برجوعه الى طاعة سلطان الأسلام قبل وفاته وكانت وفاته بالقرب من سلمية اه

وقال في حوادث السنة التي قبلها وتوجه مهنا بن عيسى امير العرب الى طــاعة السلطان بعد النفرة العظيمة عنه سنين ومعه صــاحب حمــاة الملك الأفضل فاقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى اصحابه مائة وستين خلعة ورسم له بمال كثير من الذهب والفضة والقماش واقطعه عدة قرى وعاد الى اهله مكرماً اه

سنة ٧٣٦

العمل في نهر قلعة جعبر

قال ابن الوردى في هذه السنة في المحرم نزل نائب الشام الامير سيف الدين تنكز بعسكر الشام الى قلعة جعبر وتفقدهــا وقرر قواعدها

[وفيها] في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل فى نهر قلعة جعبر ورسم ان يخرج من كل قرية نصف اهلها وجلا كثير من الضياع بسبب ذلك ثم طلب ايضاً من اسواق حلب رجال واستخرجت اموال وتوجه النائب بحلب الى قلعة جعبر بمن حصل من الرجال وهم نحو عشرين الفا

(سنة ٧٣٧)

ذكر وفاة الامير خضر ابن نائب حلب الطنبغا

قال ابن الوردي فيها في ربيع الأول توفي الأمير الشاب الحسن جمال الدين خضر ابن ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا بحلب ودفن بالمقام ثم عمل له والده تربة حسنة عند جامعه (١) خارج حلب ونقل اليها وكان حسن السيرة ليس من انجاب اولاد النواب في شيء ومما قلت فيه تضمينا

ايبست افئدة بالحزن ياخضر * فالدمع يسقيك ان لم يسقك المطر

منها خلقت فلم يسمح زمانك ان * يشين حسنك فيه الشيب والكبر

فأن رددت فما في الرد منقصة * عليك قد رد موسى قبل والخضر

وان كان يتضمن هذا التضمين القول بموت الخضر عليه السلام .

قال وفي هذه السنة باشر تاج الدين محمد بن عبد الكريم اخو الصاحب شرف الدين يعقوب نظر الجيوش المنصورة بحلب فما هنئ بذلك واعترته الأمراض حتى مات في سابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة قلت

ما الدهر الا عجب فاعتبر * اسرار تصريفاته واعجب

كم باذل في منصب ماله * مات وما هنئ بالمنصب

وباشر مكانه في شعبان منها القاضي جمال الدين سليمان بن ريان اه

توجه العساكر الى بلاد سيس

(١) اقول بالقرب من الجامع عرصة يبلغ طولها نحو ٣٠ ذراعاً وعرضها نحو ١٢ ذراعاً فيها محراب قائم ظاهر منه صفه الفوقاني والباقي تحت التراب وفي آخر العرصة من الجهة الغربية قبر يقال ان هذا المكان هو التربة وهذا القبر هو قبر خضر المذكور والله اعلم .

قال المقريزي في تاريخه السلوك الى معرفة الملوك (١) وفي ثاني عشر شعبان توجهت التجريدة الى بلاد سيس وخراب مدينة اياس وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلي باشا بطلب النجدة على الشيخ حسن وطغاي بن سوتاي واولاد دمرداش (الطرفان من ملوك الشرق في فارس وتلك النواحي) ليكون علي باشا نائب السلطنة ببغداد فاستشار نائب الشام والأمراء فاستقر الرأي على تجريد العسكر نحو سيس فأن تكفور نقض الهدنة بقبضه على عدة مماليك وارسلهم الى مدينة اياس وقطع الحمل المرتب عليه فلم يعلم خبرهم ويكون في ذلك اجابة علي باشا الى ما قصده من نزول العسكر قريباً من الفرات مع معرفة الشيخ حسن بأنا لم نساعد علي باشا وانما بعثنا العسكر لغزو سيس وعمل مقدم العسكر الأمير ارقطاي ويكون في الساقة ومقدمه الجاليش صحبة الامير طرناي الطباخي ومعهما من الامراء اقباتمر وبيدمر البدري وتمر الموساوي وقطلوبغا الطويل وجركتمر بن بهادر وبيبغا بن حارس الطير ومن امراء الشام قطلوبغا الفخري مقدم الجيش الشامي وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس الى ناحية جعبر فاذا وصل عسكر مصر الى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعاً الى سيس فيكون في ذلك صدق ما وعد به علي باشا وبلوغ الغرض من غزو سيس فسار العسكر من القاهرة

قال ابن الوردي وفيها في رمضان المعظم وصل الى حلب من مصر عسكر حسن

---

(١) ظفرت بجزء من هذا التاريخ عند الخواجات برخه العائلة المشهورة في حلب وهو مرتب على السنين وفيه حوادث من هذه السنة الى سنة ٧٥٣ حوادث سبع عشرة سنة وهو في ١٤١ ورقة وقد التقطت منه ماله علاقة بتاريخ هذه البلاد في هذه السنين وهو تاريخ لمصر واصل الكتاب فيه من حوادث سنة ٥٧٧ الى سنة ٨٤٤ فعلى هذا يكون مجموع هذا التاريخ في نحو عشرة مجلدات انظر كشف الظنون

الهيئة مقدمه الحاج ارقطاي وعسكر من دمشق مقدمهم قطلبغا الفخرى وعسكر من طرابلس مقدمه بهادر بن عبد الله وعسكر من حماة مقدمه الأمير صارم الدين ازبك والمقدم على الكل ملك الأمراء بحلب علاء الدين الطنبغا ورحل بهم الى بلاد الأرمن في ثانى شوال منها ونزل على مينا اياس وحاصرها ثلثة ايام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا البلاد والقلاع التى شرقي نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو ملك كبير وبلاد كثيرة كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار واياس وباياس ونجيمه والنقير التى تقدم ذكر تخريبها وغير ذلك فخرب المسلمون برج اياس الذي فى البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نوابا وعادوا فى ذى الحجة منها والحمد لله اه

ورود الأمر بالمسامحة عما يؤخذ على الاغنام الداخلة الى حلب

قال في صبح الاعشى ١٣/٣٦ هذه نسخة توقيع بالمسامحة في جميع المراكز بما يستأدى على الأغنام الدغالي الداخلة الى حلب . وان يكون ما يستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة من انشاء المقر الشهابى بن فضل الله مما كتب به في شهور سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وهي.

الحمد لله ذى المواهب العميمه . والعطايا التى لا تجود بها يد كريمه . والمنن التى عوضنا منها على كل شئ بخير منه قيمة والمسامحة التى ادخر لنا بها عن كل مال حسن مآل وبكل غنم غنيمة . نحمده على نعمه التى غدت على كثرة الانفاق مقيمة ونشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله اكرم من سمح وسامح في امور عظيمه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة مستديمة . وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فمنذ ملكنا الله لم نزل نرغب اليه ونعامله بما نهبه له ونربح عليه . ولم نبق

مملكة من ممالكنا الشريفة حتى ساحنا فيها بأموال وسامينا فيها بنفع ارضها
السحب الثقال وكانت جهة العداد بالمملكة الحلبية المحروسة مثقلة الأوزار بما
عليها. مشدودة النطاق بما يغل من الطلب يديها. مما هو على التركمان بها محسوب
والى عديدهم عدده منسوب . ونحن نظنه فى جملة ما اسقطته مسامحتنا الشريفة
وهو منهم مطلوب وهو المعروف بالدغالي زائداً على الرؤس الكبار ومعدوداً
عند الله من الكبائر وهو في حساب الدواوين من الصغار فلما اتصل بنا ان هذه
المظلمة ما انجلى عنهم ظلمها. ولا رفع من الحساب عنهم قلمها. اكبرنا موقع بقائها
وعلمنا انها مدة مكتوبة لم يكن بد من المصير الى انقضائها واستجلبنا قلوب
طوائف التركمان بها واوثقنا اسبابهم فى البلاد بسببها لأمرين كلاهما عظيم
لرغبتنا فيما عند الله ولما لهم من حق ولاء قديم كم صاروا مع الجيوش المنصورة
جيوشاً وكم ساروا الى بلاد ملوك الأعداء فثلوا لهم عروشا. وكم كانوا على اعقاب
العساكر المؤيدة الاسلامية ردفا ومقدمهم في محاصرة جاليشا وكم قتلوا بسهامهم
كافرا وقدموا لهم رماحهم نعوشا . ومنهم امراء وجنود ونزول ووفود وهم وان
لم يكونوا اهل خباء فهم اهل عمود . وذووا انساب عريقة واحساب حقيقة
الى القبجاق الخلص مرجعهم والفرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمعهم . فأقتضى
رأينا الشريف ان نرعى لهم هذه الحقوق بأبطال تلك الزيادة المرادة. وان نتاسى
منها ماهو فى العدد كالنسيء في الكفر زيادة

فرسم بالامر الشريف . لازالت مواهبه تشمل الآفاق . وتزيد على الأنفاق
وتقدم ما ينفد الى ما هو عند الله باق ان يسامح جميع التراكمين الداخل عدادهم
في ضمان عداد التركمان بالمملكة الحلبية المحروسة بما يستأدي منهم على الاغنام
الدغالى وان يكون ما يستخرج منهم من العدد علي الكبار خاصة وهو عن كل

مائة رأس كبار ثلاثة اروس كبار خاصة لا غير من غير زيادة على ذلك مسامحة مستمرة دائمة مستقرة باقية ببقاء الليالي والأيام. لا تبدّل لها احكام ولا تتغير بتغير حاكم من الحكام نرجو ان نسر بها فى صحائف اعمالنا يوم العرض لا يتأول فيها حساب ولا تمتد اليها يد حساب ولا يبقى عليها سبيل للدواوين والكتاب . ولا تسيب اغنامهم ليرعاها منهم اولئك الذئاب ، كلما مر على هذه المسامحة زمان اكد اسبابها وبيض في صحائف الدفاتر حسابها لا تعارض ولا تناقص ولا يتأول فيها متأول فى هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ولا يدخل حكمها في النسيان ولا ينقص اجرها المضمون ولا تطلب اصحاب الدغالي عليها بمداد فى قرن من القرون ولا يستحقر بما يستأدي منها جليلة ولا حقيرة ولا يسمح لنفسه من قال انها صغيرة وهى عند الله كبيرة . لتطيب لأهلها ومن تسامع بما شملهم من احساننا الشريف النفوس ولا تصدع لهم بسبب هذا الطلب رؤوس فمن تعرض في زماننا امدنا الله بالبقاء او كشف فى هذه الصدقة الجارية وجه تأويل او سكن فيها الى مداومة بقليل او طلب من ظالم بعينه مداواة قوله العليل فسيجد ما يصبح به مثله ويتوب به مثله ويكون لمن بعده عبرة بمن قدم قبله ونحن نبرأ الى الله ممن يتعرض بعدنا الى نقضها وهذه المسامحة عليه حجتنا التى لا يقدر عند الله على دحضها. ولتقرأ على المنابر وتعلى كلمتها وتمد في اقطار الارض كما امتد السحاب ترجمتها وسبيل كل واقف عليها من ارباب الاحكام اصحاب السيوف والأقلام ومن يتناوب منهم على الدوام العمل بما رسمنا به واعتماد ما حكم بموجبه بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى اعلاه ان شاء الله تعالى اهـ

سنة ٧٣٨

عود العساكر من بلاد سيس وزيادة بيان لهذه الحوادث

قال فى كتاب السلوك وفي يوم الخميس ثالث عشر المحرم قدمت التجريدة من بلاد سيس وكان من خبر ذلك انهم لما ساروا من القاهرة فى ثانى عشر شعبان وقدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز ولم يعبأ بالأمير ارقطاى مقدم العسكر لما فى نفسه منه ومضوا الى حلب فقدموها في رابع عشرين رمضان واقاموا بها يومين فقدم الامير قطلوبغا الفخرى بعسكر الشام وقد وصل الى جعبر ثم ساروا جميعاً يوم عيد الفطر حتى نزلوا على اسكندرونة اول بلاد سيس وقد تقدمهم الامير مغلطاى العزى اليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسورة الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جيحان فقدم عليهم البريد من دمشق بان تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان فلترد المجانيق وجميع آلات الحصار الى بغراس ولتقم العسكر على مدينة اياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد في امرهم وكانت التراكمن قد اغاروا على بلاد سيس ومعهم ابن قرمان فتركوها اوحش من بطن حمار فبعث تكفور رسله في البحر الى دمياط فلم يأذن السلطان لهم في القدوم عليه من اجل انهم لم يعلموا نائب الشام بحضورهم فعادوا الى تكفور فبعث بهدية الى نائب الشام وسأله منع العسكر من بلاده وان يسلم القلاع التى من وراء نهر جيحان جميعها للسلطان فكاتب السلطان بذلك وبعث اوحد المهمندار الى نائب حلب بمنع القادة ورد الآلات الى بغراس فردها وركب بالعسكر الى ايـاس فقدمها يوم الاثنين ثاني عشر شوال وقد تحصنت فبادر العسكر وزحف عليهـا

بغير امره فكان يوماً مهولاً جرح فيه جماعة كثيرة واستمر الحصار الى يوم الخميس خامس عشره احضر نائب حلب خمسين نجاراً وعمل زحافتين وستارتين ونادى في الناس بالركوب للزحف فاشتد القتال حتى وصلت الزحافات والرجال الى قرب السور بعد ما استشهدجماعة كثيرة فترجل الأمراء عن خيولهم لأخذ السور واذا بأوحد المهمندار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام فعادوا الى مخيمهم فبلغهم انهم يكفون عن الغارة فلم يوافقوه على ذلك واستقر الحال على ان يسلموا اياس بعد ثمانية ايام فلما كان اليوم الثامن ارسل تكفور مفاتيح القلاع على ان يرد ما سبي ونهب من بلاده فنودي برد السبي فاحضر كثير منه واخرب الجسر الذى نصب على نهر جيحان وتوجه الامير مغلطاي العزي فتسلم قلعة كوزابن وكانت من احصن قلاع الارمن مساحتهافدان وثلث فدان وارتفاعها اثنان واربعون ذراعاً بالعمل وانفق تكفور على عمارتها اربع مائة الف وستين الف دينار وتسلم العسكر اياس والبرج الأطلس وهدم في ثمانية ايام بعد ما عمل فيه اربعون حجاراً يومين وليالين حتى خرج منه حجر واحد ثم نقب وعلق على الأجسام(هكذا)واضرمت فيه النار فسقط جميعه وكان برجاً عظيما بلغ ضمانه في كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين الف دينار حساباً عن كل يوم الف دينار سوى خراج الاراضي وكان بها اربعمائة خمارة وستمائة بغي وكان في ظاهره ملاحة تضمن كل سنة بسبعمائة الف درهم ولها مائتان وستة عشر بستانا يغرس فيها انواع الفواكه ودور سورها فدانان وثلثا فدان ثم رحل العسكر عن اياس بعد ما اقاموا عليها اثنين وسبعين يوماً فمر نائب حلب على قلعة نجمة وقلعة اسفندكار وقد اخربها مغلطاي العزي حتى عبر بالعسكر الى حلب فى رابع عشرين ذي الحجة فعاد العسكر الى مصر وقد مرض كثير منهم ومات جماعة فأكرم السلطان الامير

ارقطاي وخلع عليه وبعث تشريفاً الى نائب حلب واقطع اراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من امراء الشام وامر فيها جماعة من التركمان والاجناد فاستعملوا الارمن فى الفلاحة وحطوا عنهم من الخراج فعمرت ضياعها وضمنت بعض مجائز الأرمن بها خمارة بألف درهم كل يوم فلم توافق على ذلك وعمل في كل قلعة من قلاع الارمن نائب ورتب فيها عسكر ثم قدمت رسل تكفور فخلع عليهم وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين ومهادنتهم عشر سنين. وفيها كانت حرب بين خليل الطرفى وبين خليل ابن دلغادر وانهزم الطرفى الى حلب فقام معه نائبها وبعث بالانكار على ابن دلغادر فانتمي الى نائب الشام ووعد على نيابة الأبلستين بألفي اكديش واقامة ثلثين امير طبلخاناه فعنى به نائب الشام حتى قدم الى قلعة الجبل وخلع عليه في يوم وكتب له ثلاثون منشوراً بأمريات جماعة منهم وخلع على جميع من معه وسار

سنة ٧٣٨

ذكر فتح الباب شرقى المحراب في الجامع الاعظم

وظهور رأس سيدنا يحي عليه السلام

قال ابن الوردي فى هذه السنة فى صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن الدقاق الدمشقى ناظر الوقف بحلب وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذى بالجامع شرقى المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب فى ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد بابا عليه تأزير رخام ابيض ووجد فى ذلك تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فأذا فيها

بعض جمجمة فهرب الحاضرون هيبة لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل الله ان يلهمنا حسن الأدب اه

اقول المستفيض بين الناس والمشهور لديهم ان الموجود هنا هو رأس سيدنا زكريا عليه السلام ويظهر ان هذه الاستفاضة مبنية على ما ذكره ابن الوردى هنا وعلى ما ذكره المرادى في ترجمة على بن اسد الله مفتى حلب المتوفى سنة ١١٣٠ والمتولى على الجامع من انه في ايام توليته ظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مكتوب عليه هذا عضو من اعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبرا في مكانه الآن وذلك سنة ١١٢٠

وقد قدمنا في حوادث ٤٣٥ ظهور رأس سيدنا يحيي عليه السلام فى بعلبك ونقله الى قلعة حلب وقدمنا في حوادث سنة ٦٥٩ نقل الرأس الشريف من القلعة الى الجامع للحريق الذى حصل هنالك ووضعه شرقى المحراب وهذا ما ذكره ابن الشحنة في الدر المنتخب نقلاً عن ابن العظيمي ونقلاً عن الكمال بن العديم عن ابى بكر الهروى السائح ونقله ياقوت في معجمه في الكلام على حلب وابن شداد في كتاب الأعلاق الخطيرة ولم ينقل خلاف من احد منهم فى هذا واقرهم ابن الشحنة على ذلك وهو من اهل القرن التاسع وابو اليمن البترونى الذى قدمنا ان الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة هو له وهو من اهل القرن الحادي عشر فهذه النقول اجدر بالقبول وادعى ان نقول ان الموجود هنا هو قطعة من رأس يحيي عليه السلام وان ابن الوردى والمرادى قد سها قلمهما وحاد عن منهج الصواب

ذكر توسيع طرق الاسواق بحلب

قال ابن الوردى فى هذه السنة فى شوال رسم ملك الأمراء بحلب الطنبغا بتوسيع الطرق التى في الأسواق اقتداء بنائب الشام تنكز فيما فعله فى اسواق دمشق ولعمرى قد توقعت عزله عن حلب لما فعل ذلك فقلت حينئذ

رأى حلباً بلداً داثرا * فزاد لأصلاحها حرصه
وقاد الجيوش لفتح البلاد * ودق لقهر العدا لحصه
وما بعد هذا سوى عزله * اذا تم امر بدا نقصه

[سنة ٧٣٩]

ذكر وفاة بدر الدين بن زهرة نقيب الاشراف بحلب

وعزل علاء الدين الطنبغا عن ولايتها وتعيين سيف الدين طرغاي

قال ابن الوردي فى هذه السنة فى العشر الأوسط من ربيع الآخر توفي السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني نقيب الأشراف ووكيل بيت المال بحلب ومن الاتفاق انه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا عن نيابة حلب وكان بينهما شحناء فى الباطن قلت

قد كان كل منهما * يرجو شفا اضغانه
فصار كل واحد * مشتغلاً بشأنه

كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمة معظماً عند الناس شهماً ذكيا وجده الشريف ابو ابراهيم هو ممدوح ابى العلاء كتب الى ابى العلاء القصيدة التى اولها

غير مستحسن وصال الغوانى * بعد ستين حجة وثمان

ومنها

كل علم مفرق في البرايا * جمعته معرة النعمان

فأجابه ابو العلاء بالقصيدة التي اولها

عللاني فان بيض الأماني * فنيت والظلام ليس بفاني

ومنها

يا ابا ابراهيم قصر عنك الشع * ر لما وصفت بالقرآن

وفي العشر الاول من جمادى الاولى قدم الامير سيف الدين طرغاي الى حلب نائبا بها وسر الناس بقدومه واظهروا الزينة وصحبته القاضي شهاب الدين احمد ابن القطب كاتب السر مكان تاج الدين بن الزين خضر المتوجه الى مصر صحبة الامير علاء الدين الطنبغا

وفى شعبان قدم الامير صلاح الدين يوسف الداودار شاداً بالمملكة الحلبية

وفي تاسع شوال وصل الى حلب قاضي القضاة زين الدين عمر بن شرف الدين محمد بن البلفيائى المصري الشافعي وباشر الحكم من يومه وخرج النائب والاكابر لتلقيه وسر به الناس لما سمعوا من ديانته بعد شغور المنصب نحو عشرة اشهر من حاكم شافعي

قال في كتاب السلوك وفيها توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيس لكشف البلاد التي انعم بها عليه فمر على حماة ونادى بها ان لا يقف احد للملك الأمراء بقصة ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة وخلع على صاحب حماة ومضى الى حلب ودخل بلاد سيس فأهدى اليه تكفور هدية سنية مع اخيه فقبلها وخلع عليه وعمر تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال وعاد

وفيها كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب ابلستين وبين نائب الروم قتل فيها خمسمائة نفس ونهب من اموال الروم شيئاً كثيراً رد منه بعد ما اصطلحا نحو عشرين الف رأس ما بين غنم وجمال وخيل اه

سنة ٧٤٠

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر عزل قاضي القضاة بحلب زين الدين عمر البلفيائي عنها لوحشة جرت بينه وبين طرغاي نائب حلب فكاتب فيه فعزل وهو فقيه كبير مقتصد في المأكل والملبس قلت

كان والله عفيفا نزها * وله عرض عريض ما اتهم
وهو لا يدري مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم

وفي ربيع الاول عزل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار عن الشد على المال والوقف بحلب ونقل الى طرابلس فضاق طرغاي من جيرته فعمل عليه وكان قد عزم على تحرير الاوقاف بحلب فما قدر قلت

لقد قالت لنا حلب مقالا * وقد عزم المشد على الرواح
اذا عم الفساد جميع وقفي * فكيف اكون قابلة الصلاح

وفي جمادى الآخرة ولي القاضي برهان الدين ابراهيم بن خليل بن ابراهيم الرسعني قضاء الشافعية بحلب بذل لطرغاي نائبها مالا فكاتب في ولايته وهو اول من بذل في زماننا على القضاء بحلب وكان القضاة قبله يخطبون ويعطون من بيت المال حتى يلوا ولذلك لم يصادف راحة في ولايته ويعجبني قول القائل

فلان لا تحزن اذا * نكبت واعرف ما السبب
فما تولى حاكم * بفضة الا ذهب

وفيه توفي طقتمر الخازن نائب قلعة حلب كانت تصدر منه في الدين الفاظ منكرة واشترى قبل وفاته دارا عند مدرسة الشاذبخت وعمل فيها تصاوير وكثر الطعن عليه بسببها قلت ماحل فيها زحل * الا لنحس المشترى
فما نعدت صورته * من شؤم تلك الصور

سنة ٧٤١

ذكر عزل طرغاى عن نيابة السلطنة بحلب وتولية طشتمر

قال ابن الوردى في هذه السنة عزل طرغاي عن حلب وكان على طمعه يصلي ويتلو كثيراً ونقل طشتمر حمص اخضر من نيابة حلب .

وفيها فتح الأمير علاء الدين ايدغدى الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها ارمن وتتر يقطعون الطرقات

وفيهاتوفي بأياس نائبها الامير علاءالدين مغلطاى الغزي تقدمت اه نكاية فى الارمن ونقل الى تربته بحلب.قال في كتاب السلوك بعد ذكر خبر وفاته وكان مشكور السيرة

قال في السلوك فى حوادث هذه السنة وقدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد الشرق وانه ورد من اهله عالم عظيم الى شط الفرات وبلاد حلب فكتب الى نائب حلب بتمكينهم من العبور الى حيث شاؤا من البلاد واوصاه السلطان بهم فلثوا بلاد حلب وغيرها وقدم منهم الى القاهرة نحو المائتى نفر

ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وسلطنة ولده ابى بكر

قال ابن الوردي وفيها توفي السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون الصالحى رحمه الله وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج مرات وحصل لقلوب الناس بوفاته الم عظيم فأنه ابطل مكوساً وكان

يستحى ان يخيب قاصديه واياه ايام امن وسكينة وبنى جوامع وغيرهـا لولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس فى آخر وقته .

وعهد لولده السلطان الملك المنصور ابى بكر بجاس على الكرسى قبل موت والده وضربت له البشائر فى البلاد

سنة ٧٤٢

ذكر خلع الملك المنصور ابى بكر وتولية بن الملك الأشرف كجك

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر خلع السلطان الملك المنصور ابو بكر ابن الملك النـاصر محمد بن قلاون احتج عليه قوصون الناصري (من كبار الامراء بمصر) ولي نعمـة ابيه بحجج ونسب اليه اموراً واخرجه الى قوص الى الدار التى اخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفى اليها جزاء وفاقا ثم امر قوصون والى قوص فقتله بها واقـام في الملك الملك الأشرف كجك وهو ابن ثمان سنين فقلت فى ذلك

سلطـاننا اليوم طفل والأكابر في * خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمة * ان يبلغ السول والسلطـان مابلغـا

قتل الأمير الطنبغا الصالحي بعد القبض عليه وترجمته

قال ابن الوردي ما خلاصته في جمادى الآخرة جهز قوصون مع الأمير قطلبغا الفخرى الناصرى عسكراً لحصار السلطان احمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارقطاي نائب طرابلس بأشارة قوصون الى قتـال طشتمر بحلب لكون طشتمر انكر على قوصون ما اعتمده في حق اخيه المنصور

ابي بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر الى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا (الى ان قال) ثم عاد الطنبغا الى مصر وهو قوي النفس بقوصون فاتفق الأمراء هناك وقبضوا على قوصون ونهبت دياره وارسلوه الى الاسكندرية واهلك بها وقبضوا على الطنبغا وحبسوه بمصر ثم اعدم هو والمرقبي (احد الأمراء) . وقال فى روض المناظر فى هذه السنة توفي الأمير الطنبغا الصالحى مقبوضاً عليه بالاسكندرية وكان ملكاً جليلاً خيرا ديناً له عدة غزوات عديدة في بلاد سيس ولي نيابة دمشق وولي حلب مرتين نحو عشرين سنة وعمر بظاهرها جامعه المعروف وعدة قصاطل وسبلانات

قال الطبيب بيشوف الجرمانى بعد ان ذكر ما هو مكتوب على باب الجامع وبعد موت السيفي ارغون الناصرى سنة ٧٣١ رجع الى حلب نائباً مرة ثانية الأمير علاء الدين الطنبغا واستقام نائباً فى حلب الى شهر ربيع الأول من سنة ٧٣٧ الذى مات بها ودفن بتربته جانب جامعه خارج باب المقام . وهذا سهو منه فأن الذى مات في هذه السنة ودفن بتربته جانب جامعه هو ولده خضر كما قدمناه في حوادث سنة ٧٣٧ واما الطنبغا فتوفي مقتولاً بمصر هو والمرقبي فى هذه السنة اعنى سنة ٧٤٢ كما تقدم آنفا

ذكر وفاة الأمير بدر الدين محمد وآثاره بحلب

قال ابن الوردى وفى هذه السنة توفي الأمير بدر الدين محمد ابن الحاج ابى بكر احد الأمراء بحلب كان من رجال الدنيا وله مارستان بطرابلس وارتفع به الدهر وانخفض ودفن بتربته في جامع انشأه بحلب بباب انطاكية اهـ

اقول موقع الجامع خارج باب انطاكية بالقرب من الجسر كان بينه وبين النهر

دار وقد خربت منذ سنين قلائل وصار مكانها عرصة استولى عليها المجلس البلدي والجامع لازال معروفا ومشهوراً عند اهل محلة الجسر بجامع ابناء ابي بكر . وفي الجهة الغربية منه صفة على طول صحن الجامع فيها ستة قبور يغلب على الظن ان القبر المتوسط هو قبر الواقف والجهة الشمالية من الصحن قدر اربعة اذرع تزرع خضراً وقد ظهر لي انها كانت رواقاً على طول الجامع . وقبليته صغيرة لها كوتان من جهة القبلة سدتا الآن لتعلية ارض الجادة كما انه بسبب ذلك سد نصف باب الجامع الذي من جهة القبلة ويعلو هذا الباب منارة صغيرة مربعة الشكل يبلغ ارتفاعها اربعة اذرع . وليس في القبلية سوى شباكين من جهة الشمال ولو فتح لها شباكان آخران من جهتي الشرق والغرب لزال ماتجده هناك من العفونة . وعن يسار القبلية عرصة يزرع فيها بعض الخضر ايضاً وهناك ايضاً بعض قبور وللجامع من هذه الجهة اعني الجهة الغربية باب آخر وتقام فيه الآن الصلوات الجهرية لا غير .

وله من الأوقاف خان وخمس دكاكين في سوق البهرمية ودكان في محلة الجلوم وتقرب وارداتها من خمسين ليرة عثمانية ذهباً

وفي شهر رمضان وصل القاضي علاء الدين على بن عثمان الزرعي المعروف بالفرع الى حلب قاضي القضاة ولاه الطاغية الفخري بالبذل فاجتمع الناس وحملوا المصحف وتضرروا من ولاية مثله فرفعت يده عن الحكم فسافر اياماً ثم عاد بكتب فما التفتوا اليها فسافر الى مصر وحلب خالية عن قاض شافعي

﴿ ذكر ولاية ايدغمش الناصري حلب ﴾

قال ابن الوردي في ذي الحجة وصل ايدغمش الناصري الى حلب نائباً بها في

حشمة عظيمة واحسن وعدل وخلع على كثير من الناس واقام بحلب الى صفر ثم نقل الى دمشق وتأسف الحلبيون لانتقاله عنهم قلت

يعرف من تقبله ارضنا * من لزم الاوسط من فعله
لا تقبل المسرف فى جوره * كلا ولا المسرف فى عدله

(سنه ٧٤٣)

﴿ ذكر ولاية طقزتمر نيابة السلطنة بحلب ﴾

قال ابن الوردى ونقل طقزتمر من حماة الى حلب مكان ايدغمش ودخلها فى عشرين صفر

﴿ ولاية علاء الدين الطنبغا الماردانى ﴾

قال ابن الوردى وفيها فى رجب وصل الأمير علاء الدين الطنبغا الماردانى نائبا الى حلب

ذكر التنديد بالقاضي ابن القرع ثم عزله

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل علاء الدين القرع الى حلب قاضياً للشافعية واول درس ألقاه بالمدرسة قال فيه كتاب الطهارة باب الميات فأبدل الهاء بالتاء فقلت انا للحاضرين او كان باب الميات لما وصل القرع اليه ولكنه باب الألوف ثم قال قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عنقه مكان في عقبه فقلت انا لا والله ولكنها فى عنق الذى ولاه فاشتهرت عنى هاتان التنديدتان في الآفاق (ثم قال) وفي رجب اعتقل القرع بقلعة حلب معزولاً ثم فك عنه الترسيم وسافر الى جهة مصر قال المقريزي في السلوك وفيها استقر علاء الدين على بن عثمان بن احمد الزرعي في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن البرهان ابراهيم الرسعنى ثم صرف ببدر الدين ابراهيم بن الصدر احمد بن عيسى بن الخشاب المصرى

ذكر عزل امير العرب سليمان بن مهنا

قال ابن الوردى وفي ربيع الآخر عزل الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى عن امارة العرب ووليها مكانه الأمير عيسى بن فضل بن عيسى وذلك بعد القبض على فياض بن مهنا بمصر وكان سليمان قد ظلم وصادر اهل سرمين وربط بعض النساء في الزناجير وهجم عبيده على المخدرات.فأغاثهم الله فى وسط الشدة ثم اعيد بعد مدة الى الأمارة

وفيها توفي بحلب طنبغا حجي كان جهزه الفخري اليها نائباً عنه في ايام خروجه بدمشق وهو الذي جبى اموالاً من اهل حلب وحملها الى الفخري واخذ لنفسه بعضها وباء بأثم ذلك

سنة ٧٤٤

ذكر وفاة علاء الدين الطنبغا الماردانى نائب حلب

قال ابن الوردي في صفر توفي الأمير علاء الدين الطنبغا الماردانى نائب حلب ودفن خارج باب المقام وله بمصر جامع عظيم وكان شاباً حسناً عاقلاً ذا سكينة وقد تكلم المقريزي في الخطط على هذا الجامع وذكر ماصرف عليه ثم بعد ذلك ذكر ترجمته الى ان قال في آخرها وكان شاباً طويلاً رفيقاً حلو الصورة لطيفاً كريماً صائب الحدس عاقلاً اه

ذكر تمزيق ابن الوردي كتاب فصوص الحكم

قال ابن الوردي في هذه السنة مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب عقيب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربي تنبيها على تحريم قنيته ومطالعته وقلت فيه

هذي فصوص لم تكن * بنفيسة في نفسها
انا قد قرأت نقوشها * فصوابها في عكسها

ذكر نيابة الأمير يلبغا اليحياوى

قال ابن الوردى وفي ربيع الأول وصل يلبغا اليحياوي الى حلب نائباً وهو شاب حسن عفيف عن مال الرعية ذو سطوة وحسن اخلاق في الخلوة

وفيه وصل عسكران من حماة وطرابلس للدخول الى بلاد سيس لتمرد صاحبها كنداصطيل الفرنجي ولمنعه الحمل وفى جمادى الأولى عاد العسكر وما ظفروا بطائل وكانوا قد اشرفوا على اخذ آذنة وفيها خلق عظيم واموال عظيمة وجفال من الأرمن فتبرطل اقسنقر مقدم عسكر حلب من الأرمن وثبط الجيش عن فتحها واحتج بأن السلطان مارسم بأخذها وتوفي اقسنقر المذكور بعد مدة يسيرة بحلب مذموماً وابى الله ان يتوفاه ببلاد سيس مغازياً اه

وقال المقريزى فى السلوك فى هذه السنة قدم البريد من حلب بأنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة اقسنقر وصلاح الدين الدوادار الى جهة سيس لمنعهم الطاعة فلقيهم التركمان واغاروا معهم واثروا فيهم آثاراً قبيحة حتى اذعنوا لحمل الخراج اه. اقول المقريزي من الواقفين على الحقايق اكثر من ابن الوردي لقربه من الأمراء المصريين وامتزاجه معهم

ذكر الزلازل ببلاد حلب وخراب منبج

قال ابن الوردي وفى منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت بحلب وبلادها اماكن ولا سيما منبج فأنها اقلت ساكنها وازالت محاسنها وكذلك قلعة الراوندان وعملت انا فى ذلك رسالة .

اقول قد وصف فيها تلك الزلازل وما اثرته من الأضرار وما خربته من الأماكن وقد اثبتها في ديوانه المطبوع وهي .

نعوذ بالله من شر ما يلج فى الأرض وما يخرج منها . ونستهينه فى طلب الأقامة بها وحسن الرحلة عنها. ثم نستعيذ بالله ونستعين. من سم هذه السنة فهي ام اربعة واربعين ذات زلزال بث في بلاد الشام رجله وخيله. وجزم برفع الأرض لما جر ذيله .لاعاد من زلزال . زاغ به العقل وزال .قنت الناس لأجله فى الصلوات واسكنوا من خوفه الصحاري والفلوات

اذا الدهر خان امرأ * يهون اذاه يهن
فكم زخرف قد سبا * اذا زلزلت لم يكن

جاوز ستين يوماً . ووعظ بقوم قوماً فأن قيل كيف صبر الجدار على امساك شهرين متتابعين وما اجتث من اصله . قلت هي كفارة عليه فأنه فى نهار رمضان وقع على اهله

نعوذ بالرحمن من مثلها * زلزلة اسهرت الأعينا
قد واثبت بالهجم من لاعصى * وعاقبت بالرجم من لا زنى
حكم عزيز قاهر قادر * فى كل حال لم يزل محسنا

عاينا لها اهوالاً تقشعر منها الحجارة وتتفرق . وان منها لما يشقق . وان منها لما يهبط من خشية الله ويغرق . فكم دخل الفاعل والصانع داراً صخرها يابس وذهبها غض فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض . وكم سماء قاعة سقط فلن يبرح الأرض . وبناء قصر في الطول الى يوم العرض . وكم ليلة سهرناها سهر الليالي الهجر ودعونا الله تعالى انها سلام هي حتى مطلع الفجر فنسأل الله اجراً بلا بلاء ونعوذ بالله من بلاء بلا أجر . وما حال من مني بالعكس والطرد

وامتد في كانون عن الكنّ فقصره البرد . انا نبذنا بالعراء لخوف زلزال طما لاما عليه منه في الصحرا سوى مطر السما . والحكيم يقول هذا بخار ريح احتبس والمنجم يقول هو من حركة كوكب اقتبس . واما الفقيه . فينشد فيه

انى بفعل الله اول مؤمن * وبما قضاه النجم اول كافر
كبت الحكيم فماله من قوة * وذوو النجوم فماله من ناصر

فالعلماء احد واحذق. والشريعة الشريفة اقصد واصدق .ولو رأيت حلب وقد اشرفت على سوء المنقلب ووضع لجامعها فروئي فى اماكن وتعلمت منارته باب الأمالة وتحريك الساكن فلولا بركة النداء فيها لرخمت ولكن الله سلم جمعها فسلمت انتفع باسمها بشرف التذكير وسلم جمعها الصحيح من التكسير . غيران الدموع جرت على عقبة بنى المنذر [محلة العقبة] كماء السماء وبرزت المضمرات من الخدور لحركات البناء وتعانقت حيطانها تعانق وداع وفكت الرقاب واختلعت الأضلاع وما ادراك ما العقبه فك رقبه وما يدعي بعاجز من ضمن قول الراجز

زلزلة قد وقعت فى العقبه * ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فخرج النائب بحلب لهذه النائبه ماشياً منضرعاً من نتيجة هذه الكلية السالبه يأسى ويتأسف وعلى رأسه المصحف وهو

اقسمت لو شاهدته * يختال تحت المصحف
لرأيت صورة يوسف * يمشي بسورة يوسف

ولو رأيت القلاع والحصون وقد ازالت الزلازل منها كل مصون

صارت لقلع القلاع زلزلة * ماخشيت رامياً ولاصائد
اذا درى الحصن من رماه بها * خر له في اساسه ساجد
ان هربوا ادركوا وان وقفوا * خشوا تلاف الطريف والتالد

فالأمر لله رب مجتهد * ماخاب الا لأنه جاهد

رمت الناس بعلة السدر والدوار وجاورت دوراً مرفوعة فخفضها على الجوار
ولو رأيت منبج منبت كل سري ومهب النسيم السحرى وهي من شدة الطمس
كأن لم تغن بالأمس قد كسف الردم بها كل بدر وشمس

وليس وفاتهم بالردم نقصا * لقدرهم فنى الشهداء صاروا

ومافي سطوة الخلاق عيب * ولافى ذلة المخلوق عار

فوا اسفاه على منبج من مدينة جليلة اصبحت دمنة وكانت الألسن عن وصفها
كليلة غشيها قتر وظلمه . وركبتها ريح سوداء مدلهمه

هلكوا هم وديارهم في لحظة * فكأنهم كانوا على ميعاد

يبسوا اوجههم تضيء من الثرى * مثل السيوف بدت من الأغماد

وقد حكى ان منارتها . صارت تقذف نحو السماء حجارتها

سكرت بخمر زلازل رقصت لها * رقص القلوص براكب مستعجل

سقيا لسقياها فدمعى قاطر * لمصاب منزلها واهل المنزل

ولما سمعوا مهول ذلك الصوت خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فاجتثهم
هيبة هيبت ولا اقطار القاطر ولا منعتهم قناطر الملوك اذ صرعتهم ملوك القناطر

كم حائط فوق الكواعب طائح * ماذا اقول له ولكن حائط

فلا جرم عظم وهنى لها ولاوهن عظمى وختمت ذلك ببيتين من نظمى

منبج اهلها حكوا دود قز * عندهم تجعل البيوت القبورا

رب نعمهم فقد ألفوا من * شجر التوت جنة وحريرا

قال وفى شهر رمضان صارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض اخرى ا

﴿ زيادة بيان لحوادث الزلازل في هذه السنة ﴾

قال المقريزى في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة . وقدم البريد بمحضر ثابت عند قضاة حلب يتضمن انه لما كان يوم السبت سادس شعبان اذا برعد وبرق واعقبه زلزلة عظيمة شمع حسها من نصف ميل عن حلب وهو حس مزعج يرجف القلوب فهدم من القلعة اثنان وثلاثون برجاً سوى البيوت وهدم من قلعة البيرة اكثر من نصفها وكذلك من قلعة عين تاب وقلعة الراوندان وبهسنا وبلاد منبج وقلعة المسلمين [قلعة الروم] فخرج اهل حلب الى ظاهرها وضربوا الخيم وغلقت سائر اسواقها وفي كل ساعة يسمع دوي جديد ثم انهم تجمعوا عن آخرهم وكشفوا رؤسهم ومعهم اطفالهم والمصاحف مرفوعة وهم يضجون بالدعاء والأبتهال الى الله تعالى برفع هذا المقت واقاموا على ذلك اياماً الى خامس عشر منه حتى رفع الله عنهم ذلك بعدما هلك بتلك البلاد تحت الردم خلائق لايحصيها الا خالقها فكتب بتجديد ما هدم من القلاع من الاموال الديوانية قال فى روض المناظر بعد ان ذكر حصول الزلازل بمصر وببلاد الشام وانشد

زلزلت الأرض بنا زلزالها * وقال كل من عليها ما لها

فقلت اذ فروا الى صحرائها * قد اخرجت ارضكم اثقالها

وفى شهر رمضان وصل الى حلب قاضى القضاة نور الدين محمد بن الصائغ على قضاء الشافعية وهو عفيف حسن السيرة عابد

وفي شوال حاصر يلبغا النائب بحلب زين الدين قراجا بن دلغادر التركمان بجبل الدلدل وهو عسر الى جانب جيحان فاعدم منه بالجبل وقتل فى العسكر واسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك واشتهر اسمه وعظم على الناس شره وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا

وقال المقريزي في كتاب السلوك فى بيان هذه الحادثة وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوي نائب حلب عسكرا لقتال ابن دلغادر فلقيهم وكسرهم كسرة قبيحة فركب يلبغا بعساكر حلب وسار اليه ففر منه على جبل وترك اثقاله فنهبها العسكر وقتلوا كثيرا من تركمانه وظفروا ببعض حرمه وتبعوه الى الجبل وصعدوه فقاتلهم ابن دلغادر وجرح اكثرهم واصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله وتقنطر عنه واخذ صنجقه ومن اسروه من حريمه وما نهبوه له وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالأنكار على نائب حلب وتعنيفه على ما فعله .

وفيها استقر موسى بن التاج اسحق في نظر حلب واستقر زين الدين محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبدالخالق بن خليل بن مقلد بن جابر المعروف بأبن الصايغ الانصارى الدمشقى في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن بدر الدين بن الخشاب وعاد ابن الخشاب الى القاهرة اه

سنة ٧٤٥

ذكر ابتداء دولة الدلغادرية فى البستان ومرعش

قال ابن الوردي فى هذه السنة وصل الى ابن دلغادر امان من السلطان (الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر) وافرج عن حريمه وكن بحلب واستقر فى الابلستين اه

قال القرماني فى تاريخه في الكلام على هذه الدولة هم طائفة من التركمان توطنوا في نواحى البستان ومرعش ثم كثروا واستفحل امرهم حتى ملكوا مرعش والبستان وملطية وعينتاب وعزاز وخربوت وبهسنى ودرنده وقير شهرى وقيسارية وحصن المنصور وقلعة الروم وبلاد سيس وقارص وضمانتي واودية

عمق وكوندزلى وغير ذلك وهم يزعمون ان نسبهم ينتهى الى كسرى انو شروان العادل ملك فارس و يعرفون من بين التركمان بالشهامة والشجاعة واول من ظهر منهم (قراجا) ابن ذى القادر فى نواحى البستان تأمر بين قومه اه

وفاة الامير صلاح الدين يوسف واقف المدرسة الصلاحية بحلب

قال ابن الوردى فى حوادث سنة ٧٣٧ في هذه السنة وقف الامير الفاضل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار داره النفيسة بحلب المعروفة اولاً بدار ابن العديم مدرسة على المذاهب الاربعة وشرط ان يكون القاضي الشافعي والقاضى الحنفى بحلب مدرسيها وذلك عند عوده من بلدسيس صحبة العسكر منصرفاً الى منزله بطرابلس ولقد كانت الدار المذكورة بالية لعدم بنى العديم فصارت راضية بالحديث عن القديم نزع الله عنها لباس البأس والحزن وعوضها بحلة يوسف عن شقة الكفن فكمل رخامها وذهبها وجعل ثمال اليتامى عصمة الأرامل مكتبها وكملها بالفروع الموصولة والاصول المفرعة وجملها بالمرابع المذهبة والمذاهب الاربعة وبالجملة فقد كتبها صلاح الدنيا في ديوان صلاح الدين الى يوم العرض وتلا لسان حسنها اليوسفى (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ولما وقف الامير صلاح الدين المذكور على هذه الترجمة تهلل وجهه وقال ما معناه يا ليتك زدتنا من هذا اه

وتقدم شئ من اخبار صلاح الدين هذا في حوادث سنة ٧٤٠ وقال ابن الوردى في حوادث هذه السنة اعنى سنة ٧٤٥ فيها توفي بطرابلس الأمير الفاضل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار احد الامراء بطرابلس وهو واقف

المدرسة الصلاحية بحلب كما تقدم وكان من اكمل الأمراء ذكياً فطنا معظماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخط وله نظم كان كاتباً ثم صار دواتدار قبجق بحماة ثم شاد الدواوين بحلب ثم حاجبا بها ثم دواتدار الملك الناصر ثم نائباً بالاسكندرية ثم اميراً بحلب وشاد المال والوقف ثم اميرا بطرابلس رحمه الله تعالى.
اقول موقع هذه المدرسة شمالي الخان المعروف بخان خيربك وامام الخان المعروف بخان الكتان وهي مدرسة صغيرة وقد كانت اشرفت على الخراب فعمرها السيد بهاء الدين ابن السيد تقي الدين القدسي في حدود سنة ١٢٦٠ ومن ذلك الحين صار الناس يسمونها البهائية الا انها في الأوقاف لم تزل باقية على اسمها القديم ولما عمرت سعى السيد بهاء الدين المذكور في تعيين الشيخ صالح المرتيني مدرساً لها وقد كان اتى من ادلب وتوطن حلب فبقيت في يده الى ان توفي ثم آلت الى حفيده الشيخ عمر المرتيني وهو مدرسها الى الآن ووقف عليها السيد بهاء الدين نحو سبعين كتاباً خطيا هي موضوعة في غرفة التدريس العليا الا انها بحالة لا يستفاد منها ووقفت زوجة السيد بهاء الدين | بنبه | على المدرسة داراً في محلة الفرافرة ولها سوى هذه الدار اراض عشرية تبلغ وارداتها ثلاثين ليرة عثمانية ذهباً وهي الآن في حوزة دائرة الأوقاف

﴿استرجاع ما بيع من املاك بيت المال بحماة والمعرة﴾

قال ابن الوردي وفيها استرجع السلطان الملك الصالح ما باعه الملك المؤيد وابنه الأفضل بحماة والمعرة وبلادهما من املاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصباً وقد اشتريت به تقادم الى الملك الناصر فقال بعض المعريين في ذلك

طرحوا علينا الملك طرح مصادر * ثم استردوه بلا اثمان
واذا يد السلطان طالت واعتدت * فيد الآله على يد السلطان

وكانما كاشف هذا القائل فأن مدة السلطان لم تطل بعد ذلك

(سنة ٧٤٦)

ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل وسلطنة اخيه شعبان

قال ابن الوردى وفي ربيع الآخر توفي السلطان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاون وجلس مكانه اخوه السلطان الملك الكامل شعبان

الحرب بين الأمير طرفوش وبين ابن دلغادر

قال المقريزى في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة . وقدم الخبر من حلب بوقعة كانت بين ابن دلغادر وبين امير يقال له طرفوش اقامه الأمير يلبغا اليحياوي صداً لأبن دلغادر واغراه به ووعده بأمرته على التركمان فألى ان يسير لمحاربته طاب يلبغا من حلب فسار عنها واقتتل طرفوش وابن دلغادر فانتصر ابن دلغادر بعد عدة وقايع قتل فيها من الفريقين خلائق فلما قدم الأمير ارقطاي الى حلب تلطف بأبن دلغادر حتى اعاده الى الطاعة وما زال يجتهد حتى اصلح بينه وبين طرفوش ثم التفت الى جهة الأمير فياض بن مهنا وقد كثر عيثه وفساده واخذ قفول التجار وبذل جهده حتى قدم عليه حلب فتلقاه وانزله وبالغ في اكرامه واخذ عليه العهود والمواثيق بالأقامة على الطاعة ثم جهزه الى بلاده وكتب بذلك الى السلطان فسر به سروراً زائداً فأنه كان في قلق من اخبار فياض وعلى عزم ان يجرد العسكر اليه ويورى بقصد سيس واخذ فياض في تجهيز القود الى السلطان وسيره فقدم وفيه سبعون فرساً قامت عليه بألف الف درهم وخمسون

هجيناً وعشر مهريات وعبي وغير ذلك ثم قدم عقب قوده فأكرمه السلطان واحسن اليه وانزله اه

ذكر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب وتولية سيف الدين ارقطاي

قال ابن الوردى وفي ربيع الآخر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب الى نيابة دمشق مكان طقزتمر وسافر طقزتمر الى مصر بعد المبالغة في امتناعه من النقلة من دمشق فما اجيب الى ذلك وتوفي طقزتمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة وفيه وصل الأمير سيف الدين ارقطاي الى حلب نائباً وابطل الخمور والفجور بعد اشتهارها ورفع عن القرى الطرح وكثيرا من المظالم ورخص السعر وفيها فى شهر رمضان وصل القاضي بهاء الدين حسن بن جمال الدين سليمان بن ريان الى حلب ناظرا على الجيش على عادته عوضاً عن القاضى بدر الدين محمد بن الشهاب محمود الحلبي ثم ما مضى شهر حتى اعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة قلت

ساكني مصر اين ذاك التأني * والتأني ومـا لكم عنه عذر
يخسر الشخص ماله ويقاسي * تعب الدهر والولاية شهر

وفيها كتب على باب قلعه حلب وغيرهـا من القلاع نقراً في الحجر ما مضمونه مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجند والأمير وذلك احد عشر يوماً وبعض يوم في كل سنة وهذا التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية وهذه مسامحة بمال عظيم

قال المقريزي في كتاب السلوك وفى شوال قدم من حلب ابن قرناص فبذل فى نظر حلب نحو الفي دينار حتى رسم له به عوضاً عن ابن الموصلي فبعث ابن الموصلي ابنه بهدية سنية فيها جوار حسان وجوز بسط حرير فقام (عرلوا) معه واوصله بالسلطان فقبل هديته وبسط البسط بالدهيشة واقر ابن الموصلي على حاله فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوماً بألفي دينار .

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه الى سيس بطلب الحمل وقد كان تكفور قد كتب فى الأيام الصالحية بأن بلاده خربت فسومح بنصف الخراج فلما وصل اليه قاصد نائب حلب جهز الحمل وحضر كبراء دولة تكفور ليحلفوه انه مابقى فى مملكته اسير من المسلمين كما جرت العادة فى كل سنة بتحليفه على ذلك وكان في ايديهم عدة من المسلمين اسرى فبيت مع اصحابه قبلهم في الليلة التي يكون حلفه فى صبيحتها فقتل كل احد اسيره في اول الليل فما هو الا ان مضى ثلثا الليل خرجت في الثلث الأخير من تلك الليلة ريح سوداء معها رعد وبرق ارعب القلوب وكان من جملة الأسرى عجوز من اهل حلب في اسرى المنجنيقي ذبحها عند المنجنيق وهي تقول اللهم خذ الحق منهم واقام يشرب الخمر بعد ذبحها مع اهله حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسهم فسقطت الشمعة واحرقت ماحولها حتى هبت الريح فتطاير شرر ما احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه وتعلقت النيران بما حوله حتى بلغت موضع تكفور ففر بنفسه واستمرت النار مدة اثني عشر يوماً فاحترق اكثر القلعة وتلف المنجنيق كله بالنار وكان هو حصن سيس ولم يعمل مثله واحترق المنجنيقي واولاده الستة وزوجته واثني عشر رجلاً من اقاربه وخربت سيس وهدم سورها ومساكنها وهلك كثير من اهلها وعجز تكفور عن بنائها

﴿ ذكر تزايد امر ابن دلغادر ﴾

وفيها في اواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وربضها بالحيلة وهي من امنع قلاع سيس مما يلي الروم وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس الجديد لاستنقاذها فصادفه ابن دلغادر فأوقع بالأرمن وقتل منهم خلقاً وانهزم البـاقون

وبعد فتحها قصد النائب بحلب ان يستنيب فيها من جهة السلطان فمنع ابن دلغادر عن ذلك فجهزوا عسكراً لهدمها ثم اخذتها الأرمن منه بشؤم مخالفته لولي الامر وذلك في رجب سنة سبع واربعين وسبعمائة

سنة ٧٤٧

ذكر عزل الحاج ارقطاي نائب حلب وتولية حلب لسيف الدين طقتمر الأحمدي

قال ابن الوردي في المحرم طلب الحاج ارقطاي نـائب حلب الى مصر وفي ربيع الأول وصل الى حلب الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي نائباً نقل اليها من حماة وفي جمادى الأولى سافر القاضي ناصر الدين محمد بن الصـاحب شرف الدين يعقوب وولي كتابة السر بدمشق وتولى كتابة السر بحلب مكانه القاضي جمال الدين ابراهيم بن الشهاب محمود الحلبي . وفي رجب سافر طقتمر الأحمدي نائب حلب الى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام .

قال المقريزي في السلوك وفي ذي القعدة قدم الأمير طقتمر الصلاحي من حلب وهو احد خواص الكامل ثم اخرج لنيابة حمص فمات بها

ذكر تولية حلب لسيف الدين بيدمر البدرى

قال ابن الوردى وفي شعبان وصل الى حلب الأمير سيف الدين بيدمر البدري نقل اليها من طرابلس . (واقعة غريبة)

قال ابن الوردى وفى ذي الحجة صدرت بحلب واقعة غريبة وهي ان بنتاً بكرا من اولاد اولاد عمر التيزيني كرهت زوجها ابن المقصوص فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول فقالتها وهى لاتعلم معناها فأحضرها البدري بدار العدل بحلب وامر فقطعت اذناها وشعرها وعلق ذلك في عنقها وشق انفهـا وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين وهي من اجمل البنات واحياهن فشق ذلك على الناس وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب حتى نساء اليهود وانكرت القلوب قبح ذلك وما افلح البدري بعدها فقلت

وضج الناس من بدر منير * يطوف مشرعا بين الرجال

ذكرت ولاسواء بها السبايا * وقد طافوا بهن على الجمـال

وفيه ورد البريد بتولية السيد علاء الدين على بن زهرة الحسيني نقابة الأشراف بحلب مكان ابن عمه الأمير شمس الدين حسن بن السيد بدرالدين محمد بن زهرة واعطى هذا امارةطبلخاناه بحلب

(زيادة بيان لحادثة المرأة وتعيين ارغون شاه لولاية حلب)

قال المقريزي فى كتاب السلوك في حوادث سنة ٧٤٨ واتفق بمدينة حلب ان الأمير بيدمر البدري لما قدمها ترفع على الأمراء وعزل الولاة والمباشرين بعد ما اخذ تقادمهم واستبدل بهم غيرهم بمال قلموا له به واشتدت وطأة حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم ثم بلغه ان رجلاً من الأعيان مات عن ابنة وترك

مالاً جزيلا واوصى ان تتزوج ابنته بأبن عمها فرغب بعض الناس في زواجها وبذل لأوليائها مالاً كثيراً حتى زوجوها منه بغير رضاها فلم ترض به وكرهته كراهة زائدة حتى قالت لأهلها ان لم تطلقوني منه والا كفرت فأحضروها الى بعض القضاة وجدد اسلامها فطلب الأمير بيدمر ابن عمها وضربه بالمقارع ضرباً مبرحاً وضرب المرأة ايضاً ضرباً شنيعاً وقطع انفها واذنيها وشهرها بحلب فتألم الناس لها ألماً كثيرا ووصل خبرها الى امراء مصر فقام صمقار وقرابغا واصحابهما قياما كثيرا في الانكار على بيدمر وصادف مع ذلك وصول كتاب نائب الروم بأن يتوجه اليه ويقيم عنده فظفر بقاصده واحد من الكتاب وقبض على ابن طشتمر وسجنه بالقلعة فأجيب بالشكر والثناء وكتب اليه اصحابه بأن يبعث تقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته الى غير صفد فبعث سبعة افراس وعقد جوهر بمائة الف درهم وغير ذلك من الأصناف فأعجبت السلطان وشكره فأخذ صمقار وقرابغا واصحابهما في ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له وما فعله بالمرأة وابن عمها وتحسين ولاية ارغون شاه عوضه فأنه سار في اهل صفد سيرة جميلة ولم يقبل لأحد تقدمة وجلس للحكم بين الناس وانصف في حكمه حتى احبه اهل صفد فرسم بقدوم ارغون شاه ليستقر في نيابة حلب وحضور الأمير بيدمر من حلب فقدم ارغون شاه صحبة طيزق واكرمه السلطان وخلع عليه تاسع عشر صفر بنيابة حلب عوضاً عن بيدمر البدري ورسم ان لا يكون لنائب الشام عليه حكم وان يكون مكاتباً للسلطان وكتب لنائب الشام بذلك وتوجه الى حلب في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول وقدم من دمشق على البريد في سادس عشره ونزل قصر معين الدين حتى قدم طلبه من صفد في ابهة زائدة وخيوله بسروج سنية مرصعة وكنابيش ذهب وقلائد

مرصعة وكان بيدمر قد رأى فى منامه المرأة التى فعل بها ما فعل وهي تقول له اخرج عنا وكررت ذلك ثلاث مرات وقالت له قد شكوتك الى الله تعالى فعزالك فانتبه مرعوباً وبعث اليها لتحالله وبذل لها مالاً فلم تقبله وامتنعت من محاللته فقدم خبر عزله بعد ثلاثة ايام من رؤياه وقدم الى القاهرة صحبة طيزق وقد اوصل الامير ارغون شاه الى حلب وسر سروراً كثيراً اه

ثم قال في آخر حوادث هذه السنة ومات الامير بيدمر مقتولا بغزة فى اوائل جمادى الآخرة وهو احد المماليك الناصرية واليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريباً من المشهد الحسيني

(سنة ٧٤٨)

﴿ ذكر تعيين قاض مالكي بحلب ﴾

قال ابن الوردى في ثالث المحرم وصل الى حلب القاضى شهاب الدين بن احمد ابن الرياحى على قضاء المالكية بحلب وهو اول مالكي استقضى بحلب ولا بد لها من قاض حنبلي بعد مدة لتكمل به العدة اسوة مصر ودمشق .

وفيه ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير من بزر السنة الماضية فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحى النواحى الحلبية نحو اربعة آلاف نفس لقتله ودفنه وقامت عندهم اسواق وصرفت عليهم من الرعية اموال وهذه سنة ابتدأ بها الطنبغا الحاجب من قبلهم قلت

قصد الشام جراد * سن للفلات سِنا
فتصالحنا عليه * وحفرنا ودفنا

قال المقريزى فى كتاب السلوك فى حوادث هذه السنة وقدم البريد من حلب

بان صاحب سيس جهز مائتي ارمني الى ناحية اياس فلما قربوا من كوار ليهجموا على قلعتها قابلهم اربعون من المسلمين فنصرهم الله على الأرمن وقتلوا منهم خمسين واسروا ثلاثين وهزموا باقيهم فقتل تكواري عدة ممن اسر وحمل بقيتهم الى حلب فكتب بالاحسان الى اهل تكواري والانعام عليهم

(ذكر عزل الامير بيدمر البدري نائب حلب)

وفي منتصف ربيع الاول سافر بيدمر البدري نائب حلب الى مصر معزولاً انكروا عليه ما اعتمده في حق البنت ابن تيزين المقدم ذكرها وندم على ذلك حيث لا ينفعه الندم

﴿ ترجمته ﴾

قال في الدرر الكامنة بيدمر البدري احد المماليك الناصرية وتنقل حتى صار من الامراء في آخر دولة الناصر وولي نيابة طرابلس مدة يسيرة في ايام الكامل شعبان ثم ولي نيابة حلب في سلطنة المظفر حاجي ثم طلب الى مصر ثم اخرج الى الشام على الهجن فقتل بغزة في جمادى الاولى سنة ٧٤٨ وكان يحب العلماء وينسخ بيده كتب عدة ربعات وكان يتصدق في كل شهر بخمسة آلاف درهم وله ورد من الليل لكنه سيء السيرة في نيابة حلب اه

☆ ذكر تعيين ارغون شاه الناصري لولاية حلب ☆

وفي ربيع الاول وصل الى حلب نائبها ارغون شاه الناصري في حشمة عظيمة نقل اليها من صفد

﴿ ذكر تعيين قاض حنبلي بحلب ﴾

وفي ربيع الآخر وصل تقليد القاضي شرف الدين موسى بن فياض الحنبلي

بقضاء الحنابلة بحلب فصار القضاة اربعة ولما بلغ بعض الظرفاء ان حلب تجدد بها قاضيان مالكي وحنبلي انشد قول الحريري فى الملحة

ثم كلا النوعين جاء فضله * منكرا بعد تمام الجمله

[ذكر عزل ارغون شاه وشيء من احواله]

قال ابن الوردي وفى جمادى الآخرة نقل ارغون شاه من نيابة حلب الى نيابة دمشق فسار عاشر الشهر وبلغنا انه وسط في طريقه مسلمين وهذا ارغون شاه في غاية السطوة مقدم على سفك الدماء بلا تثبت قتل بحلب خلقا ووسط وسمر وقطع بدويا سبع قطع بمجرد الظن بحضرته وغضب على فرس له قيمه كثيرة مرح بالعلاقة فضربه حتى سقط ثم قام فضربه حتى سقط وهكذا مرات حتى عجز عن القيام فبكى الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه

عقلت طرفك فيه * اظهرت للناس عقلك

لا كان دهر يولي * على بنى الناس مثلك

قال المقريزى فى السلوك في حوادث سنة ٧٥٠ فيها مات الأمير ارغون شاه الناصري نائب الشام مذبوحاً في ربيع الاول رباه الناصر محمد حتى عمله امير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية ثم استقر بعد وفاته استادار امير مايه مقدم الف فتحكم على المظفر شعبان حتى اخرجه لنيابة صفد وولي بعدها نيابة حلب ثم نيابة الشام وكان قوي النفس شرس الأخلاق مهاباً جائراً فى احكامه سفاكاً للدماء غليظاً فحاشا كثير المال وأصله من بلاد الصين حمل الى ابى سعيد بن خدابندا فأخذه دمسق خواجه ابن جوبان ثم ارتجعه ابو سعيد بعد قتله وبعث به هدية الى مصر اهـ

﴿ ذكر تعيين فخر الدين اياز لنيابة حلب ﴾

وفي اواخرها وصل الى حلب نائباً فخر الدين اياز نقل اليها من صفد

ذكر قتل السلطان امير حاج وسلطنة اخيه حسين

وفيها في رمضان قتل السلطان الملك المظفر اميرحاج ابن الملك الناصر بن قلاون واقيم مكانه اخوه السلطان الملك الناصر حسن

﴿ عزل فخر الدين اياز نائب حلب ﴾

وفيها في شوال طلب السلطان فخر الدين اياز نائب حلب الى مصر وخافت الأمراء ان يهرب فركبوا من اول الليل واحاطوا به فخرج من دارالعدل وسلم نفسه اليهم فأودعوه القلعة ثم حمل الى مصر فحبس وهو احد الساعين في نكبة يلبغا وايضاً فأنه من الجركس وهم اضداد لجنس التتار بمصر وكان المظفر قد مال عن جنس التتار الى الجركس ونحوهم فكان ذلك احد ذنوبه عندهم فانظر الى هذه الدول القصار التي ما سمع بمثلها في الأعصار قلت

هذي امور عظام * من بعضها القلب ذائب
ما حال قطر يليه * في كل شهرين نائب

﴿ ذكر تعيين الحاج ارقطاي لنيابة حلب ﴾

قال ابن الوردي وفي ذي الحجة وصل الى حلب الحاج ارقطاي نائباً بعد ان خطبوه الى السلطنة والجلوس على الكرسي بمصر فأبى وخطبوا قبله الخليفة الحاكم بأمر الله فأمتنع كل هذا خوفاً من القتل فلما جلس الملك الناصر حسن على الكرسي طلب الحاج ارقطاي منه نيابة حلب فأجيب واعفى الناس من زينة الأسواق بحلب لأنها تكررت حتى سمجت قلت

كم ملك جاء وكم نائب * يازينة الأسواق حتى متى
قد كرروا الزينة حتى اللحى * مـا بقيت تلحق ان تنبتـا

(سنة ٧٤٩)

ذكر استفحال امر قراجا ابن دلغادر التركمانى فى البستان ومرعش

قال ابن الوردى دخلت سنة تسع واربعين وسبعمائة وقراجا بن دلغادر التركمانى وجماعته قد شغبوا واستطالوا ونهبوا وتسمى بالملك القاهر وابان عن فجور وحمق ظاهر ووالاه بغروره الشيطان حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذى يحمل الى السلطان

قال المقريزى فى كتاب السلوك في حوادث هذه السنة واستقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن نور الدين محمد بن الصايغ بعد وفاته

واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن ابى السفاح كاتب السر بحلب عوضاً عن جمال الدين ابراهيم ابن الشهاب محمود

ذكر وصول الوباء (الطاعون) الى حلب واتصاله بالبلاد الشامية ثم المصرية

قال ابن الوردى وفيها فى شهر رجب وصل الوباء الى حلب قيل لنا انه ابتدأ من الظلما ت (اي من الشرق الأقصى) من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه وعملت فيه رسالة سميتها النبا عن الوبا (منها) ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين.سل هنديا في الهند .واشتد على السند .وقبض بكفيه وشبك .

على بلاد ازبك وكم قصم من ظهر فيما وراء النهر. ثم ارتفع. ونجم. وهجم على العجم واوسع الخطا الى ارض الخطا وقرم القرم ورمى الروم بجمر مضطرم وجر الجرائر الى قبرص والجزائر ثم قهر خلقاً بالقاهرة وتنبهت عينه لمصر فأذاقهم بالساهرة واسكن حركة الاسكندرية فعمل شغل الفقر له مع الحريرية [ومنها]

اسكندرية ذا الوبا * سبع يمد اليك ضبعه

صبراً لقسمته التي * تركت من السبعين سبعة

ثم تيمم الصعيد الطيب. وابرق على برقة منه صيب. ثم غزا غزة. وهز عسقلان هزه. وعك الى عكا. واستشهد بالقدس وزكا. فلحق من الهاربين الأقصى بقلب كالصخرة ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة فى مره ثم طوى المراحل ونوى ان يلحق الساحل فصاد صيدا وبغت بيروت كيدا ثم صدد الرشق الى جهة دمشق فتربع ثم وتميد وفتك كل يوم بألف وازيد. فأقل الكثرة وقتل خلقاً ببثرة [ومنها]

اصلح الله دمشقا * وحماها عن مسبه

نفسها خست الى ان * تقتل النفس بحبه

ثم امر المزة وبرز الى برزه. وركب تركيب مزج على بعلبك. وانشد في قارة قفا نبك. ورمى حمص بحلل وصرفها مع علمه ان فيها ثلاث علل. ثم طلق الكنة في حماه فبردت اطراف عاصيها من حماه

يا أيها الطاعون ان حماة من * خير البلاد ومن اعز حصونها

لا كنت حين شممتها فسممتها * ولثمت فاها آخذاً بقرونها

ثم دخل معرة النعمان فقال لها انت منى في امان حماة تكفيك فلا حاجة لي فيك

رأى المعرة عينا زانها حور * لكن حاجبها بالجور مقرون

ماذا الذى يصنع الطاعون فى بلد * فى كل يوم له بالظلم طاعون

ثم سرى الى سرمين والفوعة . فشمت على السنة والشيعة . فسن للسنة أسنته شرعا وشيع في منازل الشيعة مصرعا . ثم أنطى انطاكية بعض نصيب . ورحل عنها حياء من نسيانه ذكرى حبيب ثم قال لشيزر وحارم لا تخافا مني فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عني فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية ثم أذل عزاز وكانزه . واصبح في بيوتهما الحارث ولا اغنى ابن حلزه واخذ من اهل الباب اهل الألباب وبلشر تل بلشر ودلك دلوك وحاشر وقصد الوهاد والتلاع وقلع خلقاً من القلاع ثم طلب حلب ولكنه ما غلب (ومنها) ومن الاقدار انه يتبع اهل الدار فتي بصق احد منهم دما تحققوا كلهم عدما ثم يسكن الباصق الاجداث بعد ليلتين او ثلاث .

سألت باريء النسم . في دفع طاعون صدم * فمن احس بلع دم . فقد أحس بالعدم

ومنها

حلب والله يكفي * شرها ارض مشفقة

اصبحت حية سوء * تقتل الناس بيزقة

فلقد كثرت فيها ارزاق الجنائزية فلا رزقوا وعاشوا بهذا المودم وعرقوا من الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا فهم يلهون ويلعبون ويتقاعدون على الزبون

اسودت الشهباء في * عيني ومن وهم وغش

كادت بنو نعش بها * ان يلحقوا ببنات نعش

[ثم قال] وفي هذا كفاية ففي الرسالة طول

وهذا الوباء كاد يكون عاماً في القطعة الاسيوية وفي شمالي البلاد الافريقية على ما فصله المقريزي في كتاب السلوك واطال في ذكر البلاد التي دخلها وفتكه الذريع فيها ذكر ذلك في ست ورقات ومما قاله وفي اول يوم من جمادى الاولى إبتدأ الوباء بأرض حلب فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها وسواحل

عكا وصفد وبلاد القدس ونابلس والكرك وعربان البوادى وسكان الجبال والضياع ولم يدخل الوبا من بلاد الشام معرة النعمان ولا بلد شيزر ولا حاره وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة انسان (ثم قال) وقد اكثر الناس من ذكره في اشعارهم ومما قاله الاديب زين الدين عمر ابن الوردي

ان الوبا قد غلبا * وقد بدا فى حلبا * قالوا له على الورى *كاف ورا قلت وبا

وقال الله اكبر من وبا قد سبا * ويصول فى العقلاء كالمجنون
سنت استه لكل مدينة * فعجبت للمكروه فى المسنون

وقال الا ان هذا الوبا قد سبا * وقد كاد يرسل طوفانه
ولا عاصم اليوم من امره * سوى رحمة الله عبدانه

وقال الاديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي

ان هذا الطاعون يفتك في العا * لم فتك امرئ ظلوم حقود
ويطوف البلاد شرقاً وغرباً * ويسوق العباد نحو اللحود
قد اباح الدما وحرم جمع الشمـ * ـل قهراً وحل نظم العقود
كم طوى البشر من اخ عن اخيـ * ـه وسبى عقل والد بوليد
ايتم الطفل اثكل الأم ابكى الـ * ـعين اجرى الدموع فوق الخدود
بسهام ترمى الأنام خفيا * ت تشق الحلود (١) قبل الجلود
كلما قلت زدت في الثقل اقـ * ـصر ويبيت يقول هل من مزيد
ان اعش بعده فأني شكور * مخلص الحمد للولي الحميد
واذا مت هيئوني وقولوا * كم قتيل كما قتلت شهيد

واطال المقريزى في تعداد من توفي تلك السنة من الأعيان

---

(١) هكذا

﴿ ظهور انوار على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد وغيرهم بمنبج ﴾

قال وفي ذي القعدة ظهر بمنبج على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد اخي خديجة رضي الله عنها وهذان القبران بمشهد النور خارج منبج وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ نيبوب وهما داخل منبج وعلى قبر الشيخ علي وعلى مشهد المسيحات شمالي منبج انوار عظيمة وصارت الانوار تنتقل من قبر بعضهم الى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك الى ربع الليل حتى ابتهر لذلك اهل منبج وكتب قاضيهم بذلك محضراً وجهزه الى دار العدل بحلب ثم اخبرني القاضي بمشاهدة ذلك واكابر واعيان من اهل منبج ايضاً

وفي السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة كانت وفاة ابن الوردي رحمه الله بالطاعون ولم يسلم من طعناته واسمه عمر بن مظفر وستأتي ترجمته ان شاء الله تعالى

(سنه ٧٥٠)

ذكر نيابة قطليجا الحموي ثم نيابة ارغون الكاملي

قال في روض المناظر وفي هذه السنة ولي الأمير ارغون الكاملي نيابة حلب عوضاً عن قطليجا الحموي وكان قد وليها نحو شهر ومات . قال المقريزي مات في هذه السنة الأمير قطليجا الحموي اصله مملوك المؤيد صاحب حماة فبعثه الى الناصر محمد وترقى حتى صار من جملة الامراء ثم ولي نيابة حماة ونقل الى نيابة حلب فأقام بها اياماً ومات وكان سيئ السيرة

وفيها توفي الحاج ارقطاي الناصري باشر نيابة حمص ثم صفد ثم طرابلس ثم حلب ثم مصر ثم حلب ثم دمشق فتوجه من حلب اليها ومات بعين المباركة وحمل الى حلب ودفن بتربة سودي وكان يحب حلب فأنشد فيه

قالوا ارقطاي مات قلت فهل * في الموت بعد الحياة من عجب
ما مات من فرحة بنقلته * بل مات من حزنه على حلب

وكان عمره سبعين سنة . قال المقريزي في حوادث هذه السنة . ومات الامير ارقطاي المنصورى بظاهر حلب وهو متوجه الى دمشق عن نحو ثمانين سنة يوم الأربعا خامس جمادى الأولى واصله من مماليك المنصور قلاون رباه الطواشي فاخر احسن تربية الى ان توجه الناصر محمد بن قلاون الى الكرك كان معه فلما عاد اليه ملكه جعله من جملة الامراء ثم سفره صحبة الامير تنكز نائب الشام واوصاه ان لايخرج عن رأيه فأقام عنده مدة ثم تنكر عليه فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف ثم نقله لنيابة صفد فأقام بها ثمان عشرة سنة وقدم مصر فأقام بها عدة سنين وجرد الى اياس ثم ولي نيابة طرابلس ومات الناصر وهو بها ثم قدم مصر وقبض عليه ثم افرج عنه واقام مدة ثم ولي نيابة حلب ثم طلب الى مصر وصار رأس الميمنة ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين ثم اخرج لنيابة حلب فأقام بها مدة ثم نقل لنيابة الشام فمات في طريقه لدمشق فدفن بحلب وكان مشكور السيرة اه

قال واستقر نجم الدين محمد الزرعى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن ابى السفاح فيها

سنة ٧٥١

قال المقريزي فى حوادث هذه السنة فى المحرم اوقع الأمير ارغون نائب حلب بكاتب سرها زين الدين عمر بن يوسف بن عبدالله بن يوسف ابى السفاح وضربه وسجنه فاستقر عوضه في كتابة السر بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد المعروف بأبن قاضى العسكر

وقدم الخبر بأن الأمير ارغون ركب الى التركمان وقد كثر فسادهم فقبض على كثير منهم وانلفهم واوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعث موسى الحاجب على الفي فارس في طلب نجمه امير الأكراد فلما قرب منه بعث صاحب ماردين يشعر بقوة العسكر خوفاً من غير لقاء فتنكر الأمير ارغون على موسى الحاجب وكتب يشكو منه [ثم قال بعد ورقتين] وانعم على جركتمر باستقراره حاجباً بحلب عوضاً عن موسى الحاجب لشكوى نائب حلب منه

[سنة ٧٥٢]

خلع السلطان حسن وسلطنة اخيه الملك الصالح صالح

قال ابن اياس فى هذه السنة قبضوا على السلطان الملك الناصر حسن واقيم في السلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون وهو تمام العشرين من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاون

﴿ ذكر نيابة الامير بيبغا اروس بحلب ﴾

قال ابن اياس فى هذه السنة ارسل السلطان الملك الصالح بالأفراج عن الامير بيبغا اروس وكان بالسجن فى قلعة الكرك فلما حضر خلع عليه واستقربه نائب حلب ثم خلع على الامير ارغون الكاملي واستقربه نائب السلطنة بالديار المصرية .

قال المقريزي وفي هذه السنة استقر فى قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد التلمساني عوضاً عن الشهاب احمد بن ياسين الرياحي واستقر في قضاء الحنفية بها جمال الدين ابراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن عبد العزيز بن العديم بعد وفاة ابيه واستقر فى كتابة السر بحلب جمال الدين ابراهيم بن

الشهاب محمود عوضاً عن الشريف شهاب الدين بن قاضي العسكر وقدم الشريف الى القاهرة اه

(سنة ٧٥٣)

﴿ذكر عصيان الأمير بيبغا اروس نائب حلب وقصده دمشق﴾

قال في روض المناظر فى هذه السنة سار بيبغا اروس نائب حلب ومعه قراجا بن دلغادر التركمانى (صاحب البستان ومرعش) الى مصر طالباً للملك بنفسه وانجرت معه عساكر عظيمة منها نائب طرابلس ونائب حماة ونائب صفد فخرج اليه السلطان الملك الصالح بعساكره فلما بلغه ذلك رجع من قبلى دمشق الى جهة حلب فمنع عنها وتشتت شمله وتفرقوا ايادي سبا واستقر نائباً بحلب عوضه الأمير ارغون الكاملي اه وذكر ابن اياس فى حوادث هذه السنة هذا الخبر بابسط من هذا فقال جاءت الأخبار من حلب بان الأمير بيبغا اروس قدخرج من الطاعة واظهر العصيان وكذلك الأمير بكلمش نائب طرابلس وكذلك الأمير احمد نائب حماة وكذلك الأمير الطنبغا برفاق نائب صفد فأرسل نائب الشام الأمير ارغون الكاملي يخبر السلطان بما قد جرى من النواب ثم بعد ذلك بايام يسيرة جاءت الأخبار بأن نائب حلب وصل الى الشام وحاصر المدينة فلما رأى نائب الشام عين الغلبة هرب تحت الليل هو ومماليكه وتوجه الى نحو غزة فأقام بها وارسل يعلم السلطان والأمراء بذلك ثم جاءت الأخبار بأن بيبغا اروس لما دخل الى الشام وقف تحت القلعة ومعه من تقدم ذكرهم من النواب فاستعرض هناك العسكر الشامى والعسكر الحلبي فكان مع الأمير بيبغا اروس من النواب والأمراء نحو ستين اميراً غير العساكر الحلبية والشامية وغير ماالتف عليه من العربان والعشائر فقويت شوكته فلما فرغ من العرض نزل عند قبة بيبغا وارسل

الى نائب قلعة دمشق وهو الأمير اياجي يطلب منه اميرا كان مسجونا بقلعة دمشق فأرسل اليه الأمير اياجي يعتذر له عن ذلك بان هذا فى سجن السلطان ولا اقدر على اطلاقه من السجن الا بمرسوم السلطان ثم ان نائب قلعة دمشق حصن القلعة تحصيناً عظيماً وركب عليها المكاحل بالمدافع وارسل يقول لأهل المدينة لا تفتحوا دكانا ولا سوقا ولا تبيعوا على عسكر حلب شيئاً فلما بلغ الأمير بيبغا اروس ذلك اشتد به الغضب وامر عسكره بأن ينهبوا ضياع دمشق والبساتين ويقطعوا الأشجار فلما سمعوا هذه المناداة ماابقوا ممكناً من الأذى والفساد فنهبوا حتى النساء والبنات والقماش وجرى على اهل دمشق من بيبغا اروس ما لم يجر عليهم من عسكر غازان لما دخل دمشق . فلما جاءت الأخبار بذلك الى السلطان علق الجاليش وتجهز للخروج الى دمشق ثم عين الأمير عمرشاه وهو صاحب القنطرة وعين محمد بن بكتمر الساق والأمير قاري الحوى بأن يخرجوا الى الصيد قبل خروج السلطان لحفظ البلاد من فساد العربان وصون الغلال فخرجوا من يومهم ثم ان السلطان خرج من القاهرة قاصداً نحو البلاد الشامية فطلب طلباً عظيماً وخرج معه من يذكر من الأمراء وهم الأمير طاز والأمير شيخو العمري والأمير صرغتمش والأمير استدمر العمرى واخوه الامير طاز والامير جردمر والامير قرابغا والامير بنجاص والأمير جا السلحدار والامير طشتمر القاسمى والأمير سنقر المحمدى والامير قطلوبغا الذهبي وبقية الامراء المقدمين وكان مع السلطان الطبلخانات والعشراوات نحو ثمانين اميرا ثم ان السلطان ترك فى القاهرة الامير قبلاى نائب السلطنة ومعه ثلاثة امراء لصون المدينة ثم خرج السلطان من القاهرة سابع شهر شعبان وكان صحبته القضاة الأربع والخليفة الأمام احمد الحاكم بامر الله ابن المستكفى بالله وسائر العسكر

قاطبة فكان وصول السلطان الى دمشق فى شهر رمضان فنزل بالقصر الأبلق الذي بالميدان وصلى الجمعة في جامع بني امية وكان الأمير بيبغا اروس لما بلغه وصول الملك الصالح الى دمشق رحل عنها ثم ان السلطان طلع الى قلعة دمشق واقام بها وامر جماعة من الأمراء والعسكر بأن يتوجهوا خلف الأمير بيبغا ومن معه من النواب فخرجوا اليهم وتقاتلوا معهم فلما كان ثالث شهر شوال جاءت الأخبار من عند السلطان بأنه قد انتصر على الأمير بيبغا اروس وانكسر بيبغا وهرب الى بلاد التراكمة وقبض على جميع من كان معه من النواب والعسكر ودخلوا بهم الى دمشق وهم في جنازير وقيود وكان لهم فى دمشق يوم مشهود لم يسمع بمثله ثم ذكر من قتل من هؤلاء الأمراء ومن شفع فيه الى ان قال وعاد السلطان الى الديار المصرية فدخل القاهرة فى اواخر شوال.

ثم قال ابن اياس في حوادث سنة اربع وخمسين وفيها حضروا برأس الامير بكلمش نائب طرابلس ورأس الأمير بيبغا اروس نائب حلب ورأس الامير احمد نائب حماة وكانوا هربوا من الملك الصالح لما توجه الى الشام كما تقدم فلما هرب اولئك النواب توجهوا الى بلاد التركمان فقطعوا رؤسهم وارسلوها الى السلطان فرسم بأن يعلقوا على باب زويلة فعلقوا عليه ثلاثة ايام اه

(سنة ٧٥٤)

﴿ ذكر تولية حلب للأمير ارغون ﴾

﴿ الكاملي وقبضه على قراجا بن ذي الغادر وقتل قراجا بمصر ﴾

قال ابن اياس فى هذه السنة خلع السلطان على الأمير ارغون الكاملي واستقر به نائب حلب عوضاً عن بيبغا اروس فلما توجه ارغون الى حلب جرد الى قراجا

بن ذي الغادر امير التركمان وكان ذنب قراجا انه وافق بيبغا اروس على العصيان فلما وصل اليه الأمير ارغون هرب منه فتبعه الأمير ارغون الى اطراف بلاد الروم فقبض عليه وارسله الى السلطان فلما حضر الى القاهرة ومثل بين يدى السلطان امر بتسميره فسمروه على جمل وطافوا به مصر والقاهرة ثم وسطوه فى الرميلة بسوق الخيل ثم دفنوه اه

﴿ زيادة بيان لهذه الحوادث ﴾

وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة قراجا بن دلغادر امير التركمان بالبلاد الشمالية انه جاء الى حلب الى بيبغا اروس القاسمى نائب حلب ووافقه في العصيان على السلطان وتوجه معه الى دمشق حين سار فلما احس بيبغا اروس بنزول السلطان (اي بمجيئه من مصر) ولى هارباً وهرب معه قراجا المذكور وتوجه الى بلاده فتوجه فى طلبه الأمير سيف الدين ارغون الكاملي نائب حلب وصحبته العساكر الحلبية وذلك في سنة اربع وخمسين وسبعمائة فوصلوا الى ابلستين فهرب قراجا بن دلغادر فتبعوه الى ان ادركوه بأطراف بلاد الروم فلما احس بهم هرب فنهب العسكر بيوته وبيوت التركمان الذين كانوا معه واخذوا مواشيهم واستمر قراجا هارباً الى ان وصل الى ارتنا صاحب الروم فقبض عليه ثم جهز الى مصر فكان آخر العهد به

سنة ٧٥٥

ذكر خلع الملك الصالح صالح وعود الملك الناصر حسن

الى السلطنة وتولية حلب للأمير طاز

قال في روض المناظر في هذه السنة خلع الملك الصالح صالح واستقر عوضه

الملك الناصر حسن وعاد الى السلطنة واستقر عوضه طاز فى نيابة حلب عوضاً عن ارغون الكاملى

قال بيشوف نقلاً عن درة الاسلاك في سنة ٧٥٥ ولي الامير سيف الدين طاز الناصري نيابة السلطنة بحلب عوضاً عن الامير سيف الدين ارغون الكاملى وفي هذه السنة انشأ الامير ارغون الكاملى البيمارستان المنسوب اليه داخل باب قنسرين واجتهد فى امره ورفل فى اثواب ثوابه واجره وشيد بنيانه ومهد مجالسه وايوانه ورفع قواعده وهيأ بيوته ومراقده واعد له الآلات والخدم ورتب لحفظ الصحة فيه ارباب الحكم واباحه للضعيف والسقيم وفتح بابه للراحل والمقيم ورواه بالمياه الكثيرة وانفق اموالاً غزيرة واجرى عيوناً مملوءة وجرايته ووقف للقيام بمصالحه ما يزيد على كفايته اه

ووجدت في مجموعة معظمها بخط المؤرخ ابى ذر قال ان لأرغون الكاملى بحلب المارستان المشهور وفى ذلك يقول ابن حبيب

قولا لأرغون الذى معروفه * بالعرف قد احيى النفوس والارج
انزلك الرحمن خير منزل * رحب ورقاك الى اعلى الدرج
بنيت داراً للنجاة والشفا * ليس بها على المريض من حرج

سنة ٧٥٨

ذكر وفاة الامير ارغون الكاملى

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي ارغون بن طيجو الكاملى بالقدس الشريف ودفن في تربته هناك وعمره دون الثلاثين سنة تبناه الملك الصالح اسماعيل وزوجه اخته من امه وكان يسمى ارغون الصغير فلما مات الصالح وولى اخوه

الكامل اعطى ارغون تقدمة الف ونهى ان يسمى ارغون الصغير فسمى الكاملى ولي نيابة حلب ثم نقل الى نيابة دمشق عوضا عن ايتميش وتوجه فى حركة بيبغا روس الى ملاقاة العساكر المصرية وعاد مع طاز وسنجر الى حلب وراء بيبغا روس فاستمر في نيابة حلب ثانياً وحصر بيبغا روس وحبسه بالقلعة وكان آخر العهد به وحصر احمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وقراجا بن دلغادر وعمر مارستانه بحلب داخل باب قنسرين ووقف عليه قرية بنش العظمى من الغربيات ثم طلب الى مصر اميراً مقدماً ثم جهز الى الاسكندرية مقبوضاً عليه ثم افرج عنه وتوجه الى القدس الشريف وكانت به وفاته رحمه الله اه

اقول تدخل الى هذا البيمارستان فتجد عن يسارك حجرة هي الآن خربة ثم تدخل الباب الثانى فتجد عن يمينك حجرة اخرى كانت هاتان الحجرتان لقعود الاطباء ووضع ما يحتاجون اليه من الأدوية والأشربة ثم تجد صحناً واسعاً يحيط بطرفه القبلى والشمالى رواقان ضيقان مرفوعان على اعمدة عظيمة ووراءهما حجر صغيرة هى محل حبس المجانين فيها ثم تدخل من الجهة الشمالية في دهليز وبعد خطوات تجد دهليزين الذي عن اليمين يأخذك الى باب آخر للمارستان تخرج منه الى بوابة صغيرة وهو مغلق الآن والدهليز الذي عن اليسار يأخذك الى صحنين حولهما حجر صغيرة وهى معدة ايضاً لحبس المجانين وهناك تأخذك الخشية ويداخل قلبك الروع للظلمة المخيمة على هذه الأمكنة ولا منافذ لها وروائح العفونة والاقذار منتشرة فيها واما لنعجب كيف كانوا يحبسون المجانين فيها ولو قعد العاقل هناك بضع ساعات لذهب منه عقله وصار في عداد المجانين

وقد بلغنا انه كان في اطراف الصحن الخارجى وعلى اطراف الحوض الذى في وسطه توضع انواع الرياحين لينا ظرها المجانين وكانوا يأتون بآلات الطرب وبالمغنين فيداوون

المجانين بها ايضاً . وكان امره جارياً على الانتظام الى اواخر القرن العاشر ومن ذلك الحين اهمل امره وزالت تلك الاوضاع منه

وكان بلاط الصحن متوهناً جداً فاهتم جميل باشا سنة ١٣٠٢ فى تبليطه وتجديد حوضه وترميمه داخلاً وخارجاً وكان يسكن في ايوانه الغربي رجل يقال له ابو حيدر هو وعائلته فكانوا يحافظون هؤلاء المجانين ويطعمونهم ويسقونهم ويرفعون الأقذار من عندهم ومنذ نحو عشر سنوات او ازيد بقليل اخذ من كان فيه من المجانين وكانوا قدر عشرين شخصاً الى الاستانة وهذا آخر العهد بهم . والآن يسكنه بعض الفقراء وقد كان لبابه الكبير حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الاصفر قلعتا منذ ١٥ سنة واخذتا الى متحف الاستانة ولا ندرى وصلتا اليه اولا

ويعد هذا البيمارستان من جملة الآثار القديمة الباقية فى حلب وهو يمثل لك داخلاً وخارجاً الهندسة الشرقية غير انه اذا بقى مهملاً على حالته الحاضرة اذى ذلك الى تداعيه وسقوطه وخرابه بتاتا

واما واردات البيمارستان من قرية بنش فانها حولت سنة ١٢٨٤ الى اوقاف الجامع الكبير فكثروا بها واردات الجامع واحدث على اثر ذلك عدة وظائف للمدرسين لم تكن من قبل

(سنة ٧٥٩)

ذكر القبض على الامير طاز نائب حلب وتولية حلب

للامير منجك اليوسفي

قال ابن اياس فى هذه السنة تزايدت عظمة المقر السيفى سيف الدين صرغتمش

رأس نوبة النوب وصار فى رتبة الاتابكى شيخو صاحب الحل والعقد بالديار المصرية فأرسل بالقبض على الامير طاز نائب حلب من غير علم السلطان وارسله من هناك الى السجن بالاسكندرية فانه كان بينه وبين الأمير طاز حظ نفسي من ايام الملك الصالح وكان الاتابكى شيخو يرده عن الامير طاز فلما مات شيخو قضى منه الأمير صرغتمش اربه وقيده ونفاه الى الاسكندرية فلما جرى ذلك خلع السلطان على الامير منجك اليوسفي واستقر به نائب حلب عوضاً عن الامير طاز

﴿ ذكر تولية الامير علي المارديني ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة نقل الأمير منجك اليوسفى الى دمشق واستقر عوضه بحلب الامير علي الماردينى

ترجمة الامير علي الماردينى

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته الامير علاء الدين الماردينى الناصري نائب السلطنة بحلب ثم بدمشق ثم بالقاهرة ولي نيابة حلب في سنة تسع وخمسين وسبعمائة عوضاً عن الامير سيف الدين منجك الناصري واستمر بها مدة ثم نقل الى نيابة دمشق فى اواخر هذه السنة وكان اميرا كبيرا دينـا عادلاً يحب اهل العلم ويكرمهم وله ميل كبير اليهم ويجري الأحكام السياسية على الامور الشرعية ذكره شيخنا ابو محمد بن حبيب فى تاريخه فقال فيه امير ظهر علاؤه وفاح بناءه وامتدت افياؤه واشتهر بالجميل ابناؤه كان دينا عفيفا مترفقاً لطيفا ملازماً للخير حسن السراء والسير رفيع المنزلة محباً للمعدلة منقاداً الى الشريعة الشريفة مشتغلا على مذاهب الأمام ابى حنيفة منصرفاً بالمعرفة والخبرة محترما بين ذوي الامر

والامرة قريباً من الرعية سالكاً للطرق المرضية يجتمع بأهل العلم ويكرمهم ويركن الى اقوالهم ويعظمهم باشر نيابة السلطنة بدمشق مدة طويلة وبحلب برهة زينها بما عنده من السيرة الجميلة ثم انتقل الى الديار المصرية مطلوباً واستمر الى ان بلغ ما كان له من الاجل مكتوباً انتهى توفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بالقاهرة عن بضع وستين سنة تغمده الله برحمته اه

(سنة ٧٦٠)

قال في روض المناظر فى هذه السنة نقل الامير على الماردينى الى نيابة دمشق واستقر عوضه بحلب الامير بكتمر المؤمني ثم امسك واستقر عوضه الامير بيدمر الخوارزمي

(سنة ٧٦١)

قال في روض المناظر في هذه السنة توجه الامير بيدمر الخوارزمي بالعساكر الحلبية الى غزو الارمن بالبلاد السيسية وفتح آذنة وطرسوس والمصيصة وعدة قلاع وعاد مؤيداً منصورا .قال وفى هذه السنة ولي الامير شهاب الدين احمد ابن القشتمري نيابة حلب عوضاً عن بيدمر الخوارزمي

(سنة ٧٦٢)

ذكر قتل الملك الناصر حسن واستقرار السلطنة للملك

﴿ المنصور محمد وتولية حلب للأمير قطلوبغا ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي السلطان الملك الناصر حسن قتله مملوكه يلبغا الخاصكى واستقر في السلطنة ابن اخيه الملك المظفر حاجي واستقر فى نيابة حلب قطلوبغا الاحمدى عوضاً عن ابن القشتمري

(سنة ٧٦٣)

ذكر تولية سيف الدين منكلى بغا

قال في روض المناظر فى هذه السنة استقر الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى في نيابة حلب عوضاً عن قطلوبغا الاحمدي واستمر سنة كاملة

وفيها توفي الأمير طاز بدمشق بعد ان امسك حين عصى بحلب وخرج منها في حمية والكحل ثم اطلق

(سنة ٧٦٤)

ذكر عود قطلوبغا الاحمدي لولاية حلب ووفاته بها

﴿ وتولية حلب للامير اشقتمر الماردينى ﴾

قال فى روض المناظر فى هذه السنة خلع السلطان الملك المنصور محمد واستقر عوضه فى السلطنة ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاون وعاد الى نيابة حلب قطلوبغا الاحمدى ونقل منكلى بغا الى دمشق نائباً وبعد ثلاثة اشهر مات قطلوبغا الاحمدي بحلب واستقر عوضه الامير اشقتمر الماردينى في اوائل سنة خمس وستين وسبعمائة

﴿ ترجمة قطلوبغا الاحمدي ﴾

قال ابن خطيب الناصرية قطلوبغا الاحمدي الامير سيف الدين نائب حلب ولي نيابة حلب فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة عوضاً عن الامير شهاب الدين احمد بن القشتمري واستمر بها سنة وبضع شهور ثم عزل في سنة ثلاث وستين بالامير سيف الدين منكلى بغا الشمسي ثم وليها في سنة اربع وستين عوضاً عن منكلى بغا المذكور واستمر بها متعللا نحو ثلاثة شهور . قرأت فى تاريخ الأمام

البارع ابى محمد الحسن بن حبيب رحمه الله تعالى قال سنة خمس وستين وسبعمائة وفيها توفي الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدي نائب السلطنة بحلب امير ذكره جميل وباعه طويل وطباعه لطيفة واعلامه منيفة كان مخصوصاً بالتكريم مشاراً اليه بالتقديم معظما فى مجالس الدولة وخافاها معدوداً من اعيان المملكة واماثلهاولي النيابة بحلب مرتين وظفر من ركوب شهباتها ورعاية دهماتها بمسرتين لكن خانته الأيام واستولت عليه الأسقام واستمر ملقىً على فراش الضنا الى ان احالت المنية بينه وبين المنى وكانت وفاته بحلب تغمده الله تعالى برحمته

(سنة ٧٦٦)

قال في روض المناظر في هذه السنة تولى الامير جرجي نيابة حلب عوضاً عن اشقتمر

(سنة ٧٦٧)

قال ابن أياس فى هذه السنة رسم السلطان لنائب حلب بأن يأخذ العساكر الحلبية ويتوجه الى حصار قلعة خرتبرت من اعمال دياربكر فسار اليها وحاصرها نحوا من اربعة اشهر فطلب اهلها الأمان ونزلوا طائعين فأرسل نائب حلب يعلم السلطان بذلك فأرسل اليه السلطان خلعة بأن يستقر بنيابة قلعة خرتبرت على عادته ويحلفه ايماناً عظيمة بانه لايرجع يخامر ولايعصي السلطان

﴿ انكسار الأفرنج على اياس ﴾

قال بيشوف في آخر تحف الأنباء نقلاً عن درة الأسلاك توجه الأمير سيف الدين منكلي بغا نائب السلطنة بحلب وصحبته العساكر الحلبية الى مدينة اياس حين بلغهم ان الأفرنج قصدوها في مائة قطعة من المراكب واقبلوا عليها فلما وصلوا وجدوهم قد برزوا الى الساحل ودخلوا المدينة وانهزم اهلها ونهبوا الأمتعة والأقوات فتقدمت العساكر لقتالهم وشوا اثر من هجم على المدينة وتواترت

قدوم العساكر الاسلامية من القلاع وهرب الأفرنج الى جهة البحر فأدركوا وجرحوا وقتل منهم جماعة واخذت خيلهم وسلاحهم وتألم كل الأفرنج بسبب ذلك واستمرت العساكر في اياس الى ان ايسوا من عود الأفرنج ثم رجعوا بالعز والنصر مؤيدين اه

اقول وسيأتيك فيما كتب على باب جامع منكلى بغا الأشارة الى هذه الوقعة وان ذلك كان فى سنة ٧٦٧

(سنة ٧٦٨)

﴿ ذكر عود الامير منكلي بغا الشمسي الى نيابة حلب وعمارته للجامع داخل باب قنسرين المعروف بجامع الرومي ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة عاد الامير منكلى بغا الشمسي الى نيابة حلب عوضاً عن جرجى الناصرى وانشأ جامعه المعروف بحلب داخل باب قنسرين

﴿ ترجمة جرجي الناصرى ﴾

قال الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة جرجى الناصري اصله من مماليك الناصر ثم تنقل في الخدم الى ان صار دويدارا صغيرا في ايام الصالح اسماعيل ثم استقر دويداراً كبيرا في ايام المظفر ثم اخرج الى دمشق امير عشرة بعد قتل المظفر ثم ولي فى ايام حسن الخزندارية ثم جعل امير اخور في ايام الأشرف ثم ناب بحلب ثم استقر من كبار الأمراء بدمشق الى ان مات في صفر سنة ٧٧٢

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل المقر السيفى منكلى بغا نائب الشام (قبل توليته لحلب) يسأل السلطان عن الحضور الى مصر زائراً ليرى وجه السلطان فلما حضر الى القاهرة احضر صحبته تقادم كثيرة للسلطان حتى للأمراء والأتابكى يلبغا فاكرمه السلطان غاية الاكرام وخلع عليه واستقر به نائب حلب وجعل

حلب أكبر من الشام كما كانت على القاعدة القديمة وعين معه عسكراً يقيمون بحلب عنده

الكلام على جامع منكلي بغا المشهور الآن بجامع الرومى

قال فى الدر المنتخب ومنها جامع منكلى بغا الشمسي نائب حلب ثم دمشق داخل باب قنسرين وهو من احسن الجوامع وبني على احسن الوجوه كانت عمارته في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة اه وهو سهو من النساخ والصواب فى سنة ٧٦٨ كما تقدم

﴿ المكتوب على بابه ﴾

(١) البسملة انشا هذا الجامع المعمور المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف العالي المولوى (٢) المالكى المخدومي السيفي ابو عبدالرحيم منكلى بغا الأشرفي كافل الممالك الحلبية حين كسر الأفرنج على اياس فى غرة شهر صفر سنة سبع وستين وسبعمائة ويومئذ (٣) اتابك الجيوش المنصورة بالديار المصرية ادام الله ملك مالكها مولانا السلطان الملك الأشرف اعز الله انصاره .

﴿ وفوق تلك الحجر حجر اخرى صغيرة كتب عليها ﴾

(١) البسملة انشا هذا المعمور المبارك بعفو الله وعونه جانم (٢) الحمزاوى بتاريخ رجب الفرد سنة سابع عشر وتسعمائة اه وهذا يفيد ان جانم الحمزاوي جدد في هذا الجامع بعض الأماكن

وطول القبلية نحو ٢٧ ذراعاً وعرضها نحو ١٤ ذراعاً ومحرابه من الرخام المرمر وعلى جانبيه عمودان منقوشان نقشاً بديعا والأحجار التي فوق المحراب من الرخام الملون مشتبك بعضها في بعض . والمنبر جميعه من حجر المرمر وهو منقوش

ايضاً نقشاً متقنا دل على براعة فى هذه الصنعة

وله صحن واسع في وسطه حوض كبير وعلى جانبي الصحن والقبلية رواقان عظيمان مرتفعان غاية الأرتفاع على اربع سوار عظيمة ويقال ان القبلية كانت ممتدة الى المكان الفارغ الذى على الجانبين ولعل الذى صغر القبلية هو جانم الحمزاوى الذي جدد بعض بنائه سنة ٩١٧ كما هو مكتوب على بابه

وللجامع منارة عظيمة الارتفاع تعد في جملة الآثار القديمة التي فى حلب كتب على اسفلها عند آخر جدار الجامع من فوق من جهة الشمال بقلم عريض (انشاه العبد الفقير الى الله تعالى منكلي بغا الشمسي غفر الله له) ومثل ذلك من طرف الشرق .

وكان للجامع ميضاة امام المنارة من جهة الشمال يبلغ طولها ١٤ ذراعاً وعرضها ٩ اذرع وكانت عامرة فسعى رجل يقال له الحاج احمد الصابوني كان ممن اثرى من صنعة الصابون فى اخذ هذه الميضاة بدعوى انها عرصة خالية لاينتفع منها على ان يدفع لجهة الجامع حكراً قدره عشرة قروش مسانهة ليحفر موضعها دولاباً للجنينة التابعة لدوره التي انشأها امام الجامع وقد اطلعت على حجة التحكير وهي محررة سنة ١٢٦٤ وقد ادخلت تلك الميضاة في الدار التي فيها الجنينة وعمر بدلها ميضاة اخرى داخل الجامع في غربيه داخل باب آخر للجامع فدسد بواسطة هذه الميضاة وبما عمر وراءه من الدور ومكتوب على هذا الباب مثل الكتابة التي تقدمت الا انه طين فوقها الآن .

وكان جدار القبلية الشمالي قد توهن لجدده هذا الرجل ومع هذا كله فأنه على اثر ذلك اخذت ثروته فى التناقص وافتقر واضمحل امره ودخل الشؤم فى دوره حتى بيعت مرات بابخس الأثمان وصارت تنتقل من شخص الى آخر وكل

من اشتراها لا يفلح وتتتابعه المصائب اما في نفسه او في ماله اوفي اهله. واشتهر بين جميع الناس شؤم هذه الدور لأخذه هذه الميضاة وادخالها في ملكه. والدار الكبيرة هي في منتهى الزخرفة وكان الصابوني احضر لها صناعاً من الشام لدهن سقوف بيوتها وطليها بالذهب وصرف على ذلك مبالغ طائلة. وعلى سعتها وما فيها من النقوش بيعت منذ عشر سنوات بخمسة وثلاثين الفا قروشاً رائجة ولولا ما اشتهرت من الشؤم لبيعت بالفي ليرة عثمانية

وليس لهذا الجامع الآن شيء من الأوقاف ومنذ سنتين عينت دائرة الأوقاف له اماماً وخادماً ومؤذناً وفي سنة ١٣٢٠ حضر الى حلب الشيخ رجب وهو رجل من الأتراك من اهالي طربزون منسوب الى اهل الطريق فنزل عند تاجر يقال له باكير كامل اصله من اورفة ثم عمر له حجرة واسعة في شمالي هذا الجامع في داخلها مخدع فسكن فيها وصار يقيم الذكر في القبلية وصار له بعض المريدين وتوطن حلب وهو رجل ساكن مبارك ومن الأحياء الى يومنا هذا وبوجود هذا الرجل اصبح الجامع معموراً بالمصلين من اهل المحلة .

والرواقان على ارتفاعهما وضخامة بنائهما آخذان في الخراب واذا بقي امرهما مهملاً على هذه الحالة سيخربان بتاتا ولو اهتمت دائرة الأوقاف اودائرة المعارف وابتنت موضعهما مكتباً ابتدائيا ينتفع به اهل المحلة وغيرهم لأحسنت الصنع وازداد هذا الجامع عمراناً والله من وراء القصد

وفي ارض الرواق الغربي جرن كبير قطعة واحدة كتب على طرفه [انشأ هذه الحنفية المباركة الفقير الى الله الحاج عبد الله بن الحاج يحيي وأوقف عليه الدكان الذي في جانب الميضاة في سنه ٩٦٠ اهـ] واليوم لا اثر لهذه الدكان وقد دخلت مع الميضاة في دار الجنينة التي عمرها الصابوني كما قدمنا

واما شهرة الجامع بالرومى فاني لم أقف على سبب ذلك والله أعلم

سنة ٧٦٩

ذكر زيادة نهر حلب وتخريبه بيوتاً كثيرة

قال في روض المناظر في هذه السنة زاد نهر حلب زيادة عظيمة واصبحت منها بيوت لا اثر لها وقلعت كثيراً من الاشجار وانشد فيه القاضي بدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبي

لما طما نهر قويق ولم * يأت بسيب بل بسيل غزير
قالت الاشجار من حوله * مهلاً فقدزدت علينا كثير

وفيها نقل منكلي بغا الشمسى الى مصر اتابك الجيوش بها واستقر عوضه في نيابة حلب طنبغا الطويل

ترجمة منكلي بغا

قال في الدرر الكامنة منكلي بغا الشمسى احد مماليك الناصر حسن ولي امرة طبلخاناه بعد القبض على شيخو في ذي الحجة سنة ٧٥٨ ثم امرة مائة بعد القبض على صرغتمش سنة ٥٩ ثم ولى نيابة حلب سنة ٦٣ فباشر جيدا وتوخى العدل والاحسان وعمر الجامع بها ثم ولى نيابة دمشق سنة ٦٤ عوضاً عن قشتمر ففتح في سنة ٦٥ باب كيسان وعقد عليه قنطرة ومد جسراً يسلط عليه وبنى هناك جامعاً وكان مغلقاً من ايام العادل محمود بن زنكى ثم نقل الى نيابة حلب في صفر سنة ٦٨ ثم استقر نائب السلطان بمصر في سنة ٦٩ ثم استعفى من النيابة فاستقر اتابكاً وكان الاشرف بعد قتل يلبغا قرر في الاتابكية اسندمر ثم طقشتمر النظامي ثم ملكتمر المحمدى ويلبغا المنصوري معاً ثم استقدم منكلي بغا من حلب فقرره

فى النيابة ثم فى الاتابكيةوذلك في ربيع الاول سنة ٦٩ وولى نظر البيمارستان فلم يزل على حاله حتى مات في جمادى الاولى سنة ٧٧٤ وكان مهاباً عاقلاً عارفاً يتكلم في عدة فنون (اقول) وفى هامش النسخة المنقول منها هذه الترجمة ما نصه حدثني القاضى محب الدين محمد بن الشحنة كاتب السر الشريف بمملكة مصر ان المذكور كان مجازاً بالافتاء والتدريس وذكر عنه فوائد منها انه ذكر عنده (الولد سرأبيه) فقال للقائل ما معنى ذلك فقال المعنى انه يكون على طريقة ابيه ونحو هذا فقال ما هكذا سمعنا من الأشياخ بل المعنى الولد ما يسره ابوه ان خيرا فخير وان شراً فشر ثم قال ما اعراب ان خيرا فخير الخ يا فقيه فقال له المخاطب مولانا ملك الامراء اعلم واما العبد فرجل من آحاد الشهود لا يعلم ذلك وحدثنا انه لما استعرض وظائف الجامع الكبير بحلب حسن له المباشرون ان يقص معاليم ارباب الوظائف فأقر كل احد على ما هو عليه وزاد معلومه من المدرسين وغيرهم ثم قال بقي المباشرون فلما قرئت اسماؤهم ومقادير معاليمهم قال كان اقطاعي يعمل في مصر اكثر من متحصل وقف الجامع وكان له مباشر واحد وفيه كفاية ثم منع المباشرين الا واحداً

وحدثني انه لما بنى جامعه الذي بحلب منع ان يقف على العمال فيه احد من جماعته يحثهم على العمل وكان اذا حضر وقت الصلاة حضر اليهم وامرهم بالوضوء والصلاة فى وقتها وربما قال انه يصلى بهم اماماً وكان اذا رأى فيهم شيخاً او ضعيفا اعطاه جميع اجره وامره بالأنصراف الى عياله ليأكل معهم ويستريح عندهم فيذهب فأن شاء حضر وان شاء لم يحضر رحمه الله

سنة ٧٧٠

وفاة طنبغا الطويل وتولية حلب لأستنبغا الابوبكري

ثم اقشتمر المنصوري ثم لسيف الدين اشقتمر

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي طنبغا الطويل نائب حلب قيل بسم دسه اليه المصريون حين بلغهم انه قصد المخامرة واستقر في نيابة حلب استنبغا الابوبكرى ثم طلب الى مصر واستقر عوضه بحلب قشتمر المنصوري. وفي آخر السنة خرج الى العربان فقتل هو وولده وجماعة من العسكر واعيد الى نيابة حلب الامير سيف الدين اشقتمر فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة

ترجمته وزيادة بيان في هذه الوقعة

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته قشتمر المنصوري الأمير سيف الدين ولي نيابة السلطنة بحلب في سنة سبعين وسبعمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين استنبغا الأبي بكري واستمر بها قليلا ثم توجه فى السنة المذكورة وصحبته طائفة من العسكر الحلبي لردع العرب من بني كلاب وغيرهم حين ترصدوا لقطع الطريق بين حماة وحلب ونهبوا المسافرين وبعض المتوجهين الى الحجاز الشريف فلما وصل العسكر الى تل السلطان بالقرب من حلب وجدوا هناك عدة من بيوت العرب ومضاربهم ومواشيهم فاستاقوا كثيراً من مواشيهم وجمالهم ودخلوا الى بيوتهم فنهبوها فنهض العرب واستنجدوا بمن كان نازلاً هناك من آل مهنا وجرى بينهم قتال شديد وقتل فى المعركة نائب السلطنة المذكور وولده وعدة من العسكر وكسروا كسرة شنيعة وولوا هاربين وتبعهم العرب يأخذون ما قدروا عليه منهم من الخيل والعدة وسلموا ولم ينج من السلب الا القليل ودخلوا البلد دخولاً فاحشاً وذلك

لطمعهم وفيهم يقول بعض اهل الادب

تباً لجيش طمعوا فوقعوا * في شرك العراب والاعراب

وعـاد كل منهم مجرداً * من الثواب ومن الاثواب

وكان الامير قشتمر المذكور اميراً كبيراً خبيرا حسن الشكل فصيحا كاتبا كريما ولي نيابة السلطنة بمصر ودمشق وحلب وطرابلس وصفد وكانت وفـاته بالمكان المذكور مقتولاً فى السنة المذكورة عن نيف وستين سنة تغمده الله برحمته

قال ابن اياس فى هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بأن نائب حلب قشتمر المنصورى قد قتل هو وولده محمد (١) وسبب ذلك ان شخصاً من آل فضل يسمى الأمير جبار وقع بينه وبين نائب حلب تشاجر فخرج اليه نائب حلب مع العساكر الحلبية فتقاتل مع الامير جبار فقويت العربان على نائب حلب فقتل هو وولده في المعركة. ثم ان السلطان خلع على الامير اشقتمر واستقر به نائب حلب عوضاً عن قشتمر المنصورى وارسل خلعة الى الامير زامل من آل فضل بأن يكون عوضاً عن الامير جبـار بن مهنا فخرج الامير اشقتمر وتوجه الى حلب (وقد تقدم ان مجيئه كان فى اول سنة ٧٧١ وهذه للمرة الثانية)

(سنة ٧٧٣)

﴿ ولاية عز الدين ايدمر ﴾

قال فى روض المناظر في هذه السنة ولي عز الدين ايدمر الدوادار نيابة حلب

---

(٥) اقول وهما مدفونان في جامع المقامات بظاهر حلب داخل القبلية على يمين المنبر ومكتوب على قبر قشتمر مـا نصه (١) هذا قبر المقر المرحوم السيفى قشتمر المنصورى مولانا (٢) ملك الامراء بحلب المحروسة كان توفي الى رحمة الله (٣ عند رجليه) تعالى في يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة (٤) الحرام سنة سبعين وسبعمائة رحمه الله اه · والى جانبه قبر ولده محمد ومكتوب عليه (هذا قبر امير محمد ولده)

عوضاً عن اشقتمر ونقل الى مكانه بطرابلس نائباً

﴿ بناء اشقتمر جامعه في هذه السنة وذكر بقية آثاره ﴾

قال فى الدر المنتخب فى الباب الحادى والعشرين الذي ذكر فيه ماتجدد بعد ابن شداد من المساجد والمدارس . فن ذلك مسجد آشقتمر داخل باب النيرب بناه في سنة ٠٠٠ [بياض فى الأصول] وانشأ بالقرب منه حماماً وفرناً وخانا ومعصرة وحوانيت ووقفها عليه وعلى التربة التي انشاها ظاهر باب المقام بمنة الظاهر من المدينة وهي تربة عظيمة واسعة لهـا بوابة من الحجر النحيت الأبيض ذات عقد مصلب له ثلاث قناطر ومساطب رخام اصفر وداخلها مدفن معقود عليه قبة كبيرة وحوش كبير به بركة كبيرة مرخمة الداير يصل اليها الماء من القنـاة وبصدر هذا الحوش ايوان كبير ذو شبابيك احدهما مطل على قسطل كبير يجرى اليه من فايض البركة وللأيوان المذكور شباكان مكتنفان بمحرابه مطلان على جنينة وشباك غربي يقابل الشبـاك الشرقي المطل على القسطل وللتربة حجر ومنافع ومرتفق وبهذه التربة دفن سيدي الوالد [١] الزم الأمير نوروز الحافظى عمي قاضي القضاة فتح الدين بدفنه هنالك غصباً لتكون التربة المذكورة جارية تحت نظرنـا اهـ

اقول اشتهر هذا الجامع الآن بجامع السكاكيني وهو في محلة القصيلة ومكتوب على قنطرة بابه [انشا هذا المسجد العبد الفقير الى الله تعالى اشقتمر الأشرفى [٢] غفر الله له وللمسلمين فى شهور سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة]

وفي الجامع فى الجهة الشمالية منه مصطبة ووراءها خمس حجر لطبة العلم كان بناها

---

(١) هو ابو الوليد محمد بن الشحنة صاحب روض المناظر المتوفى سنة ٨١٥

(٢) الشين من الكلمتين ذاهبة

السيد راجي بيازيد بعد سنة ١٢٦٠ بقليل للشيخ حسين الغزي البالي حينما جاء الى حلب وتوطن فيها وصار مدرساً في هذا الجامع وهو الآن تحت يد الأوقاف والباقي له من العقارات فرن ودكان ومخزن يبلغ وارداتها نحو خمسين ليرة عثمانية ذهباً

﴿ ذكر اتخاذ علامات خضر في رؤس الأشراف ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة رسم السلطان الملك الاشرف شعبان ان يكون للأشراف علامة خضراء فى رؤسهم تعظيما لهم واحتراماً وانشدت

شرفت الاشراف من سلطاننـا * الاشرف بالخضر من القبضات
عزاً وابدالاً بمـا قد البست * اسلافهم فى عـالي الجنـات

وانشد الشيخ ابو عبد الله المغربى محمد بن جابر الهواري الاندلسى نزيل حلب

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

قال ابن اياس وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب الحلبي

عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشـارة ان لهم * في جنة الخلد لباساً اخضرا

(سنة ٧٧٤)

فيها اعيد الأمير اشقتمر لنيابة حلب وهذه ولايته للمرة الثالثة .

(سنة ٧٧٥)

﴿ ولاية بكتمر الخوارزمى ثم اشقتمر ﴾

قال في روض المناظر فى هذه السنة ولى الأمير بكتمر الخوارزمي نيـابة حلب عوضاً عن آشقتمر وبعد اربعة اشهر نقل بكتمر الى نيابة دمشق واعيد اشقتمر

الى نيابة حلب اه

وهذه ولايته للمرة الرابعة وبقي الى سنة ٧٨٠ وكانت وفاته بحلب سنة ٧٩١ ودفن في تربته التي انشاها

(سنة ٧٧٦)

﴿ ذكر فتح مدينة سيس ﴾

قال في روض المناظر فى هذه السنة توجه نائب حلب الأمير اشقتمر بالعساكر الحلبية بأمر السلطان الملك الأشرف لأخذ سيس وفتحها بعد حصار شهرين وعاد سالماً غانماً صحبة تكفور الأرمني وجهزه الى مصر واستقر اقبغا الدوادار نائباً لها ثم بعد قليل جعلت سيس مملكة برأسها للفتوحات الجاهانية واضيف اليها طرسوس وآذنة واياس وغيرها واستقر في كفالتها الأمير موسى بن شهري واستقر بها حجاب وكاتب سر وارباب الدولة على عادة الممالك واقطعت جهاتها بمناشير وتوفي بها رحمه الله

(سنة ٧٧٨)

﴿ تعيين ابي الوليد بن الشحنة لقضاء حلب ﴾

قال المحب ابو الوليد محمد بن الشحنة في روض المناظر فى هذه السنة كنت نزيلا بالقاهرة مقيما بالصرغتمشية فطلبني الملك الأشرف شعبان بن حسين وولاني قضاء حلب شكوا من جهل ابن العديم (١) وطلبوا قاضياً من اهل العلم فطلب السلطان من علماء مصر من يصلح فاشار الشيخ سراج الدين البلقيني والشيخ اكمل الدين محمد الحنفي بولايتي فكانت

---

(١) اسمه ابراهيم بن محمد وهذا تحامل منه نشأ من المعاصرة وسيأتيك فى حوادث سنة ٧٨٧ ما قاله ابن اياس فى حقه وستاتيك ترجمته الحافلة فى القسم الثاني ان شاء الله تعالى

والخان الكائن امام البيمارستان الارغونى في محلة باب قنسرين المسمى خان القاضى منسوب اليه وذلك للكتابة التى على جدار الخان في مدخله من الطرف الأيسر وبعد عناء حتى تمكنت من قراءتها وهى (١) لما كان بتاريخ مستهل سنة خمس ...... المقر الكريم العالى القضائى المحبي القاضى محب الدين ابن الشحنة الحنفى (٢) اسبغ الله ظلاله قدابطل ما على مدينة نصارا قارا من الموجب الذي على بضايعهم المباعة بمدينة حلب (٣) من القماش والثمار خارجاً عن الفاكهة حسب المرسوم الشريف الذي بيدهم ملعون من يجددها [٤] او يسعى في تجديدها عليه اللعنة الى يوم الدين .

وقد اكد امر ابطال هذه الرسوم بأمر آخر نقش على جدار البيمارستان على يسار الباب ويظهر ان الكاتب واحد وصورته [١] لما كان بتاريخ ثاني عشرين ربيع الآخر سنة ستة واربعين وثمانماية ابطل المقر الشريف العالى المولوي المخدو [مى] [٢] الزينى عمر السفاح الشافعي صاحب ديوان الأنشاء الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة اخذ موجب ما يجلبه نصارة مدينة قاره ا [لى] [٣] ...... المحروسة من القماش والثمار خارجاً عن الفاكهة فى معلوم كتابة السر ... بحلب ابتغاء لوجه (الله) [٤] تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فأنما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم اه [الحروف الموضوعة بين هلالين ذاهبة من آخر السطور]

(سنة ٧٧٩)

ذكر قتل الملك الأشرف شعبان وسلطنة ولده الملك المنصور علي

قال في روض المناظر ما خلاصته في هذه السنة قتل الملك الأشرف شعبان واسنقر

في السلطنة ولده الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان ابن الملك الامجد حسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون [قال ابن اياس] وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية

(سنة ٧٨٠)

ذكر تولية حلب للأمير منكلي بغا البلدى ثم لتمرباى

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر فى نيابة حلب الأمير منكلي بغا البلدى عوضاً عن اشقتمر ثم امسك واستقر عوضه سيف الدين تمرباى التمرداشي وتوجه الى التركمان وانكسر عسكر حلب كسرة لم تسبق مثلها من التركمان ومنها عظم شأن التركمان ومنعوا العداد اه

وتوجه الى محاربة التركمان في سنة سبعمائة واحدى وثمانين قال في تحف الانباء في هذه السنة سار الامير سيف الدين التمرداشي المنصوري وصحبته العساكر الحلبية وطائفة من عسكر حماة ودمشق الى جهة البلاد السيسية ليردع طوائف التركمان حين ظهر فسادهم واشتهر بغيهم وعنادهم فلما وصل العسكر الى القرب من مدينة اياس وبلغ التركمان خبرهم بادروا الى الخضوع والطاعة وحضر منهم نحو اربعين من اكابرهم وامرائهم واستصحبوا ما استطاعوا من الهدايا والتحف فحين اقبلوا على النائب المشار اليه اظهروا الطاعة وطلبوا الأمان فلم يقبل منهم وامر باعتقالهم في القيود وركب بمن معه من العساكر الى بيوتهم في الحال واوقعوا بهم من النكال ما احال منهم الحال ونهبوا اموالهم وسبوا نساءهم وقتلوا رجالهم وتقووا على الضعيف فعند ذلك احتال التركمان وجمعوا جموعهم وكمنوا للعسكر بمضيق في طريقهم يقال له باب الملك عند شاطئ البحر واوقعوا بهم فلم

ينج منهم الا طريح او جريح او سلمه القضاء والقدر فطار مع الريح وسلبوا ما كان معهم وتشتت شملهم ونقل في درة الأسلاك في دولة الأتراك انه حكى من كان حاضرا هذه الوقعة ان الذي اخذه التركمان فيها من الأموال والاثاث والخيل ما لا يحصى فمن جملته ثلاثون الف جمل بأحمالها وثلاثة عشر الفاً من الخيل بسروجها اه

سنة ٧٨٢

ذكر عود منكلي بغا البلدى لنيابة حلب

قال في روض المناظر في هذه السنة عاد منكلى بغا البلدي الاحمدي الى نيابة حلب ورفع المكس عن عزاز ثم توفي بحلب اه وعبارة تحف الانباء تفيد انه عاد اليها في اواخر سنة ٧٨١

ذكر ولاية الامير اينال اليوسفى

قال في روض المناظر بعد وفاة منكلي بغا استقر عوضه الامير اينال اليوسفي في نيابة حلب

سنة ٧٨٣

وفاة الملك المنصور علي وسلطنة اخيه الملك الصالح حاجى

قال فى روض المناظر فى هذه السنة توفي السلطان الملك المنصور على بن شعبان واستقر في السلطنة اخوه الملك الصالح حاجى بن شعبان . قال واستقر يلبغا الناصرى فى نيابة حلب عوضاً عن اينال

(سنة ٧٨٤)

خلع الملك الصالح حاجى وابتداء دولة الجراكسة

قال في روض المناظر فى هذه السنة تاسع عشر رمضان خلع السلطان الملك الصالح حاجى ابن شعبان واستقر عوضه الامير سيف الدين برقوق سلطانا ولقب بالملك الظاهر ابو سعيد وقد بسط ابن اياس الحوادث والاسباب فى ذلك

قال وكان اصل الملك الظاهر برقوق من مماليك الاتابكي يلبغا العمري الناصرى جابه الى مصر الخواجا عثمان بن مسافر فاشتراه منه الاتابكى يلبغا واقام عنده مدة ثم اعتقه فلما مات يلبغا وجرى لمماليكه ما جرى هرب برقوق وتوجه نحو الشام لخدم عند منجك نائب الشام فلما توفي منجك صار برقوق من جملة مماليك السلطان فلما كانت دولة الاشرف شعبان بقي برقوق امير عشرة ثم بقي امير اربعين ثم بقي مقدم الف ثم بقي اميراخور كبير ثم بقي اتابك العساكر فى دولة الملك المنصور علي بن الاشرف شعبان ثم بقي سلطانا بمصر بعد خلع الملك الصالح امير حاج وكان برقوق من خلاصة الجراكسة

سنة ٧٨٦

قال في روض المناظر في هذه السنة ارسل التون بغا الجوناني الى الناصري يطلب ابياتاً تنقش على سنان رمح مثلث فأنشد فيه فضلاء دمشق وانشد فيه الحلبية وانشدت انا

انا الاسمر الخطي اسمو الى العلا * تقصر عني المرهفات وتقصر
حياض المنايامن قناتى قدجرت * انابيبها تهمى دماء وتهمر
وتجني ثمار النصر مني جنية * فعودي لعمري ذابل وهو مثمر

(سنة ٧٨٧)

ذكر القبض على يلبغا الناصري وتولية حلب للامير سودون المظفري

قال فى روض المناظر فى هذه السنة امسك يلبغا الناصري وحبس بالاسكندرية واستقر عوضه بحلب سودون المظفرى واساء السيرة فى اهل حلب وتخيل من ارباب المناصب انهم لا يرونه بعين العظمة لكونه نشأ بحلب وضيعاً اهـ

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الامير بهادر المنجكي استادار العالية الى يلبغا الناصري نائب حلب فقال له قم كلم السلطان فلما خرج من حلب ووصل الى غزة قبض عليه وقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية وكان سبب تغير خاطر السلطان على يلبغا الناصري انه بلغه عنه انه متواطئ مع الاميرسولى ابن ذي الغادر امير التركمان وقد اتفقا على العصيان فلما تحقق السلطان ذلك ارسل قبض على يلبغا الناصري وسجنه بثغر الاسكندرية ثم ان السلطان عمل الموكب وخلع على الامير سودون المظفرى واستقر به نائب حلب عوضاً عن يلبغا الناصرى ثم ان السلطان ارسل الامير جمال الامير محمود شاد الدواوين الى حلب بسبب الحوطة على موجود يلبغا الناصري وتوجه الامير محمود الى حلب بسبب ذلك

آثاره بحلب

قال فى الدر المنتخب ومنها جامع يلبغا الناصرى نائب حلب بناه بدار العدل ملاصقاً لتربة السيدة لما توحش خاطره من الملك الظاهر برقوق فتوهم انه ربما يهجم عليه فى صلاة الجمعة اهـ (١) اقول ولا اثر لهذا الجامع الآن

---

[١] وقع في النسخة المطبوعة من الدر المنتخب بعد قوله في صلاة الجمعة وذلك فى سنة ستة وستمائة وهذا سهو من الناسخ ولا اثر لهذه الجملة في نسخ الخطية

قال وفيها خلع السلطــان على القاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي (صاحب روض المناظر) واستقر به قاضي القضاة الحنفية بحلب عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين بن العديم بحكم وفاته وكان ابن العديم هذا من اعيان علماء الحنفية وكانت وفاته بحلب وعاش من العمر نحو ثمان وسبعين سنة اه

سنة ٧٨٨

ذكر وصول تمرلنك الى مدينة قرباغ

قال ابن اياس في هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة قاصد القان احمد بن اويس صاحب بغداد واخبر ان الخارجي تمرلنك قد وصل الى مدينة قربـــاغ ونهبها وسبي اهلها فأرسل القان احمد يعرف السلطان بذلك ليكون على حذر من امره

ذكر اعادة يلبغا الناصري لنيابة حلب وعصيان منطاش بملطية

قال في روض المناظر في هذه السنة عصي منطاش بملطية وكان قد وصل اليه مقدم تمرلنك واتفق معه كما سيأتي قريباً فاستضعف السلطان سودون عن احضاره فعزله واعاد السلطان يلبغا الناصري الى نيابة حلب واهين سودون واستقر الناصري بحلب اميرا اه وسنذكر في حوادث السنة الآتية نقلاً عن ابن خلدون الاسباب التي دعت منطاش الى العصيان

سنة ٧٨٩

ذكر استعداد المصريين لمحاربة تمرلنك

قال ابن اياس في هذه السنة حضر الى الأبواب الشريفه الامير طغاي وكان قد توجه الى بلاد الشرق لأخبار تمرلنك فلما حضر اخبر السلطان ان جاليش تمرلنك

قد وصل الى الرها وكسر قرا محمد امير التركمان وان بوادر عساكر تمرلنك قد وصلت الى ملطاية فلما تحقق السلطان ذلك امر بعقد مجلس بالقصر الكبير وطلب القضاة الاربعة والخليفة وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني واعيان المشايخ المفتين وحضر سائر الامراء فلما تكامل المجلس تكلم السلطان مع الخليفة والقضاة الاربعة في امر تمرلنك ثم ان السلطان تكلم في اخذ مال الأوقاف من الجوامع والمدارس وغيرها فلم يوافق شيخ الاسلام على ذلك ولا القضاة الاربعة فشكا لهم السلطان بأن الخزائن خالية من الاموال والعدو زاحف على البلاد وان لم تخرج العساكر بسرعة والا وصل الى حلب والشام والعسكر لا تسافر بلا نفقة فوقع في المجلس جدال عظيم ودافعوا السلطان واغلظوا عليه فى القول فلما طال الأمر وقع الاتفاق بحضور الخليفة والقضاة الاربعة بأن يؤخذ من مال الاوقاف اجرة الأماكن وخراج الاراضي سنة كاملة وتبقى الاوقاف على حالها وانفصل المجلس على ذلك . ورسم السلطان لمحتسب القاهرة بأن يتولى جبي الاموال من الناس فأخذوا في اسباب ذلك ثم ان السلطان عين تجريدة وعين لها جماعة من الامراء وهم الطنبغا المعلم امير سلاح وقردم الحسنى رأس نوبة امير كبير ويونس النوروزي الداودار وسودون بـاق احد المقدمين وعين من الامراء والطبلخانات رأس نوبة كبير ثمانية ومن الامراء العشروات عشرة وعين من المماليك السلطانية ثلثمائة مملوك وانفق عليهم واخذوا فى اسباب السفر والتوجه الى حلب والاقامة بها الى حضور السلطان ثم ان السلطان رسم بأخذ زكاة الأموال من التجار وندب الى ذلك القاضي الطرابلسى الحنفى وفى رجب خرجت التجريدة من القاهرة في تجمل زائد واستمرت الاطلاب تنسحب من باكر النهار الى قريب الظهر وكان يوماً مشهودا فلما خرجت التجريدة اشتد الامر على الناس

وجبيت الاموال منهم غصبا بالعصا فجبوا ذلك من الناس في يوم واحد ثم فرج الله عنهم وجاءت الأخبار بأن تمرلنك رجع الى بلاده وان ولده قد قتل فسكن الاضطراب ورسم السلطان بأعادة ما اخذوه من الناس فتزايدت ادعيتهم له بالنصر

ذكر الوقعة التي اشير اليها

قال في روض المناظر في حوادث هذه السنة فيها وجه الناصري (نائب حلب) بمن معه من العساكر المصرية والشامية والحلبية الى جهة منطاش. فالتجأ منطاش الى القاضي برهان الدين صاحب سيواس ووصل الناصري بمن معه الى سيواس وحاصرها مدة وقارب اخذها فأرسل القاضي برهان الدين يطلب الأمان وسأل الناصري ان يتأخر عن المدينة قليلاً ليخرج اليه ويسلمه منطاش فاتفق الناصري مع عساكره على ان يظهر الاجابة لذلك ورحل من جانب النهر الى الجانب الآخر فلم ينزل معه من الجانب الآخر من العساكر الا القليل وطلبوا قدام وتمت الحيلة على الناصري وركب صاحب سيواس ومنطاش ومن معهما من التتر في نحو عشرين الفا فثبت الناصري بمن معه وكانوا دون الألف وقاتلهم ونصر الله الناصري وكسر صاحب سيواس فهرب هو ومنطاش الى المدينة وقتل الناصري منهم نحو الألف واسر مثل ذلك وعاد.

قال ابن خلدون كان منطاش هذا وتمرتاي الدمرداشي الذى مر ذكره إخوين لتمراز الناصري من موالي الملك الناصر محمد بن قلاون وربيا في كفالة امهما وكان اسم تمرتاي محمداً وهو الأكبر واسم منطاش احمد وهو الأصغر واتصل تمرتاي بالسلطان الأشرف وترقى في دولته في الوظائف الى ان ولي حلب سنة ثمانين وكانت واقعته مع التركمان وذلك انه وفد عليه امراؤهم فقبض عليهم لما كان من عيثهم في النواحي واجتمعوا فسار اليهم وامده السلطان بعساكر الشام

وحماة وانهزموا امامهم الى الدربند ثم كروا على العساكر فهزموها ونهبوها فى المضايق وتوفي تمرتاي سنة اثنين وثمانين وكان السلطان الظاهر برقوق يرعى لهما هذا الولاء فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسى واستبد بالسلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان (سودون باق) من امراء الألوف خالصة للسلطان ومن اهل عصبية وكان من قبل ذلك فى جملة الأمير تمرتـاى فرعى لمنطاش حق اخيه وشفع له عند السلطان وكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم علل فسادهم وانطلق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم تزل آثار العصيان بـادية عليه وبما داخل امراء التركمان في ذلك ونمى الخبر الى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبي من اعقاب بنى ارتنى ملوكها من عهد هولاكو وقد اعصوصب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حاميته هناك مع الشحنة فيها كما نذكره ولمـا وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضى بادر بأجابته وبعث رسلاً وفداً من اصحابه في اتمام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف على ملطية دواداره وكان مغفلاً فخشي مغبة مايرومه صاحبه من الانتقاض فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش واقام دعوة السلطان بالبلد وبلغ الخبر الى منطاش فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضى الى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الحبل فى يده اعرض عنه وصار الى مغالطة السلطان عما اتاه من مداخلة منطاش وقبض عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثمانين عساكره مع يونس الدوادار وقردم رأس نوبة والطنبغا الرماح امير سلاح وسودون باق من امراء الألوف واوعز الى الناصري فأتى وطلب ان يخرج معهم بعساكرهم والى اينال اليوسفى من امراء الألوف بدمشق

وساروا جميعاً .

وكان يومئذ ملك التتار بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جغطاي قد زحف الى العراقين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر توزّي بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب اتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بعساكره لخارج خرج عليه بقاصية ما وراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من اهلها فبادر القاضي الى اطلاق منطاش لوقته وقد كان ايام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن موالاة السلطان وممالئته ولم يزل يفتل له في الذورة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيئة ابن اريتا بن اول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استئصال شأفتهم بأستئصال ملك ابن اريتا وبلده ووصلت العساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها اياماً وضيقوا عليها وكادت ان تلقى باليد ووصل منطاش اثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم العساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصري فى هذه الوقائع وادرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة بتوغلهم في البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الأمراء اليه فجنح لذلك بعضهم فانكفوا على تعبيتهم وسار بعض التتر فى اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشام على احسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا على العدو ويمحوا اثر الفتنة اهـ

﴿ الزلازل في انطاكية وحلب ﴾

قال الجلال السيوطي في كتابه الصلصلة في الزلزلة . وفي ذي القعدة فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة زلزلت انطاكية زلزلة عظيمة ومات تحت الردم خلق كثير

وقال بعد اسطر وفي هذه السنة فى ربيع الأول زلزلت حلب ست مرات او اكثر زلزلة شديدة .

ذكر عصيان يلبغا الناصري نائب حلب وقتله للامير

﴿ سودون النائب السابق واستيلائه على الشام ثم على مصر ﴾

﴿ وخلعه للسلطان الملك الظاهر برقوق واقامته فى الملك للملك الصالح حاجي ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الاخبار بأن يلبغا الناصري نائب حلب خامر وخرج عن الطاعة وقتل الأمير سودون المظفري الذي كان نائب حلب قبله وقتل اربعة انفس من مماليك سودون وامسك حاجب الحجاب بحلب وجماعة من امرائها وسبب ذلك (١) انه كان قد وقع بينه وبين سودون المظفري تشاجر فأرسل سودون يشتكي من يلبغا الناصري الى السلطان بما وقع منه فى حقه فلما بلغ السلطان ذلك ارسل الأمير تلكتمر المحمدى الدوادار الثاني الى حلب ليصلح بين يلبغا الناصرى وبين سودون المظفري وقيل ان السلطان ارسل في الدس مراسيم على يد الأمير تلكتمر الى سودون المظفري بأن يقبض على يلبغا الناصري نائب حلب فلما وصل الأمير تلكتمر الى حلب بلغ يلبغ الناصري امر المراسيم التى جاء بها الأمير تلكتمر فخرج الى تلقيه وكان بين الأمير يلبغا الناصرى وبين الأمير تلكتمر صحبة مؤكدة فما امكنه ان يخفى منه امر المراسيم فلما وقف عليها يلبغا الناصرى اخذها واخفاها ثم توجه الى دار السعادة (دار العدل كما فى روض المناظر) وطلب قضاة حلب والأمير سودون المظفرى ليقرأ عليهم المراسيم التى جاءت بالأمر بالصلح بين يلبغا الناصرى وسودون فلما ارسل خلف

---

(١) ذكر ابن خلدون فى اواخر الجزء الخامس من تاريخه اسباباً أخر لخروج يلبغا الناصرى عن الطاعة فراجعها ان شئت

سودون لم يحضر الى دار السعادة فأرسل خلفه اربع مرات والقضاة جالسون والأمير تلكتمر فما حضر سودون الا بعد جهد كبير فطلع سودون وهو لابس زرديةمن تحت ثيابه وكان يلبغا الناصرى هيأ جماعة من مماليكه في دار السعادة وهم لابسون آلة الحرب فلما دخل سودون من باب دار السعادة تقدم اليه مملوك من مماليك يلبغا وجس كتف سودون فرآه لابسها من تحت ثيابه فقال له ياأمير سودون الذى يريد الصلح يدخل الى دار السعادة وهو لابس آلة الحرب فلكمه سودون فصاح على ذلك الكمين فخرجوا الى سودون وقتلوه فى دار السعادة وقتلوا معه اربعة مماليك من مماليكه

اظهار يلبغا الناصري العصيان وتولية اينال اليوسفى على حلب

ثم ان يلبغا الناصري اظهر العصيان والتف عليه جماعة كثيرة من مماليك الأشرف شعبان وكان من جملة من التف على يلبغا الناصرى تمربغا الأفضلى المدعو منطاش مملوك الظاهر برقوق وكان له مدة وهو منفي في المدن الشامية فالتف على يلبغا الناصرى ثم ان الأمير تكلتمر لما جرى ماجرى بحلب رجع واخبر السلطان بما وقع لسودون المظفري مع يلبغا فلما تحقق السلطان عصيان يلبغا الناصري ارسل خلعة الى الأمير اينال اليوسفى بأن يستقر نائب حلب عوضا عن يلبغا الناصرى وكان اينال اتابكى العساكر بدمشق ويلبغا الناصري فى نفسه من الملك الظاهر برقوق عداوة قديمة كامنة في قلبه كما قيل

الجرح يبرا ولكن كلما نظرت　　عين الجريح اليه جدد الوجعا

قال ابن اياس ماخلاصته ثم انضم الى يلبغا الناصري نائب طرابلس ثم نائب حماة

سودون العثماني ثم حضر قاصد من عند الأمير خليل بن قراجا بن ذي الغادر فأخبر ان الأمير سنقر نائب حلب قدخامر وخرج عن الطاعة ووافق يلبغا الناصري على العصيان ورحل من سيس واتى الى حلب فلما تحقق السلطان ان النواب قد خامروا عليه انفق على العسكر فخرجوا من القاهرة فى عظمة زائدة فلما خرجوا منهاووصلوا الى دمشق جاءت الأخبار هناك مع السعاة بأن العساكر لما وصلت الى دمشق وجدوا يلبغا الناصرى قد ملك الشام حتى قلعتها فلما وصل العسكر اليه اوقعوا معه بظاهر دمشق واقعة عظيمة حتى جرى الدم بينهم وقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم وآخر الأمر انكسر عسكر السلطان الذى ارسله وانتصر عليهم يلبغا الناصري ثم توجه يلبغا الى مصر وضايقها وآخر الأمر طلب السلطان الأمان من يلبغا ثم اختفى ودخل يلبغا الى مصر ثم وقع الأتفاق على عود الملك الصالح امير حاج ابن الأشرف شعبان الذي خلعه برقوق من السلطنة واقب بالملك المنصور وقد بسط ابن اياس الحوادث فى ذلك الى ان قال

ذكر ولاية الأمير كمشبغا الحموى لنيابة حلب

وخلع على المقر السيفي كمشبغا الحموى واستقر به نائب حلب

سنة ٧٩٢

(اطلاق الملك الظاهر برقوق والحرب بينه وبين منطاش بالقرب من دمشق)

ذكر ابن اياس حوادث واموراً يطول شرحها ادت الى اطلاق الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك . قال في روض المناظر ولما اطلقوا السلطان برقوق من الكرك سار الى دمشق بفرقة يسيرة وخرج اليه حنتمر بالعساكر الشامية فكسرهم ونزل بقبة يلبغا وحاصر دمشق وتوجه اليه نائب حلب كمشبغا بعساكر حلب ناصراً

له واجتمع اليه من كان تفرق عنه فخرج اليه منطاش من مصر بالسلطان والعساكر المصرية والخليفة والقضاة وقرب من الشام والتقى الجمعان بشعحب فانتصر بعض كل من الفريقين وانكسر البعض ولم يعلم احد حال احد فولى كمشبغا هاربا نحو حلب وولى منطاش نحو دمشق ولم يشعر الملك الظاهر برقوق بنفسه الا وهو مخيم على الملك المنصور حاجي فنزل وامسكه وجلس على الكرسي وجعل كل من يحضر من الفئتين يجده جالساً فلا يسعه الا النزول وتقبيل الأرض وفي ثاني يوم خرج منطاش والتقى الجمعان وتناوشا قليلا ورجع كل احد منهما وتوجه السلطان الظاهر من ليلته الى مصر فوصل اليها ووجد مماليكه قد خرجوا من الحبس وامسكوا خلفاء منطاش ومنطاش مقيم بدمشق فدخل السلطان مصر مطمئنا فرحاً واطلق الأمراء الذين حبسهم منطاش

قال ابن اياس لما استقر الملك الظاهر برقوق خلع على امرائه ونوابه في البلاد ثم رسم بالأفراج عن المقر السيفي يلبغا الناصري الذي كان نائب حلب وخامر على السلطان وجرى منه ماجرى وكان سبباً لزوال ملك الظاهر برقوق كما تقدم فلما عاد الملك الظاهر برقوق فى هذه المرة زال ماكان بينه وبين يلبغا الناصري من العداوة ورسم بالأفراج عنه

ارسال منطاش تمنتمر الى حلب نائباً ومحاصرة نائبها كمشبغا

قال في روض المناظر واما منطاش فأنه ارسل وهو بدمشق تمنتمر الموساي الى حلب نائبا وانضم اليه جماعة وحاصروا كمشبغا فى قلعتها وجهز السلطان برقوق عسكراً من مصر ومقدمهم الأمير يلبغا الناصرى وارسل معه الجوبانى نائباً بدمشق وقرا دمرداش نائباً بطرابلس وبلغ ذلك منطاش فهرب من دمشق وبلغ ذلك تمنتمر فهرب من حلب وخرج الناصرى والجوبانى ومن معهما من العساكر من

دمشق في اثر منطاش وهو منضم الى نعير وعنقا [اميران للعرب] وحصلت وقعة عظيمة على حمص قتل فيها الجوباني وجماعة من الأمراء وعاد الناصري الى دمشق فجاءه تقليد بنيابتها وبلغ ذلك كمشبغا نائب حلب فأخذ في عمارة سورها فعمرت احسن عمارة ولم تكن من عهد قازان عمرت ووصل منطاش ونعير وعنقا بعساكر عظيمة ونازلوا حلب وحاصروها في شهر رمضان وانقلبوا خاسئين وتوجه منطاش الى شولى ابن دلغادر وقصدا عين تاب وكان بها الأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين شهري بن شهري من اشار بوضع هذا التاريخ المشار اليه في اول الكتاب وحوصر فأجاد في رفعهم عنها وظهرت فروسيته وشكر على ذلك وطلبه السلطان بعد ذلك وانعم عليه واكرمه

[زيادة بيان في محاصرة تمنتمر الأشرفي لحلب ومحاصرة منطاش لعينتاب]

قال ابن اياس وفي رجب جاءت الأخبار من حلب بأن منطاش ارسل شخصاً يسمى تمان تمر الأشرفي الى مدينة حلب وكان نائب حلب كمشبغا الحموي قد ثقل امره على اهل حلب فما صدقوا بهذه الحركة فحاصروا نائب حلب اشد المحاصرة وتعصبوا الى منطاش فنقبوا القلعة من ثلاث مواضع فصار كمشبغا نائب حلب يقاتلهم من داخل النقب على البرج واستمروا على ذلك نحو ثلاثة شهور فانتصر كمشبغا نائب حلب على تمان تمر الأشرفي الذي ولاه منطاش على حلب فانكسر تمان تمر وولى هارباً ثم ان كمشبغا نائب حلب اخذ في اسباب عمارة ما انهدم من المدينة وزاد

ثم قال وبعد مدة جاءت الأخبار بأن منطاش توجه الى عينتاب فالتف عليه جماعة كثيرة من التركمان فحاصر مدينة عينتاب اشد مايكون من المحاصرة فملكها وهرب النائب الذي كان بها فلما دخل الليل جمع نائب عينتاب جماعة كثيرة

من التركمان وكبس منطاش فقتل من عسكره نحو مائتي انسان وهرب منطاش نحو الفرات

ترجمة كشبغا وزيادة بيان في الحرب بينه وبين البانقوسيين

قال ابن خطيب الناصرية كمشبغا الحموى الأمير سيف الدين نائب حلب هو من عتقاء الأمير يلبغا الخاصكى العمري وكان عالي المنزلة عنده واستقر به امير اربعين بالقاهرة وكان اكبر رؤس النوب عنده ثم اخرج بعد وفاته الى حلب واقام بها بطالاً الى ان كانت ايام الملك الظاهر ابي سعيد برقوق فولاه نيابة السلطنة ونقله من صفد الى حماة والى طرابلس وحلب ودمشق ثم حبسه بقلعة دمشق ثم ولي نيابة السلطنة بحلب فدخل اليهـا فى السنة المذكورة فلما ركب منطاش على الناصري وامسكه وظهر برقوق من الكرك جمع الأمير كمشبغـا عسكر حلب وحلفهم لبرقوق وذلك في رمضان من السنة فلما انقضى رمضـان ودخل شوال ركب البانقوسيون وصحبتهم بعض الأمراء على الأمير كمشبغا وكان محبوساً بقلعة حلب الأمير طرنطاى الذى كان نـائب دمشق وبكلمش احد الأمراء المصريين كان الناصرى قد امسكهم بدمشق وحبسهم بقلعة حلب فأطلقهما الأمير كمشبغا واحسن اليهما وانفقا معه وجد فى قتال البانقوسيين وكان في عسكر قليل وهم فى عسكر كثير واستمر القتال بينهم فيالبياضة ثلاثة ايام ثم انتصر كمشبغـا على البانقوسيين وقتل منهم جماعة فلما حضر برقوق من الكرك الى دمشق واقام على قبة يلبغا ظاهر دمشق توجه اليه الأمير كمشبغـا بمن معه من العسكر الحلبي وامده بكثير من الخيم والخيل والماعون وغير ذلك وبالغ في ذلك ولما كان يوم شعحب (مكان الوقعة وقدم تقدم ذكرها) توجه منهزماً الى جهة حلب لما حصلت الكسرة للميسرة التى كان هو مقدمها فلم يرد وجهه

الى ان دخل حلب ثم طلع الى قلعتها فلما علم البانقوسيون بهذا الأمر قاموا وجدوا فى قتاله وحاصروه وبعث اليهم منطاش نائباً الى حلب هو اخوه الأمير تمنتمر وكان انساناً حسناً وجدوا فى حصار القلعة وصبر الأمير كمشبغا على محاصرتهم له ولم يمكنهم من بلوغ الغرض واستمر الحصار اربعة اشهر الا يومين وذلك سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ومنطاش يومئذ بدمشق بعد عود السلطان الملك الظاهر برقوق الى الديار المصرية من شعحب فلما بلغ الأمير كمشبغا انهزام منطاش من دمشق فتح باب قلعة حلب بموافقة البانقوسيين له وهرب نائب حلب الذي كان من جهة منطاش فاستمر الصلح بينهم اياما قلائل جداً نحو ثلثة ثم وقع بينهم فقاتلهم الأمير كمشبغا وقاتلوه قتالاً شديداً فانتصر عليهم وقتل من اعيانهم وجندهم جماعة كثيرة ونهب بانقوسا كما نهبها اولاً واجتهد في تحصين حلب واسوارها لما بلغه ان منطاش ونعيرا قاصداه الى حلب فجد في ذلك بالرجال والمال ثم حضر منطاش ونعير الى ظاهر حلب فقاتلهم الأمير كمشبغا واهل حلب معه وقاتلوا معه قتالاً شديداً عدة ايام وذلك في رمضان من السنة الى ان ردهم عنها خائبين فلما نزحوا منها واطمأن خاطره اجتهد في تقرير احوالها وعمارة اسوارها وعمل ابوابها مصفحة بالحديد وبذل همته في ذلك بحيث صار ذلك في اربعين يوماً وكانت من وقعة هولاكو بحلب خالية من الأبواب مخربة الأسوار الى ان قيض الله تعالى الأمير كمشبغا فبنى بعض اسوارها واصلحه وعمل لها ابواباً كما ذكرناه لاخيب الله سعيه

☆ طلب الأمير كمشبغا الى مصر وتعيين قرا دمرداش بحلب ☆

ثم بعد تمام ماعزم عليه من ذلك طلبه السلطان الملك الظاهر برقوق الى الديار المصرية واستقر به اتابك العساكر ورفع منزلته وكان الأمير كمشبغا المذكور

اميراً كبيراً كريماً جداً مدبراً وشكلاحسناً عاليالهمة مجتهدا في عمل الخير واسداء
المعروف محسناً الى الرعيه ولم يزل اتابك العساكر بالديار المصرية الى ان حصل
عند الملك الظاهر من جهته وحشة وتخيل ممن وشى به اليه فأمسكه وجهزه الى
الأعتقال بثغر الاسكندرية في اوائل سنة احدى وثمانمائة واستمر مقيما كذلك
الى ان توفي به ليلة الأربعا الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة احدى
وثمانمائة وقد جاوز ستين سنة تغمده الله برحمته اه

قال في روض المناظر لماطلب الامير كمشبغا الى مصر واستقر بها اميراً كبيراً استقر
عوضه قرادمرداش بحلب

سنة ٧٩٣

ذكر استيلاء منطاش على حماة وحمص و بعلبك و. . .

السلطان الملك الظاهر برقوق الى حلب وقتله الأمير يلبغا الناصرى

قال ابن اياس ما خلاصته وفى هذه السنة جاءت الأخبار بأن منطاش قد ملك
حماة وحمص وبعلبك ولم يشوش على احد من اهلها فمال اليه الرعية وصاروا
يسلمونه المدن من غيرقتال ثم ان منطاش توجه الى الشام وحاصر المدينة (الى
ان قال) ولما بلغ السلطانذلك نادى للعسكربالعرض . وقوى عزمه على الخروج
الى منطاش ولما وصل الى الشام اقام بها اياماً وتوجه الى حلب

قال فى روض المناظر واما منطاش فأنه لمابلغه توجه السلطان هرب نحو الشرق
ولما قدم السلطان دمشق استصحب معه يلبغا الناصري ولما قدم حلب اقام بها
شهوراً ثم عاد وليلة عوده قتل يلبغا الناصري وجماعة من الأمراء بقلعة حلب المحروسة
قال ابن اياس كان الذين قتلهم الملك الظاهر برقوق من الامراء في حلب ثلاثة

وعشرين اميراً وكان سبب ذلك ان الامير سالم الدوكاري امير التركمان ارسل يعرف السلطان بأن يلبغا الناصرى ارسل اليه كتاباً وهو يقول فيه خذ منطاش واهرب به الى بلاد الروم فأنه مادام منطاش موجوداً فنحن موجودون ثم ان الأمير سالم الدوكارى ارسل كتاب يلبغا الناصري على يد قاصده فلما تحقق السلطان صحة ذلك طلب الأمراء فلما حضروا قرأ عليهم كتاب يلبغا الناصرى الذي ارسله الى الأمير سالم الدوكاري ثم ان السلطان وبخ يلبغا الناصري بالكلام في ذلك المجلس فلم ينطق بحجة وانعقد لسانه عن الكلام ثم ان السلطان قبض على يلبغا الناصرى وعلى جماعة من الأمراء وسجنهم بقلعة حلب ثم امر بقتلهم فقتلوا ثم رجع الى الديار المصرية فوصل اليها منتصف المحرم سنة ٧٩٤

﴿ عزل قرادمرداش وتعيين الأمير جلبان ﴾

قال ابن الخطيب دخل الأمير قرادمرداش الى حلب واستمر بها الى سنة ثلاث فلما جاء برقوق الى حلب وتوجه الى القاهرة في ذى الحجة من سنة ثلاث ولى نيابة حلب الأمير جلبان وصحب معه قرادمرداش ثم امسكه وتوفي مقتولاً فى سنة اربع وتسعين وسبعمائة فى ذى الحجة منها وكان اميراً كبيرا مهيبا شجاعا عفيفا عن الشراب عفا الله تعالى عنا وعنه

وقال السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة الأمير جلبان استقر جلبان فى نيابة حلب سنة ثلاث وتسعين وجرت له مع التركمان وقعة بالباب انتصر فيها عليهم ثم اخرى مع نعير انتصر فيها ايضاً ثم قبض عليه استاذه سنة ست وتسعين وحبسه مدة بالقاهرة ثم اطلقه وجعله اتابكاً بدمشق ثم كان ممن عصى على والده الناصر وقام مع تنم فأمسك وقتل بقلعة دمشق صبراً فى رجب او شعبان سنة ٨٠٢ وقد أناف على الثلاثين وكان جميلاً كريما شجاعاً سيوساً يحب العلماء

ويعتقد الفقراء ذكره ابن خطيب الناصرية وشيخنا اه

(سنة ٧٩٤)

﴿ ذكر عود منطاش وحصره مدينة حلب ﴾

قال ابن اياس فى هذه السنة جاءت الأخبار بأن منطاش حضر الى حلب مع جماعة من التركمان فحاصر المدينة فخرج عليه عسكر حلب واوقعوا معه واقعة فكسروه ورجع هاربًا الى الفرات . ثم حضر قاصد نعير بن جبار امير آل فضل على يده كتاب من عند نعير فكان مضمونه انه ارسل يطالب من السلطان اربع بلاد وهو يلتزم بالقبض على منطاش فقال السلطان للأمير ابي يزيد الدوادار اكتب له كتابًا على لسانك انك ان امسكت منطاش نعطك جميع ماطلبته وزيادة على ذلك فأرسل اليه الأمير ابو يزيد الدوادار بذلك .

(سنة ٧٩٥)

(ذكر مقتل منطاش وانتهاء فتنته)

قال ابن خلدون في اواخر الجزء الخامس كان منطاش فر مع سالم الدوكارى الى سنجار واقام معه اياماً ثم فارقه ولحق بنعير فأقام في احيائه واصهر اليه بعض اهل الحي بأبنته فتزوجها واقام معهم ثم سار اول رمضان سنة اربع وتسعين وعبر الفرات الى نواحى حلب واوقعت به العساكر هناك وهزموه واسروا جماعة من اصحابه ثم طال على نعير امر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من الدول فأرسل حاجبه يسأل الأمان وانه يمكن من منطاش على ان يقطع اربع بلاد منها المعرة فكتب له الدوادار ابو يزيد على لسانه بالأجابة الى ذلك ثم وفد محمد

ابن (١) سنة خمس وتسعين فأخبر انه كان مقيما بسلمية في احيائه ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا اليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان منطاش فأكبه وجرحه ولم يعرف في المعركة لسوء صورته بما اصابه من الشظف والحفاء فأردفه ابن نمير ونجا به وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن اينال وجيء برؤسهما الى دمشق واوعز السلطان الى امراء الشام ان يخرجوا بالعساكر وينفوه الى اطراف البلاد لحمايتها حتى يرفع الناس زروعهم ثم زحف نعير ومنطاش في العساكر اول جمادى الآخرة من السنة الى سلمية فلقيهم نائب حلب ونائب حماة فهزموهما ونهبوا حماة وخالفهم نائب حلب الى احياء نعير فأغار عليها ونهب سوادها واموالها واستاق نعمها ومواشيها واضرم النار فيما بقي واكمن لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بحماة فأسرعوا الكر الى احيائهم فخرج عليهم الكمناء واثخنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والأمراء والمماليك ثم وفد على السلطان اواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائعاً للسلطان ومنابذاً لعمه وذكوان بن نمير على طاعة السلطان وانهم يمكنون من منطاش متى طلب منهم فأقبل عليه السلطان واثقل كاهله بالأحسان والمواعيد ودس معه الى بني نمير بأمضاء ذلك ولهم ما يختارونه فلما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعا ورغبوهم فيما عند السلطان وذكروا ماهم فيه من الضنك وسوء العيش بالخلاف والأنحراف عن الطاعة وعرضوا على نعير ان يجيبهم الى احدى الحسنيين من امساك منطاش او تخلية سبيلهم الى طاعة السلطان ويفارقهم الى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسعه خلافهم واذن لهم في القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا الى نائب

---

[١] بياض بالأصل

حلب فيمن يتسلمه واستحلفوه على مقاصدهم من السلطان لهم ولأبيهم نعير لخلف لهم وبعث اليهم بعض امرائه فأمكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجالة حتى اوصلوه الى حلب فى يوم مشهود وحبس بالقلعة وبعث السلطان اميراً من القاهرة فاقتحمه وقتله وحمل رأسه وطاف به فى ممالك الشام وجاء به الى القاهرة حادى عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلقت على باب القلعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت الى اهله فدفنوها في آخر رمضان من السنة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين اه

﴿ بيان ماذكره ابن اياس في هذه السنة من اخبار منطاش الى ان قتل ﴾

قال في هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن منطاش ونعيرا توجهوا بمن معهم من العساكر الى مدينة حماة فخرج اليهم نائب حماة فأوقع معهم واقعة قوية فانكسر نائب حماة وهرب فدخل منطاش ونعير الى المدينة ونهبوا اسواقها واخذوا اموال التجار فلما بلغ نائب حلب ذلك ركب هو وعساكر حلب وكبس على بلاد نعير ونهب امواله واخذ امواله ونساءه واحرق بيوته وقتل من عربانه مالا يحصي عدده [ثم قال]

وفيها حضر الى الأبواب الشريفة مملوك نائب حلب واخبر بأن نعيرا قبض على منطاش وسلمه الى نائب حلب . وكان سبب امساكه ان نعير بن جبار ارسل يطلب من نائب حلب اولاده ونسائه الذين اسرهم كما تقدمَ فأرسل نائب حلب يقول له ماأطلق نساءك واولادك حتى تسلمنا منطاش وكان منطاش قد تزوج من بنات نعير واستنسل منهم فلما رأى نعير ان السلطان ونائب حلب عليه وقد نهبوا امواله ومواشيه واسروا اولاده ونساءه قصد ان يرضي السلطان بأمساك منطاش حتي يزول ما عنده مما جرى منه في حق السلطان كما تقدم ثم ان نعيرا ندب الى

منطاش اربع عبيد غلاظ شداد فلما اتوا اليه احس بالشر وكان راكباً على هجين فنزل عنه وركب على فرس فأمسك بعض العبيد لجام الفرس وقال له كلم الامير نعيرا فقال منطاش وايش يعمل بي نعير فتكاثر عليه العبيد وانزلوه عن فرسه واخذوا سيفه منه فقال لهم منطاش دعونى حتى ابول فقصد الى جانب حائط وكان فى تكته خنجر فشق به بطنه فغشى عليه فحمله العبيد واتوا به الى نعير فقيده وارسله الى نائب حلب وارسل معه جماعة من العربان حتى اسلمه الى نائب حلب وكان له يوم مشهود فتسلمه نائب حلب وسجنه بالقلعة وكتب بذلك محضراً وارسله الى السلطان فلما تحقق السلطان هذا الخبر خلع على القاصد خلعة عظيمة ودقت الكوسات وزينت له القاهرة سبعة ايام ونسي السلطان لما ظفر بمنطاش ما قاساه من التعب ومن القهر ومن المال الذى صرفه على التجاريد فكان كما قيل

اذا اظفرت من الدنيا بقربكم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور

ثم ان السلطان عين الامير طولو بن على شاه الى حلب ليحضر منطاش فلما وصل الى حلب تسلم منطاش وجعل يعاقبه ويعصره ويقرره على الاموال التى غصبها من البلاد فلم يقر بشئ ودخل عليه النزع فقطع الامير طولو رأسه ووضعها في علبة ثم خرج من حلب وجعل يطوف برأس منطاش فى كل مدينة يدخلها حتى وصل الى القاهرة فكان يوم دخوله الى القاهرة يوماً مشهوداً وزينت المدينة زينة عظيمة فشقوا برأس منطاش فى القاهرة ثم طلعوا بها الى القلعة فرسم السلطان بأن تعلق على باب زويلة فعلقت ثلاثة ايام ثم دفنت وانقضى امر منطاش ثم ان السلطان ارسل الى نعير خلعة واقره على عادته امير آل فضل اه وقتل الامير نعير سنة ٨٠٨ كما سيأتى في ترجمته في القسم الثاني ان شاء الله تعالى

استيلاء تمرلنك على بغداد وهرب صاحبها السلطان

احمد ابن اويس ومجيئه الى حلب واستعداد المصريين

قال ابن اياس ان الناس ماصدقوا ان فتنة منطاش قد خمدت حتى استأنفت لهم فتنة اخرى وهي انه عقب ذلك حضر طواشي رومي يسمى صفي الدين جوهر ارسله صاحب ماردين فأخبر بأن تمرلنك قد اخذ تبريز ثم حضر عقب ذلك قاصد صاحب بسطام فأخبر بأن تمرلنك قد أخذ شيراز ثم حضر قاصد نائب الرحبة واخبر بأن القان احمد بن اويس صاحب بغداد قد وصل الى الرحبة وهو هارب من تمرلنك وقد احتاط على غالب بلاده وملكها وكان سبب اخذ تمرلنك بلاد القان احمد بن اويس ان تمرلنك ارسل الى القان احمد كتاباً يترفق له فيه ويقول له انا ما جئتك محارباً وانما جئتك خاطباً اتزوج باختك وازوجك بنتي ففرح القان احمد بذلك وظن ان هذا الكلام صحيح فكان كما قيل فى المعنى

لاتركنن الى الخريف فماؤه * مستوخم وهواؤه خطاف

يمشي مع الاجسام مشي صديقها * ومن الصديق على الصديق يخاف

وكان القان احمد استعد لقتال تمرلنك وجمع له العساكر فلما اتى قاصد تمرلنك بهذا الخبر ثنى عزمه عن القتال واستعاد من العسكر الذين قد جمعهم ما اعطاهم من آلة القتال وصرف همته عن القتال فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر تمرلنك من كل مكان فضاق بهم رحب الفضاء فخرج اليهم القان احمد بمن بقي معه من العساكر فبينما القان يقع مع عسكر تمرلنك اذ فتح اهل بغداد بقية ابواب المدينه وقد خافوا على انفسهم مما جرى عليهم من هولاكو ايام الخليفة المستعصم بالله فلما رأى تمرلنك ابواب المدينة مفتحة دخل الى المدينة وملكها ولم يجد من يرده عنها

فلما بلغ القان احمد ذلك ما امكنه الا الهرب فأتى الى جسر هناك فعدى من فوقه ثم قطعه فلما بلغ عسكر تمرلنك تتبعوا القان احمد وخاضوا خلفه الماء فهرب منهم فتبعوه مسيرة ثلاثة ايام فلما حصلت له هذه الكسرة قصد التوجه الى الديار المصرية ثم حضر قاصد نائب حلب واخبر بأن القان احمد بن اويس قد وصل الى حلب

فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر جمع الامراء واستشارهم فيما يكون من امر القان احمد فوقع الاتفاق من الامراء على ان السلطان يرسل اليه الاقامات ويلاقيه فعند ذلك عين السلطان الامير ازدمر الساقى وصحبته الاقامات وما يحتاج اليه القان احمد من مال وقماش وغير ذلك فخرج الامير ازدمر على جياد الخيل .

ثم عقب ذلك حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابى يزيد مراد بك بن عثمان ملك الروم على يده تقادم عظيمة للسلطان وكان سبب مجئ قاصد إبن عثمان (رسول السلطان بايزيد رحمه الله) انه ارسل يخبر السلطان بأمر تمرلنك ويحذره عن الغفلة في امره . ثم حضر قاصد ماردين واخبر بأن تمرلنك ملك بلاد الاكراد وان تمرلنك حاصر البصرة ورجع عنها بخفي حنين بعد ان قتل من عسكره مالا يحصى .

فلما تواترت الاخبار بذلك رسم السلطان للأمير علاء الدين بن الطبلاوي والى القاهرة بأن ينادى في القاهرة للعسكر بالعرض في الميدان بسبب تمرلنك الخارجي وجعل يكرر هذه المناداة ثلاثة ايام متوالية بأن لايتأخر عن العرض لا كبير ولاصغير وعلق الجاليش فاضطربت احوال الديار المصرية وما صدق العسكر بأن فتنة منطاش قد خمدت فانتشت لهم هذه الفتنة العظيمة فكان كما قيل فى المعنى

وثقيل ما برحنا * نتمنى البعد عنه * غاب عنا ففرحنا * جاءنا اثقل منه

سنة ٧٩٦

وصول القان احمد الى الديار المصرية واستيلاء تمرلنك

(على ديار بكر والرها وخروج السلطان برقوق مع القان احمد الى دمشق)

قال ابن خلدون في أواخر الجزء الخامس لما استولى تمرلنك على بغداد وانهزم منه صاحبها القان احمد بن اويس وصل احمد الى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها وطالع نائبها السطان بأمره فسرح بعض خواصه لتقليه بالنفقات والازواد وليستقدمه فقدم به الى حلب واراح بها وطرقه مرض ابطأ به عن مصر وجاءت الاخبار بان تمرلنك عاث في مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود اهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة واقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم احمد بن اويس على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى في عسكره بالتجهيز الى الشام وقد كان تمرلنك بعد ما استولى على بغداد زحف في عساكره الى تكريت مأوى المخالفين وعش الحرابة ورصد السابلة واناخ عليها بجموعه اربعين يوماً فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها واقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من نهار فلكوها وانتسفوا نعمها وافترق اهلها وبلغ الخبر الى السلطان فخيم بالريدانية اياماً ازاح فيها علل عسكره وافاض العطاء في مماليكه واستوعب الحشد من سائر اصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب سودون وارتحل على التعبية ومعه احمد ابن اويس بعدان كفاه مهمه وسرب النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان اوعز الى

جلبان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستنفار العرب والتركمان للاقامة هنالك رصداً للعدو فلما وصل الى دمشق وفدعليه جلبان وطالعه بمهمانه وما عنده من اخبار القوم ورجع لأنفاذ اوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على اثره العساكر مدداً له مع كمشبغا الأتابك وتكلمش امير سلاح واحمد بن بيبغا وكان العدو قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها اشهراً وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق مستجمع لنطاحه والوثبة به متى استقبل جهته اه

﴿ ذكر وصول السلطان برقوق الى حلب ﴾

﴿ ورجوع تمرلنك الى بلاده ورجوع القان احمد بن اويس الى بلاده ايضاً ﴾

قال ابن اياس ان السلطان رحل من الريدانية وصحبته القان احمد ابن اويس وسائر الأمراء وجد فى السير حتى وصل الى دمشق يوم الأثنين ثانى عشر ربيع الآخر فلما دخلها نزل بالقصر الأبلق الذي فى الميدان وحكم بين الناس واقام بالشام اياما ثم رحل عنها وتوجه الى حلب فلما اقام بحلب حضر اليه قاصد من عندابن عثمان (السلطان بايزيد رحمه الله) وعلى يده مطالعات مضمونها ان يكون هو والسلطان يداً واحدة على دفع العدو الباغى تمرلنك فأجابه السلطان الى ذلك ورد له الجواب عن ذلك بما يطيب خاطره ثم حضر اليه قاصد طقتمش خان صاحب بسطام وعلى يده مطالعات تتضمن ما قاله ابن عثمان فأجابه السلطان كما اجاب ابن عثمان فلما اقام السلطان بحلب بلغه ان جاليش عسكر

تمرلنك قد وصل الى البيرة فصار جماعة من عسكر السلطان يعدون تحت الليل من الفرات ويكبسوا عليهم فغنموا من عسكر تمرلنك اشياء كثيرة فقيل ان عسكر مصر كانوا ينفخون القرب ويجعلونها تحت بطون الخيل ويعدون من الفرات تحت الليل حتى يقعوا مع عسكر تمرلنك . ثم بلغ السلطان ان تمرلنك رجع الى بلاده (١) ولما تحقق السلطان ذلك قصد الرجوع الى الديار المصرية وكذلك القان احمد بن اويس رجع الى بلاده ولم يقع بين السلطان وبين الملك الظاهر برقوق قتال في هذه المرة بل رجع كل من الفريقين الى بلاده

﴿ تعيين الامير تغرى بردى الى حلب ﴾

ثم ان السلطان رجع الى الشام فأقام بها اياما وخلع على المقر السيفى تغري بردى ابن يشبغا واستقر به نائب حلب ثم قال فى حوادث سنة ٧٩٧ ان السلطان وصل الى القاهرة ثالث عشر صفر ودخلها فى موكب عظيم وفي روض المناظر كانت اقامة السلطان بحلب اربعين يوماً

﴿بناء الامير تغري بردى جامعه في محلة السفاحية﴾

قال في الدر المنتخب ومنها جامع تغرى بردى نائب حلب ثم دمشق بالقرب من الأسفريس وحارة التركمان بناه حين كان نائبا بحلب سنة ستة وتسعين وسبعمائة وكان قد اسسه ابن طومان اه

وقال ابن الخطيب في الدر المنتخب في ترجمة علي بن محمد الصرخدى لما بنى الأمير تغرى بردى جامعه المشهور بالأسفريس فوض اليه تدريس الشافعية به بحضره ودرس فيه بحضور ملك الأمراء المشار اليه يوم الجمعة بعد الصلاة اه

---

(١) اقول يظهر ان سبب رجوعه استعداد الدولتين المصرية والعثمانية لملاقاته فكان كما يقوله بعض سياسي العصر الاستعداد للحرب يمنع الحرب

اقول موقع الجامع في المحلة المعروفة الآن بالسفاحية وقد اشتهر بالموازيني لأن المتولين عليه من نحو مائة سنة الى الآن بنو الموازيني وقد قام الحاج محمد الموازيني بأمر هذا الجامع احسن قيام ورممه وبلط صحنه وعاد الى حالته الاولى وكذلك رمم اوقافه وقد توفي فى السنة الماضية وهي سنة ١٣٤١ وكان رحمه الله رجلاً صالحاً ورعاً حافظاً لكتاب الله تعالى يخطب بهذا الجامع بغير معلوم

المكتوب على بابه

انشأ هذا الجامع المبارك في ايام مولانا الغازى المالكى الملك الظاهر ابى سعيد برقوق خلد الله ملكه المقر الأشرفى العالي المولي الكافلي المالكى الظاهرى كافل المملكة الشريفة بحلب المحروسة اعز الله تعالى انصاره والبسه من التوفيق حلة وذلك سنة ٧٩٧

وفي جدار قبلية الجامع بجانب المحراب لوح من دف بديع الصنعة طوله اربعة اشبار وعرضه ثلاثة وقد كتب عليه تاريخ عمارة الجامع وهو

(١) انشأه المقر الاشرف العالى المولوى الاميري السيفى تغرى بردى المالكى الظاهرى عز نصره (٢) بتولى المقر الكريم شهاب الدين احمد بن التيزيني وذلك في سنة تسع وتسعين وسبعمائة

وفى وسط اللوح واطرافه كتابات بالخط الكوفي ومكتوب عليه ايضاً (عمل احمد الليثى) ومكتوب على قنطرة المنبر

منبر جامع محاسن فضل * ذلك الجمع ماله من نظير

خص عزا بجمعة وخطاب * عن رسول مبشر ونذير

قد بناه لله تغرى بردى * كى يجازى بجنة وحرير

وفي القبلية عامودان عظيمان من الحجر الأحمر السماقي وعمودان من الحجر الأسـ

وسقف المحراب منقوش بالحجارة الصغيرة وفوق المحراب حجر مكتوب بالخط الكوفي من الجهات الاربعة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي وسطها (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)

ما احدث في زمن تغري بردي في الجامع الكبير

في جدار الرواق الشمالي بجانب الحنفيات حجر مكتوب عليه (١) امر بأنشائه مولانا المقام الأعظم السلطان الملك الظاهر ابو سعيد برقوق عز نصره (٢) في ايام المقر السيفي تغري بردى كافل المملكة الحلبية عز نصره بتولى العبد (٣) الفقير الى الله تعالى حمزة الجعفري الحنفي في شهور سنة سبع وتسعين وسبعماية اهـ تحت هذه الكتابة باب كان يخرج منه الى خلا احدثه الشيخ حمزة المذكور في هذه السنة الا ان الرائحة كانت تخرج منه الى الجامع فسد هذا الباب وابطل الخلا من هذا الموضع واتخذ غربي الباب الشمالي ثم انه ابطل من هذا المكان خوفاً على المأذنة واتخذ موضعه مكتبا وفتح له باب في صحن الجامع وله وظيفة عثمانية والآن هو سكن الأمام الحنفي الجهري (١) ونقلت المطهرة الى تجاه الباب الأصلي نقلها الحاج حسن ابن الاميري وجعلها في غاية السعة وجعل بابها من خارج الباب الشمالي وذلك سنة ١١٦٩ وجعل لها بابا آخر من داخل الجامع في قرنة الرواق الشمالي كي لا يمتنع دخول المجاورين بالمسجد ليلاً الى الخلا ثم سد هذا الباب من آخر المدخل فصار حجرة صغيرة يوضع فيها لوازم الجامع وربما سكنها بعض الخدم

(١) هي الحجرة التي عن يسار الداخل من باب الحلاوية

سنة ٧٩٩

ذكر تولية حلب للأمير ارغون شاه

قال في روض المناظر فى هذه السنة طلب الامير تغرى بردى الى مصر واستقر بها اميراً كبيرا واستقر عوضه بحلب ارغون شاه نقل اليها من طرابلس وكان قبلها نائباً بصفد واقام بحلب شهوراً ومات

قال ابن اياس وفي هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بأن جاليش تمرلنك قد وصل الى اطراف بلادالروم واخذ مدينة تسمى ارزنكان [آذربيجان] وقتل اهلها ونهب ما فيها فلما سمع السلطان ذلك ارسل الى سائر النواب بأن يتوجهوا الى شاطئ الفرات ويحصنوا البلاد فخرج سائر النواب الى شاطئ الفرات واقاموا هناك اه

سنة (٨٠٠)

﴿ذكر تعيين الأمير علاء الدين اقبغا لنيابة حلب﴾

قال فى روض المناظر في هذه السنة استقر في نيابة حلب الأمير علاء الدين اقبغا الهذباني عوضاً عن ارغون شاه

(سنة ٨٠١)

﴿ وفاة الملك الظاهر برقوق بن انص العثماني ﴾

قال ابن اياس كانت وفاته خامس عشر شوال من سنة احدى وثمانمائة وكان مدة سلطنته ست عشرة سنة واربعة اشهر وعهد بالملك بعده لولده المقر الزيني فرج ولقب الملك الناصر ابو السعادات وله من العمر اثنتا عشر سنة

﴿ ذكر استيلا السلطان بايزيد على ملطية ﴾

﴿ وورود الأخبار بقصده حلب ثم رجوعه الى بلاده ﴾

قال ابن اياس في اواخر هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن ابن عثمان ملك الروم قد تحرك على بلاد السلطان وقد وصل اوائل جاليشه الى بلاد الأبلستين (البستان)وهو قاصد حلب فلما بلغ السلطان والأمراء هذا الخبر امر الأتابكي ايتمش بعقد مجلس بالقصر الكبير فحضر امير المؤمنين المتوكل والقضاة الأربعة وشيخ الأسلام سراج الدين البلقيني وسائر الأمراء وضربوا مشورة في امر ابن عثمان فوقع الأتفاق على محاربته والخروج اليه وان يؤخذ من اجرة الاملاك شهر واحد يتقوي بها العسكر على دفع العدو ثم بعد مدة جاءت الأخبار بأن ابن عثمان وصل الى ملطية وملكها ولم يشوش على احد من اهلها وامر عسكره بان لا ينهبوا لأحد من الرعية شيئاً فاقام بملطية اياماً ثم رجع الى بلاده فبطل امر التجريد وسكن الحال .

(سنة ٨٠٢)

ذكر عصيان تنم نائب الشام واقبغا الجمالى نائب حلب

وبقية نواب البلاد الشامية ومحاربتهم للسلطان فرج وتعيين دمرداش الخاصكى لنيابة حلب

قال ابن اياس لما توفي الملك الناصر فرج خرج تنم نائب الشام عن الطاعة واظهر العصيان ووضع يده على البلاد الشامية ووافقه على العصيان نائب حلب ونائب حماة ونائب صفد ونائب طرابلس والتف عليه من العسكر والعربان مالا يحصى عددهم ثم انضم اليهم الأتابكي ايتمش بعد ان انكسر في محاربته للسلطان بمصر وخلاصة

الامر ان السلطان خرج اليهم والتقى الجمعان بارض فلسطين وانكسر تنم وامسك هو وجماعة من الامراء وقتلوا وعاد السلطان الى الديار المصرية منصوراً وقرر فى نيابة دمشق خاله سودون وفى نيابة حلب الامير دمرداش المحمدى الخاصكى

ذكر مجيئ مقدمة تمرلنك الى نواحي ملطية وتوجه عسكر حماة وحلب الى محاربتهم وانكسار هذين

قال ابن اياس في ذي القعدة حضر مملوك نائب حلب واخبر بأن القان احمد بن اويس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركمان حضر اليهم جاليش تمرلنك فأوقعوا معهم واقعة عظيمة فانكسر جاليش تمرلنك فلما انكسروا اتو الى ملطية وكانوا نحو سبعة آلاف فارسلوا الى نائب حلب يقولون له عين لنا مكاناً ننزل به فلما سمع نائب حلب بذلك ركب هو ونائب حماة وتوجهوا الى عسكر تمرلنك فأوقعوا معهم واقعة عظيمة فانكسر نائب حماة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة منهم جاني بك اليحياوى اتابك العساكر بحلب واسر نائب حماة دقماق المحمدي حتى اشترى نفسه منهم بمال جزيل ورجع نائب حلب الى حلب وهو مكسور وكانت هذه اول الفتن بين عسكر مصر وبين تمرلنك فلما بلغ السلطان ذلك رسم لنائب الشام ونائب صفد ونائب طرابلس بأن يجمعوا العساكر ويتوجهوا الى حلب يقيمون بها

اصل تمرلنك وشيئ من احواله الى ان استفحل ملكه

والكتاب الذى ارسله الى الملك الظاهر برقوق صاحب مصر وجواب هذا الكتاب والاسباب التى دعته الى الرجوع الى هذه البلاد ومجيئه الى سيواس والبستان ثم عينتاب وقلعة الروم ثم الى حلب وما فعله بهذه

البلاد ثم بحلب من الفظائع وعظيم الجرائم والاسئلة التى سأل عنها علماء الشهباء واجاب عنها القاضى محب الدين ابو الوليد محمد بن الشحنة وتوجهه الى الشام وعوده منها الى اطراف حلب ثم رجوعه الى بلاد

[الشرق ووفاته وما آل اليه امر ملكه وملك بنيه]

قال العلامة الدحلاني في تاريخه الفتوحات الاسلامية كان ظهور تيمرلنك في اواخر القرن الثامن بالديار الهندية وخراسان والعراق وكان ظهوره من اشد المحن والبلايا على هذه الأمة افسد في الارض واهلك الحرث والنسل وهو وان كان يدعي الاسلام الا ان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل افعالاً مع المسلمين اكثر مما تفعله الكفار من القتل والأسر والتخريب وكان رافضياً شديد الرفض وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكثر عليهم الثوار والخارجون وكان ذلك كله سبباً لضعف دولة التتر وموجباً لقيام تيمور وغيره

واختلفوا فى نسب تيمور فقيل ان نسبه ينتهي الى جنكزخان ملك التتر وفي تاريخ ابن خلدون ان تيمور ينسب هو وقومه الى جغطاي بن جنكزخان وجزم بعضهم بأن نسبه الى جغطاى بن جنكزخان انما هو من جهة امه لامن جهة ابيه وكان اول ظهوره سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وارخه بعضهم بقوله [عذاب ٧٧٣] وكان مبدأ امره وأمر ابيه انهما كانا فقيرين وكان ابوه اسكافياً من قرية من اعمال كش وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر ونشأ ولده تيمور جلداً قوياً ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق كثيراً فسرق في بعض الليالى شاة واحتملها فشعر به الراعي فرماه بسهمين اصاب بأحدهما فخذه وبالآخر كتفه فأعابهما فكان اعرج اليمناوين ولذلك كان يقال له نصف انسان ومع هذا لم

يترك السرقة وما زال كذلك حتى اشتهر امره وافساده فظفر به السلطان حسين ملك هراة فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع فى ترك صلبه الامير غياث الدين ابن السلطان حسين المذكور فقال له ابو حسين هذا اصل مادة الفساد لئن بقي ليهلكن العباد والبلاد فقال له ابنه غياث الدين وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد اصيب بالدواهى فازال يراجع اباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفى عنه ثم ان غياث الدين اصطحبه معه وقربه وادناه وجعله من خواصه وزوجه اخته ورقاه حتى صار من وزرائه فلما صار الملك لغياث الدين بعد موت ابيه حسين ازدادت منزلة تيمور وصار مقدماً على كثير من الجند فطغى وبغى على مولاه غياث الدين ومبدأ ذلك ان زوجة تيمور وهى اخت السلطان غياث الدين وقع بينهما وبين تيمور شيء اغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه ثم لم يسعه الامر الا بالخروج على السلطان غياث الدين وخلع الطاعة واقتعد غارب التمرد والطغيان فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيراً من الممالك حتى استصفى ممالك ماوراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر وشرع فى استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد فكان يجرى فى جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب فى البلاد دبيب السم في الاجساد ثم ارسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول فى طاعته ليجازيه على احسانه بأسائته فيتحقق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم [كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسيئ الى من احسن اليها]

فأرسل غياث الدين يقول له اما كنت خادماً لى واحسنت اليك واسبلت ذيل نعمتى عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فأن لم تكن انساناً يعرف الاحسان فكن كالكلب فلم يصغ لذلك بل عبر جيحون بمن معه من الجند

وتوجه الى محاصرة مولاه غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم امنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعاً وعطشاً ثم عاد الى خراسان فانتقم اولا من اهل سجستان فوضع السيف فيهم فأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والأمم

وقدمنا في حوادث سنة ٨٩٥ استيلائه على بغداد وانهزام صاحبها السلطان اويس بن احمد ومجيئه الى حلب ثم توجهه منها الى القاهرة وخروج السلطان برقوق بالعساكر المصرية الى حلب واستعداده تمام الاستعداد لملاقاته فلما بلغ ذلك تيمور رجع الى بلاده وكانت وفاة الملك الظاهر برقوق سنة ٨٠١

كتاب تيمرلنك الى الملك الظاهر برقوق

قال القرماني في تاريخه فى ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة حضرت رسل تمرلنك وهم اربعة ومعهم كتاب نسخته بعد البسملة الشريفة : قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا اننا جند الله في ارضه مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد ويتمنا الاولاد واظهرنا في الارض الفساد خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق وسهامنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال وجارنا لا يضام من سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم فأن انتم قبلتم شرطنا واطعتم امرنا فلكم مالنا وعليكم ماعلينا وان انتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا انفسكم وذلك بما كسبت ايديكم فالحصون لا تمنع والعساكر لا ترد

ولاتدفع لانكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فأبشروا بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ويقولون انه قد صح عندكم اننا كفرة فقد ثبت عندنا انكم فجرة وقد سلطنا عليكم من بيده امور مدبرة واحكام مقدرة فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد اوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا وترمي الحرب نارها وتلقى اوزارها وتدهون منا بأعظم داهية ولا يبقى لكم باقية وينادي عليكم منادي الفناء هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا الآن قد انصفناكم اذ راسلناكم فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام

جواب هذا الكتاب من الملك الظاهر برقوق

قال القرماني فلما سمع السلطان هذا الكتاب اغتاظ غيظاً عظيما وامر بتوسيط الرسل [بقتلهم] فوسطوا وعلقوا وامر بكتب جواب فكتب ذلك بأنشاء ابن فضل الله العمرى رحمه الله تعالى ونسخته كما في القرمانى وتاريخ تيمور لأبن عربشاه [بسم الله الرحمن الرحيم] قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانية والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية قولكم انكم مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه وانكم لاترقون لشاك ولا ترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك من اكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين [قل ياايها الكافرون لا اعبد ماتعبدون] ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وانتم الكفرة كما زعمتم الا لعنة الله

على الكافرين نحن المؤمنون حقا لايدخلنا عيب ولايخامرنا ريب القرآن على نبينانزل والرب بنا رحيم لم يزل انما النار لكم خلقت ولجلودكم اضرمت اذا السماء انفطرت ومن اعجب العجاب تهديد الرتوت باللتوت والسباع بالضباع والكماة بالكراع ونحن خيولنا برقية وسهامنا يمنية وسيوفنا شديدة المضارب وذكرنا في المشارق والمغارب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة [ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون] وقولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لا يبالى بكثرة الغنم وكثير الحطب يكفيه قليل من الضرم [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين] الفرار الفرار من الرزايا لامن المنايا ونحن من الطمانينة على عادة الامينة ان قتلنا فشهداء وان عشنا كنا سعداء [الا ان حزب الله هم الغالبون] ابعد امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين [يعنى الخليفة العباسى الذى كان اذ ذاك بمصر] تطلبون منا طاعة لاسمعاً لكم ولا طاعة وطلبتم ان نوضح لكم امرنا قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا هذا الكلام في نظمه تركيك وفى سلكه تفكيك لو كشف لبان بعد التبيان اكفر بعد ايمان واتخاذ رب ثان [لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا] قل لكاتبك الذي وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كصرير الباب او كطنين الذباب [فسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا] وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى .

قال الدحلانى فلما وصل الكتاب الى تيمور غضب غضباً شديداً وكأن الله القى الرعب فى قلب تيمور من السلطان برقوق فرجع الى بلاده

اقول يستفاد من كلام ابن عربشاه في تاريخه عجائب المقدور انه في هذا الأثناء

وافته الأخبار ان سلطان الهند فيروز شاه توفي الى رحمة الله ولم يكن له ولد يكون له خليفة واضطربت احوال بلاد الهند وولى الاهلون وزيراً اسمه ملوا وصارت بلاد الهند فرقاً وطوائف فوجد ان توجهه الى بلاد الهند والاستيلاء عليها لعظام الغنيمة اولى من مجيئه الى الديار المصرية ومحاربة برقوق فكر راجعاً الى بلاد الهند واستولى عليها وبسط القول في ذلك .

قال ابن عربشاه وبينما هو في الهند وقد استولى على كرسي الهند وامصاره واحتوى على ممالكه واقطاره وبلغت مراسيمه ذري انجاده واعماق اغواره وانبث جيشه في ولايتها سهلاً ووعراً وظهر فسادهم في رعاياها براً وبحراً وفد عليه المبشر من جانب الشام (وذلك في سنة احدى وثمانمائة) ان القاضي برهان الدين احمد السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام فسر بذلك صدره وانشرح وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح فنجز بسرعة امور الهند ونقل الى مملكته من فيها من العسكر والجند بما اخذه من الأثقال ونفائس الأموال ووزع ذلك على الجمهور وسائر الجند المأسور على اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور واقام في الهند نائباً ثم صدر عن سمرقند قاصداً الى الشام ومعه من الهند رؤس اجنادها ووجوه اعيانها .

قال في روض المناظر وفي سنة ثلاث وثمانمائة شاعت الأخبار بأن تيمورلنك حين عاد من اخذ بلاد الهند بلغه وفاة السلطان الملك الظاهر برقوق فاستبشر لذلك وانعم على مخبره بجملة مستكثرة وكان في نفسه من قتله رسله ومن اخذ ابن عثمان (السلطان بايزيد رحمه الله) سيواس وملطية واخذ السلطان احمد بغداد فقصد بلاد الشام ومعه من العساكر مالا يحصى اخبرني الحافظ الخوارزمي ان بديوان عسكره المختصة به ثمانمائة الف وانه اجتاز على سيواس وحاصرها واخذها بعد ان حلف لأهلها

انه لا يضع فيهم السيف فلما تمكن منهم حفر لهم حفائر ودفنهم فيها احياء قيل كانوا ثلاثة آلاف مسلم ثم حرقها وخربها وتوجه نحو البستان فوجد اهلها قد اخلوها فأحرقها وخربها ثم توجه الى ملطية فهرب من كان بها فأخذهـا وخربها ثم اجتاز على بهسنى لحاصرها ونصب عليها المنجنيق وهدم بعض قلعتها ثم اخذها صلحا وقصد قلعة المسلمين (١) وكان نائبها فارس المسلمين المقر الأشرف الناصري محمد بن المرحوم الشرفي موسى بن شهري سبط مولانا السلطان المشار اليه في اول الكتاب وكان قد بـدع بجماعة تمرلنك وطواشيه مدة اقـامته على بهسنى وقتل منهم جمـاعة وارسل رؤسهم الى حلب وكسر قوماً من الذين جهزهم اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته نفوسهم في الفرات وجهز تمرلنك كتاباً الى المشار اليه يقول فيه انني خرجت من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امـامى وسائر ملوك البلاد حضروا الي وانت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من يظفر بهم والآن قد مشينا عليك بعساكرنا فأن اشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة مالا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوهـا وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) فاستعد لما يحيط بك ان ابيت الحضور .

فأمسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كتاب تمرلنك فمشى عليه اوائل عسكره فبرز اليه المشار اليه وقابلهم وكسرهم وفي اليوم الثانى حضر تمرلنك ونزل على قلعة المسلمين فبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة ولما

---

[١] من هنا الى قوله من السلالة الطاهرة العمرية غير موجود في النسخة المطبوعة من روض المناظر على هامش ابن الأثير وقد وجدت هذه الزيادة في نسخة خطية منه وبتمامها سقطت من النسخة المطبوعة

رأى تمرلنك شدة حزمه رجع عن محاربته واخذ فى مخادعته وملاطفته وطلب الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالاً لأجل حرمته فلم ينخدع معه وتنازل معه الى ان طلب منه حاميا فلم يعطه وعاد خائباً واخذ المشار اليه في اواخره نهباً وقتلا واسراً كل ذلك وباب قلعته مفتوح ولم يغلقه يوماً وانشد فيه لسان الحال

هذا الأمير الذي صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره

ولى تمرلنك مكسوراً اوائله * منه مراراً ومذعوراً اواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والأخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية .

قال ابن عربشاه لما اتى تيمور الى قلعة الروم كان نائبها الناصري محمد ابن موسى ابن شهري فأقام بها يوماً ثم تركها ورحل عنها الى عينتاب وكان نائبها اركماش فحصنها واستعد وباشر القتال بنفسه ثم لما علم ان لا طاقة له بتيمور هرب الى حلب واستولى تيمور على عينتاب ثم ارسل وهو فى عينتاب رسولاً الى نائب حلب ومعه كتاب له طلب فيه منه ان يطيع اوامره وان يكف عن القتال وان يسلمه اطلاميش زوج بنت اخت تيمور وكان هذا اسيراً في مصر كان اسره التركمان وارسلوه الى مصر قبل هذه المدة فلم يجب الى شيء مما طلبه وقتل سودون نائب دمشق الذي كان وقتئذ موجوداً في حلب مع بقية نواب البلاد الشامية رسول تمرلنك قبل ان يسمع كلامه وضرب رأسه على رؤس الأشهاد وبئس مافعل قال فى روض المناظر ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الأول نازل الملعون حلب وكا نائبها المقر السيفى دمرداش الخاصكى وقد حضرت اليه عساكر المملكة الشامية عسكر دمشق مع نائبها سيدى سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفى شيخ الخاصكى وعسكر حماة مع نائبها دقاق وعسكر صفد وغزة

قال ابن عربشاه ما خلاصة معناه ثم ان النواب تشاوروا كيف يكافحون تيمورلنك فقال البعض الرأي ان نحصن البلد ونكون على الأسوار فاذا جاء العدو نحاربه من الأسوار فقال له بعض الأمراء هذا امارة العجز والرأي ان نحلق حواليها ونمنع العدو من الوصول اليها ويكون ذلك افسح للمجال ثم ذكر كل من الأمراء ما عن له فى ذلك ثم قال المقر السيفي شيخ الذى صار ملكاً بعد ذلك وكان ذا رأى سديد وهو اذ ذاك نائب طرابلس ان العدو عظيم امره كثير عدده لكنه وان كان كذلك فهو اعمى لأنه غريب عن البلاد والرأي عندي ان نحصن المدينة ونكون خارجها فى جانب واحد ثم نحفر حولنا خنادق ونطير الى الآفاق اجنحة البطايق الى الأعراب والأكراد والتراكمة وعشرات البلاد فيتسلطون على العدو من الجوانب ويصير بين قاتل وناهب فأن اقام وأنى له ذلك ففي شر مقام وان تقدم الينا صافحناه وان رجع رجع بخيبة وهو المرام ووافقه على هذا الرأي شاه منصور

فقال دمرداش وهو اذ ذاك نائب المدينة الأولى ان نناجزه والمناضلة خير من المطاولة واذا لم نناجزه آنس منا الوهن وخور العزيمة واخذ يحرضهم على ذلك ومما قاله انا اذا كسرناهم فزنا بالمرام وكفينا عسكر المصريين المؤنة واذا كانت الكرة علينا نكون قد بذلنا المجهود واقمنا عذراً لدى السلطان برقوق

قال ابن عربشاه ولا زال دمرداش يحسن لهم هذا الرأي الفاسد حتى اجمعوا عليه واتفقوا على الخروج الى تيمورلنك لأنه كان صاحب البلد وكان فى الباطن موافقاً لتيمور

ثم انهم حصنوا المدينة واوصدوا ابوابها ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها وفتحوا البابين المقابلين للجهة التي نزل فيها تيمورلنك وهما باب النصر وباب القناة

ويوم وصوله وهو يوم الخميس تاسع ربيع الأول برز من عسكر تيمورلنك الفا رجل فبرز اليهم من العساكر الشامية ثلثمائة فهزمهم هؤلاء

ويوم الجمعة برز من عسكره نحو من خمسة آلاف فتقدم اليهم طائفة اخرى واشتبك بينهم القتال واشتد وابلت العساكر الشامية بلاءً حسناً وبقي الحرب الى المساء فتراجع الفريقان وقد قتل من عسكر تيمورلنك ولم يقتل من العسكر الشامية سوى رجلين

ويوم السبت حادى عشر ربيع الأول برزت العساكر الشامية وتقدمت عساكر ذاك وكان قد عباها تحت جنح الليل فقابل مقدمتهم وشغلهم بأوائلهم واحاط الباقون بهم فأتوهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم فمشى عليهم مشي الموسى على الشعر وسعى سعيَ الدَّبا على الزرع الأخضر وكان هذا الجولان على قرية حيلان ثم فرت ميمنة العساكر الشامية وكان رأسها دمرداش فلم يلبث الباقون ساعة من نهار حتى ولوا الأدبار وعسكر تيمورلنك وراء ظهورهم فقصدوا المدينة من الأبواب المفتوحة وازدحموا عندها والسيوف تشقهم والرماح تدقهم فاستدت الأبواب بالقتلى ولم يتمكن الكثيرون من الدخول فتشتتوا في البلاد وكسر المماليك باب انطاكية وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام وصعد النواب الى القلعة وتحصنوا فيها

قال ابن اياس لما بلغ تيمورلنك ان رسوله قتل زحف الى قرية من قرى حلب يقال لها حيلان واحتاط بمدينة حلب ونهب ماحولها من الضياع ولما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانمائة خرج عساكر حلب وسائر النواب بعساكرهم واوقعوا مع تمرلنك فكان بينهم ساعة تشيب منها النواصي وقد دهمتهم عساكر تمرلنك كأمواج البحار المتلاطمة ومالت عليهم كتائب

الجنود المتزاحمة فلم تثبت معهم عساكر حلب وولوا على اعقابهم مدبرين واقبلوا نحو المدينة منهزمين وقد داست حوافر الخيل اجساد العامة وحل بهم من البؤس كل داهية طامة . وكان قد احتمى بالمزارات والمساجد الجم الغفير من النساء والاطفال فدخلوا اليهم واسروهم وقرنوهم بالحبال واسرفوا في قتل النساء والرجال وصارت الأبكار تفتض في المساجد ولم يراعوا حرمة المساجد فلم يرثوا لبكاء الرضع ولم يخشوا دعاء الركع وقد صارت المساجد كالمجزرة من القتلى فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر هذا الأمر الشنيع يتزايد من يوم السبت الى يوم الثلاثاء فلما رأى دمرداش نائب حلب عين الغلب نزل من القلعة هو وبقية النواب واخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان فلما مثلوا بين يديه خلع عليهم اقبية مخمل احمر والبسهم تيجاناً مذهبة وقال لهم انتم صرتم نوابي (١) ثم ارسل معهم جماعة من امرائه يتسلمون القلعة فاستنزلوا من كان بها وهم في قيود واستمر مقيماً على حلب نحو شهر وعسكره ينهبون القرى التي حول حلب ويقطعون الاشجار التي بها ويهدمون البيوت وقد اسرفوا في القتل حتى ونهب الأموال وصارت الأرجل لا تطأ الا على جثة انسان لكثرة القتلى حتى قيل انه بنى من رؤس القتلى عشرة مآذن دور كل مأذنة عشرون ذراعاً وصعودها في الهواء مثل ذلك وجعلوا الوجوه فيها بارزة تسفوا عليها الرياح وتركوا اجساد القتلى في الفلاة تنهشها الكلاب والوحوش فكان عدة من قتل في هذه الوقعة من اهل حلب من صغار وكبار ونساء ورجال نحواً من عشرين الف انسان هذا خارج

(١) الذى في تاريخ تيمور لابن عربشاه لما نزل اليه النواب قبض على سيدى سودون وشيخ الخاصكى والطنبغا العثماني نائب صفد وعمر بن الطحان نائب غزة وقيدهم وخلع على دمرداش فقط مكافاة له على مخامرته كما تقدم

عما هلك من الناس تحت ارجل الخيول عند اقتحام ابواب المدينة وقت الهزيمة وهلك من الجوع والعطش اكثر من ذلك

فلما ملك تمرلنك مدينة حلب والقلعة نهب جميع ما فى المدينة والقلعة ثم رحل عنها بعد ما جعلها خاوية على عروشها وقد تعطلت في مدة هذه المحاصرة عن الأذان والأقامة وعن صلاة الجمعة

ومما يحكى عن اخبار عسكر تمرلنك فيما فعلوه بعسكر حلب قيل كانوا يطئون الأبكار فى محراب المساجد وآباؤهن يشاهدون ذلك بعينهم . ولقد حكى من اسر معهم انهم من حين استولوا على حلب الى حين رحلوا عنهـا لم يسمع فى عسكرهم اذان وانهم يجامعون النساء في المحيض ولا يعاودون الوطئ الا بعد اغتسال ولو كان فى قلب الشتاء بالماء البارد وقيل ان تمرلنك كان يحتجب عن عسكره نحو اسبوعين فلا يجتمع على احد من عسكره وينعكف على شرب الخمور ففى مدة انعكافه تنهب عساكره البلاد ويفسقون في اهلها فلم يجدوا من يمنعهم عن ذلك ولا يردهم فيستمروا على ذلك.

اسئلة تيمورلنك والجواب عنها من القاضى ابن الشحنة

قال المحب ابو الوليد بن الشحنة فى آخر تاريخه روض المناظر . وفي يوم الثلاثا رابع عشر ربيع الاول اخذ القلعة بالامان والأيمان التى ليس معها ايمان وفى ثاني يوم صعد اليها وآخر النهار طلب علمائها وقضاتها فحضرنا اليه فأوقفنا ساعة ثم امر بجلوسنا وطلب من معهم من اهل العلم فقال لأمير عنده وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي عنها والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم انى سائلكم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارا وهراة وسائر

البلاد التي افتتحتها ولم يوضحوا الجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم به فأني خالطت العلماء ولي بهم اختصاص والفة ولي في طلب العلم طلب قديم وكان بلغنا انه يعنت العلماء في الأسئلة ويجعل ذلك سبباً لقتلهم او تعذيبهم

فقال القاضي شرف الدين موسى الأنصاري الشافعي عني هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان

فقال لي عبد الجبار سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت فسكت القوم وفتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانه لحدث زماننا وعالمنا قد اختل عقله وهو معذور فأن هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تيمورلنك سمعه وبصره الي وقال لي عبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اجاب قلت (جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليعرف مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) ومن قاتل منا ومنكم لأعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمورلنك خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال تيمورلنك اني رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر

ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل احداً فقال والله انى لم اقتل احداً قصداً وانما انتم قتلتم انفسكم فى الأبواب ووالله لا اقتل منكم احداً وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا وطمع كل احد من الفقهاء والحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه فى المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فأنه يعرف ما يقول وآخر سؤال سئل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فأسرالي القاضى شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فأنه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين ابن القفصي الصيفي المالكى كلاماً معناه ان الكل مجتهدون فغضب تيمورلنك لذلك غضباً شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلبيون تبع لأهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذت في ملاطفته بالاعتذار عن المالكى بأنه اجاب بشيء وجده فى كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ماكان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل منى ومن شرف الدين فقال عنى هذا عالم مليح وعن شرف الدين هذا رجل فصيح فسألني تيمورلنك عن عمرى فقلت مولدى سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن اربعاً وخمسين سنة وقال للقاضى شرف الدين كم عمرك قال انا اكبر منه بسنة فقال تيمورلنك انتم في عمر اولادي انا عمرى اليوم خمساً وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب واقيمت الصلاة وامنا عبد الجبار وصلى تيمورلنك الى جانبي قائماً يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثانى غدر بكل من في القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الأموال والاقمشة والامتعة مما لايحصى . اخبرنى بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة ولا مايقاربه وعوقب غالب المسلمين بأنواع العقوبات

وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تيمورلنك من القلعة بدار النيابة وصنع وليمة على زى المغل وقف سائر الملوك والنوابين فى خدمته وادار عليهم كؤس الخمرة والمسلمون فى عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر شهر ربيع الاول طلبنى ورفيقي القاضى شرف الدين واعاد السؤال علينا فقلت له الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فأنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون وقد تمت بعلي فقال تيمورلنك قل علي على الحق ومعاوية ظالم فقلت قال صاحب الهداية يجوز تقلد القضاء من ولاة الجور فأن كثيراً من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الأمراء الذين عينهم للأقامة بحلب وقال لهم ان هذين الرجلين نزول عندكم بهذه البلدة فأحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احداً من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما بالمدرسة يعنى السلطانية التى تجاه القلعة وفعلوا ما وصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي ولي الحكم منهم بحلب الأمير موسى بن الحاجى طغاى اني اخاف عليكما والذي فهمته من نسق تيمور انه اذا امر بسوء فعل بسرعة ولا محيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه .

وفي اول يوم من ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجهاً نحو دمشق وثانى يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون فى امر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تيمورلنك يطلب من عساكره رؤساء من المسلمين على عادته التى كان يفعلها في البلاد التى اخذها فلما وصلنا اليه ارسلنا رسولاً يقول له اننا قدحضرنا وهو قد حلف ان لا يقتل منا احداً صبرا فعاد اليه ونحن ننظره وبين

يديه لحم سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء
من ذلك اللحم فلم تفرغ من اكله الا وزعجة قائمة وتيمورلنك صوته عال وساق
شخص هكذا وآخر هكذا وجاءنا امير ليعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار
رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان يحمل منها قبة اقامة لحرمته
على جري عادته ففهموا عنه غير ما اراد وانه قد اطلقكم فامضوا حيث شئتم
وركب تيمورلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة
في الأقامة بها واخذ الأمير موسى في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد احوالنا
مدة اقامته بحلب وقلعتها وتأتينا الاخبار بأن سلطان المسلمين الملك الناصر فرج
قد نزل الى دمشق وانه كسر تيمورلنك ومرة نسمع بالعكس الى ان انجلت
القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تيمورلنك قتالاً عظيماً اشرف
منه تيمورلنك على الكسر والهزيمة (١) وانما حصل من بعض امرائه خيانة
وكان ذلك سبب توجهه الى مصر اخذاً بالحزم ودخل تمرلنك الى دمشق ونهبها
وحرقها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس بل احضر له منها مال
ولا جاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعاً طالباً بلاده

ولما كان سابع عشر شهر شعبان من السنة المذكورة وصل تيمورلنك عائداً من
الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخل حلب بل امر المقيمين بها من جهته
بتخريب القلعة واحراق المدينة ففعلوا ونزلوا من القلعة وطلبني الأمير السيد
عز الدين وكان من اكبر امرائه وقال ان الامير تيمورقان يسلم عليك ويقول
ان عنده مثلك كثيرا وهذه البلاد باب مكة وليس بها عالم فلتكن انت بها وقد

---

(١) من قوله وانما حصل الى قوله طالباً بلاده سقط من النسخة المطبوعة على هامش الكامل وهي موجودة في نسخة خطية .

رمم بأطلاقك ومن معك من القضاة فاطلب من شئت واكثر لأروح معكم الى مشهد الحسين واقيم عندكم حتى لايبقى من عساكرنا احد وكان القاضي شرف الدين موسى لا يفارقني وطلبنا من تأخر من القضاة بالقلعة واجتمع منا نحو الني ميلم وتوجهنا صحبة المشار اليه لمشهد الحسين واقمنا به ننظر الى حلب والنار تضرم في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق من التتار احد ونزلنا الى بيوتنا بالمدينة فاستوحشنا منها ولم يقدر احد منا على الأقامة ببيته من النتن والوحشة ولا يمكن السلوك في الازقة من ذلك كما قال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب الشام معه مأسورين فانفلتوا منه اولاً بأول وكان السيفي دمرداش الخاصكي حين انفلت منه من حماة حال توجهه الى نحو دمشق توجه نحو السلطان واتفق على ما تقدم اولاً وجاءه تقليد شريف من السلطان باستمراره في نيابة حلب فدخلها واخذ فى عمارتها ورمم دار النيابة وسكن بها وتراجعت الناس واما نائب الشام فأنه مات مبطوناً واستقر فى نيابة دمشق الامير تنري بردى.

قال الدحلانى وفي سنة سبع وثمانمائة كان هلاك تيمورلنك بمدينة انزار وحملوه الى سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة ملكه نحو ست وثلاثين سنة وتملك بعده حفيده خليل بن امير شاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق ملكهم بأيدي المتغلبين وتغلب على بغداد ملوك التركمان الى ان انتزعها منهم اسماعيل شاه سلطان العجم ثم انتزعتها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقي لتيمور عقب كان منهم سلاطين فى الهند اهـ



سنة ٨٠٤

﴿ ذكر تولية حلب للامير دقماق المحمدي ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الى دقماق المحمدى نائب حماة بأن يستقر نائب حلب عوضاً عن المقر السيفي دمرداش المحمدي ورسم لدمرداش المحمدي بأن يحضر الى القاهرة لما تقتضيه الآراء الشريفة (ثم قال)

وفيها جاءت الاخبار من حلب بأن الامير دقماق المحمدى لما استقر نائب حلب وتوجه اليها خرج اليه دمرداش نائب حلب ووقع معه واقعة قوية فانكسر دمرداش ونهب بركه وهرب الى ملطية(وفى تحف الابناء) انه قبض عليه وارسله الى القاهرة وهو الاصح لانه عين سنة خمس لنيابة طرابلس كما فى روض المناظر

قال السخاوي في الضوء اللامع فى ترجمة الامير دقماق انه ولي حلب سنة اربع وثمانمائة وهرب منها في سنة ست لما استشعر بالقبض عليه فقرر غيره فى نيابتها فلم يلبث ان مات فعاد دقماق اليها ففر منه صاحبها واستنجد بمن ساعده على محاصرته فانهض دقماق لمقاومته لغلبة من معه ففر الى جهة التركمان وارسل يطلب الأمان فاجيب واعطى نيابة حماة ثانياً الى ان قتله جكم صبرا بظاهرها فى رجب او شعبان سنة ثمان ونفرت القلوب من قاتله وكان اميراً جليلاً كريماً ذا شكالة مليحة وخلق حسن متواضعاً قريباً من الناس مع حشمة ورياسة وعدل فى في الرعية وعفة عن اموالهم انشأ تربة خارج حلب ووقف عليها وقفا



(سنة ٨٠٦)

ذكر تولية حلب للأمير علاء الدين اقبغا ووفاته بها

وعود دمرداش المحمدي لنيابة حلب

قال في روض المناظر فيها استقر الأمير علاء الدين اقبغا الجمالي الهذباني نائب حلب عائداً اليها فعاد واقام قليلاً ومات بحلب ودفن بتربته التي انشأها بسوق الخيل واستقر في نيابة حلب السيفي دمرداش عائداً اليها .

قال السخاوي في الضوء اللامع عاد الأمير علاء الدين اقبغا الى حلب بعد دقاق واستمر على نيابتها اربعين يوماً ثم مات في ليلة الجمعة سابع عشرى جمادى الثاني سنة ست ودفن قبل الصلاة بتربته التي انشأها داخل جامعه وكان ساكناً عاقلاً قليل الشر مائلاً الى الخير ذكره ابن خطيب الناصرية ثم شيخنا اه

اقول كانت وفاته قبل اكمال عمارة الجامع واكمله دمرداش في ولايته سنة ٨١١ وسيأتي الكلام عليه ثمة . وقبر اقبغا لا زال موجوداً في تربته عن يمين الداخل الى الجامع وللتربة قبة مرتفعة البناء جداً وهي من الحجر المنحوت كتب في اعلاها بين الكوتين (صنعه جعفر بن ابي غانم رحمه الله)وللتربة اربع شبابيك اثنان من الجهة الشمالية واثنان من الجهة الغربية واللذان من هذه الجهة عليهما من الخارج كتابات تعسر علي قراءتها ومكتوب في ذيل المنارة عن يسار قنطرة باب الجامع الغربي (انشأه العبد الفقير الى الله تعالى اقبغا الظاهري غفر الله له)

قال في روض المناظر وفيها كانت زلزلة عظيمة بحلب وبلاد كثيرة وخربت منها اماكن كثيرة وتبع ذلك زلازل عديدة اخف منها فأجتمعت الزلازل والفتن وانما تتكاثر الزلازل والفتن بين يدي الساعة والظاهر ان الامر قد قرب والدنيا

على فراغ فالزلازل يخوف الله بها اهل المعاصي وتؤذن بزلزلة القيامة تنشأ فى بعض الارض كما تنشأ الرعدة للمحموم وزلزلة الارض اما لأن الله تعالى يطلع عليها فتتزلزل هيبة وفزعا واما لأن الحوت الذي عليه الأرض يتحرك بعضه (١) واما ان يعمل عليها المعاصي والخطايا فتتزلزل غضباً للرب والله اعلم(٢)

(سنة ٨٠٧)

(ذكر عصيان الامير جكم والامير شيخ)

قال السخاوي في الضوء اللامع فى ترجمة جكم انه اعتقل بقلعة المرقب ثم نقل الى حلب لحبس بدار العدل ثم نقل الى غيرها ثم اطلق وآل امره الى ان ملك حلب (تغلب على نائبها الامير دمرداش) ثم اتفق هو وجماعة من الامراء على العصيان ووصلوا الى الصالحية (بدمشق) فخرج الملك الناصر فكانت الكسرة على عسكره ورجع هارباً ثم كر عليهم العسكر المصري ثانياً فكانت النصرة لهم وآل امر جده الى ان اخذ هو وشيخ دمشق ودخلها واستمرا بها مدة ثم اخذ ايضاً حماة

[سنة ٨٠٨]

(ذكر خلع الملك الناصر فرج وسلطنة اخيه ابي العز)

عبد العزيز ثم ظهور الملك الناصر وعوده الى الملك وخلع اخيه

قال ابن اياس ما خلاصته لما عصى الامير جكم العوضي ومعه جماعة من الامراء

[١] يظهر ان ابن الشحنة ليس من ابناء هذا الفن حتى تسربت الى فكره هذه الخرافة

[٢] اقول بهذه العبارة نهاية تاريخ روض المناظر المطبوع على هامش ابن الأثير وفي النسخة الخطية التي امامنا زيادة ثمان ورقات بعد هذه العبارة فيها ذكر الملاحم والفتن واشراط الساعة وكلها اهملت في الطبع ويظهر ان ذلك لانتهاء تاريخ ابن الأثير اولأن للملاحم والفتن واشراط الساعة ذكراً فى كثير من كتب الحديث وغيرها وكيفما كان فأن هذا ليس بصواب من ارباب المطابع

اضطربت احوال الملك الناصر وضاقت عليه الأمور وآل الامر الى اختفائه وسلطنة اخيه ابي العز عبد العزيز الا انه لم يتم امره في السلطنة ولا ساعدته الأقدار فبقي في السلطنة شهرين وعشرة ايام ثم ظهر الملك الناصر واعيد الى كرسي السلطنة وخلع ابو العز عبد العزيز وذلك رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة .

قال السخاوي في ترجمة جكم بعد ان استولى جكم على حماة ظهر الملك الناصر فرج وتسلطن فجهز تقليدا لشيخ بنيابة دمشق وجكم بحلب ثم اضيف اليه نيابة الرها وملك عدة قلاع اه . ويستفاد من كلام السخاوى في ترجمة الامير علان اليحياوى انه كان نائبها فى هذه السنة وخلفه جكم قال ابن اياس لما توجه جكم الى حلب واستقر بها نائبا اظهر العصيان والمخامرة على السلطان وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك العادل وصار واضع اليد على البلاد الحلبية واخرج اوقاف الناس وجعلها اقطاعات وفرقها مثالات على عسكر حلب وصار يحكم من الشام الى الفرات فانتزعت يد الملك الناصر من البلاد الشامية والحلبية قال السخاوى قطع جكم الخطبة للناصر وخطب باسمه وضربت السكة باسمه

(ذكر عصيان فارس بن صاحب الباز التركماني)

سنة ٨٠٦ وما كان من امره الى قتل سنة ٨٠٨

قال ابن الخطيب . فارس بن صاحب الباز التركمانى امير التركمان بناحية العمق كان ابوه من امراء التركمان بالناحية المذكورة ثم نشأ هو فلما ازاح التتار عن البلاد كثر جمعه فاستولى على انطاكية وتلك الناحية ثم قوي امره عند خلف العساكر بالشام ومصر واستولي علي القصير وبلاده وديركوش ثم ان الأمير

دمرداش خرج اليه بعساكر حلب فوصل الى جب العميان موضع بناحية العمق بين القصير وانطاكية والتقى الفريقان هناك يوم الاثنين ثامن او تاسع المحرم سنة ست وثمانمائة فكسر الأمير دمرداش وعسكر حلب وقتل منهم جماعة وبعض الأمراء المقدمين ودخل الأمير دمرداش الى حلب بكرة عيد الأضحى فقوي امر ابن صاحب الباز جداً .

ثم ان الأمير دمرداش جمع العسكر وتوجه الى انطاكية لقتال ابن صاحب الباز ثانياً وذلك فى سنة سبع وثمانمائة وكتب الى الأمير علي باك بن ذى الغادر والى الأمير احمد بن رمضان مقدمي التركمان بالبلاد الشمالية يستنجد بهما على ابن صاحب الباز فوافياه على انطاكية فدخل ابن صاحب الباز الى انطاكية ومعه الأمير جكم وتحصن بها فأقام العسكر عليها مدة ولم يظفروا منها بطائل ثم رجع عنها الأمير دمرداش حين بلغه الخبر ان المصريين اختلفوا وهرب منهم جماعة من الأمراء الكبار ووصلوا الى دمشق ودخل الأمير دمرداش الى حلب بالعسكر فاستفحل امر فارس بن صاحب الباز وعظم شأنه واستولى على البلاد الغربية بأسرها ووصل الى اطراف جبل سمعان وتوجه الى جماعة من جند حلب واقاموا عنده لأجل اقطاعاتهم وكذلك استولى على جانب من بلاد طرابلس كصهيون وناحيتها وصار له من باب الملك صهيون وبرزية واطراف بلد سرمين واطراف جبل سمعان وبقي نواب حلب ليس لهم حكم في تلك البلاد بالكلية وصاروا كالمحصورين فأن هذه البلاد التى استولى عليها هي التى كانت عامرة من اعمال حلب وهي انطاكية والقصير والشغر وديركوش وتيزين وحارم وبغراس والحلقة وسائر اعمالها وبرزية وصهيون واللاذقية وجبلة وتلك النواحى وعجز النواب عن دفعه للخلف وقلة العسكر وصار ابن صاحب الباز في عسكر عظيم الى

ان قدر الله تعالى بتولية جكم نيابة حلب من قبل السلطان الملك الناصر فرج ابن برقوق فدخل حلب واستمر بها اياماً ثم اخذته الأنفة والحمية لجمع عسكر حلب وجماعة من غير العسكر من اهل حلب رجالة وخيالة وخرج من حلب متوجهاً لقتال ابن صاحب الباز واستنقاذ البلاد منه بعد ان جهز يطلب منه البلاد فلم يجب الى ذلك وجمع وحشد وتوجه نحو حلب فوصل الى ارتاح فوصل اليه الأمير جكم بعساكره وجمائعه وتصافا وتقاتلا فانكسر ابن صاحب الباز وهزمه الله تعالى فولى هارباً نحو انطاكية وذلك فى اوائل شوال سنة ثمان وثمانمائة ونهب الأمير جكم والعسكر الحلبي جميع ما مع التركمان واستمر فارس هارباً الى ان دخل انطاكية فتوجه اليه الأمير جكم بمن معه من العساكر وحاصره بانطاكية مدة ثم بلغ الأمير جكم ان الأمير نعير بن جبار متوجه اليه نجدة لأبن صاحب الباز فترك جكم انطاكية وتوجه بعساكره الى جهة نعير فوصل بلد سرمين ثم نزل على قرية زيتان من نهريات حلب القبلية واتفق بينه وبين نعير وقعة حكيناها فى ترجمة الأمير جكم . ثم لما فرغ الأمير جكم من قتالهم رجع من فوره الى جهة انطاكية ولم يدخل حلب فوجد ابن صاحب الباز قد تجمع ونزل على جسر الحديد من جهة الغرب وقطع الجسر فنزل جكم من شرقي الجسر واستمر يحاصره اياماً وشرع الأمير جكم في حفر نهر ليحول العاصى ويدخل اليهم واوهمهم بذلك وكتب الى ابن رمضان (صاحب مرعش) لينجده وكتب ابن صاحب الباز الى ابن رمضان ايضاً وهو شهاب الدين احمد لينجده فجاء ابن رمضان فخافه ابن صاحب الباز فهرب الى جهة القصير وصعد القلعة وتحصن بها هو وجماعته فتوجه اليه الأمير جكم بعساكره وحاصره بقلعة القصير اياماً ثم ان ابن صاحب الباز طلب الأمان من جكم فأعطاه الأمان ونزل اليه من القلعة فاستمر عنده

أياماً ثم سلمه الى الأمير غازى بن اوزر وكان بينه وبين ابن صاحب الباز عداوة وكان ابن صاحب الباز قد قتل بعض جماعة ابن اوزر فقتله غازي ابن اوزر وقتل معه ابنه وغيره من جماعته وذلك في شوال او ذي القعدة سنة ثمان وثمانمائة

[آثاره] وكان ابن صاحب الباز اميراً كبيرا فارساً شجاعاً بنى بانطاكية مدرسة بحضرة مقام سيدي حبيب النجار رضي الله عنه ولما قتل عادت البلاد التي استولى عليها كل بلد الى معاملته وانكسرت شوكة التركمان ولله الحمد اه

ذكر تولية حلب للامير جركس سيف الدين القاسمي

قال السخاوى فى الضوء اللامع في ترجمته ولاه الملك الناصر نيابة حلب عوضاً عن دمرداش في سنة تسع وثمانمائة ولم يقم بها الا مدة اقامة الناصر بها يوماً او يومين ورجع معه الى القاهرة خوفاً من جكم اه

وفى تحف الانباء ان الملك الناصر توجه فى هذه السنة الى دمشق ثم منها الى الى حلب فلما دخلها قرر في نيابتها جركس القاسمي وجعله نائب السلطنة بها فلما بلغ جكم مجيئ السلطان الى حلب اخذ نوروز الحافظي وتمربغا المشطوب وعدى الفرات ولما توجه السلطان من حلب الى دمشق رجع جكم ونوروز الى حلب وملكاها وفر منها جركس وتسلطن جكم بها ولما بلغه مسير السلطان من من دمشق الى مصر سار الى دمشق فملكها وفر منها نائبها شيخ وتسلطن بها كما فعل بحلب وتلقب بالملك العادل ابي الفتوحات فعند ذلك تحرك عليه قرايلك وكثير من التركمان فتحصن ببابل جكم مسيره اليهم فسار الى قرب ماردين وتحارب معهم فانكسر عسكر قرايلك وانهزم الى ان اتى نحو آمد فتبعه جكم في في عسكر قليل ودخل ارضاً مضيقة لا يسعه الفرار منها فانحصر فيها وسقط عن

فرسه فتقدم اليه بعض التركمان فقطع رأسه

(سنة ٨٠٩)

قتل جكم الذى تسلطن بحلب وحمل رأسه الى مصر

في هذه السنة قتل جكم قال ابن اياس وكان سبب ذلك ان خارجاً من التركمان من اولاد قرا يوسف خرج عليه فخرج اليه جكم مع العساكر الحلبية فالتقى معه فكان بينهم واقعة عظيمة فقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم وفقد جكم العوضى فى المعركة ولا يعلم له خبر ولاعرف كيف قتل وقال قبل ذلك انه قتل في المعركة بين بساتين آمد ولا يعلم من قتله وان ابن نعير (امير العرب) ارسل الى السلطان رأس جكم العوضى الذى تسلطن بحلب فعلقت رأسه على باب زويلة وكان له يوم مشهود وكفى الملك الناصر شره.

قال السخاوي كان قتل جكم في ذى القعدة سنة تسع وكان مهاباً شجاعاً مقداماً مدبراً لهحرمة ومهابة ممدحاً مائلاً لمجالسة العلماء ومذاكرتهم مصغياً لنظم الشعر محباً لسماعه بل ويجيز عليه الجوائز السنية ويحب الانصاف ولا يتمكن احد معه من الفساد طول ابن خطيب الناصرية ثم شيخنا (ابن حجر) ترجمته وكذا المقريزي في عقوده اه

(سنة ٨١٠)

ذكر تغلب تيمور بغا المشطوب على حلب

قال السخاوى فى ترجمته ان تيموربغا المشطوب التف مع جكم وذهب معه الى قرايلك وقاسى هناك شدة ثم تخلص وجاء الى حلب والتف عليه بعض الظاهرية وغيرهم واستولى على حلب مدة ثم التحق بشيخ نوروز حين توجهها الى مصر للأستيلاء عليها فمات بأرض البلقاء من الشام وهو معهما

(سنة ٨١١)

﴿ذكر اعادة دمرداش لنيابة حلب﴾

قال ابن اياس ما خلاصته لما توجه شيخ ونوروز الى مصر آل الأمر الى انكسارهما ثم ان السلطان ارسل تقليداً الى شيخ بنيابة الشام وتقليداً الى دمرداش بنيابة حلب ثم عين نوروز الى القدس بطالا ثم كتب الى دمرداش نائب حلب بالحضور

ذكر اكمال دمرداش لجامع الاطروش والكلام عليه

قال في الدر المنتخب ومنها جامع آقبغا الأطروشى نائب حلب ثم دمشق بحضرة سوق الخيل وكان مكانه سوق الغنم ابتدأ بأساسه سنة واحد وثمانمائة وبنى حيطانه وقطع له عمداً من الرخام الاصفر البماديني وهي عمد عظيمة وبنى له تربة داخل باب الجامع ووقف عليها اوقافاً ثم صرف عن نيابة حلب وانتقل الى طرابلس ودمشق ثم عاد الى حلب ثانياً ومات بها سنة ست وثمانمائة قبل ان يكمل عمارة الجامع المذكور فكمل عمارته دمرداش نائب حلب ووقف عليه فهو الآن يعرف بكل منهما وهو جامع حسن وبه تصلى نواب حلب العيدين وكانوا قديما يصلونهما بجامع الطنبغا اهـ

اقول موقع الجامع في المحل المعروف بسوق الجمعة بين المحلة المعروفة بالقصيلة والمحلة المعروفة بساحة الملح ومشتهر بين الناس الآن بجامع الأطروش ولا يعرف بغير هذا الأسم وله بابان عظيمان باب من جهة الغرب وباب من جهة الشمال المكتوب على الباب الاول (١) عمر هذا الجامع المقر الأشرف العالي المولوي العالمي العادلى المخدومى الكافلى السيفي دمرداش الناصري [٢] مولانـا ملك الأمراء ابو المساكين والفقراء كافل المملكتين الشريفتين الحلبية والطرابلسية اعز

الله انصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله [٣] ابتغاء لوجه الله تعالى في العشر الأخير من شوال المبارك سنة احد عشر وثمانمائة من الهجرة النبوية

والمكتوب على الباب الشمالى [١] عمر هذا الجامع المبرور ابتغاء لوجه الله تعالى المقر الاشرف العالى المولوى المخدومى الكافلي [٢] السيفى دمرداش الناصرى مولانا ملك الامراء كافل المملكتين الشريفتين الحلبية والطرابلسية اعز الله انصاره وضاعف اقتداره [٣] بمحمد وآله بتولى العبد الفقير الى الله تعالى يوسف الأشرفي وكان الفراغ منه سلخ شعبان المكرم من سنة اثنى عشر وثمانماية.

طول صحن الجامع تسعة وعشرون ذراعاً وعرضه ثمانية عشر ونصف ذراع وطول القبلية خمسون ذراعاً وعرضها مع السواري ثمانية عشر ذراعاً وفي آخرها من جهة الشرق مقصورتان معدتان لصلاة الأمراء وله ثلاثة اروقة شرقاً وغرباً وشمالاً لها عشر اسطوانات عرض الأسطوانة نحو ثلاثة اذرع ومجموع محيطها احد عشر ذراعاً وعلى الاسطوانتين اللتين عن يمين باب الجامع الشمالي رسم ربع دائرة فيها خطوط يعرف منها وقتا الظهر والعصر وعرض الرواقين الشرقي والغربي عشرون ذراعاً ونصف ذراع

وكان المتولي عليه شخص يقال له السيد حسن ثم انتقلت التولية منه الى عبد الوهاب درويش ثم الى الشيخ محمد الهيراتى ثم الى الشيخ محمد الخياط ثم الى الحاج احمد الجاموس وذلك منذ نحو اربعين سنة وفى زمنه ازال عن سطح القبلية اتربة عظيمة كانت عليه ولم يجعل له مزاريب تذهب بالماء فثقل التراب عليه فأدى الى سقوط السقف جميعه . ثم ولي عليه الشيخ محمد العبيسى مفتي حلب فلم يتمكن من إعادة السقف الى ما كان عليه لأحتياجه الى نفقة كثيرة لا تقوم بها واردات وقف الجامع فأهمل امره لهذا السبب فأدى ذلك الى سقوط جداري

القبلية القبلي والشمالي. وامتلأ صحنه بالأتربة والأحجار وتعطلت اقامة الصلاة فيه وفي القبلية اربع عواميد ضخمة جداً طويلة وحينما وقع السقف تكسر منها عمودان وبقي عمودان .

وفي السنة الماضية وهي سنة ١٣٤١ اهتم بأمر هذا الجامع اهل محلة القصيلة ومحلة ساحة الملح وفي مقدمتهم الشيخ عبد اللطيف الخياط وجمعوا له من انفسهم ومن اهل الخير ١٦٥ الفاً من القروش الرائجة واقاموا جدار القبلية القبلي واعادوه الى ما كان عليه وبنوا مكان العمودين اللذين تكسرا ساريتين واصلحوا المنارة حيث وضعوا لها سقفاً ودرابزينا لأنهـا كانت بدون سقف وبلغ مجموع النفقة الى الآن ١٣٠ الفاً ولا زال العمل قائما فيه شكر الله سعيهم

وبعد وفاة متوليه مفتي حلب في السنة الماضية ايضاً استلمت دائرة الاوقاف الجامع مع اوقافه التي هي عبارة عن خمس دكاكين بين الجامع وبينها عرصة واسعة على طول قبلية الجامع تعود له يبلغ وارداتهـا ١٥ ليرة عثمانية ذهباً وله احكار فى سوق القصيلة وفي محلة الطنبغا والأعجام يبلغ ريعها ٦ ليرات واراض في سوق الجمعة وقد عزمت دائرة الأوقاف على صرف مائتي الف قرش لأكمال الجامع واعادته الى حالته الأولى وعزم اهل المحلتين على بناء عشر دكاكين بين الجامع وبين الدكاكين الخمس التى اشرنا اليها واتخاذ خان وراء هذه الدكاكين واضافة الجميع الى اوقاف الجامع وفقهم الله الى تحقيق امانيهم

وجدار الجامع الغربي الذي لم يزل محفوظاً هو والمنارة من حين تأسيس الجامع يعد هو والشبابيك التي فيه وبابا الجامع فى جملة الآثار العربية القديمة المبهجة بالنظر لحسن بنائه واحكامه ولطيف نقوشه وهو موضع اعجاب الغربيين به وقد اكثروا من اخذ صورته بالمصور الشمسي والبناؤن والنجارون فى حلب معجبون

به وهم يقتبسون من محاسن صنعته وبديع هندسته وسبحان الواحد الباقي

(سنة ٨١٢)

﴿ ذكر تولية حلب للأمير نوروز ﴾

قال في تحف الأنباء وفي هذه السنة في المحرم ارسل السطان الى نوروز بأن يكون نائباً بحلب وفي شوال اصطلح نوروز مع نائب الشام شيخ وتحالفا على العصيان على الملك الناصر واستوليا على البلاد الحلبية والشامية حتى على انطاكية

(سنة ٨١٣)

(ذكر تولية حلب للأمير قرقماش ثم لشيخ)

قال فى تحف الأنباء وفي هذه السنة فى ربيع الآخر توجه السلطان نحو الشام ومعه الخليفة المستعين بالله العباسي فلما وصل الى دمشق هرب منه نوروز وشيخ وقرر في نيابة حلب قرقماش ووقع بين الشيخ ونوروز مصادرات وحروب الى ان اعطي شيخ نيابة السلطنة بحلب ونوروز نيابة طرابلس وذلك في ذى القعدة وتحالفا على ان لا يخرجا عن الطاعة

[سنة ٨١٥]

ذكر تولية حلب للأمير دمرداش ثم للأمير يشبك

فى هذه السنة كان الوالي بحلب الأمير دمرداش كما يستفاد من تحف الأنباء فى حوادث هذه السنة حيث قال وفى ربيع الآخر اتى نوروز الى حلب فهرب منه دمرداش وعين لنيابتها يشبك بن ازدمر [١] .

---

(١) ذلك بعد محاربة نوروز وشيخ الملك الناصر فرج وقتل الملك الناصر في دمشق وتولية السلطنة للخليفة العباسي ثم خلعه بعد ستة اشهر وتولية السلطنة لشيخ الملقب بالملك المؤيد كما بسطه ابن اياس في بدائع الزهور

﴿ ترجمة دمرداش ﴾

قال في الضوء اللامع ان دمرداش قتل بالاسكندرية سنة ثمان عشرة وكان معظماً للعلماء كريما حليما حشما لكن لم تكن لأملاك الناس ولا للأوقاف عنده حرمة وابتنى بحلب جامعاً ثم قال والجامع الذي له بحلب كان اسسه اقبغا الهذباني الأطروشي فكمله هو ووقف عليه وقفاً جيدا اه اقول وقد تقدم الكلام على الجامع مستوفى

[سنة ٨١٦]

﴿ذكر تولية حلب للأمير اينال الصلاني﴾

قال السخاوي في ترجمته انه كان ممن انضم الى الملك المؤيد شيخ فولاه نيابة حلب في شوال سنة ست عشرة وكان فيمن حاصر معه نوروز الى ان قتل نوروز ورجع الى ولايته بحلب [وذلك سنة ٨١٧] وكان شكلا حسناً عاقلاً شجاعا عارفاً بالأمور قليل الشر ثم كان ممن عصى على المؤيد هو وقايتباي نائب الشام ونائب طرابلس ونائب حماة وآل امرهم الى ان انهزموا واسروا وقتل اينال بقلعة حلب فى شعبان قال ورأيت الحلبيين يثنون عليه كثيراً ولما حاصر على المؤيد لم يحصل لأحد من اهل بلده منه شر بل طلب اخذ القلعة فعصى عليه نائبها فحاصره اياماً ثم تركه وتوجه الى الشام

[سنة ٨١٨]

(ذكر تولية حلب للأمير اقباي المؤيدي)

قال السخاوي في ترجمته ان استاذه ولاه الدوادارية الكبرى بالقاهرة ثم نيابة السلطنة بحلب في سنة ثمان عشرة ثم خرج منها بعد يسير مختفيا على الهجن بحيث

وصل الى القاهرة في اثني عشر يوماً لكونه بلغه انه تكلم في حقه عند السلطان فأكرمه وولاه نيابة دمشق فتوجه اليها فى اوائل سنة عشرين الى ان قال وله وقف على زاوية جلبان وذكره ابن خطيب الناصرية

[سنة ٨٢٠]

﴿ ذكر تولية حلب للأمير قجقار القردمى ﴾

قال ابن خطيب الناصرية جقار القردمي الأمير سيف الدين نائب حلب كان في صحبة الملك المؤيد حين كان المؤيد نائباً بحلب فلما تسلطن ولاه امرة مائة فارس بالديار المصرية وصار من الأمراء الألوف ثم ولاه نيابة حلب في سنة عشرين وثمانمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين اقباي وجاء الى حلب ودخلها ثم جاء السلطان بعد قليل الى حلب وتوجه الى بلاد الروم وتوجه معه الأمير جقار ثم جاء الى حلب وخلف الأمير جقار واقباي نائب دمشق لحصار كركر ثم لما جاء قرايوسف الى جهة آمد خاف منه فرحل عن كركر وجاء الى حلب فغضب عليه السلطان وامسكه ساعة ثم اطلقه وجهزه معزولاً الى دمشق فلما توجه السلطان الى الديار المصرية اعاده مقدما واستقر بها ثم جهزه السلطان صحبة الأمراء الذين جهزهم مع ابنه ابراهيم لأخذ البلاد القرمانية فجاء الى حلب وتوجه صحبة ولد السلطان ثم لما قضوا اربهم رجعوا ورجع جقار صحبتهم الى الديار المصرية واستمر مقدما الى ان توفي السلطان الملك المؤيد فهم بالركوب وادعا الأمر فعاجله الأمير سيف الدين ططر الذي صار سلطانا وامسكه وحبسه قبل ان يدفن السلطان وذلك في المحرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة ثم قتل مقبوضاً عليه فى السنة المذكورة وكان اميراً كبيرا كريما محترما محتشما عنده ادب وكان من ابناء الستين او يزيد عليها رحمه الله تعالى اه

﴿ ذكر تولية حلب للأمير يشبك اليوسفي ﴾

وفي هذه السنة تولى نيابة حلب الأمير يشبك اليوسفى قال السخاوي في الضوء اللامع وكان يشبك شاباً جاهلاً فاسقاً ظالماً عسوفاً طماعاً اشتراه المؤيد وهو نائب طرابلس بالف دينار كما سمعه العينى من المؤيد ثم ترقى عنده الى ان عمله شاد الشرابخاناه ثم اعطاه تقدمة ثم نيابة طرابلس ثم نيابة حلب ولم يشتهر عنه معروف وذكره ابن خطيب الناصرية فقال قدمه استاذه فكان عنده حين نيابته بحلب شاد الشرابخاناه فلما استقر فى المملكة ولاه نيابة طرابلس ثم نقله منها الى حلب سنة عشرين وكان شاباً فارساً شهماً شجاعاً بنى بحلب مسجداً بالقرب من الشاذبختية وجنينة بالقرب منه وتربة ومكتب ايتام ثم قتل بعده في المحرم سنة اربع وعشرين ونسبه بعضهم يوسفياً اه

قال فى الدر المنتخب (المدرسة اليشبكية براس سوق النشابين (المسمى الآن سوق الزرب (الضرب) لصيق القسطل بناها الامير يشبك اليوسفي المؤيدي نائب حلب وجعل له بها مدفناً وبه دفن بعد قتله سنة اربع وعشرين وثمانمائة ووقف عليها سوقه الذي بناه بالقرب منها اه

(سنة ٨٢١)

مجيئ قرايوسف التركماني الى الديار الحلبية وعيثه فيها

قال السخاوى في الضوء اللامع في ترجمته. قرايوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركمانى ملك بغداد وفى سنة احدى وعشرين وثمانمائة كانت بين قرايوسف وبين قرايلك [من امراء التركمان] فى نواحى الموصل وديار بكر وماردين] وقعات حتى فر قرايلك فقدم حلب وانتقل الناس من حلب خوفاً من قرايوسف

وكان قد وصل الى عينتاب وكتب الى المؤيد يعتذر بأنه لم يدخل هذه البلاد الاطلباً لقرايلك لكونه هجم على ماردين وهي من بلاد قرايوسف فأفحش في الاسر والقتل والسبي بحيث بيع صغير بدرهمين وحرق المدينة فلما جاء قرايوسف احرق عينتاب واخذ من اهلها مالاً كثيراً مصالحة وتوجه الى البيرة فنهبها ثم بلغه ان ولده محمد شاه عصى عليه ببغداد فتوجه وحصره واستصفى امواله وعاد الى تبريز فمات فى ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين

ذكر الأثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل فى هذا العصر

ذكر العلامة القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ في كتابه صبح الأعشى فى صناعة الأنشا [١] فصولاً مهمة بين فيها الأثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل المستعمل في هذا العصر فى مصر ودمشق وحلب وغير ذلك فأحببنا اثبات تلك الفصول فى تاريخنا وان لايكون خالياً منها لعلمنا ان كثيراً من النفوس تتطلع الى معرفة ذلك فنقول

قال فى الجزء الرابع منه فى الكلام على نيابة حلب . اما الأثمان المتعامل بها من الدنانير والدراهم والصنجة فعلى ما تقدم فى دمشق من غير فرق (سيأتيك بيان ذلك) ولم ترج الفلوس الجدد فيها الى الآن وانما يتعامل فيها بالفلوس القديمة

ورطلها سبعمائة وعشرون درهما (٢) واواقيه اثنا عشرة اوقية كل اوقية

(١) طبع في مصر سنة ١٣٣٢ في ١٤ مجلدا وهو كتاب جليل فى صناعة الأنشا والتاريخ وترتيب الممالك في ذلك العصر الى غير ذلك من الفوائد

(٢) اقول وفى اوائل القرن السابع كان الرطل بهذا المقدار ففى تاريخ ابن شداد في الكلام

ستون درهما وفي اعمالها وربما زاد الرطل على ذالك

وتعتبر مكيلاتها بالمكوك فى حاضرتها وسائر اعمالها والمكوك المعتبر في حاضرتها سبع ويبات بالكيل المصري (سيأتى بيان ذلك)

واما في نواحيها وبلادها فيختلف اختلافاً متباينا في الزيادة والنقص . قال فى مسالك الأبصار والمعتدل منها ان يكون كل مكوكين ونصف غرارة وما بين ذالك كل ذلك تقريباً

بيان الويبة والمكوك والغرارة

قال في صبح الاعشى ان بمصر اقداحاً مختلفة المقادير والمستعمل منها بالحاضرة القدح المصري وهو قدح صغير تقديره من الحب المعتدل ٢٣٢ درهما وكل ستة عشر قدحاً تسمى ويبة (فتكون الويبة ٣٧١٢ درهما والمكوك كما تقدم ٧ ويبات فاذا ضربناها في ٣٧١٢ يكون الحاصل ٢٥٩٨٤ درهما هي المكوك وقتئذ فى حلب واذا كان كل مكوكين ونصف غرارة فاذا ضربنا ٢٥٩٨٤ فى ٢ ونصف يكون الحاصل ٦٤٩٦٠ درهما هي الغرارة . والمكوك مكيال (راجع القاموس) والغرارة بالكسر شبه العدل والجمع غرائر .

على بناء القلعة • وفى السنة الرابعة والعشرين وستمائة مهدت ارض الخندق الملاصق للقلعة فوجد فيها تسعة عشر لبنة ذهباً ابريزاً كان وزنها تسعة وعشرين رطلاً بالحلبي والرطل سبعمائة وعشرون درهماً اه

وقد هجر التعامل بالرطل الذى يزن هذا المقدار ولا ادري متى هجر غير ان النيل الهندى لازال يباع بالرطل الذى يزن ٧٢٠ درهماً الى زمننا هذا وعند باعة النيل ارطال بهذا الوزن ولا يوجد صنف من اصناف البضائع يباع بهذا الرطل غيره فهو الباقى من ذلك العصر الى وقتنا هذا الا ان باعة هذا الصنف اصطلحوا الآن على ان كل عشرة ارطال من الرطل المسمى بالعتيق الذي يزن ثمانمائة درهم بأحد عشر رطلاً فعلى هذا صار رطل النيل ٧٢٨ درهماً وهو اصطلاح حديث مضي عليه سنون قلائل

ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش المصري سدس ذراع وهو اربعة قراريط (سيأتي بيان ذلك)

وتعتبر ارض دورها بذراع العمل كما في الديار المصرية .وارض زراعتها بالفدان الأسلامي والفدان الرومي كما فى دمشق . وخراج ارض الزراعة بها كما في دمشق . (١) واسعارها على نحو اسعار دمشق الافى الفواكه فأنها في دمشق ارخص لكثرتها بها اه (سيأتي بيان الاسعار وقتئذ فى دمشق ومصر)

ايضاح لما اجمل هنا

بيان الاثمان المتعامل بها فى دمشق

قال القلقشندي في الكلام على نيابة دمشق . اما الأثمان المتعامل بها فيها فعلى ماتقدم فى الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وزناً والدنانير الافرنتية عدّاً والدراهم النقرة وزناً

بيان الأثمان المتعامل بها فى الديار المصرية

قال القلقشندي في الجزء الثالث في الكلام على الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية او يأتى اليها من المسكوك في غيرها من الممالك وهي ضربان

الضرب الأول

مايتعامل به وزناً كالذهب المصري وما فى معناه

والعبرة في وزنها المثاقيل وضابطها ان كل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم من الدراهم الآتى ذكرها . والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً . وقدر بثنتين وسبعين حبة شعير من الشعير الوسط بأتفاق العلماء .

وقد كان الامير صلاح الدين بن عرام فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين

(١) لم يبين القلقشندى الفدان الاسلامي والفدان الرومى وخراج ارض الزراعة في دمشق

بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالاسكندرية وهو نائب السلطنة بها يومئذ دنانير زنة كل دينار منها مثقال. على احد الوجهين (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (ضرب بالاسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نصره) ثم امسك عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر ثم ضرب الامير يلبغا السالمي استادار العالية في الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانير زنة كل واحد منها مثقال في وسط سكته دائرة فيها مكتوب [فرج] وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف او مثقالان وربما كان نصف مثقال او ربع مثقال . الا ان الغالب فيها نقص اوزانها وكأنهم جعلوا نقصها في نظير كلفة ضربها

الضرب الثاني ما يتعامل به معادة

وهي دنانير يؤتى بها من بلاد الأفرنجية والروم معلومة الاوزان كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من المصري . واعتباره بصنج الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتي خرّوب يرجح قليلا . وهذه الدنانير مشخصة على احد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه . وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين الذين بعث بهما المسيح الى رومية ويعبر عنها بالأفرنتية جمع افرنتي واصله افرنسي بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة الى افرنسة مدينة من مدنهم وربما قيل افرنجة واليها تنسب طائفة الفرنج وهي مقرة الفرنسيس ملكهم . ويعبر عنه بالدوكات . وهذا الأسم في الحقيقة لا يطلق عليه الا اذا كان ضرب البندقية من الفرنجة وذلك ان الملك اسمه عندهم دوك وكأن الألف والتاء في الآخر قائمان مقام النسب.

ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زنة الدنانير الافرنتية المتقدمة الذكر في احد الوجهين (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي الآخر اسم السلطان وفي

وسطه سفط مستطيل بين خطين وعرفت بالناصرية.وكثر وجدانها وصار بها
أكثر المعاملات الا انهم ينقصونها في الأثمان عن الدنانير الافرنتية عشرة دراهم
ثم ضرب على نظيرها الأمام المستعين بالله ابو الفضل العباس (او ابو العباس).
حين استبد بالأمر بعد الناصر فرج ولم يتغير فيها غير السكة باعتبار انتقالها من
اسم السلطان الى اسم امير المؤمنين.

ثم صرف الذهب بالديار المصرية لايثبت على حاله بل يعلو تارة ويهبط اخرى
بحسب ما تقتضيه الحال وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيما ادركناه
في التسعين والسبعمائة وما حولها عشرون درهما والافرنتى سبعة عشر درهماً.وما
قارب ذلك اما الآن فقد زاد وخرج عن الحد خصوصاً في سنة ثلاث عشرة
وثمانمائة وان كان في الدولة الظاهرية بيبرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهماً
ونصفاً فيما رأيته في بعض التواريخ

الدراهم النقرة

قال في صبح الاعشى اصل موضوعها ان يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس
وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم فى الدنانير ويكون منها
دراهم صحاح وقراضات مكسرة . والعبرة فى وزنها بالدراهم وهو معتبر بأربعة
وعشرين قيراطا وقدر بست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبتين
ثمن درهم . وهن اربع حبات من حب البر المعتدل والدرهم من الدينار نصفه
وخمسه وان شئت قلت سبعة اعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم

الفلوس وهى صنفان مطبوع بالسكة.وغير مطبوع

فأما المطبوع فكان في الزمن الأول الى اواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد بن
قلاوون فلوس لطاف يعتبر كل ثمانية واربعين فلساً منها بدرهم من النقرة علي

اختلاف السكة فيها ثم احدث فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة في سلطنة حسن ايضاً فلوس شهرت بالجدد جمع جديد زنة كل فلس منها مثقال . وكل فلس منها قيراط من الدرهم مطبوعة بالسكة السلطانية فجاءت في نهاية الحسن وبطل ما عداها من الفلوس وهي اكثر ما يتعامل به اهل زماننا الا انها فسد قانونها في تنقيصها في الوزن عن المثقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم وصار تكوينها غيرمستدير وكانت توزن بالقبان كل مائة وثمانية عشر رطلاً بالمصرى بمبلغ خمسمائة درهم ثم اخذت في التناقص لصغر الفلوس ونقص اوزانها حتى صار كل مائة واحد عشر رطلاً بمبلغ خمسمائة قلت «القائل القلقشندي» ثم استقر الحال فيها على ذلك على انه لو جعل كل اوقية فما دونها بدرهم لكان حسناً باعتبار غلو النحاس وقلة الواصل منه الى الديار المصرية وحمل التجار الفلوس المضروبة من الديار المصرية الى الحجاز واليمن وغيرهما من الاقاليم متجراً . ويوشك ان دام هذا ان تنفذ الفلوس من الديار المصرية ولا يوجد ما يتعامل به الناس

واما غير المطبوعة فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر ويعبر عنها بالعتق وكانت في الزمن الاول كل زنة رطل منها بالمصري بدرهمين من النقرة فلما عملت الفلوس الجدد المتقدمة الذكر استقر كل رطل منها بدرهم ونصف وهي على ذلك الى الآن

قلت ثم نفدت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلو النحاس وصار مهما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجدد وراج معها على مثل وزنها اهـ

تتمة لهذا البحث وذكر ماكان يتعامل به الناس في الديار المصرية
والشامية من سنة ٥٦٩ الى القرن التاسع

قال العلامة المقريزي في رسالته (النقود الاسلامية) لما زالت الدولة الفاطمية بدخول الفرس الشام ومصر على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب

في سنة تسع وستين وخمسمائة قررت السكة بالقاهرة باسم المرتضي بأمر الله « الخليفة العباسي » وباسم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى صاحب بلاد الشام فرسم اسم كل منهما في وجه . ثم لما استبد الملك صلاح الدين بعد موت الملك العادل نور الدين امر فى شوال سنة ٥٨٣ بأن تبطل نقود مصر وضرب الدينار ذهباً مصرياً وابطل الدرهم الأسود وضرب الدراهم الناصرية وجعلها من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوي فاستمر ذلك بمصر والشام الى ان ملك الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابي بكر محمد بن ايوب فأبطل الدرهم الناصري وامر في ذى القعدة من سنة ٦٢٢ بضرب دراهم مستديرة وتقدم انه لايتعامل الناس بالدراهم المصرية العتق وهي التي تعرف فى مصر والاسكندرية بالزيوف وجعل الدرهم الكامل ثلاثة أثلاث ثلثيه من فضة وثلثه من نحاس فاستمر ذلك بمصر والشام مدة ايام ملوك بني ايوب فلما انقرضوا وقامت الأتراك من بعدهم ابقوا سائر شعائرهم واقتدوا بهم فى جميع احوالهم واقروا نقدهم على حاله من اجل انهم كانوا يفتخرون بالأنتماء اليهم حتى انى شاهدت المراسيم التي كانت تصدر عن الملك المنصور قلاوون وفيها بعد البسملة الملكى الصالحى وتحت ذلك بخطه قلاوون فلما ولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحي النجمى وكان من اعظم ملوك الأسلام وممن يتعين على كل ملك معرفة سيرته ضرب دراهم ظاهرية وجعلها كل مائة درهم من سبعين درهماً فضة خالصة وثلاثين نحاساً وجعل رنكه على الدرهم وهو صورة سبع فلم تزل الدراهم الظاهرية والكاملية بديار مصر والشام الى ان فسدت فى سنة ٧٨١ بدخول الدراهم الحموية فكثر تعنت الناس منها وكان ذلك فى امارة الظاهر برقوق فلما وصل الامر اليه واقام الامير محمود بن على استادارا اكثر من ضرب الفلوس وابطل

ضرب الدرهم فتناقصت حتى صارت عرضاً ينادى عليه فى الاسواق بحراج حراج وغليت الفلوس الى ان قدم الملك المؤيد شيخ عز نصره من دمشق في رمضان سنة ٨١٧ بعد قتل الامير نوروز الحافظى نائب دمشق فوصل مع العسكر واتباعهم شيء كثير من الدراهم البندقية والدراهم النوروزية فتعامل الناس بها وحسن موقعها لبعد العهد بالدراهم فلما ضرب الملك المؤيد شيخ عز نصره الدراهم المؤيدية في شوال منها نودى في القاهرة بالمعاملة بها فى يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٨١٨ فتعامل الناس بها اه

بيان ذراع القماش في مصر

قال فى صبح الاعشى واما الأقمشة فأنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد واربع اصابع مطبوقة .

بيان ذراع الاراضى والدور

قال في صبح الاعشى . وقد اصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل . ولعله الذراع الذى كان يقاس به ارض السواد بالعراق . فقد ذكر الزجاجي انه ذراع وثلث بذراع اليد وكان ابتداء وضع الذراع لقياس الأرضين ان زياد ابن ابيه حين ولاه معاوية العراق واراد قياس السواد جمع ثلاثة رجال . رجلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطاً بين ذلك واخذ طول ذراع كل منهم فجمع ذلك واخذ ثلثه فجعله ذراعاً لقياس الأرضين وهو المعروف بالذراع الزيادى لوقوع تقديره بأمر زياد . ولم يزل ذلك حتى صارت الخلافة لبنى العباس فاتخذوا ذراعاً مخالفاً لذلك كأنه اطول منه فسمى بالهاشمي لوقوعه في خلافة بني العباس ضرورة كونهم من بنى هاشم .

الأسعار في دمشق ومصر

قال في صبح الاعشى وسعر اللحم بها « بدمشق » ارخص من مصر والدجاج والاوزّ اغلى من مصر وكذلك السكر الا ان الفاكهة فيها ارخص من مصر بالقدر الكثير والقمح والشعير والباقلا نحو من سعر مصر وذلك كله عند اعتدال الاسعار

وقال في الكلام على الاسعار بمصر . قال ابن فضل الله في مسالك الأبصار واوسط اسعارها في غالب الأوقات ان يكون الاردب القمح بخمسة عشر درهماً والشعير بعشرة وبقية الحبوب على هذا الأنموذج والارز يبلغ فوق ذلك واللحم اقل سعره الرطل بنصف درهم (رطل مصر ١٤٤ درهما) وفي الغالب اكثر من ذلك والدجاج يختلف سعره بحسب حاله فجيده الطائر منه بدرهمين الى ثلاثة . والدون منه بدرهم واحد والسكر الرطل بدرهم ونصف وربما زاد. والمكرر منه بدرهمين ونصف قلت وهذه الاسعار التي ذكرها قد ادركنا غالبها وبقيت الى ما بعد الثمانين والسبعمائة فغلت الاسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره وصار المثل الى ثلاثة امثاله واربعة امثاله .

العربان القاطنون حول حلب

قال فى صبح الاعشى ان ديار آل فضل من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبة آخذين على شقي الفرات واطراف العراق (١) ثم قال ان آل فضل تشعبوا شعبا كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل مسلم وآل علي ثم ذكر من انضاف اليهم ودخل فيهم ثم قال فى الكلام على حلب والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان

(١) قدمنا فى حوادث سنة ٧٣٥ خبر وفاة مهنا بن عيسى من امراء آل فضل وسيأتيك في قسم التراجم ترجمة نعير بن جبار بن مهنا المتوفى سنة ٨٠٨ وترجمة ولده عجل بن نعير المتوفى سنة ٨١٦

القبيلة الأولى

(بنو كلاب) قال في مسالك الابصار وهم عرب اطراف حلب والروم ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تعد ولا تزال تباع بنات الروم وابناءهم من سباياهم ويتكلمون بالتركية ويركبون الاكاديش وهم عرب غزو ورجال حروب وابطال جيوش وهم من اشد العرب بأساً واكثرهم ناساً قال ولافراط نكايتهم في الروم صنفت السيرة المعروفة «بدلهمة والبطال» منسوبة اليهم بما فيها من ملح الحديث وملح الاباطيل «١» ولكنهم لا يدينون لامير منهم يجمع كلمتهم ولو انقادوا لأمير واحد لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة . وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاون لا يزال ملتفتا الى تألف بني كلاب هؤلاء وكان احمد بن نصير المعروف بالتتري قد عاث في البلاد والأطراف واشتد في قطع الطريق فأمنه وخلع عليه واقطعه فانقادت بنو كلاب للطاعة وكان الملك الناصر قد امر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليه حفظ جعبر وما جاورها.

القبيلة الثانية

«آل بشار» قال في مسالك الابصار وديارهم الجزيرة والاحص ببلاد حلب قال والاحلاف منهم حالهم في عدم الانقياد لأمير واحد حال بني كلاب واواجتمعوا لما امن بأسهم نقيمٌ على تفرق كلمتهم وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل وطالما باتوا وقلوبهم منهم ملأى من الحذر وعيونهم وسنى من السهر وبينهم دماء وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران . وديارهم من سنجار وما يدانيها الى البارة او قرب الجزيرة العمرية الى اطراف بغداد اهـ.

---

(١) في هامش صبح الاعشى · هي السيرة المشهورة الآن بذات الهمة وقد طبعت اخيرا بالمطبعة الحسينية وانتشرت في ايدى العامة وهي في بابها لا بأس بها اهـ

تم بتوفيقه تعالى طبع الجزء الثانى من اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

خامس شهر صفر سنة الف وثلاثمائة وثلاثة واربعين

ويليه الجزء الثالث اوله ترتيب مملكة حلب في عهد دولة الجراكسة

الفهرست

صحيفة

صحيفة | صحيفة

دولة الأتراك بمصر والشام

دولة الجراكسة